هذا الطالب يسمح باجراء التصويبات التي اشار بها عليه اعضاء لجنة المناقشة
المشرف
احمد السيد دراج
٧/٨/١٤٠٢هـ

جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مكة المكرمة
قسم التاريخ الاسلامي



الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس

(٣١٦هـ-٤٢٢هـ/٩٢٨م-١٠٣٠م)

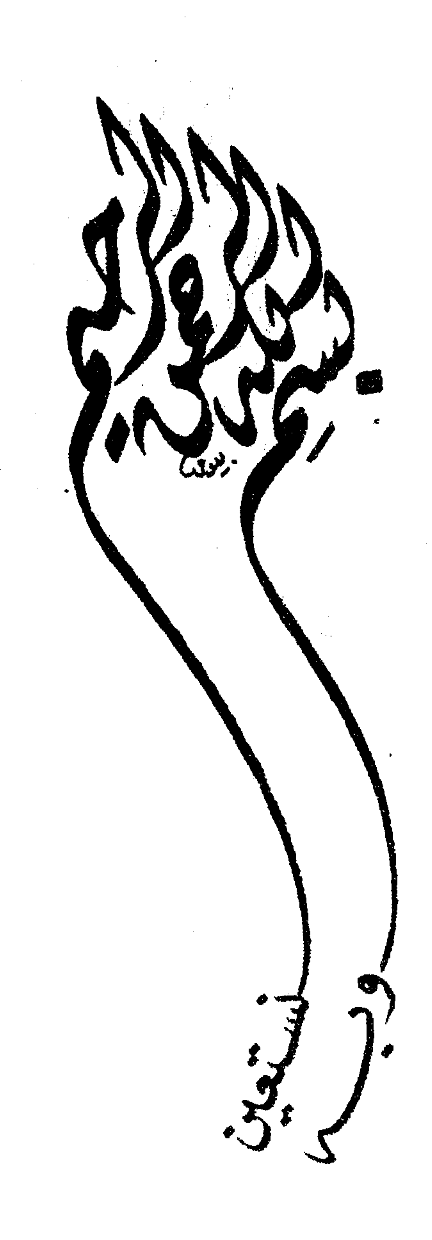
رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد
المعيد/ سعد عبدالله صالح البشري



إشراف
الدكتور/ أحمد السيد دراج

١٤٠١هـ - ١٤٠٢هـ
١٩٨١م - ١٩٨٢م



شكر وتقدير

بســـم الله الرحمن الرحـيم

======

شـــــكر وتقديـر

===========

الحمد والشكر لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، ثم لأستاذى الفاضـــل سعادة الدكتور احمد السيد دراج الذى تفضل بالاشراف على اعداد هذه الرسالـة وبذل الكثير من الجهد في سبيل اخراج هذا العمل العلمي المتواضع ، فكـان امد الله في عمره في اشرافه ابا مشفقا واستاذا موجها فله مني عظيم الشـــــكر وجميل العرفان .

كما واتقدم بالشكر الجزيل الى سعادة الدكتور محمد سعد الرشيد الذى كان له اطيب الأثر في ترسيخ العزم نحو استكمال دراستي العليا ، ولا يفوتني ان - اشيد بجهود كل من سعادة الدكتور عليان الحازمي عميد كلية الشريعة سابقا وسعادة الدكتور علي الحكمي عميد الكلية حاليا ، والقائمين على مركز البحث العلمي وفـي مقدمتهم سعادة الدكتور ناصر سعد الرشيد ، لما بذلوه ويبذلونه من جهـــود موفقه لرفع شأن الدراسات الاسلامية والبحث العلمي .

واخيرا اشكر كل من مد لي يد العون والمساعدة لانجاز هذا العمل .. فللجميع من الله الثواب العظيم والأجر الجزيل ، والله ولي التوفيق ...

===

المقدّمة

" نطاق البحث وتحليل المصادر "

بسم الله الرحمن الرحيم

==========

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

اما بعد .

فان تاريخنا الاسلامي المجيد حافل بالكثير من وجوه الابداع الحضارى والتي هي احق ما يكون بالدراسه والبحث والتي من شأنها ان تضيء الكثير من الزوايا المظلمه في تاريخ الحضارة الاسلامية ، فقد كان للمسلمين عبر تاريخهم الطويل نشاط مشرف في ميادين الحضارة المختلفة وانبثق عن ذلك النشاط الكبير كيان حضارى عظيم اسهم في تقدم البشريه نحو الافضل .

وكان للاندلسيين في هذا النشاط سهم وافر وجهد واضح لا ينكر ، حيث شهد القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى في الاندلس ازدهارا حضاريا شاملا في كافة وجوه النشاط الانساني ومنها بطبيعة الحال الميدان العلمي .

والحق ان ميدان الحياة العلمية في الاندلس لم يحظ بالدراسة والبحث الكافيين اذ انصرف الكثير من الباحثين الى دراسة الاحوال السياسيه في فترة ما ، أو البحث في حقبة من تاريخ جهاد المسلمين مع النصارى ، أو الكتابه عن عصر امير أو خليفه ، واكثر ما كتب عن الحياة العلمية والادبيه يتمثل فيما اخرجه الباحثون من دراسات ادبيه ، كالادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطه لاحمد هيكل ، وتاريخ الادب الاندلسي لاحسان عباس ، ودراسات في الادب الاندلسي لسامي العاني ، والادب الاندلسي موضوعاته وفنونه لمصطفى الشكعه وفي الادب الاندلسي لجودت الركابي ، وادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث لبطرس البستاني الى غير ذلك من الكتب المؤلفه في هذا الحقل .

ورغم هذا فقد قامت هناك بعض الدراسات حول الحضارة الاندلسية والبحث في وجوهها المختلفه بوجه عام ، ككتاب حضارة العرب في الاندلس لليفي بروفنسال وكتاب الحضارة الاسلامية في الاندلس لعبد الرحمن الحجي ، وكتاب الاسلام في اسبانيا للطفي عبد البديع ، وكتاب تاريخ الفكر الاندلسي لآنخل جونثالث بالنثيا ، وهو جهد مشكور للمؤلف حيث ان كتابه المذكور يأتي في طليعة ما صنف عن الحركة الفكرية في الاندلس ، وذلك رغم ان المؤلف قد اغفل الكثير من جوانب النشاط العلمي في الاندلس بالاضافة الى ان محاولته من جعل الكتاب شاملا لجوانب الحركة الفكرية من اول تاريخ المسلمين في الاندلس الى زوال سلطانهم هناك قد ادت الى عدم استيفاء الموضوع واعطائه حقه من الدراسه •

كما خصص احمد امين الجزء الثالث من موسوعته ظهر الاسلام عن الحياة العقلية في الاندلس بصورة عامه •

وبالاضافة الى ما تقدم فقد قدمت رسائل علمية تبحث في تاريخ الاندلس — وحضارتها وما يهمنا ذكره هنا ما يتعلق بالحياة العلمية ، فكان من بينها رسالة لنيل درجة الماجستير حول الحياة العلمية في بلنسيه منذ الفتح سنة ٩٢ هـ الى سنة ٤٩٥ هـ اعداد كريم عجيل حسين •

ويتضح من عنوانها ان الدراسة منصبة على مدينة بلنسيه فقط وما قدمه علماؤها من جهود علمية ، وهذا بلا شك خطوة جيده ولكنها مقصورة على منطقة محدوده من الاندلس •

كما اعد محمود علي مكي رسالة علميه للحصول على درجة الدكتوراه حول التيارات الثقافيه بين الاندلس والمشرق واثرها في الحركة العلمية في الاندلس •

وقدم الزميل يوسف حواله لحصوله على الماجستير في التاريخ الاسلامي رسالة عن بني عباد في اشبيليه ، وقد خصص الباب الاخير من ابوابها عن التطور الحضارى في اشبيليه في القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادي وقد تناول فيه الحركة العلمية النشطه آنذاك •

ويبدو مما تقدم ان ميدان الحياة العلمية في الاندلس لم يستوف حقه من البحث والدراسه ، ولذلك اتجه اهتمام الباحثين الى دراسته على النحو الذى اوضحته •

ولما كان لميول الباحث اثر في تقرير ما سوف يقوم به من دراسات علمية ، فقد كنت في دراستي للتاريخ الاسلامي اميل الى ما يختص منه بالاندلس ذلك القطر العزيز على نفس كل مسلم يكن لتاريخ امته كل ولاء وتقدير •

وقد انصبت اهتماماتي على ما يختص بالحياة العلمية والنشاط العلمي الذى برع فيه الاندلسيون وابدعوا في مجالاته المختلفة ، وكثيرا ما لفت نظرى الاعداد الهائلة من علماء الاندلس الذين تضمهم كتب التراجم فحفظت سيرهم وجهودهم العلمية ، ولو كان ذلك على وجه الاقتضاب والايجاز •

ونظرا لان ميدان العلم هو الوجه المشرق للحضارة الاسلاميه في الاندلس ، وبه تجلى فضلهم وابداعهم ، وكانوا به في موقف العطاء والبذل والمشاركة في بناء الحضارة الانسانية ، لهذا كله فقد تعمقت الرغبة ورسخ الميل في النفس نحو البحث والدراسة في هذا الحقل الحضارى الهام والذى لم يلق من العناية والاهتمام حتى الآن ما يساوى اهميته وعظم شأنه في النشاط الحضارى للاندلس •

وبعد الاطلاع على سير الحركة العلمية في الاندلس منذ دخول — المسلمين اليها وحتى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، لوحظ ان الازدهار الحقيقي للعلوم والاداب كان في عصر الخلافه والذى يستغرق القرن الرابع الهجرى تقريبا ، ففيه بلغ الاندلسيون درجة رفيعة من التطور الحضارى والازدهار العلمي ، واثبتوا فيه قدراتهم العلمية المتفوقه .

وبناء على ما تقدم فقد كان عصر الخلافه هو محور الدراسة في هذا البحث والذى امتد منذ اعلان عبد الرحمن الناصر الخلافة سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨م — وحتى سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م .

والحق ان مثل هذه الدراسات المتعلقة بالحضارة هي من اشق ما يتعرض له الباحث ، وذلك عائد الى ندرة المادة العلمية المتصله بموضوعه ، فان موضوعا كموضوع الحياة العلمية في عصر الخلافه يكاد يستند في معلوماته الى كتب التراجم والطبقات ، وكما هو معلوم فان هذه الكتب تضم المئات بل الالاف من التراجم لعلماء الاندلس في مختلف العصور ، وهذا بلا شك يجعل الباحث اكثر دقة في تتبع سير العلماء الذين عاصروا الفترة التي ينوى دراستها ، وذلك لا يتم الا بمعرفة تاريخ ميلاد ووفاة كل منهم وارتباطهما بذلك العصر ، كما ان كتب التراجم الاندلسية الى جانب ما تتصف به من ايجاز في الكثير من التراجم تكاد تكون مادتها العلمية منصبة على علماء الدين وعدد من علماء اللغة واهل الادب مما دعى الباحث الى التنقيب عن جهود العلماء الاخرين في فروع العلم الاخرى من رياضيات وفلك وطب وكيمياء وتاريخ وجغرافيا في كتب الطبقات المختصه بكل منهم .

وكان للمنهج الذى سار عليه اغلب المؤرخين المسلمين — من التركيز في كتاباتهم عن الجانب السياسي والعسكرى — اثر في ندرة الكتابه عن وجوه

النشاط الحضاري ومن بينها النشاط العلمي الذي لا نكاد نجد من بين مصـــادر التاريخ الاندلسي مصدرا سخيا في هذا الميدان اللهم الا ما تفرق في كتاب المقرى نفح الطيب ، وكتاب طبقات الامم للقاضي صاعد الطليطلـــي •

ونظرا للاعداد الهائلة من العلماء الذين عاشوا في عصر الخلافة ، وكان لهم شأن في حقول المعرفة المختلفة فقد حاولت ان اختار أبرزهم واكثرهـــم تأثيرا في الحركة العلمية بما قدموه من جهود موفقه في مختلف ابواب المعرفه •

وكان للاعتماد الاكبر على كتب التراجم اثر في محاولة الخروج على ظاهرة الترجمه المحدوده للعالم الى رسم الصورة العامه للحياة العلمية بجوانبها المختلفه وهي بلا شك محاولة تحتاج الى دراسة عميقه لنصوص التراجم وتستند في تحقيـــق نتائجها الى عناصر التحليل والاستنتاج والاستنباط ، وقد حاولت ذلك قـــدر الاستطاعـــة •

وفيما يتعلق بالبحث وتبويبه فقد كان لطبيعة المادة العلمية وتوفرهـــا اثر في تشكيل خطة البحث • وقد رأيت ان يصدر البحث بتمهيد عن الحيـــاة العلمية في عصر الاماره وذلك لتتضح الرؤية عن حقيقة ما سبق عصر الخلافة مـــن نشاط علمي ومدى قيمته كنواة طيبة لما تم بعد • وكان الحديث عن الحيـــاة العلمية في ذلك العصر في صورة موجزه شملت نشاط الاندلسيين في العلوم الدينيـة والادب واللغه • والتاريخ والجغرافيا ، والعلوم التجريبيـــه •

وبعد هذا التمهيد نأتي الى موضوع الحياة العلمية في عصر الخلافـــه وينقسم الى قسمين :

القسم الاول : دراسة لاهم مظاهر النشاط العلمي في عصر الخلافه •

القسم الثاني : نشاط العلوم والاداب في عصر الخلافه •

فالقسم الاول يتفرع الى اربعة فصول وهي ما يلـــي :

الفصل الاول ويتعلق باهتمام الخلفاء بالحركة العلمية ، ومدى ما اسهموا بـــه في دفع عجلة العلم والعمل على ازدهار الحركة العلميه ، وهذا الفصل يتفرع ـ الى اربع نقاط • الاولى تتصل بالخليفه عبد الرحمن الناصر وكيف ان عهده كان يمثل الخطوة الاولى نحو قيام النهضة العلمية بما كان يتسم به من رخاء واستقرار انصرف فيه الناس نحو تحصيل العلوم والاداب •

والنقطة الثانية تتصل بالخليفة العالم الحكم المستنصر والذى يعد عهده بحق العمود الفقرى للازدهار العلمي في عصر الخلافه لما اتصف به الحكم المستنصر ـ من حب للعلم واكرام للعلماء وما سعى اليه من وسائل هامه للنهوض العلمي فـي بلده • اما النقطة الثالثه فتتعلق بعصر هشام المؤيد ويكون الحديث فيهـــا عن شخصية المنصور بن ابي عامر باعتباره صاحب الامر حقيقة ومدى ما اسهم به فـي نشاط الحركة العلمية ، ثم عن ابنه المظفر عبد الملك وحفاظه على جهود ابيه في رفع شأن العلم والعلماء •

وأما النقطة الرابعه فعن قيام الفتنه وسقوط الخلافه واثر ذلك على الحركـــــة العلميه •

اما الفصل الثاني فعن الرحلات العلميه واثرها في النهضة العلمية فـي الاندلس ويتشعب هذا الفصل الى نقاط ثلاث ، اولها ارتحال علماء الاندلس الى المشرق في طلب العلم ، وكيف ان الاندلسيين كانوا يحملون في اذهانهـــم اجل صورة عن المشرق ، وحرصهم التام على الرحيل الى هنالك للقاء العلمـــاء والشيوخ ، وثاني النقاط عن نتائج الرحلات العلمية للاندلسيين الى المشرق ـ وماذا جناه الاندلسيون من ذلك ، وثالث النقاط : عن بروز الشخصيـــه

العلمية الاندلسية في عصر الخلافه وكيف ان الاندلسيين قبل ذلك كانوا يدورون في دائرة التقليد لاخوانهم من المشارقة ثم مالبثوا بعد فترة من الزمن وكان ذلك في عصر الخلافه ان انطلقوا يبنون لهم كيانا علميا ينم عن شخصيتهم العلميه المستقله وابداعهم الحضارى .

أما الفصل الثالث فعن الكتب والمكتبات في الاندلس ، ويتفرع الى ثلاث نقاط :

الاولى : عناية الاندلسيين بالكتب ، وكيف انهم تميزوا بحبهم الشديد للكتب وتصانيف العلم حتى ان الأميين منهم كانوا يجارون العلماء في اتخاذ المكتبات داخل دورهم .

الثانيه : اهتمام الاندلسيين بجمع الكتب وانشاء المكتبات ، وفيه يتعرض البحث الى ابرز من عرف عنه جمع الكتب وانشاء المكتبات ، وقد بدأت بالخليفه الحكم المستنصر باعتباره اشهر من عرف عنه ذلك .

الثالثه : حرفة الوراقه في الاندلس واثرها في النشاط العلمي . وقد صدرت الحديث عن ذلك بظهور صناعة الورق في الاندلس وبراعة الاندلسيين من اهل شاطبه في ذلك ، ثم تحدثت عن دور الوراقين في ازدهار الحركة العلمية ، وكيف ان هذه الفئة من المسلمين قد اسهمت في نشاط العلوم والاداب ونهضة العلم بشكل كبير وملموس .

وأما الفصل الرابع : فعن ازدهار التعليم في الاندلس ، ويتفرع الى نقاط ثلاث :

الاولى : مراكز التعليم في الاندلس ، وكيف ان الاندلسيين كانوا يتلقون علومهم في المساجد والجوامع ، وعلى وجه التخصيص جامع قرطبه وجامع

الزهـراء •

الثانيه : طريقة التعليم عند الاندلسيين ، ومنها يتضح ما اولاه الاندلسيون لهذه الناحية من الاهتمام •

الثالثه : عناية الخلفاء بالتعليم ، وفيها يبرز دور الحكم المستنصر في تشجيع الناس على طلب العلم وتوفير وسائله بالمجان لمن لا يستطيع تحمـل نفقات الدراسه ومدى تأثير ذلك على الرعية التي سارعت الى العلم والمعرفه •

اما القسم الثاني من الرسالة فينقسم الى اربعة فصول :

الفصل الاول ، وكان الحديث فيه عن العلوم الدينيه والذى يتشعب بحسب ما تضمه الى اربع نقاط ، الاولى : الفقه ومدى اسهام الاندلسيين فـي ازدهار الدراسات الفقهية ، ونبوغ الكثير منهم في ذلك وما قدموه من انتـاج علمي نفيس •

الثانيه : الحديث ونشاط الكثير من الاندلسيين في ذلك وبروز — اعداد كبيره منهم في دراسة الحديث وما صنفوه في ذلك •

الثالثه : علوم القرآن : وازدهارها فيما يتعلق بالقراءآت — والتفسير • وقد حقق الاندلسيون في القراءات نتائج علمية كبيرة حتى عرف عـن الاندلسيين انهم اصحاب القدح المعلى في القراءآت فخرج من بينهم علمـاء لا يزال يحتل بعضهم منزلة رفيعة بين المسلمين •

وكذلك في التفسير اظهر الاندلسيون نبوغا كبيرا فكان لهم في ذلك العلم انتـاج علمي نفيس •

الرابعه : وكان الحديث فيها عن علم الكلام وموقف الاندلسـيين منه ، وقد بينت كيف انهم بما اتصفوا به من التزام بمذهبهم المالكي كانوا اشـد بغضا لاصحاب الكلام ومن يخرج على السنه المطهره •

والفصل الثاني عن الادب والنحو وعلوم اللغه ، ويتشعب الى نقطتين :

الاولى : عن الادب وهو بدوره ينقسم الى نثر وشعر . والنثر يشمل النثر الفنى وهو اسلوب الرسائل الديوانيه والاخوانيات والوصايا .

والنثر الادبي ويقصد به الادب التأليفي اى تأليف كتب ادب بمفهوم القرن الرابع الهجرى : العاشر الميلادى .

وقد اشرت في ذلك الى جهود الاندلسيين ومقدار ما اسهموا به من انتاج علمي رائع لا يزال بعضه يشهد لهم بالقدر العلمي الكبير .

وفي الشعر نبغ الكثير من الاندلسيين ، وقد اشرت الى ابرزهم في ذلك .

الثانيه : وتتعلق بالنحو وعلوم اللغه ، وكيف ان الاندلسيين حققوا في ذلك نتائج علميه كبيره ، فكانت لهم تصانيف قيمه لا يزال بعضها يحتل مكانة رفيعه بين كتب النحو واللغه .

وأما الفصل الثالث فعن العلوم الانسانيه . ويتفرع هذا الفصل الى ثلاث نقاط :

الاولى : عن التاريخ واهميته لدى الاندلسيين وحرصهم على تخليد مآثر بلدهم ، وابرز من ظهر في ميدان التاريخ مع الاشارة الى انتاجه العلمي .

الثانيه : عن الجغرافيا وكيف انها قد ارتبطت لدى مؤرخي الاندلس بالتاريخ ، وانهم كانوا يصدرون كتاباتهم التاريخية بمقدمة جغرافيه ، وقد اشرت الى ابرزهم مع الحديث عن تصانيفهم في ذلك ، هذا بالاضافة الى الرحلات الجغرافية وما قام به الاندلسيون في ذلك .

الثالثه : عن الفلسفة ، وفيها تحدثت عن بداية الاشتغال بهـا وسبب ضعف الدراسات المتعلقة بها ، ثم ما كان للرحلات العلمية الى المشرق من تأثير في ظهور بعض المشتغلين بها ، وكيف انه كان للخلفاء اثر في ازدهارها ثم ما اعقب ذلك من اضعاف الاشتغال بها على يد المنصور بن ابي عامر ، ومكانة ابن حزم الاندلسي في ميدان الفلسفة ومناقشته " نظرية المعرفه " .

والفصل الرابع : يتضمن الحديث عن العلوم التجريبيه ، ويتشعب هذا الفصل الى ثلاث نقاط .

الاولى : تتصل بالرياضيات والفلك ، وفيه تطرقت الى الحديث عن بداية اشتغال الاندلسيين بهذه العلوم واسباب ضعف الاشتغال بها في بداية الامر . ثم ما ترتب على الرحلات العلمية للاندلسيين الى المشرق من اثار هامه في نشاط تلك العلوم الى جانب دور الخليفه الحكم المستنصر في ازدهارها . ثم تطرقت الى نشاط الرياضيات والفلك في عصر الخلافه وبروز الكثير من العلماء في تلك العلوم وما قدموه من انتاج علمي نفيس . ويأتي في مقدمتهم مسلمة بن احمد المجريطي الذى كان بنشاطه الجم مدرسة كبيره اخرجت الكثير من العلماء وفي مقدمتهم ابن السمح وابن الصفار وقد حفظ لنا من تصانيف الاخير مخطوط في الفلك اشار اليه الباحث وعلق على محتوياته .

النقطة الثانيه : عن الطب وبداية الدراسات الطبيه ودور اهل الذمة في ذلك ، واثر التيارات الثقافية في ازدهار العلوم الطبيه ، وقد تحدثت عن ابرز من نبغ في الطب في عصر الخلافه ويأتي في مقدمتهم الطبيب الجراح خلف بن عباس الزهراوي الذى نال بجهوده العلمية منزلة رفيعة ليس في الاندلس وانما في اوروبا ايضا ويأتي في مقدمة جهوده تلك دراساته الطبيه القيمة في ميدان الجراحة كذلك الطبيب عريب بن سعد ومصنفه في الطب المسمى (خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولود) ، كما يأتي في مقدمة اطباء ذلك العصر حسان بن

جلجل وانتاجه العلمي في الطب والصيدله وغير هؤلاء من الاطباء النابغين آنذاك •

النقطة الثالثة : عن الكيمياء ، وقد اشرت في البداية الى جهود — المسلمين فى ازدهار هذا العلم ودور الاندلسيين في ذلك ، ثم ينتقل الحديث الى جهود العلامة مسلمة المجريطي ودراساته الهامه في ذلك وقد ضمن دراساته تلك كتابيه المخطوطين رتبة الحكيم وغاية الحكيم وخاصة الاول فقد حوى الكثير من المعلومات القيمه في الكيمياء • كما تحدثت عن بعض العلماء ممن نسب اليهم الاشتغال بهذا العلم كعبد الله بين محمد المعروف " بالسرى " وعبد الله ابن محمد الذهبي ، واخيرا ذكرت اهمية العلاقة بين الكيمياء والصيدله ومدى ما كان يوليه الاطباء للكيمياء من عناية واهتمام كالزهراوي وابن جلجل •

واما الخاتمه • فتتضمن نتائج البحث ومدى تأثير هذا النشاط العلمي الاندلسي في عصر الخلافة في اوروبا آنذاك •

===

دراسة لأهـم المصادر والمراجـع

لما كان موضوع البحث يقوم على وصف الحياة العلمية في عصر الخلافه في الاندلس وذلك من خلال ما قام به علماء ذلك العصر من جهود علميه فقد كان الاعتماد الاكبر في كتابة هذا البحث على كتب التراجم والطبقات ، وقبل الاشارة الى اهم المصادر المطبوعه يجدر التنويه ببعض المخطوطات التي افدت منها في بعض جوانب البحث .

ا ـ المخطوطـات :

١ ـ " التصريف لمن عجز عن التأليف " للطبيب خلف بن عباس الزهراوى القرطبي من علماء عصر الخلافه . والمخطوط يقع في اجزاء كثيره ولكن الجزء المتعلق بالجراحه هو ما افدت منه حيث ينسب لهذا الطبيب اللامع الكثير من الاكتشافات العلمية في ميدان الجراحة الطبية وهو امر يشهد للاندلسيين بالنبوغ العلمي ، فكان هذا المخطوط الطبي يتضمن الاسس العلمية الصحيحة للجراحة الطبية التى نقلها الغرب وافادوا منها .

٢ ـ " تاريخ علماء الاندلس " لمحمد بن حارث بن اسد الخشني القيرواني (ت ٣٦١ هـ / ٩٧١ م) . والمخطوط عبارة عن معجم تراجم لعلماء الاندلس حتى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ومما يؤسف له انه لم يصلنا كاملا ، حيث بقي منه جزء يقع في ١٨٢ ورقه مكتوبه بخط اندلسي . وقد افدت منه في بعض جوانب البحث وخاصة فيما يتعلق بتراجم بعض العلماء كابن مسره وموقف الناس منه ورأى ـ

الخشني في سيرته ، وكان لاهمية ذلك المخطوط ان اعتمد عليه ابن الفرضي في تأليفه لكتابه " تاريخ علماء الاندلس " .

والجدير بالذكر ان هذا المخطوط مؤشر من مؤشرات الازدهار العلمي في حقل التاريخ والتراجم في عصر الخلافة .

٣ — " غاية الحكيم " مخطوط يتضمن الكثير من المعلومات الفلكية والرياضية والجغرافية والكيمائية للعلامة القرطبي مسلمة بن احمد المجريطي — (ت ٣٩٨ هـ) . وقد اشار بعض الباحثين الى مخطوط غاية الحكيم وانه لمؤلف مجهول ولكن الحق انه من تأليف العلامة المذكور . وقد افدت منه عند الحديث عن الكيمياء والجغرافيا .

٤ — " رتبة الحكيم " لمسلمة بن احمد المجريطي الآنف الذكر . وهذا المخطوط يعتبر من اعظم ما ألفه الاندلسيون في علم الكيمياء ، فقد تضمن الكثير من المعلومات القيمة التي توضح مدى ازدهار ذلك العلم وتطوره في الاندلس . ولهذا فقد استفدت منه عند الحديث عن الكيمياء وازدهارها آنذاك .

ولكن ما يؤخذ على مسلمة تعمده الغموض في كلامه عن الكيمياء وعملياتها المختلفة ، وهو منهج سار عليه الكيماويون حتى قال ابن خلدون في المقدمة ص ٥٠٤ (وكلامه في ذلك الكتاب وكلامهم اجمع في تآليفهم هي الغاز يتعذر فهمها على من لم يعان اصطلاحاتهم في ذلك) .

٥ — " الفصوص " وهو من تأليف الاديب صاعد بن الحسن الربعي (— (ت ٤١٠ هـ / ١٠١٩م) وموضوع المخطوط الادب ، فقد وفد صاعد من المشرق الى الاندلس في عصر المنصور بن ابي عامر الذي اراد انه يجعل منه ندا وخلفا للاديب المشرقي القالي الذي حظي بمنزلة عاليه لدى الخليفه الحكم المستنصر . ولهذا نرى المنصور يشجع صاعد على

البحث والتأليف فيؤلف له كتابا في الادب اسماه الفصوص ، ونظرا للمنافسة بين ادباء ذلك العصر فقد وقف الادباء لصاعد بالمرصاد فتتبعوا كتابه بالنقد اللاذع حتى قذف به المنصور في النهر . ورغم ذلك فقد اثابه المنصور عليه بخمسة الاف دينار ولا شك ان ذلك المخطوط حافل بالكثير من الوان الادب من شعر ونثر الى جانب ما ضم من الدراسات اللغويه جريا على سنة التأليف الادبي .

وقد استفدت من مقدمة المخطوط في التعرف على سيرة الاديب صاعد وحياته العلميه باعتباره احد ادباء عصر الخلافه ، بالاضافة الى كون المخطوط صورة من صور النشاط العلمي في ميدان الادب آنذاك .

٦ــ " العمل بالاسطرلاب " من تأليف احمد بن عبد العزيز الصفار (ت ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ م) ، ويشير القاضي صاعد في طبقات الامم الى ان اسم ابيه " عبد الله " وموضوع المخطوط كما يوضح عنوانه في ميدان الفلك وكيفية العمل بتلك الاله الفلكية المسماه بالاسطرلاب وتوضيح اجزائها ، ومهمة كل منها ، ويتضح للمطلع على تلك المخطوطه المهاره الفائقه والممارسة العملية الجيده التي تمتع بها ابن الصفار . ويستدل من اسلوب المخطوط انه موجه لطلاب العلم المشتغلين بالفلك ، حيث يوضح لهم المؤلف المنهج العلمي السليم في استخدام الاسطرلاب ، والمخطوط الى جانب ذلك يضم الكثير من المعلومات الفلكية التي اخضعها ابن الصفار لحاجة المسلم الزمنيه والمكانيه ، حيث سعى الى تعيين القبله واوقات الصلاة ، وكيف يتم ذلك ، وقد نشر هذا المخطوط بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، وبعد الاطلاع على المخطوط وما نشر تبين ان هناك اختلافا كبيرا بينهما ، فضلا عن ان ما نشر يعد ناقصا عما ورد في المخطوط . وقد افدت من ذلك المخطوط عند الحديث عن الفلك وتطوره في عصر الخلافه .

٧ ــ " ريحانة الالباب وريعان الشباب " للمؤرخ ابي عبد الله محمد بن ابراهيم المعافري الاشبيلي الذى اكمل تأليف كتابه المذكور في شعبان ٥٥٧ هـ / وموضوع المخطوط في التاريخ والادب . ويضم معلومات قيمه عن تواريخ بعض الدول الاسلامية

وسير الخلفاء ، وقد افادني فيما يختص بخلفاء بني اميه في الاندلس ، بالاضافة الى اهمية ما حواه من نصوص علميه هامه عن سير بعض العلماء كالغالي وصاعد بن الحسن الربعي ٠

٨ – " خلق الجنين وتدبير الحبالي والمولود " للطبيب عريب بن سعد القرطبي الذى عاش في عصر الخليفه عبد الرحمن الناصر ثم ابنه الخليفه الحكم المستنصر ، وكان يتمتع بعلم واسع في الطب الى جانب رسوخه في التاريخ ٠ والمخطوط المشار اليه في الطب ، وقد ضمنه خبراته ومعارفه الطبيه في هذا الجانب الهام من الطب وهو طب الاطفال ، وقد ألفه عريب نزولا على رغبة الخليفه الحكم المستنصر وما من شك ان ما تضمنه ذلك المخطوط من المعلومات الطبيه القيمه لتعد دليلا وشاهدا على تطور الطب في ذلك العصر والمستوى الرفيع الذى بلغه الاطباء آنذاك وقد افادني عند الحديث عن ميدان الطب وازدهاره في عصر الخلافه ٠

====

ب ـ المصادر المطبوعـــــه :

==================

يأتي في مقدمة هذه المصادر المطبوعه ما يلـــي :

١ ـ " تاريخ علماء الاندلس " لابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ/ ١٠١٢م) ،
وهذا الكتاب بما يضمه من تراجم كثيره لعلماء الاندلس يعد من اهم مـــا
رجعت اليه في استعراض جهود العلماء في حقول المعرفة المختلفـــــه ،
ولكن الغالب فيما ضمه الكتاب من تراجم كان منصبا على علماء الدين من فقه
وحديث وتفسير الخ .. وتبرز اهمية الكتاب في معاصرة المؤلف للكثير مـــن
العلماء الذين ترجم لهم ، ولهذا فما اورده عنهم من معلومات تعـــــد
اصدق واصح ما توصل اليه الباحث لانها قد اتت عن طريق المشاهـــــده
والمعاينه ، وقد اعتمد ابن الفرضي ايضا في تأليفه لذلك الكتاب على كثير
من الكتب التي فقدت ولم تصلنا وهو بذلك قد حفظ لنا نصيبا مما ضيعه الزمن
ولا شك ان هذا فيه دلالة على قيمة الكتاب واهميته .

٢ ـ " جذوة المقتبس " للحميدى (٤٨٨ هـ / ١٠٩٥م) وقد صنفـــــه
الحميدى وهو بالعراق ، ويتميز الكتاب بانه اكثر تنوعا في تراجمه حيث لـــم
يقصره على اهل الحديث والفقه بل تعداه الى تراجم اهل الادب والشعر
موردا في ثناياه الكثير من طرائف الاخبار ونوادر الاشعار . ولهذا فانـــه
يلاحظ على ذلك الكتاب مسحة من الادب فلا تكاد تخلو صفحة من صفحاتـــه
من بيت او ابيات شعر . وتبرز شخصية الحميدى العلمية من خلال ما ضمـــه
ذلك الكتاب من المعلومات القيمه عن علماء الاندلس وخاصة اذا علمنا انـــه
ألفه من حفظه . وقد استفدت من ذلك الكتاب في الكثير من تراجم العلماء
في مختلف تخصصاتهم العلمية .

٣ ـ " بغية الملتمس " للضبي (٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) وقد اعتمد في تأليفه
لكتابه المذكور على كتاب جذوة المقتبس للحميدى فنقل عنه كثيرا واضاف الكثير

ولم يعدم الباحث الفائدة من ذلك الكتاب فان نقل الضبي عن الحميدى فيه تأكيد للمعلومات بالاضافة الى ما نجده من تراجم اخرى لم ترد في جذوة المقتبس •

٤ ـ " الصلة " لابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٢م) ، وقد ألفه ابن بشكوال ليكون ذيلا على كتاب ابن الفرضي الآنف الذكر ، ويعد كتاب الصله من اهم كتب التراجم واعظمها فائدة وتبرز اهمية الكتاب في ان مؤلفه كان كثيرا ما يتقصى سير البعض من العلماء فيأتي في ذلك بمعلومات قيمه توضح لنا ما كان عليه المجتمع الاندلسي من علم ومعرفه فهو يتحدث باسهاب عن محنة احمد بن فرج الجياني وسبب سجنه وحرص الطلبه على حضور دروسه في السجن ، كما يتحدث عن نشاط العلامة احمد بن سعيد وتخصيصه قسما من داره ليقوم فيه بتدريس طلبة العلم •

٥ ـ " الحلة السيراء " لابن الابار (٥٩٥ هـ ـ ٦٥٩ هـ / ١١٩٨م ـ ١٢٦٠م) وتبرز اهمية ذلك الكتاب فيما يتعلق بميدان الادب والشعر وذوى النباهة منهما من الخاصة والعامه ، والكتاب يفيدنا بالكثير مما اتصف به بعض الخلفاء والامراء من بني اميه من التحلي بالادب ومهارتهم في الشعر ، ولهذا افادني عند الحديث عن الادب والشعر •

٦ ـ " التكمله " لابن الابار ، ولعل اهمية ذلك الكتاب تتضح لنا اذا علمنا ان مؤلفه قد قضى في تأليفه نحوا من عشرين سنه • وفي الكتاب نصوص علميه هامه تتعلق بعلماء الرياضيات والفلك والطب ، وهي معلومات لا نجدها في كتب التراجم السابقه • ولهذا فقد كان اعتماد الباحث عليه كبيرا في ذلك •

٧ ـ " المقتبس " لابن حيان (٣٧٧ هـ ـ ٤٦٩ هـ / ٩٨٧ م ـ ١٠٧٦م) وكان اعتماد الباحث على ما عثر عليه من اجزاء ، فالجزء المتعلق بتاريخ الاندلس من سنة ٢٣٢ هـ الى ٢٦٧ هـ والذى حققه محمود علي

مكي امدنا بمعلومات قيمه عن الحياة العلمية في عصر الاماره •

كما ان الباحث افاد من الجزء الذى حققه عبد الرحمن الحجي والذى تضمن تاريخ خمس سنوات من عصر الخليفه الحكم اى من سنة (٣٦٠ هـ — ٣٦٤ هـ / ٩٧٠ م — ٩٧٤م) ، وتبرز اهمية هذا الجزء في ان ابن حيان نقل الكثير عمن سبقه من المؤرخين كآل الرازى ومحمد بن يوسف الوراق وهو بهذا قد حفظ لنا نصوصا هامه مما فقد من كتب اولئك المؤرخين •
وقد افاد منه الباحث في الكثير من جوانب البحث كالحديث عن الادباء والشعراء في عصر الحكم ، وكذلك فيما ورد عن تربية هشام المؤيد وتلقيه العلم على الكثير من العلماء الى غير ذلك •

وافاد الباحث ايضا من الجزء الخاص بعصر الخليفه عبد الرحمن الناصر والذى يبدأ من سنة ٣٠٠ هـ الى ٣٣٠ هـ ويضم (٣٧٠ صفحه) • وقد نشر هذا الجزء ب• شالميتا و ف• كورنيطي و م• صبح بالمعهد الاسباني العربي للثقافه بمدريد سنة ١٩٧٩م • وقد حوى هذا الجزء على معلومات هامه عن فتنة ابن مسره وموقف السلطة في عهد الخليفة — عبد الرحمن الناصر منها ، وما لقيه اتباع ابن مسره من تنكيل وكذلك ضم معلومات عن شعراء بلاط الخليفه الناصر ، وهذا كله قد افاد الباحث في استكمال الكتابه عن بعض جوانب البحث •

ورغم ما تقدم فان الباحث يلحظ في المقتبس وغيره من كتب التاريخ الاهتمام العميق بالاحوال السياسيه والعسكريه والفتن والثورات التي قامت آنذاك في حين ان الجانب الحضارى وما يتضمنه من علوم واداب وشئون الفكر لا تحظى باهتمام كبير اللهم الا اشارات متفرقه •

٨ — " المعجب في تلخيص اخبار المغرب " للمراكشي (ت ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٩م)
وقد افاد منه الباحث فيما يتعلق بسيرة الحاجب المنصور بن ابي عامر وشخصيته العلميه الى جانب ما ذكره عن الفقيه القرطبي ابن حزم وسعة علمه ومنزلته

الكبيره بين علماء عصره وقدرته الواسعه على التأليف في ابواب المعرفه المختلفه .

٩ - " المغرب في حلي المغرب " لابن سعيد (ت ٦٨٥ هـ) وقد افاد الباحث منه فيما يختص ببعض التراجم كحديثه عن الحافظ ابن عبد البر النمري والفيلسوف المشرقي ابو وهب عبد الرحمن العباسي وغيرهما من العلماء ممن لهم اهمية في كتابة البحث واستيفاء جوانبه المختلفه .

١٠ - " البيان المغرب " لابن عذارى (ت القرن السابع الهجرى) . وعلى الرغم مما غلب على الكتاب من السرد التاريخي للاحداث السياسيه والعسكريه الا انه حوى معلومات في غاية الاهمية عن الناحية العلمية كحديثه عن اهتمام الحكم المستنصر بشئون التعليم وعنايته بانشاء المدارس لابناء الفقراء والمحتاجين وتيسيره العلم لهم مجانا .

١١ - " نفح الطيب " للمقري التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) ، وهذا الكتاب يعد في مقدمة المصادر التي امدت الباحث بالكثير من المعلومات الهامه المتعلقة بالحياة العلمية ، فمؤلف الكتاب اعتمد في تأليفه على كتب من سبقه من المؤرخين ، وقد ضاع الكثير من تلك الكتب ، فكتابة بمثابة سجل حفظ الكثير مما ضاع ، بالاضافة الى ان الكتاب بحجمه الكبير يعد موسوعة تاريخية في تاريخ الاندلس وحضارتها .

ونظرا لتنوع النشاط العلمي وتعدد حقول المعرفه من شريعه وادب وتاريخ وطب وفلسفة فقد لجأ الباحث الى كتب الطبقات والتي يختص كل منها بفئة من العلماء كالاطباء او الادباء مثلا . من تلك الكتب .

١٢ - " طبقات الاطباء والحكماء " لابن جلجل الطبيب الاندلسي وقد ألفه سنة ٣٧٧ هـ .

ويعتبر كتابه من اهم الكتب المتعلقة بتراجم الاطباء ، وتزداد اهميته

فيما يتعلق بالنهضة الطبيه في الاندلس وتراجم اطبائه ، والكتاب نفسه يعد شاهدا على رقي الحركة العلمية في ميدان الطب فمؤلفه من علماء عصر الخلافه بل ومن ابرزهم في الطب ٠

١٣ — " طبقات الامم " لصاعد بن احمد الطليطلي (ت ٤٦٣ هـ) ٠ وهذا الكتاب اهم مصدر اعتمدت عليه في دراسة النشاط العلمي في ميدان العلوم التطبيقية كالطب والفلك والرياضيات والكيمياء ٠ وقد ألف صاعد كتابه للتعريف بجهود الامم المختلفه في دراسة تلك العلوم حتى اذا تعرض لاهل بلده من الاندلسيين كشف لنا عن الكثير من الجهود الموفقه لهم في ذلك وما قدموه من نتائج علميه قيمه ٠ ولهذا كان اعتماد الباحث عليه كبيرا ٠ هذا بالاضافة الى ان القرب الزمني لتأليف الكتاب من عصر الخلافة يعمق صدق ما اورده المؤلف عن علماء عصر الخلافه للرؤيه القريبة من احداث ذلك العصر وسير علمائه ٠

١٤ — " عيون الانباء في طبقات الاطباء " لابن ابي اصيبعه (٦٠٠ هـ — ٦٦٨ هـ) ٠ وقد افاد منه الباحث كثيرا فيما يختص بأطباء الاندلس وخاصة فيما اورده عن سيرة الطبيب الاندلسي ابن جلجل وترجمة كتاب ديسقوريدس ٠ فالكتاب رغم ما ضمه من تراجم علماء الطب في العالم الاسلامي بصفة عامه الا ان الباحث اعتمد عليه في حديثه عن الطب والاطباء في الاندلس ٠ والجدير بالذكر ان ابن ابي اصيبعه قد اعتمد في كتاباته عن الاندلس على كتابي ابن جلجل وصاعد بن احمد الآنفي الذكر ٠

١٥ — " طبقات النحويين واللغويين " لابي بكر الزبيدى (ت ٣٧٩ هـ / ٩٨٩م)٠ وقد افاد منه الباحث فيما يتعلق بالحديث عن النحو واللغه ودور الاندلسيين في ازدهار تلك العلوم ٠

وتبدو اهمية ذلك الكتاب فيما اورده الزبيدى عن نحويي الاندلس ممن عاشوا في عصره ٠ وتعد معلوماته عنهم في غاية الاهمية لكتابته سيرهم العلميه

بمنهج علمي سليم وبنظرة فاحصه انبثقت عن علمه الواسع بالنحو واللغه ومدى ما اسهم به معاصروه في تطورها ٠

١٦ ـ " الذخيره في محاسن اهل الجزيره " لابن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ) ويأتي ذلك الكتاب في طليعة الكتب التي افاد منها الباحث في ميدان ـ الادب والشعر ، فقد قصد المؤلف من تأليفه لكتابه المذكور الاشاده بمحاسن اهل بلده في ذلك فترجم لمشاهير الادباء والشعراء واورد الكثير من نماذج انتاجهم الادبي ٠ وقد اعتمد الباحث عليه في ترجمة بعض ادباء وشعراء عصر الخلافه ٠

١٧ ـ " غاية النهاية في طبقات القراء " لابن الجزرى (ت٨٣٣ هـ) ، وقد ألفه في تراجم النابهيين من علماء القراءات في العالم الاسلامي ، ويتضمن الكثير من تراجم علماء الاندلس ولذلك افاد منه الباحث فيما يتعلق بالقراءات ٠

هذه هي اهم المصادر التي رجع اليها الباحث ٠ ولكن هناك الكثير من المصادر التي اعتمد عليها في كتابة البحث والتى اسهمت بقدر كبير في انجازه واخراجه بالصورة التي هو عليها الآن ويجدها القارئ مثبته في قائمة المصادر والمراجع الملحقة في آخر البحث ٠

====

جـ — وبالاضافة الى المصادر فقد اعتمد الباحث على الكثير من المراجع العربيه والاجنبيه ومن اهمها :

كتاب " الاسلام في اسبانيا " للطفي عبد البديع ، والكتاب رغم صغر حجمه الا انه ضم الكثير من المعلومات القيمة عن العلوم والاداب في الاندلس .

ومن كتب الحضارة الاسلامية كتاب " تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك " لقدري طوقان ، وكتاب " الاسلام والحضارة العربية " لكرد علي ، وكتاب " تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون " لعمر فروخ ، وكتاب " ظهر الاسلام " لاحمد امين وخاصة الجزء المتعلق بالحياة العقلية عند اهل الاندلس ، فقد سرد المؤلف جهود الاندلسيين في وجوه المعرفة المختلفه وان كان ذلك وجه الاقتضاب .

وكانت الفائدة جليلة من كتاب " تاريخ الفكر الاندلسي " لآنخل بالنثيا ، ترجمة حسين مؤنس الذى تتبع حركة النشاط العلمي بصفة عامه ، وكذلك من كتاب " حضارة العرب " لغوستاف لابون الذى ضم الكثير من المعلومات الهامه عن حضارة العرب في الاندلس .

كما افاد الباحث من كتاب " حضارة العرب في الاندلس " لليفي بروفنسال ومن كتاب " شمس العرب تسطع على الغرب " للكاتبه الالمانيه زيغريد هونكه ، الذى تجد به اشارات هامه الى ما بذله الاندلسيون في رقي الحضارة الانسانيه وخاصة فيما يتعلق بالطب .

وفي ميدان العلوم التطبيقية افاد الباحث من كتاب " تراث الاسلام " لارنولد وآخرون وهذا الكتاب يتضمن الكثير من المعلومات التي تؤكد عمق التأثير العلمي للمسلمين في اوروبا .

ومن المراجع الاوروبية التي اعتمد عليها الباحث في كتابة هذا البحث يأتي في مقدمتها كتابان ، وهما :

1- Titus Burckhardt: Moorish Culture in Spain. Brinted in West Germany 1972.
2- Anwar.G.Chejne: Muslim Spain.Its History and Culture.The University of minnesota Press,Minneapolis, 1973.

هذا بالاضافة الى بعض المقالات المنشورة في عدد من المجلات العلمية ويأتي في مقدمتها :—

— مقال . حسين مؤنس " الجغرافية والجغرافيون في الاندلس " ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، العدد الثالث ج ٧ و ٨ ١٩٥٥م .

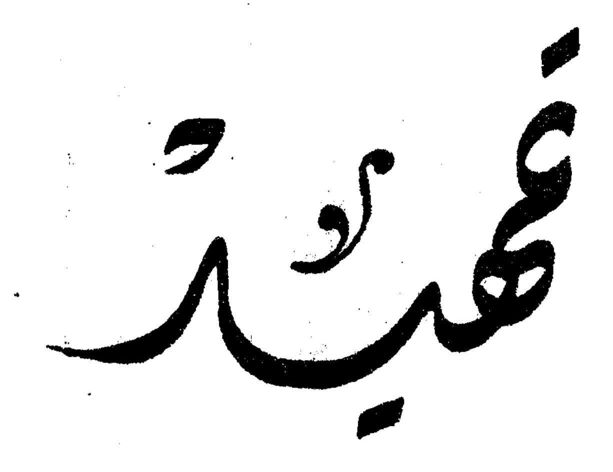
— ومقال . عبد الجليل الراشد " التقدم الفكري عند اهل الاندلس حتى عصر المرابطين ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثالث عشر .

— " خوليان ريبيرا " المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا " ، ترجمة جمال محرز ، مجلة معهد المخطوطات ، م ٥ ، ج ١ . ذي القعده ١٣٧٨ هـ .

— " ى . أ . شاهين " اثر العرب في الطب " ، وهي محاضرة القيت بجامعة اسكس ١٩٧١م .

هذا وسيجد القارئ في قائمة المصادر والمراجع الملحقة بالبحث حصرا تاما بكل مارجعت اليه من مصادر ومراجع وبحوث .

=======


تمہید

تمهيــــــــــــــد

الحياة العلمية في عصـــــــر الامــــــــــاره

- العلوم الدينية : بدايتها — انتشار المذهب المالكي في الاندلـــس وابرز علمائه آنذاك وانتاجهم العلمي •
- الادب والنحو وعلوم اللغة : بداية الاشتغال بها وبروز العديد مـــن العلماء فيها كعباس بن ناصح ويحيى الغزال فـــي الشعر ، والقلقاط وفرج بن سلام في اللغة والنحو •
- العلوم الانسانية : بدايتها ، ابرز المؤرخين عبد الملك بن حبيب ، ومن الجغرافيين محمد الرازى • وفي الفلســـفة عناية الامير عبد الرحمن الاوسط بها • وظهـــور ابن مســـره •
- العلوم الطبيعية : تأخر الاشتغال بتلك الدراسات ، ابرز من ظهـــر من الفلكيين مسلم بن احمد — يحيى بن الســـمينه ابن فرناس — في الطب — يونس الحرانـــــي — حمدين بن ابان — يحيى بن اسحاق •

لم يشهد عصر الولاه في الاندلس نشاطا علميا كبيرا كما حدث فيما تلاه من عصور .

وقد جانب الاستاذ آنخل بالنثيا الصواب عند ما علل قضية انصراف الناس عن الادب وشئون الفكر في عصر الولاه بان المسلمين الفاتحين كانوا محاربين فقط ، وان هذا الامر وحده كان كافيا لانصرافهم عن الميدان العلمي في نظره . "١"

ويكفينا للرد على هذا الرأي ان نوضح ان المسلمين الذين فتحوا الاندلس ، ومن هاجر اليها بعد الفتح ، كان بين صفوفهم الكثير من العلماء والفقهاء امثال : حنش بن عبد الله الصنعاني ، ومحمد بن اوس بن ثابت الانصاري ، وعبد الرحمن ابن عبد الله الغافقي ، وموسى بن نصير . "٢"

بل ان التاريخ حفظ لنا خبر دخول احد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاندلس ، وهو المنيذر الافريقي . "٣"

---

١ ـ تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، ص ١ .

٢ ـ الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٦ .

٣ ـ ذكر المقري في كتابه (نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٥ ، ٦) كلام العلماء عن هذا الصحابي وان ابن الابار والحجاري وابن بشكوال وابن عبد البر قد عدوه في تراجمهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يشير الى ان البخاري في تاريخه الكبير يروى له الحديث التالي : (ابو المنيذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد حدث بافريقية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا . فأنا الزعيم لآخذن بيده فأُدخله الجنة) كذا ذكره البخاري بالكنية .

وما من شك انه كان لهؤلاء التابعين وغيرهم من الفقهاء المجاهدين دور كبير في تفقيه الناس ، والعمل على ارشادهم الى تعاليم الاسلام وبالتالي في قيام حلقات العلم والدرس ، وبناء على هذا فان الرعيل الأول من الفقهاء المجاهدين في الجيش الفاتح كانوا نواة طيبة للنشاط العلمي في الاندلس ، وبخاصة في حقل العلوم الدينية ، ومن هذا يتضح ان الجيش الفاتح لم يكن محاربا فقط بل كان هاديا ومرشدا للناس بمن كان يضمه من طوائف العلماء واهل المعرفة .

وقد استمر عصر الولاه الذى بدئ بولاية عبد العزيز بن موسى ٩٥ هـ / ٧١٣ م حتى ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهرى الذى هزم امام الامير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الملقب بالداخل ١٣٨ هـ / ٧٥٥م .

وكان الامير عبد الرحمن قد هرب من بطش العباسيين الذين قضوا على ابائه في المشرق . وتمكن من ان ينصب نفسه اميرا على الاندلس بعد ان استمان باليمنيين الذين لم يرضوا بسلوك واليهم يوسف المتعصب لجماعته من المضرية ، بالاضافة الى مساندة موالي الامويين لعبد الرحمن الذى استطاع ان ينزل بخصمه يوسف هزيمة منكره شتت شمله وفرقت اتباعه ، وتم لعبد الرحمن دخول قرطبة في عيد الاضحي من نفس السنه "١" ليبدأ بتولية حكم الاندلس عصرا جديدا وهو عصر الاماره .

ومن الطبيعي بعد ان استقرت الاوضاع في الاندلس ان ينصرف الناس الى البناء الحضارى وتحصيل العلوم والاداب . وكانت العلوم الدينية آنذاك هى قطب الرحى فى النشاط العلمى ، ومدار البحث والدرس ، لارتباطها الشديد بالعقيدة التى يعتنقها الفاتحون ، والتى من اجلها تحملوا مشاق الفتح ونصب الجهاد في سبيل اللـــه .

---

١ — الحميدي : المصدر السابق ، ص ٨ — الضبي : بغية الملتمس ، ص ١٢ — المراكشي : المعجب ، ص ٢٩ .

العلوم الدينيـــــــة :ـ

================

في بداية الحديث عن العلوم الدينية يجدر بنا ان نتطرق الى موضـــــوع دخول المذهب المالكي للاندلس فقد كان المذهب الاوزاعي هو المذهب السائـــد في الاندلس قبل دخول المذهب المالكي ، وينسب ادخاله الى الاندلس الـــى الفقيه الشامي صعصعه بن سلام (ت١٩٢ هـ / ٨٠٧م) وهو احد اصحـاب الامام الاوزاعي "١" وقد دخل صعصعه الاندلس في عهد عبد الرحمن الداخـــل حيث تولى منصب الفتيا في عهده ، وشطرا من عهد ابنه هشام ، كما درس علـى يديه الكثير من طلاب العلم ، واخذ عنه العلماء أمثال عبد الملك بن حبيـــب وعثمان بن ايوب . "٢"

وكان لمذهب الاوزاعي اتباعه في الاندلس والذين كان لهم الفضل فـــي انتشاره هنالك ، فكان هو السائد في الاندلس والمعول عليه في الفتاوى الشرعية والقضاء ، الا انه نتيجة للرحلات العلمية التي قام بها علماء الاندلس الى المشـرق فقد وجدت بعض المذاهب طريقها الى الاندلس ، وخاصة المذهب المالكي الـــذى

---

١ ـ هو الامام ابو عمر عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد ، والاوزاعي نسبة الـــى الاوزاع بطن من حمير ولد ببعلبك (٨٨ هـ / ٧٠٦ م) وبرع في الحديث والفقه ، واصبح اماما جليلا له مذهب مستقل الا انه انكمش امام المذاهب الأخرى وقد توفى سنة ١٥٧ هـ / ٧٧٣م بلبنان .
(ابن زيد الموصلي : محاسن المساعي ، ص ٥٧ ـ ٥٩ ـ
ابن قتيبة : المعارف ، ص ٢١٧ .

٢ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٠٣ ـ
الحميدى : الجذوة ، ص ٢٤٤ .

لقي قبولا وتأييدا هنالك ، ثم اصبح المذهب السائد في الاندلس ، وينسب ادخال هذا المذهب الى العلامة الاندلسي زياد بن عبد الرحمن اللخمي (ت١٩٩هـ/ ٨٠٤ م) وقد ولد هذا الفقه بقرطبه واخذ علومه الأولى فيها ، ثم شد رحاله الى المشرق بقصد الحج وبعد ادائه شعائر الحج اتجه الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتبارها المنبع الأصيل للثقافة الاسلامية ، فلقي هناك مالكا امام دار الهجره . "١" وروى عنه الموطأ ، واخذ عنه الكثير من العلم في ميدان الفقه ، ثم عاد الى وطنه لينشر مذهب استاذه مالك ويعلمه لطلابه . "٢"

على انه يروى ان غازى بن قيس (ت ١٩٩ هـ / ٨٠٤ م) هو اول من ادخل موطأ مالك الى الاندلس ، فقد كان مؤدبا ومعلما بقرطبه وتسنى له الارتحال الى المشرق حيث اخذ الموطأ عن مالك بن انس والقراءات عن نافع بن ابى نعيم وقد وصف غازى بقوة الحفظ ونباهة الذاكره . "٣"

---

١ — هو الامام مالك بن انس بن ابي عامر من حمير صاحب المذهب الذى اختص به وكان لنزاهته ودينه لا يتملق الحكام بل كان يقول الحق ولا يرضى الباطل ، فخالف العباسيين في بيعتهم فنكلوا به ، ووصف بالفقه والعلم الواسع وانه فقيه الحجاز وسيدها في العلم وقد توفي (١٧٩هـ/ ٧٩٥م) (ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٨٠ — ابن قتيبة المعارف ، ص ٢١٨ . — ابن نباته : سرح العيون ، ص ١٤٧ — ١٤٨).

٢ — الخشني : تاريخ علماء الاندلس (مخطوط) ورقة ٥٨ ا .

٣ — ابن الجزرى : غاية النهاية في طبقات القراء ، ج ٢ ، ص ٢ .

وقد يبدو هنا بعض التناقض ولكن من خلال التدقيق في دراسة سيرة كل من الفقيهين يتضح ان زيادا كان اكثر نشاطا واسرع سبقا في نشر مذهب مالك ، وان غازي كان اكثر حفظا واستيعابا للموطأ الى جانب اهتمامه وعنايته بالقراءات ، يؤكد هذا ما ذكره الحميدي في ترجمته لهما من ان غازي كان اكثر حفظا ، وزيادا اسبق بتعريف الناس بمذهب مالك ، وكانوا قبله على مذهب الاوزاعي . "١"

ويأتي الفقيه يحيى بن يحي الليثي (١٥٢ — ٢٣٤ هـ / ٧٦٩ — ٨٤٨ م) في مقدمة علماء المالكية الذين بثوا المذهب المالكي في الاندلس وعملوا على نشره في ميداني الفتيا والقضاء وقد رحل يحي الى المشرق وسمع من مالك وغيره من العلماء ، وكان مالك يسميه عاقل الاندلس ، وبعد ان تزود بالعلم والمعرفة عاد الى وطنه ليتبوا مكانة رفيعة لدى الامير هشام ومن بعده ابنه الحكم وحفيده عبد الرحمن الاوسط ، وكان ليحي بذلك قول مسموع في تعيين فقهاء المالكية في مناصب الدولة ووظائف القضاء ، فحمل الناس على الاهتمام بالمذهب المالكي ونشره في البلاد . "٢"

وقد اشار الى ذلك ابن حزم بقوله : (... مذهبان انتشرا في بدء امرهما بالرياسة والسلطان . مذهب ابي حنيفة فانه لما ولي قضاء القضاء ابويوسف كانت القضاة من قبله ، فكان لا يولي قضاء البلاد من اقصى المشرق الى اقصى اعمال افريقية الا اصحابه المنتمين الى مذهبه . ومذهب مالك بن انس عندنا ،

---

١ — جذوة المقتبس ، ص ٢١٨ — ٢١٩ .

٢ — الحميدي : نفس المصدر ، ص ٣٨٢ — ٣٨٣ .

فان يحي بن يحي كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاء فكان لا يلي قاض في اقطارنا الا بمشورته واختياره ، ولا يشير الا باصحابه ومن كان على مذهبه ، والناس سراع الى الدنيا والرياسه ، فاقبلوا على ما يرجون بلوغ اغراضهم به) "١"

وكان لسعة علم يحي وفضله يستشار لدى الامراء الا انه لم يتول منصبا من المناصب لزهده وتقشفه وعده الكثير من المؤرخين فقيه الاندلس والمقدم بين علمائها وروايته الموطأ عن مالك تعد اشهر الروايات . "٢"

والجدير بالذكر انه كان الى جانب دور هؤلاء العلماء في نشر المذهب المالكي كان هنالك دور بارز للامير هشام بن عبد الرحمن (١٧٢ — ١٨٠ هـ / ٧٨٨ — ٧٩٦م) الذى وصف بحسن السيره ونقاء السريره . وانه كان مكرما للعلماء بارا بهم ، ولما وصلت انباء عدله وكرم خلقه الى سمع الامام مالك بن انس سر بذلك واثنى عليه قائلا " وددت ان الله زين موسمنا به " "٣"

وكان هذا سببا في ميل هشام الى المذهب المالكي والعمل على نشره في وطنه وبثه بين رعيته . "٤"

---

١ — الحميدى : الجذوة ، ص ٣٨٣ — ٣٨٤ — الضبي : البغية : ص ٥١١ — ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٦ ، ص ١٤٤ .

٢ — محمد مخلوف : شجرة النور الزكية ، ص ٦٣ .

— نتيجة لشهرة روايته تلك فقد حفظت وبقيت متداولة بين العلماء حتى عصرنا الحاضر ولا تزال هناك الكثير من نسخ الموطأ برواية يحي المذكور .

٣ — اخبار مجموعة (مجهول المؤلف) ، ص ١٢٠ .

— اشار ابن نباته في سرح العيون ص ١٤٨ . الى ان الامير الذى اثنى عليه مالك هو عبد الرحمن بن معاوية لا هشام ، والصواب ما اشرنا اليه في المتن وذلك لتظافر الروايات التاريخية القائله بذلك كالكتاب السابق وكتاب المقري — نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٢٣٠ .

٤ — المقري : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٢٣٠ .

ويشير ابن خلدون الى سبب اتباع الاندلسيين لمذهب مالك بان رحلاتهم كانت في الغالب للحجاز وانه منتهى سفرهم والمدينة يومئذ هى مركز العلم هنالك ومنها خرج الى العراق ، فاقتصروا على الاخذ عن علماء المدينة وعلى رأسهم مالك ، وانهم مالوا الى الحجاز لتطابق الحاله في البداوه وأنهم لم يعانوا حضارة اهل العراق فاقتصروا لمناسبة البداوه على اهل الحجاز . "١"

وما ذكره ابن خلدون له نصيب من الصحه الا ان جانبا مما ذكره يحتاج الى ايضاح ومناقشة وهو قوله : " وانهم مالوا الى الحجاز لتطابق الحالة في البداوة ولم يعانوا حضارة اهل العراق فاقتصروا لمناسبة البداوة على اهل الحجاز " وهو بهذا الوصف قد بالغ في الحاقه سمة البداوة باهل الحجاز . وتصويرهم بالتخلف عن غيرهم ، وانهم قاصرين عن رتبة الحضارة التى بلغها أهل العراق ، وكيف ان الاندلسيين الموصوفين في نظره بما وصف به اهل الحجاز قد مالوا لهم لتشابه المعاناة والرؤية المشتركة الناجمة عن القصور الحضارى ، وتخلفهم عن غيرهم من الناس .

وهذا ولا شك مجانبة للصواب ، فالحجاز آنذاك بما ضمه من مواطن الهداية كمكة المكرمة التي شع منها نور الايمان ، والمدينة المنورة قاعدة الاسلام ، ومنبع العلم والمعرفة ، لهما الفضل الجلي ، واليد الطولى على حضارة الاسلام . ومنهما خرج رواد الحضارة الاسلامية الذين رسموا لاهل العراق حضارتهم ، وهو امر اعترف به ابن خلدون حيث قال : " والمدينة يومئذ هي مركز العلم هنالك ومنها خرج الى العراق " فلماذا يوسم اهل المدينة بالبداوة ؟

وهي فى الفترة التي تم فيها تأثير المذهب المالكي في الاندلس - اى حوالي النصف

---

١ - المقدمه : ص ٤٤٩ .

الثاني من القرن الثاني الهجرى / الثامن الميلادى ـ كانت المدينة تزهـــو بنشاطها العلمي وما اسدته للعالم الاسلامي من علم ومعرفة على ايدى علماء اجلاء يأتي في مقدمتهم العلامة مالك بن انس الذى وصف بما رواه ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : " يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل في طلب العلم فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة " قال الحميدي قال سفيان اظنه مالك بن انس وكذلك رواه ابراهيم بن المنذر الحزامي عن سفيان بن عيينه ، قال وكان سفيان يقول اراه مالكا . " ١ "

وكتب التراجم تشهد برحيل الكثير من علماء خراسان وفارس والعراق والشام الى المدينه . واخذهم عن علمائها وفقهائها " ٢ " ، فمن اين اتت تلك الصورة البدائية التي رسمها ابن خلدون لاهل الحجاز ؟ واين كانت تلك الحضارة التي بهرت أنظار الاندلسيين ففرضت عليهم التراجع أمامها . والنكوص عن الاحتكاك بها ، وأى مدينة رفيعة في ذلك الزمن يشهيهما اولئك العلماء ويحجموا عن الاقتراب منها ؟ فيمموا وهم متعثرين في بداوتهم نحو اخوانهم الحجازيين الذين يعانون مثلهم وجه التخلف والبداوه . وهو ما صوره ابن خلدون وبالغ فيه .

---

١ ـ ابن عبد البر : الانتقاء ، ص ١٩ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ج ٦ ، ص ٢٥١ .

٢ ـ لمعرفة ما كانت عليه المدينة من مكانة علمية ، وما اسدته للحضارة الاسلامية من جهود مثمرة انظر الخطيب البغدادى : الرحلة في طلب الحديث ، ص ٨٨ ـ ٩٣ ـ ١٤٤ . وكذلك عمر كحاله : مقدمات ومباحث في حضارة العرب والاسلام ، ص ١٣٦ ـ ١٣٧ ـ ١٣٨ .

وعليه فان صفة البداوة ، والفرق الحضارى المزعوم بين اهلّ الحجاز واهل العراق غير حاصل ، وليس سببا في تأثرهم بالمذهب المالكي ، فالرحلات العلمية التي قام بها الاندلسيون الى المشرق واتجاههم الى المدينة ، كان من واقع ما تمتعت به المدينة دار الهجرة من مكانة علمية ، وما ضمته من التابعين الذين كانوا الصق ببيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذهم عن صحابته الكرام وقد يكون للعداء السياسى بين العباسيين والامويين اثر في انصراف الناس عن اخذ العلم عن اهل العراق ولا سيما في الفترة الاولى من عصر الامارة الاموية التى تميزت بحدة العداء بين الطرفين . وان كان من المعروف ان الخلاف السياسي بين الدول الاسلامية لا ينسحب على افراد الرعية في كل شعب من شعوب تلك الدول . الا انه قد يكون له تأثير على نفسيات الناس ، ومن ثم على ضروب سلوكهم المختلفة في تعاملهم مع بعضهم البعض .

وكان من نتائج انتشار ذلك المذهب وكونه المذهب الوحيد الذى سار عليه الاندلسيون بوجه عام ان زالت اسباب الخلاف التى تنشأ عادة بين المذاهب المختلفة "١" بالاضافة الى انه كفل لهم الوحدة المذهبية والاستقلال المذهبي — الذى قصده الحكام الامويون بعد ان استقلوا سياسيا عن خصومهم العباسيين . "٢"

واستمسك الاندلسيون بمذهب مالك واخلصوا له ، وقاوموا ماعداه ، حتي وصف اهل قرطبة بانهم اشد الناس محافظة عليه ، وانهم لا يولون عاملا او حاكما لا يقضي به . "٣"

---

١ — انظرفي ذلك آدم ميتز : الحضارة الاسلامية ، ج ١ ، ص ٣٩٥ .
٢ — زكريا هاشم : فضل الحضارة الاسلامية ، ص ٥٦١ — ٥٦٢ .
٣ — المقــري : النفح ، ج ٣ ، ص ٢١٦ .

بل انهم كانوا كثيرا ما يشيدون به في محافلهم العلمية • وينشدون في الحفاظ عليه الكثير من الاشعار "١" • ويبدو من هنا عظم استنكارهم على الخارجين على مذهب مالك (فان ظهروا على حنفي او شافعي نفوه وان عثروا على معتزلي او شيعي او نحوهما ربما قتلوه) • "٢"

ورغم هذا فقد كان هنالك علماء يتبعون في فقههم مذاهب اخرى • كمذهب الشافعي او المذهب الظاهري ، فقد ذكر الحميدي ان الفقيه قاسم بن محمد (ت ٢٧٧ هـ / ٨٩٠م) كان شافعيا "٣" •

كما ان الفقيه عبد الله بن محمد بن قاسم (ت ٢٧٢ هـ / ٨٨٥م) كان يتبع في فقهه المذهب الظاهري فقد درس على يد منشئ المذهب الظاهري ابي داوود سليمان الاصفهاني في المشرق ، ثم عاد لينشره في الاندلس الا انه لم يحالفه التوفيق في ذلك • "٤"

وهناك العديد من العلماء الذين اتبعوا مذاهب اخرى ولكنهم لم يلقوا قبولا لدى اهل الاندلس •

وكان لتشدد الاندلسيين في اتباع مذهبهم اثر في معاملتهم لمن خالفهم فقد ناصبوا العداء لبقي بن مخلد (٢٠١ هـ — ٢٧٦ هـ / ٨١٦ — ٨٨٩م) الذي ارتحل الى المشرق ليأخذ عن علمائه وفقهائه ، ثم يعود حاملا معه الوانا مختلفة

---

١ — انظر : السلفي اخبار وتراجم اندلسيه ص ٣٧ — ٣٨ ، ص ٧٠ — ٧١ •
٢ — المقدسي : احسن التقاسيم ، ص ٢٣٦ •
٣ — الجذوة ، ص ٣٢٩ •
٤ — آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٤٣٩ •

من كتب العلم ، ككتاب الفقه للشافعي وكان لخروج بقي على مذهب مالك وما عرف عنه اثر في تصدي الكثير من الفقهاء له فوصموه بالتهم لدى الامير محمد (٢٣٨ — ٢٧٣ / ٨٥٢ م — ٨٨٦م) وكان هذا الامير موصوفا بالعلم واكرام اهله فحقق في امر هذه الدعوى وما قام به خصوم بقي فتبين له مجانبتهم للحق وما اقترفوه من اثم وبراءة بقي مما يزعمون فاعلى مكانته ورفع منزلته وامره بنشر علمه بين الناس . "١"

وكان بقي المذكور يعد من اعلام الفقهاء والمحدثين في عصر الامارة . وكان لرحلاته العلمية الى المشرق اثر كبير في توسيع دائرة علمه وثقافته وعلو مقامه العلمي بين علماء عصره . "٢"

ومن اهم ثمار رحلته تلك ما عاد به الى الاندلس من كتب العلم والمعرفة ، والتي كان لها بلا شك اثر كبير في دفع الاندلسيين نحو دراسة وبحث مسائل العلم المختلفة ، فمما جلبه بقي من الكتب المشرقية مصنف ابن ابي شيبه "٣" وكتاب الفقه للشافعي ، وتاريخ خليفة بن خياط "٤" ، وكتابه في الطبقات ، وسيرة عمر بن

---

١ — ابن حيان : المقتبس ، ج ٢ ، تحقيق محمود علي مكي ، ص ٢٦٣ — ٢٦٤ .

٢ — ابن حيان : المصدر السابق ، ج ، ص ٢٦٤ .

٣ — هو ابو بكر عبد الله بن محمد من المحدثين المصنفين (ت٢٣٥ هـ / ٨٤٩م) له كتب كثيرة منها كتاب السنن في الفقه وكتاب التفسير وكتاب المسند في الحديث (ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٢٠) .

٤ — هو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري محدث نسابه اخباري صنف (التاريخ) في عشرة اجزاء طبع منه جزء واحد وله كتاب الطبقات طبع منه جزء واحد . ووصف خليفه بالنزاهة في خلقه وسعة العلم ، (الزركلي : الاعلام ، ج ٢ ، ص ٣١٢ .

عبد العزيز للدورقي . "١"

وبرز في عصر الامارة فقهاء كثيرون غير ما تقدم ، كالفقيه عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٩ هـ / ٨٥٣ م) وكانت له رحلة الى المشرق حيث لقي مالكا عالم المدينة واخذ عنه وعن اصحابه ، وتزود بالكثير من العلم على ايديهم ثم عاد الى الاندلس واسهم في نشاط الحركة الفقهية فألف كتابا في الفقه سماه (الواضحة في الحديث والمسائل على ابواب الفقه) . "٢"

ويظهر ان لهذا المصنف منزلة قيمة بين فقهاء الاندلس ، حتى قال فيه ابن حزم (والمالكيون لا تمانع بينهم في فضلها واستحسانهم اياها) "٣" .

ولم يكن عبد الملك مقتصرا في علمه على الفقه وعلوم الدين ، بل كان اديبا ومؤرخا وفلكيا . ولكن الفقه غلب عليه ، وفي هذا يقول ابن حيان " قرأت بخط عباده الشاعر قال :

كان يحي بن يحي واصحابه الفقهاء يحسدون عبد الملك بن حبيب ، لتقدمه عليهم بعلوم لم يكونوا يعلمونها ، ولا يشرعون فيها اذ كان مع تقدمه في الفقه والحديث واللغه مفتنا في العلوم القديمة " "٤"

ونظرا للاقبال المتزايد من الاندلسيين على دراسة المذهب المالكي ، فقد نجم عن ذلك ان توفر البعض من العلماء على شرح ودراسة ذلك المذهب وتناولوا كتب مالك بالبحث والشروح المستفيضة .

---

١ — هو احمد بن ابراهيم بن كثير العبدي له مؤلفات كثيرة في الحديث (ت٢٤٦ هـ/ ٨٦٠م) — ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود مكي ، ح رقم ٢٤٢ .
٢ — الحميدي : الجذوة ، ص ٢٨٢ .
٣ — المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ١٧١ .
٤ — المقتبس : تحقيق محمود مكي ، ص ٤٨ .

فممن نسب اليه ذلك من الفقهاء عيسى بن دينار (ت ٢١٢ هـ / ٨٢٧م) — الذي سار على نهج اخوانه الاندلسيين في الرحيل الى المشرق ليأخذ عن علمائه ، ثم مالبث ان عاد ليتولى منصب الفتيا ، وكان لسعة علمه وغزارة معارفه ان وصف بانه افقه من يحي بن يحي الليثي عالم الاندلس الانف الذكر ، وقد اثنى عليه غير واحد من العلماء فقال احدهم (كان عيسى بن دينار عالما متفننا مفتقا وهو الذى علم المسائل اهل مصرنا وفتقها) وقال فيه آخر (فقيه الاندلس عيسى بن دينار ، وعالمها عبد الملك بن حبيب ، وعاقلها يحي بن يحي) . "١"

وكان لهذا الفقيه جهد بارز في ميدان البحث والتأليف العلمي فألف كتابا قيما اسماه " الهداية " وصف بالدقة وشموله للمعاني الفقهية على المذهب المالكي . "٢"

وتتابع العلماء فى تناول الموطأ بالشرح والايضاح ، وكان للفقيه يحي بن ابراهيم بن مزين "٣" (ت ٢٦٠ هـ / ٨٧٣م) جهد مشكور في شرح موطأ مالك وتوضيح مسائله "٤" .

والى جانب ما ذكرنا فقد شارك الفقيه مالك بن علي القطني في هذا الميدان

---

١ — ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٣١ — احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ٥٠ .

٢ — المقرى : النفح ، ج ٣ ، ص ١٦٧ — احمد امين : المرجع السابق ج ٣ ، ص ٥٠ — محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

٣ — جانب الاستاذ لطفي عبد البديع الصواب عندما اشار الى ان شارح الموطأ هو ابراهيم بن مزين ولكن الصحيح ما هو مشار اليه بالمتن كما اورده المؤرخون ونصت عليه كتب التراجم .

٤ — الضبي : بغية الملتمس ، ص ٤٩٧ — المقرى : النفح ، ج ٤ ، ص ١٦٧ — ١٦٨ .

حيث صنف كتابا في الفقه عالج فيه الكثير من مسائل الفقه على المذهب المالكـــي ، ووصف كتابه بالدقة والقيمة العلمية الكبيره . "١"

الحديث والتفســــــير :

================

من دلائل التفوق العلمي لعلماء المسلمين الاوائل تنوع معارفهم ، وتشعب مهاراتهم العلمية في اكثر من علم ، فبقي بن مخلد السابق الذكر يمثل هذه الصفة بما كان يتمتع به من براعة في العديد من العلوم ، فهو ماهر في الحديث والفقــه والتفسير ، والف في كل هذه العلوم تقريبا .

وفيما يتعلق بالحديث يعتبر من ابرز العلماء الذين اهتموا بدراسة الحديث وعلومه المختلفة فقد كان يمثل مدرسة عظيمة ذات اثر واضح في الرقي العلمي فـــي الاندلس ، وبجهود بقي العلمية (صارت الاندلس دار حديث ، ومعدن سنه ، وانما كان الغالب على اهلها من قبل ذلك راي مالك واصحابه ، والتفقه في المسائل المدونيه ، فكانوا ينصبون لأهل الحديث ولا يرضونهم) "٢" .

ولا شك ان بقي قد اثرى بذلك ميدان الحديث ، ولفت انظار الاندلســـيين الى حقل الحديث وعلومه بعد ان غلب عليهم فقه مالك ، وكان تأثير بقي واضحـــا ، وعمله جليا حتى قال فيه ابن الفرضي " وبقي بن مخلد ملأ الاندلس حديثـــا ورواية " "٣"

---

١ ـ المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ١٦٨ .
٢ ـ ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٢٦٤ .
٣ ـ تاريخ علماء الاندلس : ج ١ ، ص ٩٢ .

وبناء على ذلك فان بقي هو رائد الحركة العلمية في ميدان الحديث ودراساته المختلفة التي اثمرت واينعت ، وكانت قاعدة صلبة لدراسات علمية قيمة تمت فيما تلى ذلك من عصور ، ومما الفه في الحديث مصنف رتبه على اسماء الصحابه وروى فيه الف وثلاثمائة منهم ورتب احاديث كل منهم على اسماء الفقه وابواب الاحكام ، فهو مصنف ومسند حتى قال فيه ابن حزم ((ولا اعلم هذه الرتبة لأحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله فيه في الحديث وجودة شيوخه فانه روى عن مائتي رجل واربعة وثمانين رجلا ليس فيهم عشرة ضعفاء وسائرهم اعلام مشاهير . "١"

ووصفه ابن الفرضي بانه ليس له نظير وانه لم يصنف مثله قطعا . "٢"

وكان المحدث محمد بن وضاح (١٩٠ـ٢٨٧ هـ / ٨٠٥م ـ ٩٠٠ م) ندا قويا لبقي بن مخلد في ميدان الحديث ودراساته المختلفة ، واستطاع ان ينشر علومه في هذا الميدان . ومحمد بن وضاح وبقي صارت الاندلس ميدانا نشطا في مجال الحديث واسناده . "٣"

ولم يقتصر النشاط العلمي على هذين العالمين بل كان هناك الكثير من المحدثين الذين قدموا جهودا موفقه في حقل الدراسات العلمية المتعلقة بالحديث وعلومه . ومن هؤلاء قاسم بن ثابت بن حزم (٢٥٥ ـ ٣٠٢هـ/ ٨٦٨م ـ ٩١٤م) الذى صنف كتابا في شرح الحديث اسماه " الدلائل " بلغ فيه درجة رفيعة من الاتقان الا ان المنية حالت دون ان يتمه فأكمله ابوه من بعده . "٤"

---

١ ـ الحميدى : الجذوة ، ص ١٧٧ .
٢ ـ تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٩٢ .
٣ ـ ابن الفرضي : نفس المصدر والجزء والصفحة .
٤ ـ ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٦٠ ـ ٣٦١ .
ـ من دلائل النشاط العلمي في ميدان الحديث في عصر الامارة ما الفه معارك بن مروان بن عبد الملك من اهل القرن الثالث الهجرى فقد الف معجما لأئمة المحدثين واسماه "الائمة من المصنفين" ـ (انظر آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص (٤٠)).

اما فيما يتعلق بالتفسير • فينسب الفضل الكبير في ازدهاره ورقي دراسته الى العلامة بقي السالف الذكر ، حيث الف مصنفا قيما في تفسير القرآن الكريم والذى لقى قبولا منقطع النظير في الاوساط العلمية ، وطبقت شهرته الافاق حتى ذكر الحميدي ان صديقه ابن حزم اشاد به فقال : " هو الكتاب الذى اقطع قطعا لا استثني فيه انه لم يؤلف في الاسلام مثله ، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره • "١"

وعليه فان ميدان الدراسات الدينية في عصر الامارة لقي نشاطا حسنا بفضل ما بلغه علماء الاندلس انذاك من علم ومعرفة ، وكان علماء الاندلس في بداية الأمر يستندون في اكتساب معارفهم على اهل المشرق الذين سبقوهم الى طرق تلك العلوم • الا انهم لم يقفوا عند هذا الحد ، بل اضافوا الكثير من عندهم وجهود بقي بن مخلد شاهد على ذلك •

====

---

١ ـ الجذوة ، ص ١٧٧ ـ الضبي : البغية ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ •

الأدب والنحو وعلوم اللغـــة :-
==================

يحتل الادب واللغة والنحو المرتبة الثانية بعد العلوم الدينية من حيث اشتغال الاندلسيين بالعلوم في بداية الحركة العلمية التي بلغت ذروتها في عصر الخلافة .

ومما يدهش الدارس للحركة الادبية في الاندلس ان الكثير من علماء الاندلس في كافة حقول العلم يتصفون في سيرهم العلمية بلون من الوان الادب ، كالبلاغة او قول الشعر .

ويأتي الفقيه عبد الملك بن حبيب في مقدمة هؤلاء العلماء ، فانه الى جانب كونه فقيها محدثا ، كان اديبا بارعا ، كما ان بقي بن مخلد اتصف بهذه الصفة. وكذلك الفقيه ايوب بن سليمان (ت ٣٠٢ هـ / ٩١٤م) كان الى براعته في الفقه ومهارته في الفتيا ، ضليعا في النحو والشعر والعروض منسوبا الى البلاغة . "١"

ولنبدأ في الكلام عن هذا المجال بالشعر الذي ظهرت بوادر تألقه باعتباره وجها من وجوه الأدب منذ عصر الامارة . ففي بداية عصر الامارة نجد الامير عبد الرحمن الداخل من ذوي البراعة في قول الشعر . وله اشعار جيدة تدل على ملكة راسخة في الشعر والأدب . "٢"

وقد اتصف الاندلسيون بقول الشعر وغلب على الكثير منهم حتى كادوا ان يكونوا جميعهم شعراء ، واصبح الشعر ظاهرة عامة للشعب الاندلسي ساعدتها ظروف البيئة السياسية ، والاجتماعية ، والطبيعية حتى اصبح على فم كل انسان. فهو في نظر العامل والفلاح الاندلسي انشودة تنسيه همومه "٣" وهم بهذا (اشعر

---

١ - ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦ .
٢ - للوقوف على نماذج من شعره انظر : اخبار مجموعة ، ص ١١٧-١١٨ ، ونفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٣٨ - ٤٢ - ٥٤ .
٣ - سامي العانـي : دراسات في الادب الاندلسي ، ص ١١٠ .

الناس فيما كثره الله تعالى في بلادهم ، وجعله نصب أعينهم من الاشجار والأنهار والاطيار .... لا ينازعهم احد في هذا الشأن) "١"

ومن شعراء عصر الامارة . يحي بن حكم الغزال (١٥٦ — ٢٥٠هـ / ٧٧٢م — ٨٦٤م) وقد وصف هنا بالبلاغة في قول الشعر ، والنباهة في انتقاء صورة ، وتفننه في ضروبه المختلفة.ولما اتصف به من بلاغة وخلق نبيل وشخصية قوية ارسل فى عدة سفارات الى القسطنطينية والى ملك النورمان "٢" وذلك من قبل الامير عبد الرحمن الاوسط ، وفى احدى سفاراته تلك وقد اصطحبه صديقه يحي بن حبيب .- وكانا قد ركبا البحر وشاهدا امواجه المتلاطمه وعاينا الخطر منه -يقول :

قال لي يحي وصرنــــا	بين موج كالجبـــــال
وتولتنا عصـــــوف	من جنوب وشـــمال
شقت القلعيــن وانبتـت	عرى تلك الحبــــال ... الخ "٣"

---

١ — المقرى : النفح ، ج ٣ ، ص ١٥٥ .

٢ — انتدب يحي الغزال اول الامر في سفارة الى الامبراطور تيوفيلوس امبراطور القسطنطينية ردا على سفارته التي بعثها الى الامير عبد الرحمن بن الحكم سنة ٢٢٥ هـ / ٨٤٠م . وقد اصطحب يحي في سفارته تلك صديقه يحي بن حبيب . وحقق الغزال نجاحا كبيرا في رحلته السياسية التي استهدف منها توثيق عرى الصداقة بين الدولتين .

وعندما غزا النورمان ولايات الاندلس الجنوبية الغربية بعث ملكهم واسمه هوريك الى الامير عبد الرحمن بن الحكم في طلب الصلح فاجابه الامير الى ذلك وبعث اليه بوفد يرأسه الغزال واصطحبه في رحلته صديقه يحي بن حبيب وقد عانيا من رحلتهما البحرية الكثير من المشقة والاخطار . ووصف الغزال تلك الاهوال في البحر في شعره وهو ما اشرنا الى بعضه في المتن . ونظرا لما تمتع به الغزال من لباقة وذكاء وادب رفيع فقد حاز على اعجاب الملك والملكه وكانت رحلته موفقه وناجحه (انظر : محمد عبد الله عنان : تراجم اسلامية ، ص ١٦١ — ١٦٢ — ١٦٣) .

٣ — الحميدي : الجذوة ، ص ٣٧٤ — ٣٧٥ .

وليحي اشعار كثيرة في مواضيع مختلفة ، وقد طال به العمر حتى بلغ اربعا وتسعين سنه • وقد جمع شعره احد العلماء وهو حبيب بن احمد ، وكان الغزال بعمره المديد قد عاصر عهد الامير عبد الرحمن بن معاويه ثم ابن هشام فالحكم فعبد الرحمن الاوسط وتوفي في امارة الامير محمد • "١"

ويقف الشاعر عباس بن ناصح الثقفي في مقدمة شعراء تلك الفترة ، وقد اهتم به والده فعلمه منذ صغره ورباه على المعرفة والادب ، ولما بلغ مبلغ الرجال رحل الى المشرق فتردد في طلب لغة العرب ، والتقى بكبار الادباء والشعراء هنالك امثال الاصمعي ثم مالبث ان عاد الى وطنه ليتألق ذكره بين الادباء واهل الشعر ثم رحل الى المشرق ليلقى الشاعر المشرقي الحسن بن هاني الحكمي فأفاد منه الكثير وغنم من مجالسته والتقرب اليه • وكان عباس بن ناصح يتعاطى معه قول الشعر حتى قيل ان ابن هانى شهد له بالفضل عليه •"٢"

واتصف شعر عباس بالجزالة ، وانه كان يسلك في اشعاره مسالك العرب القديمه وقد انجب عباس ابنا يدعي عبد الوهاب كان كأبيه شاعرا بارعا بل ان هذا كان له ابناً برع في الشعر ومهر في فنونه • ومن العجيب انهم تولوا القضاء جميعا وبرعوا في الشعر جميعا ايضا • "٣"

وهذا بلا شك يعطينا دلالة على ما تمتع به الكثير من علماء الاندلس من قول الشعر والمهارة فيه ويؤكد ما ذهب اليه الباحث من ان الكثير من الاندلسيين بمختلف اتجاهاتهم العلمية لم يكونوا يخلون من ادب او شعر وانها سمة غلبت على علماء الاندلس •

---

١ — الحميدى : نفس المصدر والصفحة — احمد امين : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٦ — ١٠٧ •

٢ — ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٩٦ •

٣ — ابن الفرضي : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٩٧ •

ويبرز في عصر الامارة من الشعراء ايضا عباس بن فرناس الذي وصف بالأدب وقول الشعر ، وكان في عصر الامير عبد الرحمن وابنه الامير محمد ، ولعباس اشعار رائعة وقصائد بديعة دبجها في مدح الامراء . ويشير ابن حيان اليه بقوله : (كان عباس بن فرناس يصنع للامير محمد قطعا من رقيق الاشعار تنتظم بمدحه ، وتصوغ قيانه فيها الألحان فتغنيه بها ، فيجزل عليها صلته) . "١"

وظهر الشاعر مؤمن بن سعيد (ت ٢٦٧ هـ / ٨٨٠م) منافسا قويا لعباس بن فرناس حتى عد من فحول الشعراء آنذاك . وكان مواليا للامير مسلمه بن محمد بن عبد الرحمن ضد خصمه الشاعر محمد بن عبد العزيز العتبي الذي كان مختصا بأخوة الامير السابق . "٢"

هذا بالنسبة للشعر ويلاحظ ان الاندلسيين لم يكونوا اقل شأنا من غيرهم في التفنن في ابواب الادب . بل انه يتضح من سير هؤلاء الشعراء تفوق بعضهم على بعض شعراء المشرق فعباس بن ناصح قد فضله الحسن بن هاني على نفسه كما انه سيأتي معنا عند الحديث عن الادب في عصر الخلافه كلام الشاعر المشرقي المتنبي عن شاعر الاندلس واديبها احمد بن عبد ربه وكيف ان الاول اثنى عليه . وهذا فيه دلالة على ما اشار اليه الباحث من تفوق الاندلسيين وانهم لا يقلون كفاءة عن اندادهم من المشارقة .

اما ما يتعلق بميدان النحو وعلوم اللغة . فان عباس بن ناصح قد نال من رحلاته الى المشرق علما كثيرا ، ومعارف جمه في اللغه وعلومها ، فقد كان من

---

١ ـ المقتبس : تحقيق محمود مكي ، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ .

ـ للوقوف على نماذج من شعره انظر : نفس المصدر ، ص ٣٠٦ ، ص ٣٣٧ ـ ٣٥٨ .

٢ ـ ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١١ .

اهل التقدم فى ذلك "١" وسبقت الاشارة الى تردده في رحلاته هناك على احياء العرب فى طلب لغتهم مما اورثه عمقا في معرفة اللغة العربية وعلومها ، وانه لقي الكثير من علماء البصره والكوفه فتزود منهم بالكثير من المعارف . "٢"

وممن برع فى اللغة والنحو محمد بن يحي المعروف بالقلفاط (ت٣٠٢هـ / ٩١٤م) وكان الى مهارته فى ذلك بارعا في الشعر . "٣"

ولم يكن احد يماثل صديقه ـ الحكيم محمد بن اسماعيل ـ فى سعة علمه باللغة غيره . ولهذا عد القلفاط من ابرز النحويين . وكان لسعة علمه اثر في انصراف الناس اليه يقتبسون من علمه ويكتسبون من معارفه في ذلك . "٤"

والى جانب من ذكرنا فقد كان للفقيه عبد الملك بن حبيب دوراً بارزاً فى رقي الدراسات اللغوية . فقد وصف بالعلم فى اللغة والاعراب ، وانه صنف كتابا في ذلك اسماه (اعراب القرآن) "٥"

اما فى ميدان الادب بمفهومه الشامل . فقد برز ادباء اسهموا فى نشاط الدراسات الادبية . ويأتي في مقدمة هؤلاء الادباء فرج بن سلام القرطبي . الذى كان مهتما بالاخبار والاشعار والوان الادب المختلفة ، وكان له اثراً فى تعريف الاندلسيين على كتب الادب المشرقيه ، حيث ادخل كتب الجاحظ عمرو بن بحر

---

١ ـ ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٩٧ .
٢ ـ ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٩٦ .
٣ ـ الحميدي : الجذوة ، ص ٩٨ .
٤ ـ احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، ص ١٧٩ .
٥ ـ ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق مكي ، ص ٤٨ .

مثل البيان والتبيين وغيرها الى الاندلس وكان فرج قد درس على يد العلامة المشرقي المذكور واخذ عنه العلم "١" وهو بذلك قد فتح لاخوانه من الاندلسيين باب البحث والدراسة في الأدب وفنونه المختلفة ولا شك ان مثل هذه الكتب كان لهـا تأثير في النشاط الادبي لدى الاندلسيين .

كما اسهم الاديب عثمان بن سعيد الكناني (ت ٣٢٠ هـ / ٩٣٢م) في حركة الدراسات الادبية بما قدمه من جهود علمية كتصنيفه كتابا في شعراء الاندلس ، الى جانب تفننه في الادب والبراعة فيه وحرصه على جمع الكتب في هذا الميدان. "٢"

وممن عاش طرفا من عمره في عصر الامارة الاديب الذائع الصيت احمد بن محمد المعروف بابن عبد ربه (٢٤٦ ـ ٣٢٨ هـ /٨٦٠م ـ ٩٣٦م) والذى اشتهر بكتابه القيم " العقد " والذى سوف نتحدث عنه بالتفصيل عند كلامنا عن الادب في عصر الخلافه .

وبناء على ما تقدم فان ميدان الادب والنحو واللغة قد شهد آنذاك نشاطا حسنا ، اثبت فيه الاندلسيون قدرتهم الفائقة على طرق ميادين العلم المختلفة في مدة وجيزة ، فظهر فيهم علماء بارعون اسهموا في صنع الكيان العلمي الاندلسي . ولم يبقوا عالة على المشرق وثقافته ، فان تلقيهم علومهم على ايدي المشارقة لم يمنعهم من الانطلاق نحو ميادين البحث والتأليف فبرزت لديهم مؤلفات وتصانيف قيمة تشهد بما وصلوا اليه من علم ومعرفة في ميدان الأدب .

---

١ ـ ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .

٢ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٣٠٣ .

العلوم الانســـانية :ـ
===============

وفيما يتعلق بهذه العلوم ، فقد تأخر الاشتغال بها عما سواها مـن العلوم الأخرى ولكن مع ذلك فقد برز البعض في الاشتغال بها فأسهموا في دفـع الحركة العلمية بما جادت به مواهبهم ومعارفهم •

وفي هذا الميدان يتصدر التاريخ والجغرافيا تلك العلوم ، وقد اتجـه الاندلسيون الى هذه الناحية ، رغبة في تخليد مآثر وطنهم والحفاظ على تراثه •

والجدير بالذكر ان التاريخ عند المسلمين قد نشأ في احضان الحديث ، فنتيجة لحرص العلماء على صحة الاحاديث ومعرفة صحيحها من سقيمها ، فقـد دفعهم هذا الى الاهتمام بتراجم الرواه ومعرفة سيرهم وهذا بلا شك قادهم الـى ميدان التاريخ والتراجم ، ومن هنا نلمس ارتباط التاريخ بالحديث عند المسلمين •

وفي عصر الامارة نرى الفقيه عبد الملك بن حبيب على علم ومعرفة بالتاريخ ، حيث عمد الى تصنيف كتاب في التاريخ • وهذا الكتاب يتناول تاريخ العالم مـن ابتداء خلق الدنيا وذكر ما خلق الله فيها ثم تاريخ آدم عليه السلام ومن بعده من الانبياء والرسل حتى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء حتى يصل الى فتح الاندلس فيفيض في ذكر شأنها وما فيها من الكنوز ذاكرا لاساطير مختلفة عن الجـان واحوالهم • وقد اكمل هذا الكتاب بعد عبد الملك تلميذه ابن ابي الرقاع • وممـا يذكر ان عبد الملك استعان في تأليف كتابه هذا ببعض شيوخه المصريين • "١"

---

١ ـ آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ١٩٥ ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ، واشار احمد امين في كتابـه المذكور ص ٢٧٥ الى هذا الكتاب بقوله (وقد عثر على هذا الكتاب ولا يزال موجودا في مكتبة اكسفورد في انجلترا ويقول من اطلع عليه انه ليس له قيمة تاريخية كبيره) •

وممن الف في التاريخ والجغرافيا المؤرخ محمد بن موسى الرازي الذى قدم قرطبه سنة ٢٤٩ هـ / ٨٦٣م وكان تاجرا فى اول امره ثم حصلت له حظوه لدي الامير محمد ، وكان يندبه فى مهمات هامه كالاصلاح بين الثائرين والفصل في الخصومات الجاريه بينهم ، ولمحمد بن موسى جهود موفقه فى التاريخ والجغرافيا .

وقد أشار سفير مولاي اسماعيل الى كارلوس الثاني ملك اسبانيا وذلك في كتابه " رحلة الوزير " الى كتاب اسمه الرايات لمحمد بن موسى الرازى ، واورد كلاما على لسان احد علماء القرن الخامس الهجرى من انه وجد نسخة من هذا الكتاب في خزانة الراضي بن المعتمد ويذكر فيها رايات المسلمين الداخلين الاندلس . "١"

ومحمد بن موسى الرازي المذكور اب لاسرة انجبت علماء نوابغ فى التاريخ والجغرافيا وسوف نتحدث عنهم عند تعرضنا لميدان التاريخ في عصر الخلافة .

وفيما يتصل بالفلسفة فلم يكن لها انذاك سوقا نافقه لدى الاندلسيين الذين كانوا ابعد الناس عن الاشتغال بها . واذا عدنا الى الوراء قليلا وتذكرنا موقفهم من الخارجين على المذهب المالكي لاتضح لنا مدى نقمتهم الشديدة على الخارجين على السنه من ذوي الأراء الكلاميه والفلسفيه .

ورغم ما تقدم فانه ينسب الى الامير عبد الرحمن الاوسط ادخال الفلسفة الى الاندلس وذلك لما اتصف به من حب لها وشغف بكتبها . فقد كان يبث رجاله في الاقطار وخاصة المشرق للبحث عن كتب الفلسفة وتصانيف الفكر اليوناني والهندي

---

١ ـ حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون في الاندلس ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد . العدد الثالث ، ج ٧ ، ٨ ، ص ٢٢٤ ـ
خير الدين الزركلي : الاعلام ، ج ٧ ، ص ١١٧ .

والفارسـي . "١"

وقد اشار السيوطي والمقرى الى اهتمام الامير عبد الرحمن الاوسط بكتب الفلسفة وشبهه في ولعه بهذا العلم بالمأمون العباسي . "٢"

ومما يذكر عن الامير عبد الرحمن الاوسط انه اغدق الصلات على أهل العلم وقربهم اليه ، وادني مجالسهم ، وأنه كان يعقد مجالس العلم بين يديـه ، ونظرا لاعجابه بالفلسفة فقد ترجم ما وصلت اليه يده من كتب الفلسفة اليونانية . "٣"

ولما كان هناك ارتباطا بين الفلسفة وعلم الكلام من حيث اعتماد العقل في الجدل والمناظره . فقد وجد آنذاك علماء اقتحموا ميدان الكلام ، ومنهم يحي بن يحي المعروف بابن السمينه المتوفي سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م والذى رحل الى المشرق وتعرف على مدارس المتكلمين ومال الى مذاهبهم واطلع على تصانيفهم ونتيجة لهذا فقد كانت له ازاء في هذا ميدان تخالف كلام اهل السنه "٤".

---

١ - ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الاندلس ، ص ٦٣ .
٢ - تاريخ الخلفاء ، ص ٥٥٦ - النفح ، ج ١ ، ص ٣٤٧ .
٣ - ابراهيم الشريقي : التاريخ الاسلامي ، ص ١٦٧ - السيد عبد العزيز سالم : قرطبة في العصر الاسلامي : مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثالث عشر ص ٢٢ وما بعدها .
٤ - ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، ح ٢ ، ص ١٨٨ .

وقد عاش في عصر الامارة الفيلسوف محمد بن عبد الله بن مسره كما ادرك عصر الخلافة فقد توفي سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م • وسوف نتحدث عن حركته الفلسفية في ميدان الفلسفة في عصر الخلافة •

وبناء على ما تقدم يتضح ان هذه العلوم لم تكن خلوا من النشاط العلمي وان كان هذا النشاط لم يبلغ ذروته الا في عصر الخلافة ، ويمكن القول ان جهود الاندلسيين في هذه الدراسات كانت نواة لصرح علمي شامخ شهده عصر الخلافة فجهود الرازى فى التاريخ والجغرافيا دفعت ابناءه من بعده الى مواصلة السير فى هذه الدراسات ، فكانوا من ابرز علماء التاريخ والجغرافيا في عصر الخلافة ، كما ان ابن مسره الذى عاش جزءا من حياته في عصر الخلافة قد استمد ثقافته من حياته الأولي في العصر السابق •

وهكذا يتبين ان عصر الامارة كان فترة خصبة نبتت فيها القدرات العلمية وترعرعت لتعطي ثمارها فيما بعد يانعة طيبة •

===

العلوم الطبيعيـــــــة :ـ
==================

الحق يقال ان هذه العلوم لم تشهد اقبالا كبيرا في عصر الامارة ، فقد ظهـرت بوادر الاشتغال فيها في منتصف القرن الثالث الهجرى فى اواخر عصر الامارة وذلـك في عهد الامير الخامس من امراء بني اميه وهو محمد بن عبد الرحمن فقد (تحـرك افراد من الناس الى طلب العلوم . ولم يزالوا يظهرون ظهورا غير شائع الى قريـب وسط المائة الرابعة) . "١"

وكان علم الفلك وما يلحق به من التنجيم يجد له مكانة في نفوس بعض الحكام فيحدثنا المقري ان الامير هشام بن عبد الرحمن ارسل في طلب احد المنجمين ويدعى الضبي من اهل الجزيرة الخضراء وكان ذلك في بداية تولية هشام الاماره ، وقـد عرف الضبي بالبراعة في الفلك وانه (كان في علم النجوم والمعرفة بالحركات العلويـة بطليموس زمانه حذقا واصابه) "٢" ولما حضر لدى الامير طلب منه النظـر في امره من خلال مهارته فى التنجيم ودراسة ظواهره فأخبره بانه سوف يحكم لفترة يستقر بها حكمه ، ويستقيم امره الا انه سوف يدوم ثمانية اعوام فقط ، فتأثر الاميـر بهذا الخبر وقال : لو ان هذه المدة كانت في سجده لكانت قليلة ثم مال الـى الزهد والصلاح . "٣"

---

١ ـ صاعـــد : طبقات الامم ، ص ٨٦ .
٢ ـ نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٣٥ .
٣ ـ نفس المصدر والجزء والصفحة .

ورغم موقفنا من التنجيم وان الشريعة الاسلامية دعت الى نبذه ، ووصفت اهله بالكذب والادعاء ، الا ان هذه الحادثة تعطينا دلالة على ما كان للمشتغلين به من مكانة لدى الامراء وفي قصور الحكام .

ومن المشتغلين بالفلك ابو عبيده مسلم بن احمد بن ابي عبيده المعروف " بصاحب القبله " وقد عرف بهذا لانه كان يسرب "١" في صلاته كثيرا ، وكان مهتما بعلم الفلك راصدا لحركات الكواكب وتأثيرها على الارض وما ينتج عن ذلك .
وقد وقف منه الاديب احمد بن عبد ربه موقفا معاديا لخروجه على الشرع بما ادعاه من اراء فلكية حول الارض واختلاف الفصول بين الشمال والجنوب ، فيقول من قصيدة له :

ابا عبيدة ما السّوآل عن خبر	تحكيه الاسواء والذى سألا
ابيت الا شذوذا عن جماعتنا	ولم تصب رأى من ارجى ولا اعتزلا
كذلك القبلة الأولى مبدلة	وقد ابيت فما تبغى بها بدلا
زعمت بهرام او بيذخت يرزقنا	لابل عطارد او برجيس او زحلا
وقلت ان جميع الخلق في فلك	بهم محيط وفيهم يقسم الأجلا
والارض كرية حف السماء بها	فوقا وتحتا وصارت نقطة مثلا
صيف الجنوب شتاء للشمال بها	قد صار بينهما هذا وذا دولا "٢"

---

١ — يقول عنه ابن الفرضي في كتابه تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١٢٦ ، (سمي بصاحب القبلة ، لانه كان مولعا بالتشريق في قبلته ، مفتونا بذلك فلذلك كان يقال له صاحب القبلة) .

٢ — صاعد : المصدر السابق ، ص ٨٦ — ٨٧ — احسان عباس : المرجع السابق ، ص ١٢١ — قدري طوقان : تراث العرب العلمي ، ص ٢٦٣ .

ويتبين من خلال هذه الابيات بعض الاراء العلمية التي كان يؤمن بهـا ابو عبيده ، ومنها حقائق علمية معروفة ككروية الارض ، واختلاف الفصول باختلاف الموقع الجغرافي للارض . وهذا اراء صحيحه ليس فيها ما يبرر هجوم ابن ـ عبد ربه على ذلك الفلكي وخاصة اذا علمنا ان العلماء اثنوا عليه ووصفوه بالصدق والامانة . "١"

وكان ليحي بن يحي المعروف بالسمينة معرفة واسعة بالفلك والرياضيات الى ما تميز به من ميول نحو الاعتزال واهل الكلام . "٢"

كما عرف عن الامير محمد بن عبد الرحمن نباهته في الرياضيات وخاصة في ميدان الحساب . وكان لذكائه في ذلك ان قام على محاسبة اهل خدمته ، وتعقب امورهم المالية بنفسه ، وينبههم على مواضع الخطأ والزلل في اعمالهم من خلال معرفته وتفوقه في الحساب . "٣"

واخيرا لا يفوتنا ان نشير الى العلامة الفلكي الرياضي عباس بن فرناس الذى مر معنا في ميدان الشعر سابقا ـ فقد كان بارعا في الفلك ذكيا نبيها ـ في معالجة فنونه المختلفة الى جانب مهارته في الهندسة وعمق معرفته بمسائلها ، وقد دفعه ذلك الى صنع آلة لمعرفة الوقت واسماها المنقانة وقد احكم صنعها ونقش عليها ابياتا منها .

---

١ ـ انظر ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .

٢ ـ صاعد : طبقات الامم ، ص ٨٧ ـ قدري طوقان : المرجع السابق ، ص ٢٦٠ .

٣ ـ اخبار مجموعة (مؤلف مجهول) ، ص ١٤١ ـ ١٤٢ .

الا انني للدين خيـــــرا داة   اذا غاب عنكم وقت كل صـــلاة "١"

وله اعمال غير ذلك تشهد بنبوغه العلمي في الهندسة والفلك وقد نسب اليه مـــن ذلك اختراع صناعة الكريستال (البلور) ، كما صنع في منزله هيئة السماء ، يخيـــل للناظر فيها النجوم والرعود ، وتصور احتمال الطيران ، واحتال في ذلك فطـــار مسافة بعيده ، الا انه لم يحسن الاحتيال في هبوطه فتأذى في مؤخره ولم يدر ان ـ الطائر انما يقع على زمكه ولم يعمل له ذنبا . "٢"

وفيما يتصل بعلم الطب ، فقد كانت الحاجة اليه شديدة بطبيعة الحـــال فقد كان الحكام يحرصون اشد الحرص على ان يتوفر في قصورهم اعداد من الاطبـــاء يقومون على علاجهم ووصف ما يحتاجون اليه من الادوية والاغذية المناسبة لصحـــة ابدانهم ، لهذا نرى ان المشتغلين بالطب آنذاك كان موطن نشاطهم مقصورا علـــى قصور الحكام والاعيان تقريبا .

ووصف صاعد الطليطلي بداية اشتغال الاندلسيين بالطب بانه لم يكـــن بالاندلس من استوعبها ولا لحق بالمتقدمين فيها . وانما كان غاية اكثرهم دراســـة بعض فروعه وشيئا من وجوه الطب والتداوي ليتسنى لهم بذلك اللحاق بخدمة الحكام رغبة في الجاه والمنزلة وانهم كانوا يعولون في دراستهم للطب على كتاب للنصـــارى يدعى الابريشـــم . "٣"

---

١ ـ ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود مكي ، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

٢ ـ لطفي عبد البديع : الاسلام في اسبانيا ، ص ٥٦ ـ ٥٧ ـ Anwar Cheine ;
MuslimSpain- its History and culture, P.163

٣ ـ طبقات الامـــم ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

والحق ان هؤلاء الاطباء بمنهجهم هذا قد تخلوا عن دراسة الطب دارسة العلم والمعرفة الى دراسته من اجل المصلحة والمنفعة المادية ، وهذا بلا شك كفيل بان يحد من تعمقهم في دراسة الطب دراسة صحيحة ليكون علمهم قاصرا على بعض اساليب التداوي التي يرونها ضرورية في علاج من يقومون على خدمتهم من الامراء والحكام ووصف الاغذية المفيدة لهم . ولهذا نلمس انه لم يظهر آنذاك طبيب بارع حاذق في الطب عارف به معرفة واسعة بخلاف عصر الخلافة الذى انجب اطباء كان لهم شهرة عالمية بفضل ما بلغوه من علم واسع بالطب ومناحيه المختلفة .

ومن اطباء تلك الفترة يونس بن احمد الحراني الذى تبوأ مكانة عالية لدي الامير عبد الرحمن الاوسط ، ومما جرى لذلك الطبيب في قصر الامارة ان نصر الخصي اقدم على محاولة قتل الامير عبد الرحمن ، عندما رفض ان يستجيب لخطيئته طروب في تولية ابنها عبد الله ولاية العهد بدلا من محمد ، وكان لرفض الامير اثره في اغضاب طروب وخادمها نصر ، ففكر الأخير فيما لو تولى الامير محمد بعد ابيه كيف يغفل عن موقفه هذا ؟ وأنتهى به التفكير الى الذهاب الى الطبيب الحراني الذى اغراه بمنصب كبير لقاء تزوله على رغبته في عمل شراب يحوى سما ليتمكن من ادراك هدفه بقتل الامير عبد الرحمن . وكان من عادة الامير ان يصيبه فتور فيتسرب دواء يسكن المه على اثره وفي مثل تلك الحاله شكى الامير علته فسارع نصر الى الحراني ، وطلب منه السم ، لكن الطبيب اخبر جارية الامير قبل ان ينفذ نصر خطته . وعندما احضر نصر الدواء تظاهر الامير بعدم رغبته في ذلك . وطلب من نصر ان يشربه بدلا منه فاظهر التردد ولكن الامير اكرهه علي شربه فشربه ثم انطلق الى داره يسأل عن الطبيب ويستخبره عن دواء يمنع مفعول السم فاشار عليه بلبن الماعز ولكن السم كان اسرع مفعولا فمات نصر قبل حصول ذلك . "١"

---

١ — ابن حيان : المصدر السابق ، ص ١٤ — ١٥ .

ومن خلال هذه القصة نلمس ما كان عليه الاطباء آنذاك ، وما كانوا يتمتعون به من مكانة داخل قصور الامراء ، وأن مهمتهم كانت خطيرة ، تتعلق بحياة الامراء وسلامتهم ولهذا فقد كانت الامانة اولى الصفات ألتي يراها الحكام في اطبائهم .

ويتصل بالطب حقل الصيدلة وتركيب الادوية ، وبرز في هذا الميدان حمد بن ابن ابان وكان في عصر الامير محمد بن عبد الرحمن وقد وصف هذا الطبيب بالمهارة في تركيب الادوية وحسن العلاج . وعلى منواله الطبيب النصراني جواد (٢٠٧هـ — ٢٧٢ هـ / ٨٢٢م — ٨٨٥م) الذى برع في تركيب الادوية وصنع المقاقيـــر والوصفات الطبية النباتيه . وكان الطبيب النصراني خالد بن يزيد بن رومـــان ماهرا في تركيب الادوية ، جيد العلاج يستند في علاجه الى التجارب الطبيــة وكانت تربطه بالطبيب المصرى النصراني نسطاس بن جريج علاقة صداقة وود وكانــت بينهما مراسلات علمية حيث ارسل الاخير الى خالد رسالة طبية في البول وحالتــه تبعا لحالة المريض . "١"

ويلحق بهؤلاء الاطباء الطبيب النصراني يحي بن اسحاق وكان طبيبا لـــدى الامير عبد الرحمن الناصر قبل اعلانه الخلافه ، كما ان اباه اسحاق كان طبيبـا لدي الامير عبد الله ، وكان لتضلع يحي في الطب ان الف كتابا في خمسة اسفار سلك في تأليفه مسلك الاوائل وسماه الابريشـــم . "٢"

---

١ — ابن جلجـــل : طبقات الاطباء ، ص ٩٦ — بالنثيا : المرجـع السابق ، ص ٤٦١ — ٤٦٢ .

٢ — ابن جلجـــل : المصدر السابق ، ص ١٠٠ — ١٠١ — صاعـد : المصدر السابق ، ص ١٠٤ — ابن ابي اصيبعه : عيون الانبـــاء في طبقات الاطباء ، ص ٤٨٨ .

والجدير بالذكر ان القفطي اشار الى ان يونس الحراني السالف الذكر كان في بداية دخوله الاندلس قد ادخل معه دواء من الشراب كانت السقية منه بخمسين دينارا وذلك لعلاج الاوجاع الباطنية وما يتعلق بذلك مما كان سببا في تهافت الناس عليه فعلت حاله واثرى ثراء كبيرا • وقد اجتمع عشرة من الاطباء فاشتروا شيئا من هذا الدواء وفحص كل منهم جزءا منه فوقفوا على اهميته ونفاسته وسألوا الحراني عن تركيبه واعداده فاطلعهم بسر ذلك مما كان له اثر في انتشار ذلك الدواء وتفشي طريقة تركيبه واعداده بين اطباء ذلك العصر • "١"

وهذا بلا شك يعطينا دلالة على التأثير المشرقي في الاندلس • وكيف ان الاندلسيين كانوا كثيري الاهتمام بكل ما يصلهم من تأثيرات علمية فيدرسوها ويضيفوا اليها ولم يلبثوا حتى ابتكروا اساليب جديدة للعلاج اسهموا بها في نمو الدراسات الطبية وبذلك كانوا اهل عطاء وبذل في ميدان الحضارة الانسانية •

ويبدو لنا بعد هذا العرض الموجز للنشاط العلمي في عصر الامارة ان الاثار العلمية التي وصلت الينا عن الاندلس في هذه الفترة قليلة ، وهذا يعود الى عاملين :

اولهما :

========= ضياع تلك الاثار بالفتن وبالزمن •

وثانيهما :

========== ان الاندلسيين كانوا كثيري الاعجاب بالمشارقة يأخذون عنهم

---

١ ـ اخبار العلماء باخبار الحكماء : حرف الياء ، ص ٢٥٨ • وانظر عمر فروخ : عبقرية العرب فى العلم والفلسفة ، ص ١٢٥ •

علومهم ومعارفهم وان الانتاج العلمي للاندلسيين لم تتضح آثاره الا بعد القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى . "١"

هذا بالاضافة الى ان الاندلسيين كانوا في عصر الامارة اكثر اهتماما واشتغالا بعلوم الدين التي ترتبط بعقيدتهم . فكان الفقه والحديث واللغه والنحو والشعر يغلب على نشاطهم العلمي ثم ما لبثوا ان انطلقوا في ميادين العلم الاخرى في العصر التالي .

=====

---

١ ـ عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي ، ص ٥٨٦ .

القسم الأول

دراسة لأهم مظاهر النشاط العلمي في عصر الخلافة

القســـم الاول

الفصـــل الاول

اهتمام الخلفاء بالحركة العلميـــــــــــة

- عبد الرحمن الناصر
- الحكم المستنصـــر
- هشام المؤيد (والمنصور بن ابي عامر وولده عبد الملك)
- اثر قيام الفتنة وسقوط الخلافة على الحركة العلمية .

الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣١٦ هـ - ٣٥٠ هـ / ٩٢٨م - ٩٦١م)

كان للخلفاء اثر في ازدهار الحركة العلمية في الاندلس ، كما أن عصر الخلافة الاموية في الاندلس يمثل الانطلاقة الواسعة في ميادين الحضارة والبناء الفكرى .

ولا شك انه كان للاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادى اثر واضح في انصراف الرعية نحو ميادين النشاط الحضاري بمختلف وجوهه . وقد تسني للخليفة عبد الرحمن الناصر الذى اعتلى سدة الأمر سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢م ان يقر الاحوال ، ويقضي على الفتن ، فقد تولى السلطة في البلاد في وقت كانت فيه في غاية من الفوضى والخروج على نظام الامن والاستقرار حتى وصفها احد المؤرخين بقوله : (جمرة تحتدم ، ونار تضطرم شقاقا ونفاقا ، فأخمد نيرانها ، وسكن زلزالها) "١"

وبعد ان قويت قبضته على البلاد وتم له الامر ، ودانت له الاندلس يلقب بأمير المؤمنين سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م . وذلك بعد ان رأى ضعف العباسيين بالمشرق . وتغلب الاتراك عليهم . وبعد ان رأى خصومه الفاطميين قد تلقبوا بالقاب الخلافة وتسموا بالخلفاء (وظهر من اتساع ملكه ، وقوة سلطانه واقبال دولته ، وخمود نار الفتنة على اضطرامها بكل جهه ، وانقياد العصاه لطاعته ما تعجز عن تصوره الاوهام . وتكل في تحبيره الاقلام) . "٢"

وكان لنشأة عبد الرحمن الناصر اثر كبير في سيرته وفي موقفه من النشاط العلمي في الاندلس فما كاد يبلغ اشده حتى ظهرت نجابته ، وابدى بالرغم من

---

١ - ابن عذارى : البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب ج ٢ ، ص ١٥٨ .

٢ - ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ .

صغره نباهة وتفوقا في العلوم والمعارف فقد درس القرآن والحديث وهو طفل لم يجاوز العاشرة ، وبرع في اللغة والشعر الى جانب فنون الحرب والفروسية . "١"

ومن العلماء الذين تلقى على ايديهم العلم الفقيه المحدث قاسم بن اصبغ البيّاني (٢٤٤ ـ ٣٤٠ هـ / ٨٥٨ م ـ ٩٥١م) فقد سمع منه العلم ، واخذ عنه الفقه والحديث وعلوم الدين بوجه عام ، وذلك قبل توليه الخلافة . "٢"

واذا كنا محقين في ان المع فترة علمية شهدتها الاندلس كانت في عصر ابنه الحكم المستنصر الذي لا تخلو ترجمته في أي كتاب من الثناء والاشادة بفضله العظيم على الحركة العلمية ، فانه من الحق ايضا ان ننسب جانبا كبيرا من ذلك الفضل الى ابيه الذى ارسى قواعد الحضارة ، ومهد للنهوض الفكري ، والتقدم العلمي في بلده ، فلم يتسلم الحكم المستنصر الحكم فى الاندلس الا بعد ان بذر أبوه بذور العلم والمعرفة ، وغرس شجرة الفكر التي اينعت ثمارها في عصر ابنه الحكم المستنصر .

وفضلا عما اتصف به عبد الرحمن الناصر من حزم وقوة وحنكة سياسية ، فقد كان (يرتاح للشعر ، وينبسط الى اهله ، ويراجع من خاطبه به من خاصته) "٣" وفى هذا اشارة الى ما كان يتمتع به من ملكة ادبية حملته على الاهتمام بالشعر والتقرب الى ذويه من الشعراء واهل الادب ، ومما دفعه الى الاهتمام بالأدب والشعر ما كان يتصف به هو من اجادة للشعر ، هذا وتحفل

---

١ ـ محمد عنان : تراجم اسلاميـــة ، ص ١٦٧ .
٢ ـ ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ .
٣ ـ ابن الآبار : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

بعض كتب التاريخ والادب بنماذج من شعره . "١"

ولعل من دلائل اهتمامه بالأدب وعنايته بالشعر ان امر بانتساخ شعر ابي تمام الطائي — حبيب بن اوس الطائي — وجمع لذلك طائفة من ادباء الاندلس لتحقيق رغبته تلك "٢" .

وكان بلاط عبد الرحمن الناصر يحفل بالكثير من العلماء والادباء ، فقد ضم قصره العلامة الاديب احمد بن عبد ربه . وكذلك اديب المشرق ابي علي القالي الذى وفد فى عهده ، وتبوأ مكانة سامية بين علماء بلاط الخلافة في قرطبه ، كما انه كان بين فقهاء عصره منذر بن سعيد البلوطي ، وقاسم بن اصبغ البياني ، ومن الاطباء خلف بن عباس الزهراوى اعظم جراح فى الاسلام الى غير ذلك من اهل العلم والمعرفة الذين تيسر لهم الانصراف الى العلم في مناخ مناسب كفل لهم سبل العطاء والانتاج العلمي ، وقد كان عبد الرحمن الناصر مكرما لهم حريصا على وضعهم فيما يناسبهم من المنازل ، كما اجتهد فى تخير قضاته من اولي العلم والمعرفة . "٣"

وكان لاهتمام عبد الرحمن الناصر بالعلم ، وشغفه بالكتب . ان اشتهر ذلك عنه حتى بلغ ملوك عصره — فأحب احدهم وهو الامبراطور البيزنطي ارمانوس ان يرسل له هدية علمية تحوز على رضاه ومودته ، فبعث اليه (٣٣٧ هـ/ ٩٤٨م) بكتابين من تصنيف الاوائل . احدهما في الطب وهو كتاب ديسقوريدس في النبات

---

١ — انظر فى هذا الصدد ابن الابار : المصدر السابق ج ١ ، ص ١٩٩ — الازدي : بدائع البدائه ص ١٩٥ — ١٩٦ — المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٧٩ — ٣٨٠ . كما وينسب اليه اجادته للنثر وبراعته فيه انظر ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، ج ١ ، ص ١٨٤ — ١٨٥ — ١٨٦ .

٢ — الزبيدي : طبقات النحويين ، ص ٣٠٦ — ٣٠٧ .

٣ — الاشبيلي : ريحان الالباب وريعان الشباب (مخطوط) ورقة ١٣٩ ا .

مصوراويااللغة الاغريقية والثاني في التاريخ وهو كتاب هروشيش باللاتينية • "١"

وكان لعنايته بالعلم والمعرفة ان اندفع الى جمع الكتب والعمل على حيازتها ، وينسب اليه تأسيسه نواة المكتبة الكبرى التي ازدهرت في عهد ابنه الحكم المستنصر، فقد اسس مكتبة قيمة في قصره وخزن بها الكتب النفيسة والتآليف النادرة في وجوه العلم المختلفة ومنها هدية ارمانوس • "٢" •

وبناء عليه فان عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر كان بداية مجيدة لعصر عظيم ازدهرت فيه العلوم والآداب ، وانصرف العلماء فيه الى تحصيل العلم وتصنيف الكتب في شتى حقول المعرفة •. ولا ريب في ذلك فان الكثير من كتب العلم قد ألفت في عهده لتدل على ما اتسم به من مناخ خصب نمت فيه القدرات العلمية فأعطت ثمارا يانعة في ميدان الفكر واصبحت حاضرة الخلافة قرطبة دارا للعلم ومركزا ثقافيا زاهرا استقطب العلماء من اقاصي البلاد ، وجذب الطلاب من نواحي الاندلس المختلفة بل ومن خارجها في صورة تؤكد عظمة ذلك العصر ومدى ما حققه الاندلسيون من نشاط علمي كبير •

---

١ — ابن ابي اصيبعه : عيون الانباء ، ص ٤٩٣ — ٤٩٤ — احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٦٧ •

٢ — ماهر حماده : المكتبات في الاسلام ، ص ١٢٢ — آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ١٠ •

— الامبراطور ارمانوس ١ هو قسطنطين السابع ، تولى الحكم من سنتى ٩١٢ الى ٩٥٩م وكان في بداية تولية الحكم صغيرا • فقام بالوصاية عليه عمه ، ثم انفرد بالحكم سنة ٩٤٥م •
وعرف عنه ميله الى العلم والادب وعنايته بالكتب • (سعيد عبد الفتاح عاشور : اوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٤٠٨ — ٤٠٩ •

وكانت وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر (عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١م) " ١ "
بعد ان قضى في الحكم ما يقارب نصف قرن ، وفي الخلافة اربعة وثلاثين عامـا
تقريبا • حفلت بجلائل الاعمال وروائع الانشطة في الميادين السياسية والاقتصادية
والعسكرية والعلميـة •

========

ا ـ جانب ابو عبد الله الاشبيلي الصواب في كتابة المخطوط ريحان الالبـاب
ورقة ١٣٩ ا • عندما ذكر ان الخليفة عبد الرحمن الناصر توفي عـام
٣٤٥ هـ • ولكن الحقيقة ان وفاته كما اكدت المصادر التاريخية كان عـام
٣٥٠ هـ / ٩٦١م • انظر في ذلك ابن الفرضي : تاريخ علمـاء
الاندلس ، ج ١ ، ص ٧ •
والحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٣ •
والضبي : بغية الملتمس ، ص ١٧ •

الحكم المستنصر (٣٥٠ هـ — ٣٦٦ هـ / ٩٦١م — ٩٧٦م):

يعد هذا الخليفة بدون مبالغة اعظم خلفاء الاندلس علما وادبا ، فقد كان له عناية واهتمام بالغين بكل ماله صلة بالعلم والمعرفة واكسبه ذلك علما واسعا ، وادراكا سليما لقضايا العلم حتى اصبحت اراؤه في ميدان العلم حجة لدي العلماء . "١"

وكان لحبه للعلم وشغفه بالوان المعرفة أن كان سباقا الى ميدانها فأسهم في ازدهار الحركة العلمية في عصره اسهاما بارزا ، ولا نبالغ اذ اعتبرناه بجهوده العلمية رائدا للنهضة العلمية في عصر الخلافة .

وكان لنشأة هذا الخليفة اثر كبير في تشكيل سلوكه تجاه الحركة الفكرية " فقد درس على الكثير من العلماء ، منهم الاديب محمد بن اسماعيل القرطبي (ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م) الذي تلقى على يديه بعض العلوم كالادب والنحو والحساب وافاد منه في دراسة العلوم بطريقة تحليلية عميقة ، اذ وصف هذا الاديب بعمق التفكير ودقة التعبير في اشتغاله بالعلم . "٢"

ودرس علوم الدين من حديث وتفسير وفقه على يد العلامه قاسم بن اصبغ الذي رحل الى المشرق حيث جلب معه مصنفات وعلوم كثيره ، فأفاد منه الحكم ودرس على يديه هو واخوته ايضا . "٣"

---

١ — ابن الآبار : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٠ — ٢٠١ .
٢ — الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٢ ، ص ٢١٠ .
٣ — ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٦٥ — ٣٦٦ .

وممن استفاد منه الحكم واقتبس من علمه ، اللغوي علي بن معاذ بن سمعان الرعيني وكان من اهل الادب واللغة الى جانب مهارته في التاريخ والانساب وقد استقدمه الحكم الى قصره حيث اخذ عنه الكثير من المعارف . "١"

بالاضافة الى ذلك فقد سمع من علماء آخرين كأحمد بن دحيم ، ومحمد بن عبد السلام الخشني ، وزكريا بن خطاب واجاز له ثابت بن قاسم بعد ان بلغ الحكم درجة من الحفظ والمعرفة . "٢"

كل هؤلاء العلماء وغيرهم كان لهم تأثير في تكوين شخصية الحكم الثقافية فقد افاد منهم افادة عميقة في ميادين العلوم الدينية والادبية والتاريخ والانساب .

شخصية الحكم العلمية :ـ

لقد نتج عن اقبال الحكم على دراسة العلوم والاداب ، ومجالسته للعلماء ان اثر ذلك في شخصيته تأثيرا واضحا . فظهرت عليه علائم النبوغ الفكري ، ودلائل التفوق العلمي فى دراساته العلمية المختلفة . مما كون لديه نظرا صائبا وعميقا لمسائل العلم . وكان في حياته شديد المطالعة لكتبه . دائم النظر فيها يتّبع في قرأتها النظرة التحليلية والفكر الثاقب (فيأتى من ذلك بغرائب لا تكاد توجد الا عنده لكثرة مطالعته ، وعنايته بهذا الفن ، وكان موثوقا به مأمونا عليه صار كل ما كتبه حجة عند شيوخ الاندلسيين وأئمتهم ، فينقلونه من خطه ويحاضرون به "٣").

---

١ ــ المراكشي : الذيل والتكملة . السفر الخامس ، القسم الاول ، ص ٤١٠ .

٢ ــ المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٩٥ .

٣ ــ ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

وقد اشاد به المؤرخون ووصفوه بالاطلاع الغزير والنظرة العميقة الفاحصة لما يقرأه من كتب العلم . "١"

ومن الامثلة على ان اقوال الحكم كانت حجة لدي العلماء ما اشار اليه الحميدي عند ترجمته للاديب ابن عبد ربه حيث يقول بعد ايراده تلك الترجمة (هذا آخر ما رأيت بخط الحكم المستنصر وخطه حجة عند اهل العلم عندنا لانه كان عالما ثبتا) "٢"

وعليه فانه لسعة اطلاعه وغزارة علمه وثقافته فقد تولدت لديه نظرات صائبة واراء قيمة فيّ فروع العلم وفنونه المختلفة ، وكان يعلق على كتبه بل ويصحح ما اخطأ فيه غيره من العلماء فلم يكن همه جمع الكتب وحشدها في خزائن قصره ، بل كان يطّلع عليها ويناقش ما يرد فيها ببصيرة نافذة ورأي حكيم ، يعينه في ذلك ثقافته وتكوينه العلمي وفي هذا يقول ابن الابار (وقلما تجد له كتابا كان في خزانته الاوله فيه قراءة ونظر من اي فن كان من فنون العلم : يقرؤه ويكتب فيه بخطه — اما في اوله او آخره او في تضاعيفه نسب المؤلف ومولده ووفاته والتعريف به ويذكر انساب الرواه له) "٣" .

وهكذا يبدو واضحا القدر العلمي العظيم في شخصية الحكم . وكيف كان لحياته الحافلة بالعلم وحبه للكتاب اثر كبير في علو مكانته العلمية ورسوخه في فنون العلم .

---

١ — انظر في ذلك كل من : — ابن الخطيب : اعمال الاعلام . ص ٤١ — المقري : النفح ، ج ١ ص ٣٩٥ — ستانلي لين بول : قصة العرب في اسبانيا ترجمة علي الجارم ، ص ١٤٢ — انيس الفصولي : الدولة الاموية في قرطبة ، ص ١٢٢ — روم لاندو : الاسلام والعرب . ترجمة منير بعلبكي ، ص ١٧٧ — زكريا هاشم : فضل الحضارة الاسلامية ، ص ٢٧٠ — آنخل بالنثيا : المرجع السابق ، ص ١٠ — زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب . ص ٥٠١ — مصطفى الشكعه : الادب الاندلسي ، ص ١٠٣ — امير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص ٤٢٣ .

٢ — جذوة المقتبس ، ص ١٠١ .

٣ — الحلة السيراء ، ج ١ — ص ٢٠٢ .

ومما روي له من كتابات وتعاليق على الكتب التي طالعها ما ذكره القاضي صاعد في ترجمته للمؤرخ اليمني الحسين بن احمد الهمداني ما نصه :

(ووجدت بخط امير الاندلس الحكم المستنصر بالله عبد الرحمن الناصر لدين الله ـ ان ابا محمد الهمداني توفي بسجن صنعاء في سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة) "١"

ولا ريب بعد ما ذكرنا ان الحكم المستنصر قد قدم الى الحركة العلمية دفقة من النشاط فكان من نتائج علمه الواسع ومعرفته العميقة بالتاريخ ان صنف كتابا في انساب الطالبيين والعلويين القادمين الى المغرب "٢" ، وقد استعان في تأليف ذلك الكتاب بما كان يتلقفه من افواه العلويين الذين يفدون عليه سواء في ولايته للعهد او توليه الحكم بعد ذلك . فقد عرف عنه حبه للعلماء وشغفه بعلم الانساب ، ورغبته في معرفة انساب الناس وتبيينها لمن خفي عليه ذلك ، يدل عليه ما ذكره ابن الابار من اهتمامه بانساب المؤلفين ومن يروى لهم .

والى جانب ذلك فقد كان للحكم اهتمام بالادب بل وكان يقرض الشعر ونسبت اليه اشعار كثيرة . "٣"

وكان لغلبة النشاط العلمي في عهد الحكم المستنصر اثر في ذهاب بعض الكتاب كستانلي لين بول الى القول بان انصراف الحكم الى العلم واهتمامه بالكتب وعنايته بها قد ادى الى عدم تطلعه الى الغزو والجهاد من جهة والى اغفاله تربية

---

١ ــ طبقات الامم . ص ٧٩ ــ ٨٠ .

٢ ــ المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ٦٠ ــ البغدادي : هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٣٣٣ .

٣ ــ انظر في هذا الصدد : ابن الابار : الحلة ، ج ١ ، ص ٢٠٣ ــ المقري : النفح ، ج ١ ، ص ٣٩٥ .

ابنه هشام الذى لو اهتم به لما حدث من تغلب الغير على السلطة من جهة اخرى . "١"

وسوف نتناول هنا التهمة الأولى ونؤجل الأخرى الى حديثنا عن هشام المؤيد ، فالحق يقال اننا لو امعنا النظر في سيرة الحكم المستنصر لادركنا مجانبة الاستاذ المذكور للصواب في نقده الموجه للحكم الذى لم يكن ليغفل عن تبعاته الجسام ، ويتوانى عن قتال اعدائه وجهادهم وحسم وجوه الفتنة والاضطراب فقد امدنا التاريخ بما يثبت ان الحكم كان الى جانب كونه عالما كان مجاهدا ايضا ورجل سياسة فيقول الحميدي (وكان الحكم المستنصر مواصلا لغزو الروم ، ومن خالفه من المحاربين) "٢" .

كما ان ابن الخطيب وصفه بالهمة العالية في الجهاد وان ملوك عصره هادنوه وسالموه لقوته وبأسه . "٣"

ولا ننسى ان عصر الحكم كان يعتبر عصر سلام نسبي مع ممالك النصارى . وذلك بعد جهود ابيه عبد الرحمن الناصر وعقده معاهدات الصلح مع ممالك النصارى ، واذا قيس عهد الحكم بعهد ابيه عبد الرحمن من حيث جهاده لملوك النصارى وبعهد المنصور بن ابي عامر فان عهد الحكم يعتبر عهد سلام نسبي . ورغم هذا فان الحكم كان يعد نفسه للجهاد مثلما يعدها لقراءة كتب العلم والاشتغال بالمعرفة .

---

١ — قصة العرب فى اسبانيا ، ترجمة علي الجارم ، ص ١٤١ — ١٤٣ .

٢ — جذوة المقتبس ، ص ١٦ ، وانظر المراكشي : المعجب ، ص ٤٥ — والمقري : النفح ، ج ١ ، ص ٣٨٨ — ٣٩٣ .

٣ — الاحاطة في اخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٤٧٨ .

اهتمام الحكم المستنصر بالنشاط العلمي ووسائله في ذلـــك :

اتبع الحكم في دفع عجلة العلم في بلاده وسائل عديدة ، وقد نجح في غايته هذه ، فمن اهم تلك الوسائل الناجحة ما يلـــي :

اولا : العناية بالعلوم وتشجيع العلماء على البحث والتأليف .

فقد سعى الي تقريب اولي العلم والمعرفة واكرامهم وتهيئة المناخ الملائـــم الذي يستطيع فيه اولئك العلماء على الانصراف الى العلم والبحث العلمي في حقول المعرفة المختلفة . وبالتالي تيسير السبيل امام الانتاج الفكري حسب تخصص كـــل منهم ، وفي هذا يقول الاشبيلي (وفي ايامه كثر العلماء وادلوا بما عندهـــم والفت التواليف وصنفت التصانيف) . "١"

ومن العلماء البارزين في عهده في ميدان العلوم الدينية يحيى بن عبد الله ابن يحيى الليثي ومحمد بن قاسم الثغري ، وابن الفخار ، وابو محمد عبد الله ابن شريعة اللخمي ، ويعيش بن سعيد الوراق ، واحمد بن محمد بن مفرج — وغيرهم .

وفي ميدان الادب واللغة برز ابو علي القالي ، والحسن بن الوليـــد ، واحمد بن فرج الجياني ، وعبد الله بن مغيث (ابن الصفار) ، ومحمد بـــن الحسن الزبيدي ، وابن القوطية .

---

١ — ريحان الالباب (مخطوط) ورقة ١٣٩أ .

وفي الطب ، ظهر عريب بن سعد ، وسليمان بن حسان المعروف (بابن جلجل) ، واحمد بن يونس الحراني ، وخلف بن عباس الزهراوى الذى يعد انبغ اطباء الجراحة فى الاسلام •

وفي الرياضيات والفلك ، ظهر مسلمة بن احمد المجريطي ، وابن السمح ، وابن الصفار ، وابن زيد الاسقف القرطبي وغيرهم كثير •

كل هؤلاء العلماء اسهموا في ازدهار العلوم والاداب بما اضافوه من ضروب الانتاج العلمي القيم ، وهو ما سوف نأتي على ذكره فيما بعد •

ثانيـــــــــا :
==========

من الوسائل التى اتبعها الحكم في النهوض بالمستوى العلمي العناية بالكتب والاهتمام بجمعها وحيازتها من كل مكان ، ذلك ان الحكم رأى أنه لن يتم نشاط علمي في بلاده ولن يستطيع ربط المشتغلين بالعلم في وطنهم الا بتوفير وسائل الثقافة والعلم لهم • فكان حرصه على الكتب ناتجا عن اهتمامه العلمي ورغبته في تيسير الامكانيات العلمية لشعبه ، وقد بلغ من حبه للكتب وشغفه بها انه (لم يسمع فى الاسلام بخليفه بلغ مبلغه في اقتناء الكتب والدواوين وايثارها والتهمم بها) "١" •

ونتيجة لهذا الاهتمام البالغ بالكتب باعتبارها اوعية العلم ومصادره فقد كان للحكم المستنصر وسائل اتبعها في جمع الكتب وحيازتها ، وسوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل عند حديثنا عن اهتمام الاندلسيين بالكتب •

---

١ — ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٠١ •

ثالثـــــــــا :

========== عناية الحكم المستنصر بالتعليم ، فقد كان لحرصه على توفير المناخ العلمي المناسب لرعيته ، عظيم العناية بشئون التعليم وتوفيره لافراد الرعيـــة وسنفصل القول عن ذلك في موضعه •

=========

هشام المؤيد بن الحكم والمنصور بن ابي عامر وابناه عبد الملك وعبد الرحمن

==

من الحق ان نقول ان هشام المؤيد بن الحكم لم يكن له من الامر شيء ،
ذلك ان المنصور محمد بن ابي عامر المعافري استطاع ان يتدرج في مناصب الدولة
اثناء عهد الحكم المستنصر ، وقد تظافرت عدة عوامل على بروزه وتألق نجمه ، منها
ما اتصف به من عقل راجح وادب وعلم الى جانب حنكته السياسية في انتهاز الفرص
واغتنامها بالاضافة الى ما تمتع به من جرأة واقدام حتى استطاع ان يتسنم مناصب
رفيعة في الدولة الى ان بلغ به الامر تولى وكالة املاك زوجة الخليفة الحكم السيده صبح
التي رأت في محمد بن ابي عامر معالم الذكاء وقوة الشخصية فركنت الى رأيه وتصرفاته
فلما توفي الخليفة الحكم المستنصر ضمن لها بتصرفه السليم استقرار الامر لابنها هشام ،
وكان يستمد نفوذه من مكانة السيده صبح باعتبارها ام هشام المؤيد . فاستمال اليه
الجيش ، وقرب اليه اعيان الدولة ، وما زال يضرب منافسيه بعضهم ببعض حتى استقر
له الأمر فحجب هشام المؤيد وتولى السلطة الفعلية في البلاد "١" .

وبناء على ما تقدم فان حديثنا سيكون عن شخصية المنصور بن ابي عامر ومدى
ما اسهم به في تطور الحركة العلمية انطلاقا من كونه صاحب الأمر والشأن في الدولة
بعد ان اسدل على الخليفة هشام ستارا من العزلة ، وحجر عليه ما ابعده عن النظر
في مهمات الأمور التي تنوط باصحاب الأمر عادة . "٢"

---

١ — المراكشي : المعجب ، ص ٤٨ — ٤٩ .
٢ — عزى ستانلي لين بول ضعف شخصية هشام المؤيد وعدم قدرته على الاضطلاع
بمهمات الدولة الى انهماك ابيه الحكم المستنصر في العلم وانشغاله بالكتب .
والحق ان الحكم المستنصر لم يكن غافلا عن تربية ابنه هشام فقد حرص على تنشئته
نشأة سليمة بان عين لتربيته وتعليمه كبار العلماء ومنهم العلامة احمد بن محمد =

اما عن المنصور بن ابي عامر فقد نشأ نشأة علمية ، حيث كان تلميذا نبيها تجلت فيه ملامح الذكاء ، والفطنه منذ ان كان صغيرا ، واصله من الجزيرة الخضراء "١" شريف المنبت ، كريم الاصل ، ولما كانت قرطبة تمثل النهضة الحضارية والعلمية بوجه خاص فقد شد رحاله اليها ، فطلب العلم والادب وسمع الحديث ، ومهر في ذلك "٢" واظهر المنصور نبوغا في دروسه ، وما تلقاه من علوم ، وكان من اساتذته الذين تلقى العلم عليهم الاديب ابو علي القالي ، حيث اخذ عنه الادب واللغة ، ودرس على ابن القوطية النحو كما درس الحديث على العلامة ابى بكر بن معاويه القرشي . "٣"

وكان لتكوينه العلمي ونشأته الثقافية اثر كبير في سلوكه وموقفه من الحركة العلمية ، والجدير بالذكر ان الحركة الادبية بلغت في عهده منزلة رفيعة ، حيث كان يوليها رعايته واهتمامه ، ولم يكن تشجيعه للشعراء والادباء مجرد استيفاء لمظهر من مظاهر السيادة ، واستكمالا لوجوه الابهة مما يفعله ذوو السلطان

= القسطلي الذى ذكر عنه ابن حيان في المقتبس ، ج ٣ ص ٧٦ ـ ١٧٧ ان الخليفة الحكم خصص له قسما في دار الملك لتعليم ابنه هشام وان الحكم حضرا احدى جلساته العلمية فأعجب باقبال ابنه هشام على العلم ويشير ابن حيان ايضا في نفس الجزء الى تلقي هشام التعليم على يد العلامة يحيى بن عبد الله الليثي . كما يذكر آنخل بالنثيا في كتابه تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٦٤ ان هشاما تلقى تعليمه في الحساب والعربية على محمد بن الحسن الزبيدى . ولهذا فلم يكن الحكم غافلا عن تربية ابنه هشام . واما عن انتقال السلطة الى غيره فقد اتت كنتيجة حتمية لصغر سنه والذى قدره ـ الحميدي في كتابه جذوة المقتبس بعشرة اعوام واشهر .

١ ـ الجزيرة الخضراء وسطى مدن الساحل الجنوبي واقرب مدن الاندلس مجازا الى العدوه وهي اول ما فتح من الاندلس (الحميري : الروض المعطار ، ص ٧٤) .

٢ ـ الحميدي : الجذوة ، ص ٧٨ ـ ابن الاثير : الكامل ج ٨ ، ص ٦٧٨ .

٣ ـ ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ .

والحكم عادة بل كان ذلك لتذوقه الادب والشعر . "١"

اهتمام المنصور بن ابي عامر بالحركة العلميـــــــــة :ــ

لئن وسم التاريخ المنصور بسمة المستبد بالحكم ، فان التاريخ ايضا لا ينسى له حسناته ومآثره الساميه . ولئن قلنا ان الادب والشعر لم يبلغ اوجه وذروة نشاطه الا في عهده لما بالغنا في ذلك ، فقد احتشد في بلاطه نوابغ العلماء وجهابذة الادب ، وكان يوليهم رعايته ويغدق عليهم ضروب الكرم والعطاء . فمن ادباء بلاطه المذكورين صاعد بن الحسن الربعي ، وكان متضلعا في الادب واللغه والشعر وقد احتل منزلة سامية بين ادباء قرطبة ، كما ان الاديب حسان بن ابي عبده كان له باع طويل فى الادب والشعر . ويماثله الاديب زيادة الله بن علي ، وفي الشعر ضم بلاط المنصور شاعرين يعتبران من انبغ ما اخرجته الاندلس من الشعراء ، وهما يوسف بن هارون الرمادي واحمد بن دراج القسطلي ، والى جانب هؤلاء برز ادباء وعلماء كثيرون سنتعرض للحديث عنهم فيما يخص كل منهم .

وفي حقل العلوم الدينية لمع اسم الفقيه ابو مروان المعيطي ، وابو عمر احمد بن عبد الملك ، وابن الفرضي وابن حزم الفقيه المشهور . كل هؤلاء العلماء اثروا ميدان العلم بما اضافوه من انتاج علمي يساعدهم في ذلك ما هيأه لهم المنصور من عون وكرم .

ولم يكن سخاء المنصور ورعايته للعلماء تقف عند حد فقد ذكر ان المنصور اغتم لموت الفقيه القاضي محمد بن زرب (٣١٩ ــ ٣٨١هـ/٩٣١ـ٩٩١م) فكتب لورثته

---

١ ــ علي ادهم : المنصور بن ابي عامر ، ص ١٥٦ ــ ١٥٧ .

كتاب رعاية وتكريم ، واستدعى ابنه محمد وهو طفل ومنحه مالا جزيلا . وفي هـذا يقول النباهي (وليس ذلك من افعال المنصور ببدع فقد كان في حسن معاملته للناس والوفاء لهم بمنزلة لا يقوم بوصفها كتاب ، حتى يقال انه لا يأتي الزمان بمثلـه في فضله ، ولا ظفرت الايدي بشكله) . "١"

ومن دلائل الاهتمام العلمي لدي المنصور شغفه العميق بمجالس العلم ، حتى بلغ من عنايته بهذا الشأن ان كان له في كل اسبوع مجلس يجتمع فيه اقطاب الفكر من العلماء والادباء ويأخذون في التناظر فيما بينهم ، والكلام في شتى مسائل العلـم والادب بين يديه ، ولم يكن يشغله عن حضور تلك المجالس والندوات العلميـة الا الجهاد . "٢"

ونظرا لتقريبه للشعراء فقد ادخل نظاما جديدا في تصنيف شعراء بلاطـه وسوف نفصل الحديث عن هذا النظام عند حديثنا عن الشعر .

ومن المؤسف بعد ما ذكرنا ان يتحامل البعض من الكتاب على المنصور وان يتهموا عصره بانه يتسم بالاضمحلال الفكري والتخلف الحضاري عما سبقه من العهـود .

فقد جانب الاستاذ بالنثيا الصواب عندما وصفه بقوله (وكان مـن نتائج استبداده ان تعثرت الحضارة الاندلسية في سيرها على أيامه) ، وقولـه

---

١ ـ تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٨٠ .

٢ ـ الحميدي : الجذوه ، ص ٧٨ ـ المراكشي : المعجب ، ص ٦٠
ـ احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٧٥ وانظر في هذا الصـدد الحميدي نفس المصدر ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ـ المقري : النفـح ، ج ٣ ، ص ٧٧ ـ ٧٨ ـ ٧٩ ـ ٨٠ ـ ٨١ .

(واذا استثنينا بضعة فقهاء مالكيين من طبقة ابن الحذاء (محمد بن يحي بن احمد) وبضعة مؤرخين من طراز ابن الفرضي الذى كان اول من وضع معاجم الرجال بالأندلس فان عصر المنصور لا يمتاز بأي شخصية من الطراز الاول فى ميدان العلوم والفنون) "٢" وقد وافقه احمد هيكل في هذا الرأي • (٢)

والحق ان بالنثيا بما صوره من صورة قاتمة لعهد المنصور يتضح انه ابعد ما يكون عن الصواب • ذلك ان المنصور بما ذكرنا عنه من اهتمام بالحركة العلمية • وحرصه على انطلاقتها انما يمثل استمرارا للروح النشطه للنهضة العلمية في عهد الخليفة الحكم المستنصر • ولعل موقف المنصور من كتب الفلسفة والتنجيم واحراقها ادى الى تعكير سيرته • وموقفه من العلوم المشار اليها فى نظر البعض من العلماء الذين لم يمعنوا النظر فى اعماله • بل اكتفوا بموقفه السابق كشاهد على عدائه للعلم وتثبيطه لسير الحركة العلمية • صحيح انه احرق وغير الكثير من كتب الفلسفة والفلك • ولكنه من جانب آخر بذل الكثير من الجهد في سبيل العلم والمعرفه •

والجدير بالذكر ان احراق المنصور لتلك الكتب لم يكن بدافع الكراهية لتلك العلوم • ولكنه رأى من مصلحته السياسية وهو السياسي المحنك ان يعمل على استرضاء الفقهاء الذين كانوا ينظرون للفلسفة والتنجيم نظرة تتسم بالكراهية والمقت الشديد فاراد بحركته تلك كسب ود الفقهاء والقضاء على كل ما من شأنه الخروج عليه وتعكير صفو الجو السياسي ضده • وليس هذا معناه ان المنصور بن ابي عامر كان يؤيد الخوض في مسائل الفلسفة والتنجيم التى تقدم فى تعاليم الدين وقضايا الشريعه بل كان المنصور صحيح العقيدة سليم النية فيما يتعلق بالدين يدل على ذلك ماأورده ابن عذارى عنه فيقول (كان المنصور متسما بصحة باطنه واعترانه بذنبه وخوفه

---

١ ـ تاريخ الفكر الاندلسي ص ١٢ ـ ١٣ •

٢ ـ الادب الاندلسي • ص ٢٧٤ •

من ربه وكثرة جهاده ، واذا ذكر بالله ذكر واذا خوف من عقابه ازدجر)"١" .

وعليه فان اقدام المنصور على احراق تلك الكتب لم يكن بدافع الرغبة في محو تلك العلوم بل كان ذلك وسيلة لقطع الطريق على من يريد ان يتهمه بفساد عقيدته وضعف ايمانه . وعلى الرغم من حدوث ذلك فان تلك الحركة لم تؤد الى ذلك الجفاف الفكري الذى صوره بعض الكتاب . بل كان تيار الثقافة في قوته وتدفقه مثلما كان في عهد الخليفة الحكم المستنصر ، ولا ادل على ذلك من بروز علماء نابغين في وجوه الفكر المختلفة في عهده ، وقد اشرنا الى بعضهم سابقا وبالاضافة الى ذلك تألق اسم العلامة الفقيه المؤرخ ابن عبد البر النمري الذى لا يكاد ان يغفله اي دارس للحركة العلمية في القرنين الرابع والخامس الهجريين في الاندلس .

كما برز في ميدان العلوم الطبيعيه علماء كبار ففي الطب يتألق اسم الطبيب حسان بن جلجل الذى صنف كتابه في طبقات الاطباء والحكماء في عهد المنصور عام ٣٧٢ هـ . وفى الرياضيات والفلك برز العلامة مسلمة بن احمد المجريطي وتلاميذه النوابغ امثال ابن الصفار وابن السمح وغيرهم ، وفي ميدان التاريخ ظهر المع مؤرخ انجبته الاندلس وهو ابو مروان حيان بن خلف (المولود سنة ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م) ولسنا بصدد احصاء لمن ظهر من نوابغ الفكر في عصر المنصور . ولكن يهمنا الان ان نوضح ان عصره كان خصبا معطاء في ميدان العلم .

وقد اشار احمد هيكل الى ان قوة الدفع الثقافي في عصر الحجابة كان في مستوى قوة الدفع في فترة الخلافه . الا انه لا يلبث ان يشير الى ان سير

---

١ — البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .

الحركة الثقافية كان بطيئا ثم يعود فيعترف بفضل المنصور على الحياة العلمية فيقول :
(وربما كان من عوامل استمرار الثقافة الاندلسية في تلك الفترة على شيئ من السير
ان المنصور بن ابي عامر كان على صلة قديمة بالثقافة قد ارتبط بها منذ نشأته وانه
كان على صحبة قوية للعلماء قد اخذ نفسه بها منذ ولايته) ٠ "١"

وعليه فان المنصور وان نجح في الاستبداد بالسلطة دون الخليفة هشام
المؤيد بالاضافة الى موقفه من كتب الفلسفة فاننا رغم ذلك لا نملك الا ان نعجب به
سواء في ميدان السلم بما يشمله من حضارة ومدنية او في ميدان الحرب كمجاهد
في سبيل الله ٠ "٢"

---

١ ــ الأدب الأندلسي ، ص ٢٧٤ ٠

٢ ــ من المؤسف ان يخلع بعض الكتاب على المنصور صفات لا تليق به كزعيم اسلامي
مجاهد فقد جانب احمد هيكل الصواب عندما وصف سيرته في الجهاد بانها
ادت الى وفرة الغنائم مما ساعد على انتشار اللهو والاقبال على الملذات ،
وان المنصور نفسه قد انهمك في هذه الملذات وما تمسكه بالدين وخروجه
للجهاد الا مجاملة للفقهاء ، ويكفينا للرد على هذا الاتهام ان نستشهد برأي
المؤرخ ابن عذاري في كتابه البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ حيث
يقول (كان المنصور متسما بصحة باطنه ، واعترافه بذنبه وخوفه من ربه وكثرة
جهاده واذ ذكر بالله ذكر واذا خوف من عقابه ازدجر ٠٠٠) كما يذكر
الحميدى في جذوة المقتبس ص ٧٩ (انه غزا ما يزيد على خمسين غزوة
وكان في انصرافه عن الجهاد يجمع غبار ثيابه حتى اذا دنت وفاته اشار
بان ينثر على كفنه) ويصفه ابن الاثير في كتابه الكامل ٠ ط الثالثه ، ج ٧ ،
ص ٢١٨ بقوله (كان حسن الاعتقاد والسيره عادلا كانت ايامه اعيادا
لنضارتها وامن الناس فيها رحمه الله) وبعد هذا كله فهل في سلوكه مجاملة
للفقهاء ٠ وفي ضوء هذه الاقوال لمؤرخين قدامى يتلاشى ما وجهه احمد
هيكل للمنصور من اتهامات خلقية ٠

عهـــد المظفر عبد الملك بن المنصـــور :

وبعد وفاة المنصور تولى ابنه المظفر عبد الملك الحجابة ، وكانـت السلطة المطلقة بيده كأبيه . وكان ذلك عام (٣٩٢ هـ / ١٠٠١م)، وسـار المظفر على خطى ابيه في الجهاد ، وكان عصره خيرا وسلاما على الرعية حـتى وصفت ايامه بانها كانت اعيادا وان الاندلس بلغت فيها نهاية الجمال والكمال . "١"

غير ان المظفر لم يكن كأبيه في الاهتمام بالعلم والادب ، ورغم ذلك فانـه كان بارا بالعلماء والادباء فقد (تمسك بمن كان استخلصه ابوه من طبقات اهـل المعرفة من خطيب وشاعر ونديم وشطرنجي ومعدل وتاريخي وغيرهم . حفظا لصنائع والده ، وقياما برسومه فقررهم على مراتبهم ، ولم ينقصهم سوى الفوز بخصوصيتـه ، وكانت ترفع اليه بطائق اهل الشعر ويصلهم على تساهلهم في مديحه لا مانهم مـن نظره فيها). "٢"

وفي هذا دليل على ما خلفه المنصور بعد موته من اهتمام بالعلمـاء والادباء . وقد تمثل ذلك في التواجد الكبير لأهل المعرفه بمختلف خبراتهم في بلاط عبد الملك بن المنصور الذي برهن على كونه خير حافظ لقيادة المسيرة العلمية بعـد والده .

وبعد حكم دام سبع سنوات توفي عبد الملك المظفر ليتولى اخوه عبد الرحمن منصب الحجابه غير ان عبد الرحمن اساء التصرف بتقربه للخليفة هشام وبأجباره علـى ان يعهد له بولاية العهد وقد ادى ذلك الى زوال نفوذه والقضاء على سلطته ، وكان اسرعهم سخطا وكراهية له الامويون والفوسيون . وقد استغل هـؤلاء غيبة عبد الرحمن بن المنصور في غزوة من غزواته فقتلوا صاحب الشرطه وخلعوا الخليفة

---

١ ـ ابن الابار : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٠ .

٢ ـ ابن بسام : الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة : القسم الرابع ، ج ١ ، ص ٦٠ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، تحقيق ليفي بروفنسال . ص ٨٤ .

هشام المؤيد الذى رضخ لأمر عبد الرحمن في توليته العهد ، وما لبث ان قتل الاخير بعد ان انفض عنه اعوانه عند عودته الى قرطبة ليتولى الامر محمد بن هشام الملقب بالمهدي . "١"

قيام الفتنة وسقوط الخلافة واثر ذلك على الحركة العلمية :ـ

نظرا لموقف البربر من مساندة العامريين فانهم لم يجدوا لهم مكانا لدى الخليفة الجديد مما دفعهم الى اختيار من تطمئن اليه قلوبهم ، فأرادوا تقديم هشام بن سليمان بن الناصر الا ان خصومهم عاجلوهم وقبضوا على هشام وامر المهدي بقتله مما دفع البربر الى مبايعة سليمان بن الحكم بالخلافة ولقبوه بالمستعين وقد دخل في معارك مع المهدي وتم له دخول قرطبه مما اضطر المهدي الى الاستعانة بالاذفونش ولكن المستعين هزمهم وحاصر قرطبة مما دفع المهدي الى احضار هشام المؤيد وبايع له بقصد ان يسكن الاوضاع ، ولكن المستعين والبربر استمروا محاصرين لقرطبة وقتل المهدي خلال ذلك ونصب الناس هشاما للأمر ، واستطاع المستعين ان يدخل قرطبة عام ٤٠٣ / (١٠١٢م) وما لبثت الاندلس ان دخلت في مرحلة قاتمة من الفوضى والصراع السياسي . "٢"

ورغم ان المستعين اظهر بسلوكه هذا لونا من المغامره والمخاطرة بنفسه في سبيل الخلافه . الا انه وصف بالادب وقول الشعر حتى قال فيه ابن بسام (كان سليمان ممن مدّت له في الادب غاية كفي دونها اهل الادب . ورفعت له في الشعر راية مشى تحتها كثير من الشعراء والكتاب . "٣"

---

١ ـ المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

٢ ـ الحميدي : الجذوه ، ص ١٨ ـ ١٩ ـ المراكشي : المعجب ، ص ٦٥ ـ ٦٦ ـ ٦٧ .

٣ ـ الذخيره ، القسم الاول ، ج ١ ، ص ٣٢ ـ ٣٣ . وانظر ايضا المقري : النفح ، ج ١ ، ص ٤٣٠ ـ ٤٣١ . والكتبي : فوات الوفيات: ج ١ ، ص ٣٥٦ .

ومن المؤلم ونحن نتحدث عن الحياة العلمية ان نذكر ما اصاب ذخائر الكتب التي خلفها الخليفة الحكم المستنصر ، حيث اضطر الحاجب واضح الى اخراجها وبيعها اثناء حصار المستعين والبربر لقرطبه . "(٤٠٣ هـ / ١٠١٢م)" "١" .

وقد وصف صاعد طريقة بيع تلك الكتب بانها بيعت بأوكس الاثمان واتفه قيمه وانها انتشرت في انحاء الاندلس . "٢"

ولا شك انه كان لتلك الطريقة في تفرق كتب العلم وجها ايجابيا ، فقد بثت تلك التصانيف والكتب في اصقاع الاندلس ، مما ادى الى اتساع نطاق الحركة العلمية والاقبال الشامل على كتب العلم والاستفادة منها فكانت المشاركة الفعلية على نطاق واسع ، وكان تفرق تلك الكتب بمثابة اشعاع اضاء انحاء الاندلس بعد ان كان مركزا في قرطبة ، مما حمل الناس في مدنهم المختلفة على الاهتمام بالعلوم والأداب .

ولا يفوتنا ان نشير الى ان البربر حين دخولهم قرطبة قد نهبوا ما تبقى من تلك الكتب التي بقيت بعد حركة البيع ، وهكذا فقد كانت نهاية مكتبة الحكم المستنصر التي ضمت ما يقارب اربعمائة الف مجلد — كما يقال — نهاية مؤلمة لورثته ومحبي العلم

---

١ — ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٤ ، ص ١٤٦ .
— جانب القلقشندي الصواب عندما ذكر ان انقراض محتويات مكتبة الحكم المستنصر يعزى الى استيلاء ملوك الطوائف على الاندلس ، والصحيح ما هو مشار اليه في المتن (صبح الاعشي ج ١ ، ص ٤٦٧).

٢ — طبقات الامم ، ص ٨٩ .

اما بالنسبة لأهل الاندلس فقد كانت نعمة لهم ، حيث تسنى لهم تملك الكثير من نفائس الكتب ، ودرر التصانيف وخاصة اذا ما علمنا ان الاندلسيين اشتهروا بحب الكتب وجمعها فكان ذلك سبيلا الى تحقيق آمالهم وامانيهم .

وكان من اثار الفتنة ونتائجها ، مقتل بعض العلماء ممن كان لهم سهم وافر في النشاط العلمي ، وفي مقدمة هؤلاء العلماء المؤرخ والمحدث ابن الفرضي صاحب كتاب تاريخ علماء الاندلس ، والفقيه محمد بن سعيد السري صاحب كتاب روضات الاخبار في الفقه وغيره من الكتب ، وصديقه محمد بن قاسم الاموي وقد اورد خبرهما ابن بشكوال في كتابه الصلة . "١"

ورغم هذه الاحداث المؤلمه فان للفتنة ايضا وجها ايجابيا بالنظر الى موقف العلماء وحالهم مع الفتنة فقد خرج الكثير من علماء قرطبة وادبائها الى المدن الاخرى . فكانوا بمثابة مصابيح اضاءت المدن التي رحلوا اليها واستقروا فيها ، مما كان سببا بارزا في نشر المعرفة والنهوض العلمي ، فقد كان تشتت العلماء وتفرقهم في مدن الاندلس عاملا من العوامل التي ادت الى الازدهار العلمي في عصر ملوك الطوائف في مدن اندلسية كأشبيليه وغرناطه ، وطليطلة ، ودانيه ، وغيرها .

وينتهي عصر الخلافه بزوال نفوذ اخر خليفة وهو هشام المعتد "٢" الذي خلع لتكون نهايته خاتمة لذلك العصر وبداية لعصر آخر له سماته السياسية التي تختلف عما سبقه . ورغم تلك الاحداث المؤلمه التي عصفت بالكيان السياسي للدوله الامويه منذ نهاية عهد عبد الملك المظفر الا ان الحركة العلمية لم تتوقف بل ظلت تشق طريقها وتؤتي اكلها .

---

١ ـ ج ٢ . ص ٤٨٩ ـ ٤٩٠ .

٢ ـ انظر في تفصيل تلك الاحداث بعد مقتل المستعين الى نهاية عصر الخلافه . الحميدي : الجذوة . ص ٢٢ ـ ٢٣ ، والمقري ج ١ ، ص ٤٢٩ ـ ٤٣٨ .

الفصل الثاني

الرحلات العلمية واثرها في النهضة العلمية في الاندلس

أ - ارتحال علماء الاندلس الى المشرق في طلب العلم .

ب - نتائج الرحلات العلمية للاندلسيين الى المشرق .

ج - بروز الشخصية العلمية الاندلسية في عصر الخلافة .

مما يفتخر به المسلمون من سلمات التطور الحضاري والتفوق العلمي ما اعتاد عليه علماؤهم من اتخاذ الرحلات والاسفار بين مراكز العلم في العالم الاسلامي عادة حميدة وسنة كريمة للتزود بالعلوم واكتساب المعرفة ، وقد تولد عن ذلك نشاط علمي باهر في الدولة الاسلامية .

والجدير بالذكر انه كان لموقف الاسلام من العلم والحث على طلبه اثر في اهتمام المسلمين بالرحلات العلمية . فقد حث الاسلام على العلم والسعي في طلبه وتحصيله . حتى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال :
(من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة) و قال عليه الصلاة والسلام : (لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلي مائة ركعة) وفي حديث آخر (اطلبوا العلم ولو بالصين) . "١"

وانطلاقا من هذا الحرص على اكتساب المعارف والتزود بالعلم وتحمل ضروب المشقات والوان التعب في سبيل ذلك . لم يدخر المسلمون في تاريخهم الطويل ايه وسيلة من الوسائل التي تعينهم على بلوغ ذلك الهدف السامي مما كان له اثر كبير في نجاح المسلمين في بناء حضارتهم التى عاشت في كنفها الامة الاسلامية والبشرية جمعاء .

---

١ — الغزالي : احياء علوم الدين ، ج ١ ، ص ٨ — ٩ والحديث الاول اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة . والثاني اخرجه ابن عبد البر من حديث ابي ذر ، والثالث اخرجه ابن عدى والبيهقي في المدخل والشعب من حديث انس وقال البيهقي : متنه مشهور واسانيده ضعيفه .
(نفس المصدر والجزء ص ٨ ، ج رقم ١ ، ٣ ، و ص ٩ ج رقم ١) .

من هذه الوسائل كانت الرحلات العلمية والتي اعتبرها علماء المسلمين ـــــ ضرورية يجب ان يسلكها طالب العلم في حياته العلمية ، وهكذا يتبين (ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخه مزيد كمال في التعلم)"١"

وكان علماء الاسلام يرتحلون فى طلب العلم بين مراكز العلم فى الدولة الاسلامية من حدود الصين شرقا الى الاندلس غربا ، وكانت بغداد ، ومكة المكرمـــــة ، والمدينة المنورة ، والقاهرة ، والقيروان ، وقرطبة وغيرها اكثر مدن الاسلام اشتغالا بالعلم . وكانت مقصد العلماء ، وقبلة طلاب العلم .

===

---

١ ـ ابن خلدون : المقدمـــة ، ص ٥٤١ .

أ — ارتحال علماء الاندلس الى المشرق في طلب العلم :

كان بين الاندلس والمشرق تيار علمي زاخر يتمثل في افواج العلماء الذاهبة والآيبه بين القطرين حتى شبهت بحركة سير النمل فى الذهاب والاياب ٠ "١"

وكان علماء الاندلس اكثر الناس رحلة الى المشرق يتلقون على علمائه العلم ويأخذون عن شيوخه الوان المعرفة ثم يعودون الى بلادهم ينشرون ما اكتسبوه ٠ — واصبح هذا ديدنهم حتى لو اننا تصفحنا كتب التراجم لوقفنا على مدى عنايتهم بذلك ٠ فلا تخلو سيرة اي منهم من الارتحال في طلب العلم حتى عرف ذلك عنهم ووصفهم المقدسي بقوله (يحبون العلم واهله ٠ ويكثرون التجارات والتغرب)٠ "٢"

وكان العالم الاسلامي آنذاك وحدة ثقافية له كيان فكري واحد يختلف ٠ — فالعقيدة الاسلامية صبغت كل نشاط المسلمين بصبغة واحدة ٠ فلا اختلاف بينهم مهما بعدت المسافات ٠ ومهما قامت من حواجز سياسية نتيجة ظهور كيانات متعددة فيه في مختلف العصور كالعباسيين فى المشرق ٠ والفاطميين في مصر ٠ والامويين في الاندلس ٠ وما دام الامر كذلك فلا غرابة ان يتجه الاندلسيون الى المشرق الذى سبقهم في مجال الحضارة بميادينها المختلفة ومنها ميدان العلم ٠ فقد كان الكثيرون من علماء الاندلس يرون في الرحلة الى المشرق وأخذهم عن شيوخه تشريفا وفخرا بين علماء بلدهم ٠ "٣" وعلى العكس من ذلك كان عكوف العالم على الاقامة في وطنه والاكتفاء بتلقي العلم على شيوخ بلده فقط فيه اشارة الى قصوره عن ادراك ما ناله

---

١ — احمد امين : المرجع السابق ٠ ج ٣ ٠ ص ٢٥ — سامي العاني : دراسات في الادب الاندلسي ٠ ص ٩٨ — جبرائيل جبور : ابن عبد ربه وعقده ٠ ص ٤٣ ٠

٢ — احسن التقاسيم ٠ ص ٢٣٦ ٠

٣ — احسان عباس : المرجع السابق ٠ ص ٣٨ — ٣٩ ٠

الآخرون ، وفاز به المرتحلون في طلب العلم ، الذين اتيحت لهم الفرصة في لقاء العلماء في كل قطر اسلامي ، والاخذ عنهم مشافهه .

ومما يدل على عناية الاندلسيين بهذه الظاهرة ان الكثير من اصحاب التراجم يعنون بذكر البلدان التى ارتحل اليها من يترجمون لهم من العلماء فاذا لم تكن لاحدهم رحلة وصفوه بالانقباض والاعتزال عن لقاء الناس ، فيذكر الخشني في ترجمته لأحد العلماء وهو عبد الرحمن بن ابراهيم الزيادي الوشقي "١" بقوله عنه (وكان ملتزما للانقباض عن اهل زمانه لم تكن له رحله) ، "٢"

بل ان العالم منهم اذا لم تكن له رحلة كان يعاب لديهم ، وكأنه بذلك قد لحقه نقص كبير في شخصيته العلمية . "٣"

ولا يعني هذا القول ان من لم تكن له رحلة لم يكن عالما ، او صاحب معرفة بالعلم الذى اختص به ، بل نقصد انه لم يتوفر له ما توفر لغيره من العلماء الذين كابدوا الصعاب وتحملوا المشاق في سبيل التزود بالعلم ، وتوسيع دائرة معارفهم بتنوع مصادر ثقافتهم ودراساتهم (فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ـ ورسوخها) . "٤"

وكان الحج الى مكه يمثل هدفا دينيا باداء هذا الركن الاسلامي من جهة وطلب العلم بعد ذلك من جهة اخرى ، فكان علماء الاندلس يؤدون الحج ثم يتجهون الى المدينة ، للقاء شيوخها وعلمائها ممن اخذ عن الصحابة وتابعيهم

---

١ ـ الوشقي نسبة الى مدينة وشقة بينها وبين سرقسطة خمسون ميلا . وتقع شرقي مدينة تطيله (الحميري : الروض المعطار ، ص ١٩٤ ـ ١٩٥).

٢ ـ تاريخ علماء الاندلس (مخطوط) ورقة ٥٦ ب .

٣ ـ احمد امين : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤ .

٤ ـ ابن خلدون : المقدمة ، ص ٥٤١ .

فيأخذون عنهم العلوم وغالبا ما تكون الحديث والفقه والتفسير والقراءات .

وكان من نتائج استقرار الاحوال السياسية في الاندلس ان انطلق الناس نحو البناء الحضاري ، واخذوا يتلمسون الوسائل في ذلك . وعلى رأس هذه الوسائل التعلم الذى اصبح القاعدة الاساسية في نشاطهم الحضاري . ويمثل عصر الامارة بداية الانطلاق نحو افاق المعرفة ، وكان انطلاقهم هذا يتمثل في اجمل صورة في رحلاتهم العلمية الى مراكز العلم في المشرق . فبعد ان استتبت الاحوال على يد الامير عبد الرحمن الداخل . وبعد ان زالت مخاوف العباسيين من الامويين في الاندلس ، لم يعد هناك ما يبرر عزلة الاندلسيين عن المشرق . فكان الانفتاح على المشرق في عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل .

ورحل الاندلسيون في بداية نشاطهم العلمي في طلب العلوم الدينية الى المدينة بصفة عامه باعتبارها مركز العلم ، والمنبع الاصيل لهذه العلوم ، ولما اتسعت دائرة الاشتغال بالعلوم الاخرى كالرياضيات والفلك والفلسفة والطب وغيرها اتجه المعتنون بها الى بغداد مركز هذه العلوم ومحور نشاطها آنذاك .

ولم يدع الكثير من اولئك العلماء الفرصة في الاستفادة من مراكز العلم التي تقع في طريقهم الي المشرق ، فكان انطلاقهم من الاندلس الى المغرب ليتجهوا نحو القيروان التي كانت من مراكز العلم الهامة آنذاك . ثم منها الى مصر حيث مدينة الاسكندرية التى كانت بدورها ذات نشاط علمي كبير والى جانبها مدينة الفسطاط ثم القاهرة بعد بنائها والتى لم تكن اقل شأنا من غيرها من مراكز العلم في الدولة الاسلامية . ومن مصر تتشعب افواج العلماء الاندلسيين لتكون في اتجاهين : الى الحجاز لمن يطلب العلوم الدينية ، والى العراق لمن يرغب في دراسة العلوم الاخرى والتى سبق اهل العراق الى الاشتغال بها .

وكانت بغداد آنذاك تمثل بوتقة انصهرت فيها تيارات علمية مختلفة من نتاج حضارات اخرى لليونان والهنود والفرس بالاضافة الى ما اضافه علماء المسلمين من انتاج فكري قيم خاص بهم ، ولهذا ففضل المشرق على الاندلس لا ينكر ،

وقد ترتب على ذلك نتائج علمية هامة اسهمت في بناء الكيان العلمي الاندلسي ، ولكن البعض رأى في هذا الاسهام صورة تخالف حقيقة الحال .

ب — نتائج الرحلات العلمية للاندلسيين الى المشرق :

لما كان الاندلسيون قد نهجوا طريق الرحلات العلمية فانه من الطبيعي ان يكون لتلك الرحلات نتائج هامه واثار كبيره ، فبعد تلقيهم العلم على شيوخ وعلماء المشرق كانوا يشدون رحالهم الى وطنهم ليبثوا ما توصلوا اليه من علم ومعرفة .

ويختلف كل فرد منهم عن الاخر في الفترة الزمنية التى يقضيها في اغترابه العلمي عن وطنه ، فهي تتباين بحسب قدرة وطاقة كل منهم على مواصلة الارتحال بين مراكز العلم المنتشرة في العالم الاسلامي بمختلف اقطاره كالعراق ومصر والحجاز واليمن وغيرها .

وكان الكثيرون يعودون بعد رحلة طويلة وغيبة مديده وهم اكثر علما واوسع معرفة فيفيدون وطنهم ويسهمون في بناء كيانه العلمي . وممن يشار اليه بالبنان في هذا الميدان الفقيه ابراهيم بن هارون المصمودي الذى ذكر عنه انه اقام اربعين سنة في قرطبة لطلب العلم ، وكان هذا الفقيه من اهل اشبونه . "١"

كما ان العلامة الوليد بن بكر بن مخلد المتوفي (٣٩٣ هـ) ضرب المثل في تحمل اعباء السفر الشاق في سبيل العلم ، فقد رحل الى مصر والشام والعراق والحجاز وخراسان وما وراء النهر فسمع عن الكثير من العلماء والشيوخ . "٢"

---

١ — ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧ — ١٨ — واشبونه

٢ — ابن تغري بردي : النجوم الزاهره ، ج ٤ ، ص ٢٠٦ — الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، ص ١٠٨٠ — ١٠٨١ . وللوقوف على =

واثمرت الرحلات العلمية للاندلسيين ، فساد الكثير منهم بعلم واسع ، ومعارف غزيرة ، هذا بالاضافة الى حملهم الوان التصانيف ، وضروب التآليف النفيسه لأهل المشرق في مختلف حقول المعرفه ، وفي مقدمة هؤلاء العلماء الفقيه بقي بن مخلد المتوفي سنة ٢٧٦ هـ الذى عاد الى الاندلس بكتب عديده في الوان مختلفة من العلم كالفقه ، والتاريخ والتراجم والتي كان لها بلا شك تأثير عظيم في مد الحركة العلمية الاندلسية بفيض مما فتحته تلك المصنفات من آفاق واسعة للبحث العلمي للاندلسيين فاقبلوا على دراسة تلك الكتب والنظر فيها ، والاستفادة من المناهج العلمية في البحث والتأليف والتي سبقهم اليها المشارقة .

ولعل من ابرز ما نتج عن الرحلات العلمية في عصر الامارة ما تحقق على ايدى العلماء الاندلسيين الراحلين الى المشرق من تأثير قوى في ميدان العلوم الدينية وخاصة فى الفقه فقد استطاع العلامة زياد بن عبد الرحمن اللخمي (ت ١٩٢هـ/٨٠٧م) ومن بعده الفقيه يحي بن يحي الليثي نشر المذهب المالكي في الاندلس ، فالأول بذر البذرة الاولى للمذهب والآخر عني بها واسهم في نموها حتى ساد المذهب المالكي في الاندلس .

وتتابع علماء الاندلس على هذا المنوال في نقل العلوم والمعارف الى وطنهم فبالاضافة الى ما سبق فقد رحل الاديب قاسم بن ثابت (٢٥٥ ــ ٣٠٢ هـ / ٨٦٨ ــ ٩١٤ م) الى المشرق في طلب العلم ، فكان من نتائج رحلته ان جلب معه كتاب العين للخليل بن احمد ، "١" وهو كتاب في اللغه وعلومها كان له تأثير كبير فأقبلوا

= ما كان يتحمله العلماء المسلمون من مشاق ونصب في سبيل العلم ، انظر : ابن الخطيب : الرحلة في طلب الحديث وكذا عبد الفتاح ابو غده : صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل .

١ ــ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٣٦٠ .

على تصفحه والافاده منه .

وكان الشاعر الاديب عباس بن ناصح الثقفي — المعدود من شعراء عصر الاماره يمثل برحلاته العلمية اوضح صور التأثير الثقافي للمشرق في الاندلس . فلقاؤه للاصمعي والحسن بن هانئ وتردده على احياء العرب هنالك انعكس على ثقافتـــه التي اسهمت بدورها في نشاط الحركة العلمية الاندلسية .

ولا يفوتني ان اشير الى ان عباس المذكور لعب دورا هاما في نقل التراث الفكري المشرقي الى الاندلس . فقد كان الامير عبد الرحمن الاوسط مهتما بجمع الكتب وكان لثقته في عباس ومدى ما كان يتمتع به من علم واسع ومعرفة بالوان المعرفة ان أوكل اليـه مهمة جمع الكتب العلمية النفيسة واستنساخها من المشرق . وقد قام عباس بهـذا الدور على الوجه الكامل . "١"

وفي عصر الاماره ادخل العالم الاندلسي فرج بن سلام الى الاندلس بعـض كتب الاديب المشرقي عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ والذى التقى به في العراق واخذ عنه العلم "٢" .

وهذا بلا شك فيه اشارة هامه الى مدى التأثير العلمي للمشرق فى الاندلـس في عصر الاماره الذى كان يمثل مرحلة الاقتباس والنقل والتى ما لبثت ان خفت حدتها بعد فترة من الزمن لتأخذ الاندلس طريقا نحو استقلال الشخصية العلمية والمشاركة في بنـاء الحضارة الاسلامية .

---

١ — طه عبد الحميد حماده : المكتبات في الاسلام ، ص ١٢٢ (نقلا عن ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، ج ١ ، ص ٤٥ — ٣٢٤).

٢ — ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .

ومما لا شك فيه ان عصر الخلافة يمثل وجها جديدا في البناء الحضاري ـ للاندلس ، فقد اخذت حركة نقل التراث الفكري المشرقي التي كانت على اشدها في عصر الامارة تخف وتهدأ .

ففي عصر الخلافة بدأ الاندلسيون يتجهون نحو الاعتماد على انفسهم في بناء كيانهم العلمي ، وبذلك اصبحوا في موقف العطاء والبذل العلمي ، ولا يعني هذا انهم قطعوا علاقتهم بالمشرق بل ظلوا على اتصال به وبعلمائه ولكن في صورة اقل مما حدث قبل هذا العصر . ومن هنا نجد ان ظاهره انتقال الكتب كانت تتم من الشرق الى الغرب على الأغلب ، حيث ان المشرق ـ في عصوره الاولى على الاقل ـ كان متقدما على الاندلس في ميدان النشاط الفكري والتأليف . "١"

وفي عصر الخلافة دخلت بعض الكتب المشرقية الى الاندلس ، فقد عاد ابو الحكم عمر بن عبد الرحمن الكرماني (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) الى الاندلس حاملا معه رسائل اخوان الصفا وكان هو اول من ادخلها . "٢"

وكان العلامة مسلمه بن سعيد يرتحل الى المشرق في طلب كتب العلم وجمعها ثم يعود الى الاندلس حاملا الوان التصانيف في مختلف فروع العلم "٣" وسوف نفصل الحديث عنه فيما يختص بالكتب عند الاندلسيين .

---

١ ـ ماهر حماده : المرجع السابق ، ص ١٩١ .

٢ ـ صاعد : طبقات الامم ، ص ٩٤ ـ ٩٥ ـ ابن ابي اصيبعه : عيون الانباء ، ص ٤٨٤ ـ ٤٨٥ .

٣ ـ ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

ويتضح من خلال سير من تقدم من العلماء ان التأثير الفعال للرحلات العلمية للاندلسيين كان في عصر الامارة • ولكن لما كان لذلك التأثير من القوة والدفع ما نتج عنه ازدهار النشاط العلمي • ورقي الحركة العلمية بعد ذلك — اى في عصر الخلافة — فقد رؤى وجوب الاشارة الى اولئك العلماء • ونظرا لخشية التكرار فسوف نؤجل الحديث عن اهم الشخصيات العلمية المرتحلة الى المشرق الى حين التعرض لكل منهم فيما يختص به من علم •

وكانت تحدث موجات رحيل معاكسة فيرحل بعض علماء المشرق الى الأندلس لينشروا علومهم هناك • وليبلغوا بذلك الجاه والمنزلة عند السلطان ، ويأتي في مقدمتهم من ذوي الشهرة العلمية الاديب اللغوى ابو على القالي الذى حظي بمنزلة كريمة لدى الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ، وتبعه ايضا في عصر المنصور العلامة صاعد بن الحسن الذى دخل الاندلس (٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م) ، وقد اسهم العالمان في نشاط الدراسات الادبية واللغوية فى الاندلس وخاصة ابو علي القالي • "١"

وقد عقد المقري بابا ضمنه ابرز علماء المشرق الوافدين الى الاندلس فقال (اعلم ان الداخلين للاندلس من المشرق قوم كثيرون لا تحصر الاعيان منهم فضلا عن غيرهم ومنهم من اتخذها وطنا ، وصيرها سكنا الى ان وافته منيته • ومنهم من عاد الى المشرق بعد ان قضيت بالاندلس منيته) • "٢"

وهذا بلا شك يوضح ما كانت عليه الاندلس آنذاك من نشاط علمي جذب العلماء من خارج الاندلس للمشاركة في نهوض الحركة العلمية • كما انه يدل على ما كان يتمتع به حكام الاندلس من حب للعلم وتشجيع للعلماء • وما رحيل ابي علي

---

١ — سوف نتعرض الى مكانتهما العلمية عند الحديث عن الأدب واللغة •

٢ — نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٥ •

القالي ، وصاعد بن الحسن الى الاندلس الا دليلا على ذلك •

ومن كبار العلماء الوافدين على الاندلس • المحدث عبد الرحيم بن احمد التميمي البخاري (٣٨٢ هـ ـ ٤٧١ هـ) الذى عده العلماء في طبقة ابن حزم وابن عبد البر النمري • ووصفه المقري بقوله : (الذى اعتقده انه لم يدخل الاندلس من اهل المشرق احفظ منه للحديث ، وهو ثقة عدل ليس له مجازفة والحق ابلج) • "١"

والحق ان دخول هذا العلامة الاندلس فيه دليل كبير على ما بلغته من مستوى علمي باهر اذ ان هذا المحدث رغم ما وصف به من حفظ للأحاديث وتضلع في علم الحديث الا انه سمع من شيوخ الاندلس • "٢" وكفي بذلك شهادة على الازدهار العلمي للاندلسيين آنذاك وكيف انهم اصبحوا في موقف العطاء العلمي •

وممن وفد على الاندلس من العلماء ثابت بن محمد الجرجاني الذى وصفه ابن الخطيب بالكامل وذلك لسعة علمه ، وعمق معرفته بالادب واللغة بالاضافة الى ما تمتع به من فروسية وشجاعة • "٣"

وكان على منواله الاديب ابو وهب عبد الرحمن العباسي (ت٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م) الذى وصف بتنوع معارفه وتفننه في العلوم والآداب • وانه كان ينهج طريقة الفلاسفة في التفكير والكلام • "٤"

---

١ ـ نفس المصدر والجزء ، ص ٦٣ ـ ٦٤ •

٢ ـ المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٦٣ •

٣ ـ الاحاطه في اخبار غرناطه ، ج ١ ، ص ٤٥٤ •

٤ ـ ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٨ ـ ٥٩ •

بروز الشخصية العلمية الاندلسية في عصر الخلافـــة

=============================

وكما قلت من قبل كان للرحلات العلمية التى قام بها الاندلسيون الى المشرق لتحصيل العلوم والاداب اثر كبير في وسم نشاطهم العلمي بسمة مشرقية • وكانـت هذه السمة اكثر وضوحا فيما قبل عصر الخلافة • ولعل ذلك عائد الى ما فرضـــه التقدم الحضاري للمشرق من سيادة فكرية على بقية الافكار الاسلامية الاخرى ممن لـم تصل في مستوى حضارته ورقيه العلمي أنذاك •

وكان المشرق ابان ذلك الوقت يمثل في نظر الاندلسيين مصدر الحضارة ومنبع العلم مما فرض عليهم الاتجاه في رحلاتهم العلمية الى مراكز العلم في المشـــرق ليقتبسوا الوان الثقافة عن علمائه وفقهائه • "١"

ولا ادل على اعجاب الاندلسيين بالمشرق ، وما كانوا يبدون نحوه من آيات الأجلال والأكبار من ابيات شعريه قالها الفقيه الاندلسي المشهور ابن حزم حيـث ضمنها اعجابه بالمشرق وحنينه الى لقاء علمائه فيقول من ضمن تلك الابيات :

انا الشمس في جو العلوم منيـــــرة ... ولكن عيبي ان مطلعي الغـــرب

ولو انني من جانب الشرق طالـــــع ... لجد على ما ضاع من ذكري النهب

ولي نحو اكناف العراق صبابــــــة ... ولا غرو ان يستوحش الكلف الصب

فان ينزل الرحمن رحلي بينهـــــم ... فحينئذ يبدو التأسف والكـــرب

---

١ ـ احمد حسن الزيان : تاريخ الادب العربي ، ص ٣١٣ ـ عبد الكريم التواني : مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ، ص ٦٦٥ •

٢ ـ الحميدي : الجذوة ، ص ٣١

فابن حزم رغم قدراته العلمية العميقة ، وما كان يتمتع به من علم واسع في الكثير من العلوم والمعارف ، كان لا يزال يتطلع الى المشرق ، ويرنو بناظريه الى اكناف العراق ، حيث نوابغ العلماء ، وجهابذة الفكر الاسلامي .

واهم ميادين العلم ، التى اصطبغت بسمة التقليد والمحاكاة عند الاندلسيين هي الدراسات الادبية ولكن رغم ذلك فان (من الخطأ الكبير الا يخايلنا عند دراسة الادب الاندلسي الا هذا الاستقلال في الشخصية الاندلسية لأننا ندرس ادبا يستند الى حضارة مشتركة في الشرق والغرب ، فلو لم يكن التقليد مقصودا لكان التشابه ايضا محتوما) . "١"

وعليه فان الدراسات العلمية والوان الثقافة في اقطار العالم الاسلامي شرقه وغربه تخضع في مجموعها لسمة التشابه ، وذلك لارتكازها على لغة وثقافة اسلامية واحده وهذا بلا شك يؤدي بالضرورة الى ما وصفناه ، فمن العسير اذا ان يطالب الاندلسيون بالتوصل الى نتائج علمية لم يصل اليها المشارقة ما دام الامر على هذه الحال .

اما بالنسبة للعلوم الدينية من فقه وحديث وتفسير وقراءات ، فمن عوامل وجود الشبه والتقارب بين الدراسات الاندلسية والمشرقية هو اتحاد المصدر وهو القرآن الكريم والسنة الشريفة ، واللذان انبثقت عنهما علوم الدين المذكوره فمن الطبيعي وقد اتحد المصدران ان تتحد النتيجة او تتقارب . "٢"

اما بقية العلوم الاخرى فقد كانت بعيدة نسبيا عن دائرة التقليد وبالتالي خلت الكثير من جوانب دراساتها من سمة التشابه .

---

١ — احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٣٩ — ٤٠ .
٢ — احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٧ — ٢٨ .

ويشير عبد الكريم التواتي الى قضية التأثير العلمي للمشرق في الاندلس وهو في ذلك يبدى اقتناعه بان صورة الحركة العلمية في الاندلس انعكاس للثقافة المشرقية فيقول — بعد عرض مسهب لذلك الموضوع — (وهذا ما يجعلنا نعتقد ان دراسة الحياة الفكرية في الشرق قد تغني الى ابعد الحدود عن دراستها في الاندلس العربية) • "١"

ولا شك ان في هذا القول مجافاة للصواب وتجني سافر على التراث الثقافي الاندلسي ووصفه بالصورة التقليدية وانه مجرد انعكاس لصورة الثقافة المشرقية في مرآة التقليد والمحاكاه •

ووجه الحق ان الاندلسيين قد حققوا — خاصة في عصر الخلافة وما تلاه من عصور — حضارة علمية رفيعة تشهد لهم بطول الباع والنبوغ الفكري حتى قال ابن حزم في هذا الصدد — بعد ان ذكر براعة اهلها في العلم والمعرفة — (وبلدنا هذا على بعده من ينبوع العلم ، ونأيه عن محلة العلماء فقد ذكرنا من تآليف اهله ما ان طلب مثلها بفارس والاهواز وديار مصر وديار ربيعه واليمن والشام اعوز وجود ذلك على قرب المسافة في هذه البلاد من العراق التي هي دار هجرة الفهم وذويه ومراد المعارف وأربابها) • "٢"

فأين وجه الحق بين هذين القولين • ان الحق بلا شك يبدو واضح السمات جليا ظاهرا في قول ابن حزم الذى هو اعرف واخبر بما كان عليه بلده وما ضمه من

---

١ — مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ، ص ٦٧٧ •

٢ — المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ١٧٧ •

علماء بارعين اسهموا في نشاط الحركة العلمية وقدموا للعلم عطاء سخيا يتمثل في انتاجهم العلمي النفيس والذى لا يزال اهل المشرق يكنون له اعظم تقدير وتكريم الى وقتنا الحاضر . "١"

واذا كان من الانصاف ان نشير الى فضل ما قدمه المشرق للاندلس في الميدان العلمي فان من الحق ايضا ان نشير الى ان الاندلسيين بعد ذلك وخاصة في عصر الخلافة قد نفذوا من دائرة التقليد الى محيط الابداع العلمي مع بروز الشخصية العلمية في ميدان الفكر . ففي القرن الرابع الهجري بدأت الحركة العلمية الاندلسية تتخذ قالبا جديدا وشكلا مغايرا لما سبق فضلا عن سعيها الى اثبات ذاتها ، واستقلالها الشخصي عن المشرق فاهتمت منذ ذلك الحين بحاضرها وادركها ما يشبه الشعور القومي ، وكان للحكم المستنصر اثر بارز في بناء الكيان العلمي للاندلس ، والعمل على استقلال الشخصية العلمية للاندلس ورفع شأنها وذلك بما هيأه من مسائل علمية لتحقيق ذلك الهدف ، فاذا بالمكتبة الاندلسية تزخر بعيون التصانيف والمؤلفات وهكذا وجدت الاندلس رجالها وتاريخها وفكرها فتحدثت عنه وخلدته . "٢"

وبعد هذا كله فمن غير الانصاف ان ننفي عن الاندلسيين سمة الابداع وبالتالي نصفهم بالتبعية الثقافية للمشرق واضمحلال شخصيتهم العلمية في موجة التقليد والمسايرة لغيرهم (واذا كان من الخطأ ان تقف ابصارنا على صورة الاستقلال الذاتي في الشخصية الاندلسية ، فمن الخطأ ايضا الا نرى في الانتاج الاندلسي الا صورة

---

١ ـ انظر فيما بعد القسم الثاني لتلمس الانتاج العلمي الرائع للاندلسيين في مختلف الوان المعرفة .

٢ ـ احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، ص ٧٩ .

مشوهة من ادب المشارقة)« "١"

ومن هنا نلمس الوضوح التام لمعالم الشخصية العلمية للاندلسيين وان عصر الخلافة كان يمثل الصرح الشامخ للثقافة الاندلسية ، والتي بدت اكثر استقلالا واعتزازا بذاتها .

وعليه فان النهضة العلمية في الاندلس انذاك بلغت الذروة ، واصبحت في درجة لا تقل عن نظيرتها في المشرق بدليل الاعداد الهائلة لعلماء الاندلس في شتي حقول المعرفة وما انتجوه من نفائس الكتب في ذلك ، والتي اتضحت معها - الشخصية العلمية للاندلس التي استقلت الى حد كبير . "٢"

وتبعا لذلك فان هناك دلائل ومؤشرات انبثقت عن شعورهم بحتمية الاستقلال الفكرى ، واثبات قدرتهم على صنع حضارتهم وصبغها بالسمة الاندلسية . وتتجلى لنا نزعة الاندلسيين الى الاستقلال وتطلعهم الى اثبات قدراتهم الشخصية في المعترك العلمي بما يروى عن الحكم المستنصر الذى كان يفاخر بعلماء بلده ويعتز بقدراتهم العلمية امام منافسيهم من اهل المشرق ، فيقول في احد علماء الاندلس" اذا فاخرنا أهل المشرق بيحي بن معين فاخرناهم بخالد بن سعد " . "٣"

ويحي المذكور (١٥٨ - ٢٣٢م :/ ٧٧٤ - ٨٤٧م) أحد حفاظ الحديث وعلمائه الكبار من اهل المشرق . ووصفه الذهبي بسيد الحفاظ وكان ذا بصر بالجرح والتعديل "٤" وقد كان هذا العلامه يمثل بعلمه الواسع وثقافته الرفيعة مثالا بارزا على التألق العلمي للمشارقه . ولما كان خالد بن سعد متضلعا في الحديث ومعرفة

١- احسان عباس : نفس المرجع ، ص ٤٠ .

٢- احمد هيكل : الادب الاندلسي ، ص ١٩٠ .

٣- ابن العماد : شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ج ٣ ، ص ١١

٤- الزركلي : الاعلام ، ج ٨ ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

علومه كان هذا دافعا للخليفة المستنصر للاعتزاز بمكانته العلمية ونبوغه الواضح وكونه فخرا للاندلس كما ان يحي فخر اهل المشرق في الحديث ٠

ومما روي في ذلك ان الاديب المشرقي صاعد بن الحسن دخل على الحاجب المنصور بن ابي عامر ، وكان صاعد يرتدي ثيابا جديده ، فمشي على جانب البركة ، لازدحام الحاضرين في الصحن فزلقت رجله فسقط في البركة ٠ فضحك المنصور والحاضرون واشار باخراجه من الماء فأخرج وقد اضربه البرد فأمر له بكسوة واشار عليه بان يصف حالته وسقوطه في الماء شعرا ٠ فقال صاعد بيتا من الشعر استبرده المنصور ٠ وكان في الحاضرين ابو مروان الجزيري احد ادباء الاندلس فانشد شعرا على لسان صاعد يصف سقوطه في الماء وابدع ابو مروان في ذلك مما ادخل السرور على المنصور فقال :

" لله درك : قسناك بأهل العراق ففضلتهم فبمن نقيسك بعد " ٠ "١"

وتؤكد هذه الحادثة ما سبق قوله من تطلع الاندلسيين الى قمة التنافس ، وصدارة الموكب العلمي آنذاك ٠

وعندما وفد ابو علي القالي على الاندلس سنة ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م ، امر الخليفة عبد الرحمن الناصر ان يرافقه وفد من العلماء ، يصحبه الى ان يصل الي بلاط الخلافة ، وفي طريقهم الى قرطبه ، كانوا يتجاذبون الحديث في الأدب حتي قال ابو علي القالي بيتا من الشعر ، الا ان احد الادباء من الوفد ويدعى ابن رفاعه الالبيرى عارض ابا علي في كلمة وردت في ذلك البيت ٠ ولكن الاخير تمسك برأيه حولها ، مما أسخط ابن رفاعة ، فانصرف عن صحبة الوفد قائلا : " مع هذا يوفد على امير المؤمنين وتتجشم الرحلة لتعظيمه وهو لا يقيم وزن بيت مشهور

---

١ — الازدي : بدائع البدائه ، ص ٣٥٥ — ٣٥٦ — المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ٩٥ ٠

بين الناس لا تغلط الصبيان فيه ؟ والله لا تبعته خطوة " وفارق الوفد ، ولما وصل خبر ذلك الى الحكم المستنصر وكان وليا للعهد قال : " الحمد لله الذي جعل في بادية من بوادينا من يخطيء وافد اهل العراق الينا " . "١"

ولا شك ان هذه القصة تضيف قوة الى ما اوردناه من ظواهر الاعتزاز بالشخصية الاندلسية ، وتوضح مدى ثقتهم بمستواهم الفكري امام الثقافات الأخرى الوارده عليهم بل انهم اصبحوا على قدم المساواة مع اندادهم من اهل المشرق حضارة وعلما ، حتى روى المقري ان ابن سعيد ـ المؤرخ الاندلسي ـ قال انشدني والدي للحافظ ابي الطاهر السلفي قال وكفى به شاهدا بقوله مفتخرا :ـ

بلاد اذربيجان في الشرق عندنا كأندلس بالغرب في العلم والادب
فما ان تكاد الدهر تلقي مميزا من اهليهما الا وقد جد في الطلب "٢"

وعندما وفد ابو علي القالي على الاندلس ، تحدث عن نظرته الى اهالي الاقاليم التي مر بها في طريقه الى الاندلس ، ودرجاتهم في العلم ، فلما وصل الى القيروان وخرج منها لاحظ انه كلما بعدت ديارهم عن القيروان كلما كان ذلك ادعي الى قلة فهمهم وقصر علمهم ، حتى كأن قربهم وبعدهم من المدينة المذكورة ـ مقياسا على نباهتهم او قصور افهامهم ، وحتى قال ابو علي : " ان نقص اهل الاندلس عن مقادير من رأيت في افهامهم بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم ، فسأحتاج الى ترجمان بهذه الاوطان " . "٣"

---

١ ـ المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ٧٠ ـ ٧١ .
٢ ـ المقري : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٢٤ .
٣ ـ ابن بسام : الدخيره ، القسم الاول ، ج ١ ، ص ٤ .

ولكن هل صدق ظن ابي علي فاحتاج الى ترجمان في مخاطبة اهل الاندلس ، والتحدث معهم ؟ وهل كان الاندلسيون على بعدهم عن مراكز العلم في المشرق في مستوى علمي ضئيل ، ورداءة في الافهام ، تؤكد ظن القالي ، وترسخ في ذهنه ما دار في حياته ؟

ان الامر كان بخلاف ذلك ، فقد ظهرت شمس الحقيقة للقالي عندما حل بين الاندلسيين فقد هاله ما رأى من تمكنهم في ضروب العلم والادب ورسوخ اقدامهم في ذلك وفي ذلك يقول ابن بسام بعد ايراده الخبر السابق (فبلغني انه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من اهل هذا الافق في ذكائهم ، ويتغطى عنهم عند المباحثة والمناقشة ويقول لهم : " ان علمي علم رواية ، وليس بعلم درايه ، فخذوا عني ما نقلت : فلم آل لكم ان صححت " .

هذا مع اقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات والأخذ عن الثقات) . "١ "

ولا شك ان هذا اقرار من القالي ببراعة الاندلسيين واتساع معارفهم ، وعلو مستواهم العلمي ، وفي ذلك اشارة ايضا الى بروز الشخصية العلمية للأندلسيين واثبات لقدراتهم في الميدان الفكري وانهم ليسوا بأقل من غيرهم علما ومعرفة .

والى جانب شهادة القالي بفضل الاندلسيين في الميدان العلمي فقد اورده المقري في معرض افتخار ابو الوليد اسماعيل بن محمد الشقندي بفضائل الاندلس ، وبراعة اهلها في العلم والادب ، وذلك ردا على احد علماء المغرب وهو ابن المعلم الطنجي الذى فضل المغرب على الاندلس وانها اوسع علما وازهر حضارة ، فكتب الشقندي رسالة في تفضيل الاندلس على غيرها في ميدان العلم ، وفي ختام الرسالة قال .. مخاطبا لابن المعلم ـ (وانا احكي لك حكاية جرت لي في مجلس الفقيه

---

١ ـ نفس المصدر والجزء والصفحة .

الرئيس ابي بكر ابن زهر ، وذلك أنّي كنت يوما بين يديه ، فدخل علينا رجل عجمي من فضلاء خراسان ، وكان ابن زهر يكرمه فقلت له : ما تقول في علماء الاندلس وكتابهم وشعرائهم ؟ فقال : كبرت . فلم افهم مقصده ، واستبردت ما أتى به ، وفهم مني ابو بكر ابن زهر أني نظرته نظر المستبرد المنكر ، فقال لي : اقرأت شعر المتنبي ؟ قلت نعم ، وحفظت جميعه ، قال فعلي نفسك اذن فلتنكر وخاطرك بقلة الفهم فلتتهم . فذكرني بقول المتنبي :

كبرت حول ديارهم لما بدت

منها الشموس وليس فيها المشرق

فاعتذرت للخراساني ، وقلت : قد والله كبرت في عيني بقدر ما صغرت نفسي عندي ، حين لم افهم مقصدك . "١"

ولكن قد يقول احدهم ان شهادة ابي علي القالي والعالم الخراساني السابق الذكر انما اتت من قبيل المجاملة لان الاثنين كانا في ضيافة الاندلسيين فمن غير الطبيعي ان يأتيا بغير ذلك ؟ ولكن نقول اذا صح هذا وهو امر بعيد ، أن المتنبي وهو الذى يعد من اشهر شعراء الاسلام ان لم يكن اشهرهم — قد شهد لابن عبد ربه الشاعر الاندلسي عندما سمع شعره من احد علماء الاندلس في مصر ، فقد احسن ابن عبد ربه في شعره ما اطرب المتنبي وصفق بيديه وقال : " يا ابن عبد ربه لقد تأتيك العراق حبواً ، " ٢ "

---

١ — النفح ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ .

٢ — ياقوت : معجم الأدباء ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣ — المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ٥٦٥ .

ثم لا ننسى ان الحسن ابن هاني المعروف " بأبي نواس " وهو من نوابغ الشعراء في العراق قد شهد للشاعر الاندلسي عباس بن ناصح بالتقدم عليه في ميدان الشعر وقد اشرنا الى ذلك عند الحديث عن الشعر في عصر الاماره •

فاذا كان الامر كذلك فقد وضح الحق وانكشفت المزاعم التي الحقها البعض من الكتاب حول الحركة العلمية في الاندلس ، وانها تقليد وصورة مشوهة لثقافة المشرق •

وقد ألف ابن حزم رسالة في فضل الاندلس وجهود علمائها في ميدان الانتاج — العلمي وختم رسالته بعقد مقارنة بين نوابغ العلماء الاندلسيين في حقول المعرفة المختلفة وبين اندادهم من المشارقة • وتعتبر هذه الرسالة من اعظم شواهد التفوق العلمي للاندلسيين منذ بداية عصر الامارة الى عصر المؤلف نفسه • وهي بلا شك تعطينا دليلا حاسما على نضوج الشخصية العلمية للاندلسيين وتفوقها • "١"

ومن الغريب بعد ما تقدم ان يصف احد المؤرخين والجغرافيين — ممن عاصر هذه النهضة العلمية من علماء المشرق وهو ابن حوقل الذى دخل الاندلس في عصر عبد الرحمن الناصر — ان يصف اهل الاندلس بقوله : " ومن اعجب احوال هذه الجزيرة (الاندلس) بقاؤها على من هي في يده مع صغر احلام اهلها • وضعة نفوسهم ونقص عقولهم •• " • "٢"

---

١ — نظرا لاهمية هذه الرسالة ودلالتها الواضحة على التقدم العلمي للاندلسيين في عصر الخلافة وما قبله • فقد رؤي وضعها في ختام الرسالة كملحق من الملاحق •

٢ — صورة الارض ، ص ١٠٤ •

ويكفي للرد على هذه المزاعم ما قاله الجغرافي المشرقي والذى عاصر ابن حوقل وهو محمد بن احمد المقدسي لنعرف الفرق الشاسع والتباين الواضح بين ما زعمه الاول وادعاه وما قاله الثاني انصافا للحقيقة وانتصارا للحق ، يقول المقدسي : (وقد دلت الدلائل واتفقت الاراء على انه مصر جليل رفق طيب وان ثم عدلا ونظرا وسياسة وطيبة ونعما ظاهرة ودينا ..... غزاة ابدا في جهاد وتغير مع علم كثير وسلطان خطير وخصائص وتجارات وفوائد) . "١"

ويبدو ان سبب تحامل ابن حوقل على الاندلسيين هو تشيعه للفاطميين وولاؤه لهم وهو امر اشار اليه اثناء كلامه عن الاندلس ، فيقول (ومن اعجب احوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع صغر احلام اهلها وضعة نفوسهم ونقص عقولهم ، وبعدهم عن البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراس الأنجاد والابطال وعلم موالينا عليهم السلام بمحلها في نفسها ومقدار جبايتها ومواقع نعمها ولذاتها) . "٢"

وبهذا يتضح لنا تحامله على الاندلسيين وتحيزه لمواليه من الفاطميين ، ولا يستبعد ايضا ان يكون قد دخل الاندلس كمين للفاطميين لمعرفة احوال الاندلس والاطلاع على مظاهر قوتها وضعفها .

وختاما يتبين بوضوح ما نجم عن الرحلات العلمية من اثار ونتائج علمية كبيرة للاندلسيين حيث كانوا في بدء اشتغالهم بالعلوم ينقلون عن المشارقة علومهم ومعارفهم ، وبمرور الوقت اخذ نشاطهم العلمي يتخذ اتجاها مغايرا لاتجاهه الأول حيث رأوا من واقع الانتماء لوطنهم ان تكون لهم شخصية علمية مستقلة يثبتون من خلالها

---

١ ـ احسن التقاسيم ، ص ٢٢٣ .

٢ ـ صورة الارض ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

انهم اقدر على صنع حضارتهم وبناء كيانهم العلمي بأنفسهم ، فكان عصر الخلافة درة مضيئة في جبين التاريخ الاندلسي تشهد لأهله بنبوغهم العلمي وبقدرتهم على اثبات ذاتهم في ميدان الحضارة الاسلامية .

==========

الفصل الثالث

الكتب والمكتبات في الاندلس

ا ـ عناية الاندلسيين بالكتب

ب ـ اهتمام الاندلسيين بجمع الكتب واقتنائها ، وأنشاء المكتبات .

مكتبة الخليفة الحكم المستنصر ـ مكتبة المنصور بن ابي عامر ـ مكتبة الوزير ابي المطرف عبد الرحمن بن فطيس ـ مكتبة محمد بن يحيى الغافقي القرطبي .

جـ ـ حرفة الوراقة في الاندلس واثرها في النشاط العلمي .

أ ـ عناية الاندلسيين بالكتب :

لما كان الكتاب يمثل بما يحويه من ثمرات الفكر الانساني وسيلة هامة من وسائل العلم والمعرفة في اى عصر من العصور ، وفي اى مجتمع من المجتمعات لذا فمن الطبيعي ان نقف على مقدار الاهمية العظمي التي تعطي الكتاب في الحياة العلمية لدي اي امة من الامم .

ولما كانت الاندلس قد دخلت ميدان الحياة العلمية فقد اعطت الكتاب المنزلة اللائقة به في خضم النشاط العلمي الذى عايشته وبلغت به درجة رفيعة بين الاقطار الاسلامية .

وفي عصر الخلافة كانت الحاجة ماسة الى الكتب والتآليف العلمية ، وذلك نتيجة لازدهار الحركة العلمية والاقبال الشديد على المعرفة ، وكانت قرطبة تحتل الصداره في النشاط والازدهار العلمي ، فكان اهلها اكثر الاندلسيين عناية واهتماما بالكتب حتى قال احد علماء الاندلس يصف هذه الظاهرة العلمية عند اهل قرطبة : (واهلها أشد الناس اعتناء بخزائن الكتب . صار ذلك عندهم من آلات التعين والرياسة حتى ان الرئيس منهم الذى لا تكون عنده معرفة يحتفل في ان تكون في بيته خزانة كتب وينتخب فيها ليس الا لأن يقال : فلان عنده خزانة كتب ، والكتاب الفلاني ليس هو عند احد غيره والكتاب الذى هو بخط فلان قد حصله وظفربه) . "١"

---

١ ـ المقري : النفح ، ج ١ ، ص ٤٦٢ ـ ٤٦٣ .

وقد حظي الكثير من علماء الاندلس بمكانة اجتماعية رفيعة بين افراد المجتمع ، فبعلمهم احتلوا المنزلة السامية بين السلطان والرعية على حد سواء ، لهذا فقد تطلع البعض ممن لم يتمكن من التعلم واكتساب المعرفة الى التشبه باولئك العلماء ومسايرتهم في بعض مظاهر سلوكهم كالاهتمام بالكتب والعناية بها ، فأقبلوا يزينون منازلهم بخزائن الكتب لينالوا من وراء ذلك مكانة وجاها بين الناس ، وليقال انهم من ذوي المعرفة ، أو على الاقل من محبي العلم •

ولم يكن الاهتمام بالكتب وقفا على مدينة قرطبة ، بل تعداها الى المدن الاندلسية الأخرى والتي نعمت هي بدورها بالتطور العلمي والازدهار الثقافي وفي مقدمة تلك المدن اشبيليه ، وطليطلة ، ومرسيه ، وغرناطه ، ويذكر انه كان في المدينة الأخيرة سبعون مكتبة عامه غير المكتبات الخاصة • "١"

ومن دلائل عناية الاندلسيين بالكتب — حتى بين من لم تكن لهم سابقة في العلم والمعرفة — ، ما رواه احد العلماء القرطبيين ويُدعي الحضرمي بقوله (اقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة اترقب فيها وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء الى ان وقع وهو بخط جيد وتسفير "٢" مليح ففرحت به اشد الفرح فجعلت ازيد في ثمنه • فيرجع الى المنادي بالزيادة علي • الى ان بلغ فوق حده • فقلت له : ياهذا • أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه الى مالا يساوى • قال : فأراني شخصا عليه لباس رياسه ، فدنوت منه وقلت له : اعز الله سيدنا الفقيه • ان كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت الزيادة بيننا فوق حده • قال : فقال لي : لست بفقيه و لا ادري ما فيه ، ولكني اقمت خزانة كتب ، واحتفلت فيها لا تجمل بها بين اعيان البلد ، وبقي فيها موضع يتسع هذا الكتاب • فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ولم أبال بما ازيد فيه ، والحمد لله على ما انعم به من الرزق فهو كثير • قال

---

١ — عمر كحاله : مقدمات ومباحث في حضارة العرب والاسلام ، ص ٢٤٤ •

٢ — التسفير : التجليد •

الحضرمي فاحرجني وحملني على ان قلت له : نعم لا يكون الرزق كثيرا الا عند مثلك يعطي الجوز من لا عنده اسنان ، وأنا الذى اعلم ما في هذا الكتاب ،واطلب الانتفاع به يكون الرزق عندي قليلا وتحول قلة ما بيدى بيني وبينه) ٠ "١"

ونلمس في هذا النص عدة فوائد منها ما كان للكتب من اهمية عظيمة ولنه كانت لها سوق خاص بها يتم فيه بيعها وشراؤها بالاضافة الى ذلك المستوى الفني الرفيع الذى صاحب هذه الحركة العلمية من الاهتمام بالخط وتجليد الكتب كما ان في النص دليل واضح على ما كان للكتب من منزلة سامية في قلوب الاندلسيين العالم منهم والأمي ٠

ونتيجة لهذا الازدهار العلمي السائد في الاندلس ان كانت هناك منافسات علمية بين المدن الاندلسية المختلفة ، وأيها اكثر علما ومعرفة ، حتى قامت مناظرات في التفضيل بين تلك المدن ٠ ومن جملة ما حدث من تلك المناظرات ما تم بين يدي ملك المغرب المنصور يعقوب "٢" حيث دارت بين العالمين ابن رشد وابن زهر مناظرة وكان كل منهما يسعى الى تفضيل مدينته على مدينة الآخر فأخذ ابن زهر في تفضيل وتقديم اشبيليه — مسقط رأسه — على مدينة قرطبه ، فانبرى

---

١ — المقرى : النفح ، ج ١ ، ص ٤٦٣ ٠

٢ — احد سلاطين الموحدين بل يعد من اشهرهم ، واسمه يعقوب بن عبد الحق ابن محيو بن بكر من قبيلة زناته يكنى بابي يوسف ويلقب بالمنصور ، وكان له فضل كبير في الحاق الهزيمة بالنصارى في الاندلس سنة ٦٧٢ هـ وتوفي سنة ٦٨٥ هـ ٠

(ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٤ ، ص ٣٥٨ — ٣٥٩ — ٣٦١) ٠

له ابن رشد قائلا : ما ادرى ما تقول غير أنه اذا مات عالم باشبيليه فأريد بيع كتبه حملت الى قرطبه حتى تباع فيها وان مات مطرب بقرطبه فأريد بيع الاته حملت الى اشبيليه . "١"

وعلى الرغم من ان هذه المناظرة التى حدثت بين هذين العالمين كانت في عصر الموحدين — اى في القرن السادس الهجرى — الا انها تدل على ان قرطبه احتفظت بمكانتها العلمية بعد انقضاء قرنين على ما وصلت اليه من ازدهار في عصر الخلافة .

والحق ان ما اشار اليه ابن رشد في وصفه لأهل اشبيليه فيه مبالغة اذ انه عرف عن اهلها المنافسة الشديدة لأهل قرطبة في ميدان العلم حتى انه نسب اليها اعداد كبيرة من العلماء وخاصة في عصر ملوك بني عباد في القرن الخامس الهجرى .

ولعل من دلائل نهضة اشبيليه وتألقها العلمي انه كان بها سوق خاص بالكتب يتردد اليه اهل الادب والعلم بحثا عن نفائس الكتب ونوادرها هذا بالاضافة الى انه كان لعناية اهلها بالكتب واشتغال الكثير منهم بتجارتها ان كان بها شارع يسمى شارع الوراقين . "٢"

وبهذا يتضح ان العناية بالكتب واقتنائها لم يكن وقفا على قرطبه بل تعداها الى المدن الاخرى . كما ان الاهتمام بالكتب لم يكن موضع عناية المسلمين في الاندلس

---

١ — المقري : النفح ، ج ١ ، ص ١٥٥ — ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الاندلس ، ص ٦٥ .

٢ — خوليان ريبيرا : المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية ، ترجمة جمال محمد محرز ، مجلة معهد المخطوطات العربية م ٥ ، ج ١ ، ص ٧٨ ، مايو ١٩٥٩ م).

فقط بل شاركهم في ذلك المسيحيون من اهل البلاد ، فقد كتب مطران قرطبه الفارو في القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى (ان جميع المسيحيين المميزين بالذكاء كانوا يعرفون لغة العرب وآدابهم ، ويقرأون ويطالعون كتب العرب بولع ، ويجمعون مكتبات كبيرة من تلك الكتب بنفقات باهظه) . "١"

اهتمام الاندلسيين بجمع الكتب واقتنائها ، وانشاء المكتبات نتيجة للازدهار العلمي الذى نعمت به الاندلس آنذاك — وما استتبع ذلك من الاهتمام بالكتب والحرص على جمعها — ان ظهرت في ذلك العصر ظاهرة العناية بالكتب وتفشت بين الكثير من افراد المجتمع الاندلسي ، ويأتي في مقدمة من اعتني بجمع الكتب الخليفة الحكم المستنصر الذى كان يستهدف من وراء ذلك توفير وسائل النهضة العلمية في وطنه فعمد الى جمع الكتب وحرص على اقتناء نفائس المصنفات ونوادر التأليف الاسلامية منها وغير الاسلامية وبلغ من حبه للكتب وسعيه في جمعها انه (لم يسمع في الاسلام بخليفة بلغ مبلغه في اقتناء الكتب والدواوين وايثارها والتهمم بها) . "٢"

والجدير بالذكر ان الخليفة الحكم المستنصر نهج عدة وسائل في سبيل جمع الكتب من شتى البقاع ، فكان له وراقون منتشرين في اقطار العالم الاسلامي يسعون لاقتناء نفائس الكتب ونوادرها . ومن بين اولئك الوراقين طائفة لازمت مدينة بغداد بالاطلاع على كل جديد في العلوم والاداب ، وكان احدهم ويدعي محمد بن طرخان

---

١ — روبرت بريفالت : اثر الثقافة الاسلامية في تكوين الانسانيه ، ص ١٤٥ .

٢ — ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٠١ .

يقوم بهذه المهمة على الوجه المطلوب تحقيقا لرغبة مولاه الحكم المستنصر . "١"

وهكذا نلمس مدى ما كان يوليه الخليفة الحكم لهذا الجانب العلمي من عناية كبيرة واهتمام بالغ ، وقد وصف ليفي بروفنسال هذه الظاهره العلمية بقولـــه :

(ان شبكة حقيقية لحساب العاهل الاسباني من الباحثين والسماسرة والنساخين قد انتشرت واخذت تتابع تحرياتها عن التآليف في طول العالم الاسلامي وعرضه) . "٢"

ومما يؤكد عناية الخليفة الحكم بالكتب وما يخرجه العلماء من انتاجهم العلمي حرصه على الاطلاع على ما يؤلفه بعضهم قبل ان يخرجوه للناس ، فقد بعث الى ابي الفرج الاصفهاني بمال جزيل ليبعث اليه بنسخة من كتابه الاغاني فارسلها اليه قبل ان تراها الاعين في العراق . "٣"

ونتيجة لهذا الحرص الشديد على اقتناء كتب العلم ان دخلت الاندلس اعداد هائلة من الكتب في شتى حقول المعرفة فالى جانب الكتب الاسلامية كانت هناك كتب من تراث الاوائل ككتاب الحساب الهندي المعروف عند العرب " بالسند هند " الذي صاحب دخوله الاندلس دخول الارقام الهندية التي ما لبثت ان انتقلت الى اوروبا . "٤"

---

١ ـ ابن الابار : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٠٢ ـ ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٤٦ ـ المقري : النفح ، ج ١ ، ص ٣٨٦ ـ عبد الرحمن الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص ٢٩٩ ـ عمر كحاله : مقدمات ومباحث ص ١٤٣ ـ انيس النصولي : المرجع السابق ، ص ١٢١ ـ حنا الفاخوري : تاريخ الادب العربي ، ص ٧٩٣ ـ آدم متز : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٢٢ ـ مصطفى الشكعه : الادب الاندلسي : ص ١٠٢ .

٢ ـ حضارة العرب في الاندلس ، ص ٦٣ ـ ٦٤ .

٣ ـ المراكشي : المعجب ، ص ٦١ ـ ٦٢ ـ ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٤٦ ـ المقري : النفح ، ج ١ ، ص ٣٨٦ .

٤ ـ عبد الجليل الراشد : التقدم الفكري عند اهل الاندلس ، مجلة المؤرخ العربي العدد الثالث عشر ، ص ١٣٥ .

ومن الكتب القديمة التي دخلت الاندلس كتابا هروشيش وديسقوريدس الاول في التاريخ والثاني في النباتات الطبيه وكان الامبراطور ارمانوس السابع قد اهداهما للخليفة عبد الرحمن الناصر ٠

ويبدو ان اهتمام الخليفة الحكم المستنصر بالكتب لم يعرف حدودا ولا قيودا ، بل كان شغفه بها عاما ينسحب على كل الوان المعرفة ٠ فقد استجلب من بغداد ومصر والشام وغيرها من ديار المشرق عيون التآليف النفيسه ، والمصنفات الغريبة الاسلامية وغير الاسلامية (وجمع منها في بقية ايام ابيه ثم في مدة ملكه من بعده ما كاد يضاهي ما جمعته ملوك بني العباس في الازمان الطويلة ، وتهيأ له ذلك لفرط محبته للعلم وبعد همته في اكتساب الفضائل وسمو نفسه الى التشبه باهل الحكمة من الملوك ، فكثر تحرك الناس في زمانه الى قراءة كتب الاوائل وتعلم مذاهبهم)٠ "١"

ولعل في هذا النص دليل على مدى التأثير الكبير الذى نجم عن دخول الوان التصانيف والكتب العلمية الى الاندلس وكيف انها اثرت في مفاهيم الناس وافكارهم فبسبب اهتمام الحكم المستنصر بكتب الاوائل ان كثرت في عصره هذه الكتب واطلع عليها الناس وعرفوا ما فيها فكان لذلك اثر في انصراف الكثير منهم الى دراسة علوم الاوائل كالفلسفة والرياضيات والفلك وغيرها مما نجم عنه ظهور تيارات علمية مختلفة في هذه العلوم المشار اليها ٠ وهذا بلا شك احدى النتائج الهامه التي انبثقت عن ظاهرة الاقبال على الكتب العلمية واقتنائها لدى الاندلسيين ٠

١ـ صاعد : طبقات الامم ، ص ٨٨ ٠

وكان لشغف الحكم المستنصر باقتناء الكتب انه كان يبث في مختلف اقطار العالم الاسلامى الى جانب الوراقين من تجار الكتب نساخين مهره ينسخون له مالم يستطع وراقوه شراءه من الكتب لنفاستها وحرص اصحابها عليها ، فكان له اعداد كبيره من الناسخين ينسخون له الكتب في القاهرة وبغداد ودمشق والاسكندرية وغيرها من مراكز العلم ٠ "١"

===

---

١ ـ آنخل بالنثيا : المرجع السابق ، ص ١٠ ٠

مكتبة الخليفة الحكم المستنصر :

نتيجة لتلك الجهود الجبارة في ميدان العناية بالكتب والاهتمام بجمعها ، تقاطرت على قرطبه اعداد هائلة منها ، واصبح لدي الخليفة الحكم مجموعة عظيمة من المصنفات ولو تصورنا الحالة التي كانت ترد فيها الكتب الى الاندلس ، وكيف ان اعوان الحكم المستنصر المنتشرين في الاقطار قد سعوا في جلب ما يرضي ميول الحكم ، وان قرطبة كانت تستقبل بين آونة واخرى افواجا من الكتب التي يمشها الوراقون من مختلف الاصقاع لادركنا ضخامة ما ضمته خزائنه من تصانيف العلم . (حتى غصت بها بيوته ، وضاقت عنها خزائنه) . "١"

وازاء هذا الوضع فقد رسم الحكم المستنصر خطة لانشاء مكتبة عامره تكون نفعا له ولطلاب العلم ايضا . ولا يفهم من هذا انه لم يرث عن ابيه عبد الرحمن الناصر شيئا من الكتب فقد ورث عنه ثروة طيبة من الكتب كانت نواة واساسا لمكتبة عظيمة نماها الحكم ورعاها وامدها بذخائر نفيسة من التآليف العلمية حتى اصبحت في صورة فريدة لم يجمع مثلها اى خليفة في الاسلام وبلغ من ضخامة محتويات تلك المكتبة ان اشتهر امرها في الاوساط العلمية في العالم الاسلامي ، واصبحت مثلا بارزا على الازدهار العلمي والنشاط الفكري حتى غدت تلك المكتبة من اعظم خزائن الكتب في الاسلام وتقف موقف الند مع خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد وخزانة الفاطميين بالقاهرة . "٢"

---

١ ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٠١ .

٢ ـ القلقشندي : صبح الاعشي ، ج ١ ، ص ٤٦٦ ـ ٤٦٧ .

ويذكر ابن حزم محتويات مكتبة الخليفة الحكم المستنصر فيقول (واخبرني " قليد " الفتى ـ وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالاندلس ـ أن عدد الفهارس التي كانت (فيها) تسمية الكتب اربع واربعون فهرسة في كل فهرسه خمسون ورقة ليس فيها الا ذكر أسماء الدواوين فقط) . "١"

ونستشف من هذا النص امورا كثيرة لعل اولها ضخامة ما حوته تلك المكتبة فاذا كان ما وصف في هذه الفهارس الا الدواوين فقط فما بالنا بمصنفات العلم وكتب المعرفة الأخرى التي ولا شك ستكون اعظم واكثر عددا . بالاضافة الى ذلك نلمس مما ذكره ابن حزم مستوى ما كانت عليه تلك المكتبة من تنظيم فالمكتبة كانت مرتبة حسب المواضيع اي ان كل موضوع له فهارسه الخاصة به ، وهذا يشبه ما يسمى الآن ـ بالفهرسه الموضوعية او الفهرسة حسب الموضوعات . "٢"

واذا كان الامر كذلك فقد يتساءل البعض كم كانت تحوي هذه المكتبة من نفائس الكتب ؟

يذكر المقري عند حديثه عن مكتبة الخليفة الحكم المستنصر (انه جمع من الكتب ما لا يحد ولا يوصف كثرة ونفاسة حتى قيل انها كانت اربعمائة الف مجلد ، وانهم لما نقلوها اقاموا ستة اشهر في نقلها) . "٣"

وقد اشار الى هذا العدد الهائل من الكتب الكثير من الكتاب المحدثين

---

١ ـ جمهرة انساب العرب ، ص ١٠٠ ـ ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٤٦ ـ المقرى : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٨٧ .

٢ ـ ماهر حماده : المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

٣ ـ نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٩٥ .

من كتبوا عن ذلك الخليفة وتعرضوا لسيرته العلمية • "١" بل ان زيغريد هونكه تشير الى ان تلك المكتبة ضمت نصف مليون من الكتب القيمة "٢" واخيرا يأتي احد الكتاب الغربيين وهو وليم د رابر فيشير في كتابه المنازعة بين العلم والدين الى مكتبة خلفاء بني امية بقرطبه وانها اشتملت على ستمائة الف مجلد ، وان فهرس اسماء تلك الكتب يتألف من اربعة واربعين مجلد "٣" •

ولكن اليس من حق الباحث أن يقف قليلا قبل ان يسلم بهذا العدد الهائل من الكتب والذي تبدو فيه سمة المبالغة ؟ حقا ان الحكم اقتنى في مكتبته المذكورة اعدادا كبيرة من الكتب • ولكن الباحث في التاريخ الاسلامي يستشف ان بعض المؤرخين المسلمين قد اعتادوا الاسراف والمبالغة فيما يخص المقادير الكمية والارقام العددية للاشياء ، كأعداد الجيوش او البنائين أو الثروات وغير ذلك ممن يرون في كثرته وضخامة عدده رفعة وتمجيدا لذوي الشأن من السلاطين والحكام •
ولا يستبعد ان اطلاق هذا الرقم الكبير على محتويات مكتبة الحكم المستنصر قد اتى من قبيل اضفاء سمات الازدهار العلمي على عصر الحكم المستنصر الذى هو في غنى عن ذلك بما اسداه للحياة العلمية من جهود مخلصة ومثمرة لم يسبقه الى ذلك اي حاكم في الاندلس من قبل ومن بعد وهذا ما شهد به التاريخ • "٤"

---

١ — عبد الرحمن الحجي : المرجع السابق ، ص ٣١٧ — السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافه ، ج ٢ ، ص ١٦٢ — مصطفى الشكعه : المرجع السابق ، ص ١٤٣ — محمد عبد العزيز : المرأة العربية في الاندلس ، مجلة المؤرخ العربي • العدد الثالث عشر ، ص ١٠٦ —: Thomas Irving;
Falcon of Spain, P192-Titus Burckhardt:Moorish Culture inSpain, P37

٢ — شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٣٥٣ •

٣ — عمر كحاله : مقدمات ومباحث ، ص ٢٤٣ — ٢٤٤ •

٤ — من المؤسف ان لم يبق كتاب واحد من ذخائر تلك المكتبة التي جمعها الحكم =

كما ان مصادر التاريخ الاندلسي الاولى لم تذكر ايا من الارقام المذكورة ، فلم يشر اليها ابن الفرضي او الحميدي او الضبي او ابن بشكوال او ابن الابار .

ثم ان تدقيقنا في النص الذى اورده المقري يعطينا شيئا من الشك وعدم التثبت من صحة الخبر ، فما يراد في النص" حتى قيل " فيه اشارة الى خلو النص من اليقين والتثبيت .

مكتبة المنصور بن ابي عامر :

اتى بعد الخليفة الحكم المستنصر ابنه هشام المؤيد الذي كان معتزلا لشئون الدولة لتسلط المنصور بن ابي عامر على الأمر وتولية زمام الامور ، لذلك فالمنصور بن ابي عامر هو الاحق بالحديث . فقد كان للمنصور مكتبة كبيرة اختصها وولده من بعده ، وكان يقوم على النظر فيها والاشراف على محتوياتها العلامة الوراق محمد بن عبد الرحمن بن معمر اللغوي القرطبي (ت٤٢٢ / ١٠٣١ م) وكان لمهارته في الخط وشئون الوراقة اثر في معرفته الجيدة بشئون الكتب وصيانتها وأصلاح ما قد يكون في خطوطها من اخطاء ، فكان يقوم على فحصها ويقابل بين نسخها ، هذا بالاضافة الى براعته في التاريخ فقد ألف مصنفا في تاريخ العامريين . "١"

= المستنصر ، بيد ان ليفي بروفنسال اشار الى انه عثر على مجلد منها في فاس وهو يحمل تاريخ ٣٥٩ هـ وفيه دلالة على انه نسخ لأمر الخليفة الحكم . (انظر حضارة العرب في الاندلس ، ص ٦٥) .

١ — ابن الابار : التكملة ، ج ١ ، ص ٣٨٤ — خوليان ريبيرا : المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، م ٥ ، ج ١ ، ص ٧٤ .

وفي هذا دلالة على ماكان للمنصور من جهد بارز في النشاط العلمي في عصره وانه كان يتمتع بروح علمية واهتمام بكتب العلم ، وفيه ايضا رد على من وصف عصره بالانحطاط في الميدان العلمي .

مكتبة الوزير ابي المطرف عبد الرحمن بن فطيس :

وبرز الى جانب ما ذكر من الممتنين بالكتب علماء اجلاء عرفوا بالعناية بالكتب والاهتمام بجمعها حتى اشتهر ذلك عنهم ويأتي في هقدمة هؤلاء العلامة الوزير ابى المطرف عبد الرحمن بن فطيس وكان في عهد المنصور بن ابي عامر (٣٤٨ — ٤٠٢ هـ / ٩٥٩م — ١٠١١م) وقد عرف عنه الشغف الشديد بكتب العلم والسعي في اقتنائها فاجتمع له بذلك خزانة ضخمة من غرر التصانيف وبلغ من عنايته بذلك انه كان اذا سمع بكتاب عند احدهم كان يبعث في شرائه ويبالغ في ثمنه فاذا لم يبعه صاحبه والا انتسخه ورده عليه . "١"

ونتيجة لهذا الاهتمام البالغ فقد اجتمع لدى العلامة المذكور اعداد هائلة من الكتب في شتى الوان المعرفة وبلغ من غزارتها ان اهل قرطبه اجتمعوا لبيعها مدة عام كامل وكانت هذه السنة سنة الفتنة ، وما ترتب عليها من الاضطراب والفوضى ، ورغم ذلك فقد اجتمع فيها من الثمن اربعون الف دينار قاسميه . "٢"

---

١ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٣١٠ — ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج ١ ، ص ٤٧٨ — آدم ميتز : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٢٦ .

٢ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٣١٠ .

— الدينار القاسمي نسبة الى الامام القاسم المأمون والذى حكم قرطبه من سنة ٤٠٨ هـ الى سنة ٤١٢ هـ (المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٣١) . انظر ايضا Lavoix:Catalogue Des Monnaies Musulmanes "Espagne Et Afrique",pp.110-114

وقد وصف ابن فرحون سيرة ابن فطيس ومبلغ عنايته بالكتب بقوله (جمع من الكتب في انواع العلم ما لم يجمعه احد من اهل عصره بالاندلس) . "١"

والحق ان ذلك العالم كان يمثل الوجه المشرق للنشاط العلمي في عصر المنصور فقد اثبت من خلال سلوكه عمق اخلاصه للعلم ، وحبه الشديد للكتب والتصانيف وخاصة اذا علمنا انه استفاد من تلك الثروة العلمية ، فقد خصص له في داره مجلسا حرص على ان يتوفر فيه المناخ المناسب للبحث والاطلاع ، فكان هذا المجلس (عجيب الصنعه ، حسن الأله ، ملبس كله بالخضره جدرانه وابوابه وسقفه وفرشه وستوره ونمارقه . وكل ذلك متشاكل الصفات قد ملأ بدفاتر العلم ودواوين الكتب التى ينظر فيها ويخرج منها وبهذا المجلس كان انسه وخلوته رحمه الله) . "٢"

ولا شك ان في هذا النص دلالة واضحة على ما ذكرناه عنه فقد كان يأنس في خلوته الى كتب العلم فأفاده ذلك كثيرا حتى وصف بانه (كان من جهابذة المحدثين وكبار العلماء والمسندين ، حافظا للحديث وعلله ، منسوبا الى فهمه واتقانه ..) "٣"

كما اتصف ابن فطيس بالحرص الشديد والعناية البالغة بكتبه وحفظها وصونها من العبث والضياع ، فلا يفرط فيها ولا يتساهل في اخراجها حتى انه لم يمر كتابا من

---

١ ـ الديباج المذهب ، ج ١ ، ص ٤٧٨ .
٢ ـ النباهي : تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٨٧ ـ ٨٩ .
٣ ـ ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣١٠ .

كتبه ابدا ، واذا ما ألح عليه احدهم في كتاب من كتبه اعطاه للناسخ لينسخ منه نسخة فيعطيه اياها والا استبقاها عنده اذا لم يأخذها ذلك الشخص . "١"

وقد سلك هذه الطريقة الكثير من العلماء حرصا منهم على كتبهم ان اعتبروها من نفائس ما يملكون من اشياء ، وكانوا يجدون فسحة في ارضاء من يطلب منهم كتابا من كتبهم وذلك بنسخه واعطائه نسخة منه وفي هذا يقول احد العلماء وهو محمد بن الفرج الانصاري (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) .

يا مستعير كتابي انه علق بمهجتي وكذاك الكتب بالمهج

فانت في سعة ان كنت تنسخه وانت من حبسه في اعظم الحرج "٢"

مكتبة محمد بن يحيى الفانقي :

وممن اشتهر بجمع الكتب والعناية بها الاديب محمد بن يحي الفانقي القرطبي ويعرف بابن الموصل (ت ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م) وقد وصف بحبه البالغ للكتب ومعرفته التامة بغرائبها ونفائسها ، فكان عارفا بخطوطها حتى كان الجميع يحتكم اليه في افضلية الخطوط وأيها احسن ، وبلغ من اهتمامه بالكتب ان آثرها على كل لذة حتى اجتمع لديه من الكتب مالم يجتمع عند احد بعد الحكم المستنصر . "٣"

وكان لمعرفة الفانقي بالكتب ودرايته الواسعة بالوان التصانيف ان ضمت خزانته نسخا بديعة من الكتب بخطوط مؤلفيها فكان لديه اصلاح المنطق بخط ابي علي القالي ، والغريب المصنف اصل ابي علي ، ونوادر ابن الاعرابي بخط أبي موسى

---

١ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٣١١ .

٢ — ابن بشكوال : نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٥٣٩ .

٣ — ابن الابار : التكمله ، ج ١ ، ص ٣٨٧ — خوليان ريبيرا : المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا ، معهد المخطوطات العربية ، م ٥ ، ج ١ ، ص ٧٥ .

الحامض ، وتاريخ ابي جعفر الطبري بصلة الفرغاني بخط ابن ملوك الدمشـــقي وقد بيعت هذه التصانيف بعد موته وكان لنفاستها اثر بالغ في ارتفاع اثمانها حتى قومت الورقة في بعض الكتب بربح مثقال ٠ "١"

وما من ريب ان في ذلك اشارة واضحة الى مدى ما اتصف به الاندلسـيون من اهتمام وعناية بالكتب واستعداد الكثير منهم ببذل الغالي من الاثمان في سـبيل المعرفة بشراء كتبها ٠ وفيه دلالة ايضا على الرقي العلمي الذى كان يعيشه المجتمع الاندلسي في ذلك العصر ٠

ومما يؤسف له ان الكثير من العلماء المشتغلين بالعلم والمعتنين بالكتب لا يلبث احدهم ان يموت حتى تتفرق كتبه وتجد طريقها الى سوق الكتب لبيعهـا ٠ وهذا بلا شك عائد الى ما يتصف به ورثة العالم من صفات العلم او عدمها ، وان حادثة تفرق كتب الخليفة الحكم المستنصر وابن فطيس والغافقي لدليل واضح على هذه — الظاهرة المؤلمه اذ قلما نجد الخلف امينا على ما تركه السلف من تراث علمي عزيز على النفس ٠

وكان البعض من المعتنين بالكتب يشتغل بالنسخ كالعلامة احمد بن عباس بن ابي زكريا الذى برع في نسخ الكتب وكان ذا خط بديع واشتهر بجمع الكتب وتخير نفائسها (مغاليا فيها ، نفاعا من خصه بها لا يستخرج منها شيئا ، لفرط بخله بها ٠ الا

---

١ — ابن الابار : نفس المصدر والجزء والصفحة ٠

— المثقال : اشار المقدسي في كتابه احسن التقاسيم ، ص ٢٤٠ ٠ الى العملات والموازين التي يستعملها اهل الاندلس ثم ذكر ضمن حديثه المثقال وان الدينار لديهم يزن عنه بحبه ٠ كما يشير ابن خلدون الى ان وزن المثقال من الذهب اثنتان وسبعون حبه من الشعير ٠ وبناء عليه فربح المثقال يساوى ما وزنه من الذهب الخالص ثمانية عشر حبه من الشعير ٠
(انظر المقدمه ، ص ٢٦٣) ٠

لسبيلها حتى لقد اثرى كثير من الوراقين والتجار معه فيها وجمع منها مالم يكن عنده ملك)٠ "١"

ونلحظ في النص اشارة هامة الى دور الوراقين في الحركة العلمية ، وانهم اسهموا بقدر كبير في ازدهارها ٠ وان الكثير منهم كان يؤدي عمله في خدمة ذوي الثراء من العلماء كالعلامة المذكور مقابل ما كانوا يلقون على ذلك من مكافآت سخية مما جعل حرفة الوراقة آنذاك من اهم الحرف في المجتمع الاسلامي بالاضافة الى ما اتصفت به من رفعة وسمو لكونها في خدمة العلم والمعرفة ٠

والى جانب ما ذكر فقد عرف عن هشام بن عبد الرحمن (ت٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م) جودة النسخ والاهتمام بالكتب وحيازته للكثير منها "٢" كما ان الفقيه محمد بن يوسف بن الفرضي (ت ٤٠٣ / ١٠١٢ م) ، كان جماعا للكتب حتى اقتنى منها عددا كبيرا لم يقتنيه احد من اهل قرطبه ٠ "٣"

ومن الطريف انه كان لاحد العلماء وهو احمد بن محمد الاموي الطليطلي المعروف بابن ميمون (٣٥٣ - ٤٠٠ هـ / ٩٦٤ م - ١٠٠٩ م) مكتبة عامرة مليئة بالكتب والوان التصانيف ٠ وحدث أن شب حريق هائل في اسواق طليطلة وامتدت النيران الى دار ابن ميمون فالتهمته الا الزاوية التي بها الكتب ، وكان في ذلك الوقت مشغولا بالجهاد ، فعجب الناس من ذلك وظلوا يختلفون الى الدار المحترقة في دهشة وتعجب ، ونظرا لما تمتع به ذلك العلامة من اجادة للنسخ فقد كان

---

١ - ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ٠

٢ - ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٥٠ ٠

٣ - ابن بشكوال : نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٥٣ - آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٢٧١ ٠

الكثير من كتبه بخط يده ٠ "١"

وقد كان للمرأة الاندلسية جهد وافر في هذا الميدان العلمي الهام ، حيث كان لأحداهن وهي عائشة بنت احمد (ت ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م) مكتبة عامرة بالكتب ، مع اتصافها باجادة النسخ وحسن الخط ٠ "٢"

كما اشتغل الكثير من العماء بمهمة البحث عن الكتب في مختلف الاقطار وادخالها الاندلس ، فهذا احدهم وهو سلمة بن سعيد (ت٤٠٦ هـ/ ١٠١٥م) قد آب من احد سفراته الى الاندلس بثمانية عشر حملا مشدوده من الكتب ، وقد عرف عنه كثرة التجوال في اطراف بلاد المشرق لجمع كتب العلم واقتناء نفائسها فكلما اجتمع له مقدار صالح نهض به الى مصر ثم ينطلق منها الى الاندلس ، ومن الطبيعي انه لم يتم له ذلك الا بمال جزيل اعانه على شراء الكتب والبحث عن نفائسها ٠"٣"

وبناء على ما تقدم فان ظاهرة اقبال الاندلسيين على كتب العلم وحرص الكثير منهم على اقتنائها لهي دليل ساطع على ما اتصف به المجتمع الاندلسي في عصر الخلافة من رقي علمي وازدهار حضاري رفيع ٠

والحق ان الاندلسيين بما عرف عنهم من ميل شديد لاقتناء الكتب وتكوينهم المكتبات انما يمثلون وجها مشرقا في حياتهم العلمية في صورة قلما نجدها في اي قطر من الاقطار الاسلامية ، ولا ادل على ذلك من سعي الكثير من الاميين الى دخول حلبة التنافس مع المهتمين من العلماء بذلك ولعل قصة الحضرمي فيها ما يؤكد ذلك ٠

---

١ — ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢ ٠

٢ — ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٩٢ ٠

٣ — ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٥ — خوليان ريبيرا : المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، م ٥ ، ج ١ ، ص ٧٦ ٠

حـ ـ حرفة الوراقة في الاندلس واثرها في النشـــــاط العلمـي

==============================

اولا : ظهور صناعة الورق في الاندلـــــس :

==============================

جديربالذكر قبل الحديث عن اسهام فئة الوراقين في ازدهار الحركة العلمية ان نشير الى احدى فضائل الحضارة الاسلامية الاندلسية على اوروبا ، وهي صناعـــة الورق . فقد اشتهرت الاندلس وخاصة مدينة شاطبه بصناعة الورق الفاخر الذي كان لنفاسته صدى عظيم في العالم الاسلامي آنذاك . وكان بالمدينة المذكورة مصانـــع كبيرة للورق في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادى . ثم انتقلت صناعته الـى مدينة طليطلة منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادى . "١"

وكان لبراعة اهل شاطبة في صناعة الورق وتفوقهم في ذلك ، ان كانـــوا يصدرونه الى كافة ارجاء الاندلس ، والى ذلك يشير ياقوت بقوله (وهى مدينـــة كبيرة قديمة ، قد خرج منها خلق من الفضلاء ، ويعمل الكاغد الجيد فيها ، ويحمل منها الى سائر بلاد الاندلس) . "٢"

بل انه ذكر أن الاندلسيين كانوا يصدرونه الى المشرق وهو ما أشار اليـه الادريسي . "٣"

---

١ ـ عبد الرحمن بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الاوروبي ، ص ٣٨ ـ ماهـر حماده : المرجع السابق ، ص ٧٤ ـ محمد كرد علي : الاســـــلام والحضارة العربية ، ج ١ ، ص ٢٦٠ .

٢ ـ معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٠٩ .

٣ ـ عبد الرحمن بدوي : المرجع السابق ، ص ٣٨ ـ روبرت بريفالت : المرجع السابق ، ص ١٧٣ ـ أ. سيديو : تاريخ العرب العام ص ٤٢٥ .

وهذا بلا شك يعطينا دلالة واضحة على ان صناعة الورق كانت موجودة في الاندلس في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادى بخلاف من قال بغير ذلك من الكتاب . "١"

ويدل على ذلك ايضا ما ذكر من انه قد عثر في مكتبة الاسكوريال على مخطوطة مكتوبة في سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م على ورق مصنوع من القطن ، وتدل على ان العرب اول من احل الورق محل الرق . "٢"

===

---

١ — يذكر جلال مظهر في كتابه حضارة الاسلام ، ص ٣٨٥ . ان صناعة الورق دخلت الاندلس في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادى ، والحق ما اشير اليه اعلاه لتضافر المعلومات التاريخية التي تنص على ان الورق وجد في الاندلس في القرن الرابع الهجرى .

٢ — غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٤٨٢ .

ثانيا : دور الوراقين في ازدهار الحركة العلميـــة :

كان من نتائج صناعة الورق في العالم الاسلامي ، وانتشار استعماله ان ظهر في المجتمع الاسلامي طائفة من المشتغلين بشئون الكتاب من نسخ وتجليد وتجاره "١" ، وهؤلاء هم الوراقون الذين كان لهم يد بيضاء على الحضارة الاسلامية ، وقد عرف عن وراقي الاندلس انهم امهر الوراقين واحذقهم في هذا الميدان ووصفت خطوطهم بانها مدوره . "٢"

وفي عصر الامارة كانت دكاكين الوراقين قليلة الا ان حرفة نسخ الكتب وتجليدها كانت مزدهرة من قبل ، وخاصة فيما يتعلق بتجهيز النسخ الجذابه للقرآن الكريم . "٣"

وقد قام بالعمل في هذا الميدان الحضاري في عصر الخلافة الكثير من الاشخاص الذين رأوا في هذه المهنة اشرف عمل يقربهم الى الثواب الطيب والذكر الحميد ، وعلى سبيل المثال قام يوسف بن محمد الهمداني (ت٣٨٣ هـ/٩٩٣ م) بنسخ تفسير وتاريخ الطبري وتميز الهمداني بروعة خطه وجماله . "٤"

---

١ ـ اضاف عمر كحاله الى هذه المهمات التي يؤديها الوراقون مهمة رابعة وهي بيع الورق وسائر ادوات الكتابة كالاقلام والحبر (مقدمات ومباحث ، ص ٢١٥).

٢ ـ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٩ .

٣ ـ Thomas Irving : Falcon of Spain, P.160.

٤ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ .

ونظرا للخدمات الجليلة التي يقدمها الوراقون للعلم ، فقد كان الكثير من العلماء المشتغلين بالتأليف والبحث العلمي يوظفون لديهم طائفة منهم ليقوموا بنسخ ما يهمهم من التصانيف ، فالخليفة الحكم المستنصر لعنايته الكبيرة بشئون العلم والمعرفة جند طائفة من الوراقين ـ للعمل في قصره الذى ضم مكتبته الكبيرة ـ فخصص للوراقين جناحا كبيرا في ذلك القصر ليقوموا بأداء عملهم فيه "١" . ولا شك انه كان لاولئك الوراقين دور في ترتيب وتنظيم مكتبة الحكم المستنصر ، وذلك لسعة ثقافتهم وعمق معرفتهم بشئون الكتب وما يتعلق بها .

ومن ابرز أولئك الوراقين عباس بن عمرو بن هارون الكناني (٢٩٥ ـ ٣٧٩ هـ/ ٩٠٧ ـ ٩٨٩ م) وكان من اهل صقلية وقدم الاندلس بعد عروجه على القيروان ، فدخل الاندلس ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م وكان الحكم المستنصر آنذاك لا يزال وليا للعهد . ولكنه كان قد عرف بحبه للعلم واكرامه للعلماء فاتصل به ذلك الوراق وانزله الحكم المستنصر منزلة كريمة وعينه في جملة الوراقين وامده بكل ما يلزم لمهنته من الورق والمداد وغيرها من ادوات الوراقه . "٢"

والى جانب عباس اشتغل بالوراقة لدي الحكم المستنصر ظفر البغدادي ، وكان لبراعته في فن الوراقة ان عد من رؤساء وكبار الوراقين . "٣"

ونلمس من اطلاق لفظ " الرئيس " انه كان هناك نظام يسود مهنة الوراقه ، فكان لكل مجموعة من الوراقين رئيس يشرف عليهم في مهمة النسخ والتثبت من صحة

---

١ ـ ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٤٦ ـ المقري : النفح : ، ج ١ ، ص ٣٨٦ ـ اعتماد القصيري : فن التجليد عند المسلمين ، ص ٣٠ .
٢ ـ ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .
٣ ـ ابن الابار : التكملة ، ج ١ ، ص ٣٤٧ .

ما يقومون به ويصحح ما قد يقع منهم من اخطاء .

ومن عمل لدى الحكم المستنصر من الوراقين يوسف البلوطي الذى اشتهر بجودة خطه وقدرته التامه في ميدان النسخ . "١"

ولا ريب ان مثل هذا النشاط العلمي الحافل بوجوهه المختلفة كاف لاعطاء الدليل الواضح على مدى ما حققه الحكم المستنصر للحركة العلمية من جهود ، وعلى ما حققه الاندلسيون في ميدان العلم . وما ابدع ما وصف به دوزي مجال النشاط العلمي في قصر الحكم المستنصر حيث قال : (كان قصره حافلا بالكتب واهلها حتى بدا وكأنه مصنع لا يرى فيه الا نساخون ومجلدون ومزخرفون يحلون الكتب بالمنمنمات* والرسوم الجميلة) . "٢"

وكان العلامة ابن فطيس ـ الآنف الذكر ـ لعنايته بالكتب واشتغاله بالعلم ان عين لديه ستة من الوراقين يكونون في خدمته لنسخ ما يريد من الكتب وقد قرر لهم مقابل جهودهم تلك رواتب مجزيه . "٣"

وكان لابي علي القالي وراقين يعينونه على اداء عمله العلمي في البحث والتأليف فأحدهم وهو محمد بن الحسين الفهري لازم ابا علي القالي واستفاد من علومه ومعارفه وتولى مع نساخ آخر نسخ مالم يهذبه ابو علي من كتابه البارع وتهذيبه من اصوله التي بخطه وخطهما ما كتبا بين يديه . "٤"

---

١ ـ ابن الابار : نفس المصدر والجزء والصفحة .
٢ ـ انخل بالنثيا : المرجع السابق ، ص ١٠ .
* ـ الرسوم التوضيحيه
٣ ـ ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٣١٠ ـ ٣١١ .
٤ ـ ابن الابار : التكملة ، ج ١ ، ص ٣٧١ .

والجدير بالذكر ان الوراقين قد نالوا وراء عملهم هذا منزلة رفيعة في المجتمع كما انهم بلغوا درجة طيبة من الثراء ، وقد سبق القول عن العلامة احمد بن عباس "١" انه كان لاهتمامه بالكتب ان استعان بالكثير من الوراقين في جلب نفائس الكتب ونسخ الكثير منها وانهم بذلك قد نالوا ثراء وجاها .

وكانت عملية النسخ من مهمات الوراقين وقد نالت أزدهارا كبيرا في المجتمع الاندلسي ولا عجب اذا قلنا ان النساء لعبن دورا هاما في هذا الميدان ، فقد مارس النسخ طائفة كبيرة منهن مع اتصافهن بالبراعة وجودة الخط ، وكان لذلك اثره فى بلوغ بعضهن منزلة عالية لدي الخلفاء حيث كان للخليفة عبد الرحمن الناصر كاتبة تدعى مزنه وصفت بالمهارة في الكتابه وحسن الخط ، كما كان للخليفة الحكم المستنصر كاتبة تدعى لبنى عرفت بالبراعة فى الكتابة وسعة الاداب حتى قال في وصفها ابن بشكوال (لم يكن في قصرهم _ اى الخلفاء _ انبل منها وكانت عروضية ، خطاطة جدا) (ت ٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م) "٢"

وممن برعن من النساء في الخط عائشة بنت احمد القرطبية (ت ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م) "٣" فقد كانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب وتعنى بالعلم .

وعرفت الاديبة صفية بنت عبد الله الربى بالبراعة في الكتابه وجودة الخط ، وقد حدث ان عابتها احدى النساء على خطها فقالت :

---

١ _ انظر قبل سيرة هذا العالم .

٢ _ الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٩٢ .

٣ _ ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٩٢ .

وعائبة خطي فقلت لها اقصري ... فسوف أريك الدر في نظم اسطري
وناديت كفي كي تجود بخطها ... وقربت اقلامي ورقي ومحبري
فخطت بابيات ثلاث نظمتها ... ليبدو لها خطى وقلت لها انظري "١"

وكان في قرطبة وارباضها المختلفة طائفة كبيرة من النساء البارعات في الخط وكن ينسخن المصاحف بخط بديع . "٢"

وبناء عليه فقد اتضح ما كان عليه المجتمع الاندلسي من نشاط كبير في ميدان الحركة العلمية ولم يكن هذا النشاط مقصورا على الرجال فحسب بل امتد ايضا الى النساء اللاتي شاركن في بناء الكيان العلمي للاندلس ليس فقط في ميدان النسخ بل وفي ازدهار العلوم والآداب .

ولاهمية النسخ في النشاط العلمي باعتباره وسيلة من وسائل حفظ العلوم وصيانتها من الضياع ونشرها بين الناس ، نود ان نشير الى الكيفية التي كانت تتم بها عملية النسخ فقد كانت هناك طريقتين للنسخ اولهما ان ينسخ الناسخ من المخطوط مباشرة بنفسه ، وبعد اتمامه لعملية النسخ يعرضه على غيره لمراجعته والتأكد من خلوه من الاخطاء وثانيهما ان يملي شخص على عدد من النساخ مايراد نسخه للحصول على عدة نسخ منه ، وبعد الفراغ من عملية النسخ تجرى المقابلة بين النسخ لمعرفة ما قد يكون في بعضها من اخطاء وتصحيحها . "٣"

---

١ ـ الحميدي : الجذوة ، ص ٤١٢ .
٢ ـ ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الاندلس ، ص ٦٤ .
٣ ـ ماهر حماده : المرجع السابق ، ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

ومما يلحق بحرفة الوراقة التجليد وزخرفة الكتاب ، وهو ما يزيد الكتاب قيمة وجمالا في الباطن والظاهر ، كما يرفع شأنه عند هواة اقتناء الكتب . فكان الوراقون يحرصون بالاضافة الى جودة النسخ ، ان يكون الكتاب على جانب من جمال الشكل وجودة التجليد ليكون في مظهره الانيق ملائما لقيمته العلميه .

وقد رأينا من قبل كيف عثر العلامة الحضرمي ـ الذى خرج في طلب كتاب له ـ على نسخة منه لدى احد الوراقين في سوق الكتب فسر به لحسن خطه وجودة تجليده . "١"

ولئن اشتهرت شاطبة بصناعة الورق واسهامها في دفع عجلة الحركة العلمية بما قدمته من الورق الممتاز ، فان مدينة مالقة كانت تشتهر كمركز لصناعة الجلود الممتازه والتجليد الفاخر "٢" ، ولعل من اسباب رقي فن التجليد اهتمام الخلفاء باستقدام امهر المجلدين من اهل الاندلس بالاضافة الى استقدام البارعين منهم من صقلية وبغداد . "٣"

واخيرا فان الكتاب الاسلامي آنذاك حظي باهتمام وعناية بالغين ، وان دل ذلك على شيء فانما يدل على ما تمتع به الاندلسيون من نشاط وافر وقدرات كبيرة في ميدان الحركة العلمية ، ويأتي الوراقون منهم في الصف الثاني من حيث الاسهام في النشاط العلمي ، فقد كانوا عاملا من عوامل ازدهار الحضارة الاسلامية بما اسهموا به من نشر الكتاب الاسلامي بين اقطار المسلمين .

---

١ ـ انظر قصته في بداية الحديث عن عناية الاندلسيين بالكتب .
٢ ـ ماهر حماده : المرجع السابق ، ص ١٨٣ .
٣ ـ اعتماد القصيري : فن التجليد عند المسلمين ، ص ٣٠ .

ونختتم الحديث عن هذا الموضوع باعتراف جميل لأحد الكتاب الغربيين حيث يقول : (بينما كانت سائر بلدان اوروبه تتمرغ في القذر والحطه ، نعمت اسبانيا بمدن نظيفة منظمة ذات شوارع معبده ومضاءة . وكان في ميسورقرطبه وحدها ان تعتز بنصف مليون من السكان ، وسبعمائة مسجد ، وثلاثمائة حمام عمومي ، وسبعين مكتبة عامه ، وعدد كبير من دكاكين الوراقين .) "١"

=====

---

١ ـ روم لاندو : الاسلام والعرب ، ترجمة منير بعلبكي ، ص ١٧٧ .

الفصل الرابع

ازدهار التعليم في الاندلس

ا ـ مراكز التعليم لدى الاندلسيين •

ب ـ طريقة التعليم عند الاندلسيين •

ج ـ عناية الخلفاء بالتعليم •

من مظاهر النشاط العلمي في عصر الخلافة نهضة التعليم واقبال افراد المجتمع الاندلسي على العلم والاهتمام بالمعرفة •

ومن الطبيعي - وعصر الخلافة يمثل الانطلاقة العلمية والنشاط الحضاري في كافة ميادينه - ان نرى ميدان التعليم بمراكزه العلمية قد نال من النهضة والرقي نصيبا وافرا بل كان له القدح المعلي في ذلك التطور العلمي الذي شهدته الاندلس آنذاك •

ا - مراكز التعليم لدى الأندلسيين :-

===========================

كان المسجد عند المسلمين يمثل المركز العلمي الذي يتلقون فيه العلوم والمعارف على ايدي العلماء • ولم تكن لهم مدارس خاصة بالتعليم والتدريس الا فيما ظهر في المشرق بعد فترة طويلة • لذلك كان اعتمادهم في حياتهم العلمية على المسجد وهو ما سلكه الاندلسيون • فقد كانوا (يقرؤون جميع العلوم في المساجد بأجره "[1]") •

ولما كانت قرطبه تمثل قطب الرحي في النشاط العلمي باعتبارها حاضرة الخلافة ودار الملك فقد حظي جامعها الشهير بمكانة علمية لا تداني • فكان دوره عظيما في نشاط الحركة العلمية في عصر الخلافة وما تلاه من عصور حيث ضم بين اروقته حلقات العلم والدرس •

وكان طلاب العلم يدرسون في جامع قرطبه المذكور علوم الدين والادب والتاريخ

---

١ - المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٢٠ •

والجغرافيا والطب والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم . "١"

ويتسامح الكثير من الكتاب المعاصرين في اطلاق صفة الجامعة على ذلك الجامع فيذكر توماس ارفنج Thomas irving ان الخليفة الحكم المستنصر قدم الكثير من الجهود الموفقة في سبيل تطوير ورقي جامعة قرطبة . "٢"

كما ان جبرائيل جبور يذكر نقلا عن المستشرق نيكلسون Nicholson أن قرطبة كانت آنذاك من اهم الاوساط العلمية وكان في جامعها — او ان شئت فقل في جامعتها — العالم ابو بكر القرشي يحاضر في الحديث .. والاديب الكبير ابو علي القالي يبحث مع الطلاب في اداب العرب ، وابن القوطية يلقي دروسه في النحو . "٣"

بالاضافة الى ذلك يشير عبد الكريم التواتي الى جامع قرطبة ويضفي عليه من الصفات الجامعية ما يجعله قريبا من الوصف الحديث للجامعات فيقول (وتتميما للعمل العلمي امد الحكم جامعة قرطبة بكل ما تتطلبه من امكانيات بشرية ومالية وعين لها اخاه المنذر عميدا . ثم اخذ هو بنفسه يقضي جل اوقاته بين ابهائها

---

١ — يذكر عبد الحليم منتصر في كتابه تاريخ العلم ص ٥٤ — ٥٥ انه الى جانب تدريس العلوم الدينية في المسجد كانت تدرس العلوم الاخرى من ادب ولغة ومنطق وطب وفلك وان السيوطي ذكر ان دروسا مختلفة رتبت في الجامع الطولوني، وان عبد اللطيف البغدادي اشار ايضا الى ان درسا في الطب كان يلقي في الازهر في منتصف النهار من كل يوم ولا شك ان ذلك كان صورة عامة للتعليم عند المسلمين .

٢ — FALCON OF SPAIN,P 192

٣ — ابن عبد ربه وعقده ٥ ص ٤٤ .

واروقتها يطالع ويقرأ) "١"

ويتفق روم لاندو مع من ذكرناه من حيث وصفه جامع قرطبه بهذه الصفة ، وان تلك الجامعة التي اسسها الخليفة عبد الرحمن الناصر — في زمن سابق على انشاء كل من الجامع الازهر والمدرسة النظامية — كانت مركزا للمعرفة للمسلمين والنصارى الوافدين من المشرق واوربا . "٢"

ومما يؤكد هذا الطابع الجامعي لجامع قرطبة ان المصادر التى تناولت تاريخ الاندلس وتراجم علمائه تشير اليه والى جامع مدينة الزهراء التي بناها عبد الرحمن الناصر باعتبارهما المركز العلمي الذى يجتمع فيه العلماء . ويفد اليه طلاب العلم لاكتساب المعرفة .

فقد كان الاديب اللغوى ابو علي القالي يعقد مجالسه العلمية في جامع الزهراء فتتقاطر عليه افواج الطلبه للأخذ عنه وذلك في كل يوم خميس . وكان يكتب عنه اكثر من اربعمائة من طلاب العلم في وقت املائه الامالي . "٣" بل ان بعض حلقات العلم كانت تضم اعدادا هائلة من التلاميذ فيشير الحميدي الى ان الاديب عبد الملك بن زيادة الله السعدي التميمي (ت بعد ٤٥٠ هـ) كان يجتمع اليه في مجلس الاملاء بجامع قرطبة خلق كثير ، وانه لما رأى كثرتهم أنشد :

---

١ — مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ، ص ٦٦٠ — ٦٦١ .

٢ — الاسلام والعرب ، ص ١٧٨ .

٣ — الاشبيلي : ريحانة الألباب (مخطوط) ورقة ١٣٩ ا .

اني اذا احتوشتني ألف محبـــــــرة
يكتبن حدثني طورا وأخبرنـــــــــي
نادت بعقرتي الاقلام معلنـــــــــة
هذي المفاخر لا قعبان من لبـــــــن

ولا ريب ان فيما تقدم دلالة على ان الجامع كان آنذاك مقر العلم والتعليم الذى يؤدي رسالته في تعليم الناس وفتح ابواب المعرفة لهم والرقي بحياتهم الدينية والدنيوية ٠

واتصف جامع قرطبة في عصر الخلافة بالنشاط العلمي الكبير فقد كان بمثابة مصدر اشعاع اضاء للاندلسيين ولغيرهم الكثير من دروب المعرفة التي قادتهم الى درجة رفيعة من الحضارة فكان الطلاب يتوافدون اليه من شتى انحاء البلاد بل من جميع انحاء العالم الاسلامي والمسيحي على حد سواء في جو اتسم بالتسامح والود من جانب المسلمين ٠ "٢"

ولم يكن جامع قرطبة وجامع الزهراء "٣" هما الجامعان الوحيدان في اداء هذه الرسالة العلمية بل ان مدن الاندلس الاخرى كانت تضم في جوامعها حلقات العلم وندوات الدرس ٠ واشهر تلك المدن اشبيليه ، وطليطلة ، وشاطبه ،

---

١ — جذوة المقتبس ، ص ٢٨٤ — ٢٨٥ ٠
٢ — زكريا هاشم : المرجع السابق ، ص ٣١٣ ٠
٣ — جامع قرطبة انشأه المسلمون بعد ان شاطروا اهل البلاد المفتوحه كنيستهم في قرطبه ٠ ولما ضاق المسجد وسعه الامير عبد الرحمن الداخل وضم شطر الكنيسة وذلك سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م بعد ان ارضي النصارى ثم اخذ الامراء ومن بعدهم الخلفاء في توسيعه ويلاحظ فيه المؤثرات الشامية المقتبسه من المسجد الاموى بدمشق ٠
(المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٥٦٠ وما بعدها واحمد مختـــار =

ومرسيه وغرناطه وغيرها من المدن التي شاركت في حركة البناء الحضاري والتطور العلمي بما قدمته من نشاط كبير تمثل فيما اخرجته تلك المدن من علماء اجلاء كان لهم انتاج علمي في حقول المعرفة المختلفة وسوف نتعرض فيما بعد عن ابرزهم في حقول المعرفة والعلم .

ورغم ما تقدم حول انحصار التعليم والتدريس بالمسجد والجامع الا ان هناك اشارات هامه تذكرها كتب التاريخ والتراجم الاندلسية تفيد انه كانت تعقد بعض حلقات العلم والدرس في مواضع اخرى غير الجامع . فقد كان الكثير من العلماء على جانب كبير من الثراء وسعة العيش مما دفع بعضهم الى المشاركة في نشاط حركة التعليم وذلك بتخصيص مجالس علمية في دورهم ومن هؤلاء العلامة الطليطلي احمد بن سعيد بن كوثر (ت ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) الذى كان يقصده تلاميذه وهم يربون على الاربعين في وقت الشتاء فينزلهم في مجلس قد فرش ببسط الصوف مبطنات والحيطان باللبود ووسائد الصوف ، ولتوفير الدفء للمجلس كان هناك كانون على قامة الانسان مملؤا فحما ويتوسط المجلس فيأخذ دفئه كل من في المجلس فاذا انتهى التدريس قدم لهم الموائد عليها ثرائد بلحوم الخرفان بالزيت العذب . او ثرائد اللبن بالسمن او الزبد . "١"

ويتضح مما تقدم مدى عمق الاخلاص للعلم والمعرفة والتفاني في نشرهما ولو كلف ذلك الانسان راحته وماله كما ان في ذلك اشارة الى حرص الاستاذ وتلاميذه على انعقاد حلقة الدرس رغم ظروف البرد القارس في فصل الشتاء .

= العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ١١٣) . اما عن الزهراء وجامعها . فهي مدينة بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر على بعد ثمانية كيلو مترات شمال غرب قرطبه وكان قد بناها سنة ٣٢٥ هـ تحت اشراف ابنه الحكم المستنصر ولم يتم بناءها نهائيا الا بعد اربعين سنة في عهد الخليفة الحكم وقد اشتهرت بجامعها البديع . (نظر (المقري : النفح ، ج ١ ، ص ٥٦٠ ومابعدها وكذلك احمد العبادي : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ ومابعدها .

١ ـ ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٣٦ ـ ٣٧

والى جانب ما ذكر فقد كانت بعض حلقات العلم تنعقد في السجون ولا مبالغة في ذلك فكثير من العلماء كانت تعترضهم في حياتهم بعض الظروف القاسية التي تقودهم الى السجن فيظلون حبيسي جدرانه فيما يدفع تلاميذهم الى مكابدة المشاق من اجل لقائهم والاخذ عنهم . ومن هؤلاء العلماء الاديب احمد بن مفرج الجياني (ت ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م) الذى كان تلاميذه يلتقون به في السجن فيأخذون عنه الادب واللغة ، وكان الخليفة الحكم المستنصر قد سجنه لكلام بلغه عنه . "١"

وصورة من صور الوفاء من التلاميذ لاساتذتهم .

ولعل في ذلك صورة واضحة من صور الاخلاص للمعرفة ، فهؤلاء التلاميذ لم يتوانوا في سبيل لقاء شيخهم حتى ولو كان في اقسى المواضع وفي اجواء السجن كما ان في ذلك اشارة هامه الى ما كان يتمتع به ذلك الاديب من مكانة علمية مرموقة .

وقد عرف عن بعض العلماء الاشتغال بالتجارة والبيع والشراء ولكن ذلك لم يمنعه من اداء واجبه العلمي والقيام بالتعليم والتدريس للتلاميذ وخاصة المبتدئين منهم . فقد كان العلامة المقرئ ابراهيم بن مبشر البكري (ت٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) (يقرئ في دكانه قرب المسجد الجامع بقرطبه . وينقط المصاحف ويعلم المبتدئين) . "٢"

ومن دلائل التفوق العلمي وازدهار التعليم في المجتمع الاندلسي ما عرف عن بعض حلقات العلم التي كانت تعقدها بعض النساء ممن وصلن الى درجة رفيعة من العلم والأدب ، فقد كانت الاديبة مريم بنت ابي يعقوب الفصولي تعلم النساء وتعطيهن

---

١ ـ ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء . ص ٥ ـ ٦ .

٢ ـ ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٨ .

دروسا في الأدب مع احتشام وعفه . وكانت مقيمة باشبيليه وطال عمرها حتى بلغـت سبعين سنه . "١"

وبناء عليه فان هذه الظواهر العلمية تعطينا دلالة واضحة على ما بلغـه الاندلسيون في مضمار التعليم والتدريس . كما ان فيما تقدم اشارة هامه الى ان ـ الجامع لم يكن هو المركز الوحيد للعلم والمعرفة ـ رغم كونه المركز الرئيسى لتلقـي العلوم والمعارف ـ بل كانت هناك مواضع اخرى يرتادها طلبة العلم .

والجدير بالذكر ان الخليفة الحكم المستنصر لعب دورا هاما في رفع المستوى التعليمي في بلاده فقد كانت له جهود مثمرة في هذا الميدان . وقبل ان ـ نعرض لتلك الجهود يحسن ان نتحدث عن طريقة التعليم عند الاندلسيين .

=====

---

١ ـ الحميدي : الجذوة ، ٤١٢ ـ ابن بشكوال : الصلـة ، ج ١ ، ص ٦٩٤ .

ب — طريقة التعليم عند الاندلسيين

كان الاندلسيون يحرصون على ان يكون القرآن الكريم هو الاساس المتين في تعليم اولادهم ، ولم يكونوا يقتصرون على ذلك بل كانوا يضمون اليه تعلم اللغة العربية ورواية الشعر وتعليم الخط ، وقد افادهم هذا المنهج في ترسيخ المعارف المتنوعة لديهم • وكان لاقبالهم على اللغة العربية والشعر والادب في صغرهم اثر في رسوخ ملكاتهم في هذه العلوم فيما بعد • "١"

ويذكر ابن خلدون ان العلامة ابا بكر بن العربي "٢" قد رسم منهجا جديدا في طريقة التعليم وهو ان يقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم ، وذلك لأن الشعر ديوان العرب ، وفي تقديمه وتعليم العربيه ضرورة لتقويم اللغة عند الطفل ثم ينتقل منه الى الحساب ليلم بما لا يصح ان يجهله منه • يلي ذلك دراسة القرآن الكريم كما نصح بان ينظر في اصول الدين ثم اصول الفقه فالجدل ثم الحديث وعلومه • وينتقد ابن العربي المنهج الذى يفتتح بتعليم القرآن للصبي لعدم معرفته وفهمه لمسائله وقضاياه • كما انه نهى ان يجمع في التعليم بين علمين الا ان يكون المتعلم على نصيب كبير من النباهة والقدرة على الاستيعاب • "٣"

---

١ — ابن خلدون : المقدمة ، ص ٥٣٨ — ٥٣٩ — سامي العاني : دراسات في الادب الاندلسي ، ص ٩٦ •

٢ — هو محمد بن عبد الله المعافري (٤٦٨ هـ — ٥٤٣ هـ / ١٠٧٥م — ١١٤٨ م) من اهل اشبيليه وكان من حفاظ الحديث وكبار العلماء رحل الى المشرق وافاد من علمائه وكانت له مكانة رفيعة بين علماء الاندلس (ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ٥٩٠) •

٣ — المقدمة ، ص ٥٣٩ •

ويتضح من ذلك مدى ما اولاه الاندلسيون لهذا الميدان من عناية واهتمام وكيف انهم نظموا عملية التعليم لدي الاطفال • حرصا منهم على ان ينشأ اولادهم نشأة علمية سليمة • والحق ان المنهج الذى رسمه ابن العربي اقرب الى المنهج التعليمي الصحيح •

كما ان العنصر التربوي السليم متوفر فيه • فقد بدأ بما يقوم لغة الطفل ويكسبه البلاغة بقراءة الشعر ثم يدرس الحساب ويلم بمسائله حتى اذا ادرك ذلك يكون متهيئا لحفظ القرآن وفهمه لما يتمتع به من ثروة لغوية •

وكان للاهتمام العظيم بالتعليم وادائه ان انصرف بعض العلماء الي رسم المناهج التربوية التى يجب ان تتوفر في عملية التعليم فقد صنف العلامه احمد بن عفيف بن عبد الله الاموي (٣٤٨ - ٤٢٠/٩٥٩ - ١٠٢٩م) كتابا في " آداب المعلمين " ويقع في خمسة اجزاء • "١"

ويذكر المقري ان الاندلسيين كانوا يدفعون اجرة في سبيل تعلم العلوم وانهم يقبلون على العلم والمعرفة اخلاصا لهما وليس طلبا لجاه او ثراء •
وان العالم فيهم يكون بارعا لانه طلب العلم برغبته وباعث في نفسه يحمله على الانفاق من اجل العلم • "٢"

ويبدو ان الاجوه التي كان يدفعها الراغبون في العلم لم تكن تتمثل فقط في دفع مبلغ من المال للعالم او الشيخ وانما كانت تتمثل ايضا في تقديم هدايا عينية له او اكرامه في ابتياع حاجة له • وفي هذا يقول المقري (والعالم عندهم معظم في الخاصة والعامه يشار اليه ، ويحال عليه ، وينبه قدره وذكره عند الناس ويكرم في جوار او ابتياع حاجة وما اشبه ذلك)• "٣"

---

١ - ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٣٨ ، - ٣٩ •
٢ - النفح ، ج ١ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ •
٣ - نفس المصدر والجزء والصفحة •

جـ ـ عناية الخلفاء بالتعليم

سعى الخلفاء الى تأمين وسائل التعليم لافراد شعبهم الاندلسي • وكان عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر عهدا زاهرا شهد المجتمع الاندلسي فيه نهضة واسعة في ميدان العلم •

وما من شك ان الخليفة عبد الرحمن الناصر اسهم بجهد بارز في ذلك النشاط العلمي ، وان كانت المصادر التاريخية يندر ان تشير الى اسهامه في تطوير الحقل التعليمي •بعكس الحال بالنسبة لابنه الخليفة الحكم المستنصر •

ورغم هذا فان هناك اشارات اوردها الدارسون المحدثون تشير الى جهد الخليفه عبد الرحمن الناصر في هذا الصدد وانه كان في عصره في قرطبه ٨٠ مدرسة عليا "١" •

والحق ان الخليفة الحكم المستنصر هو احق بالتنويه والاشارة الى دوره في هذا الميدان بما قدمه واسداه للحركة العلمية • وقد سبقت الاشارة الى دوره في النهضة العلمية ويهمنا ونحن نتحدث عن ازدهار التعليم في الاندلس في عصر الخلافة ان نعرف بجهوده في هذا الصدد •

يأتي في مقدمة جهود الخليفة الحكم المستنصر اسهامه في رفع شأن التعليم في بلاده وتوفيره وتيسيره لرعيته حيث امر بانشاء سبعة وعشرين مكتبا يلحق ثلاثة منها بالمسجد الجامع بقرطبه ، والباقي فرقه على ارباض قرطبه وعين العلماء والفقهاء للقيام بالتدريس للاطفال في تلك المكاتب واجرى عليهم المرتبات واغدق عليهم الصلات

---

١ ـ زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٤٩٩ •

وبالغ في نصحهم في تعليم اطفال المسلمين • "١"

وكان لهذه الخطوة الكريمة من الحكم المستنصر اثر كبير في اوساط المجتمع الاندلسي فلهجت الألسن بشكره والاشادة بفضله على العلم وابنائه حتى قال احد شعراء بلاطه وهو ابن شخيص •

وساحة المسجد الاعلى مكللـــــة مكاتبا لليتامى من نواحيهـــــا

لو مكنت سور القرآن من كلـــــم نادتك ياخير تاليها وراعيهـــــا "٢"

ولم يقتصر الخليفة الحكم على ما تقدم بل كان يسعى الى الافضل في سبيل الرقي بالمستوى العلمي لرعيته ، فيذكر ابن عذارى انه في سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤) اى قبل وفاته بسنتين — حبس حوانيت السراجين بقرطبة على المعلمين لاولاد — الضعفاء • "٣"

وفيما ذكره ابن عذارى اشارة الى انه كانت تعقد بعض حلقات العلم والدرس ليلا وفي ذلك دليل على مدى عناية الاندلسيين بالعلم وصبرهم على المشقات فـــي سبيل تحصيله •

---

١ — ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ — ٢٤١ — احســان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، ص ٧١ — هـ ج ولز : معالم تاريخ الانسانيه • ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد • ج ٣ ، ص ٨٣٠ — لو ثروب ستودارد : حاضرة العالم الاسلامي • ترجمة عجاج نويهض ج ١ ، ص ١٣٩ — محمد كرد علي : الاسلام والحضارة العربية ج ١ ، ص ٢٦٢ — سيد امير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص ٤٢٤ — زكريا هاشم : المرجع السابق ، ص ٣١٣ — انيس الفصولي : المرجع السابق ، ص ١٢٢ •

٢ — ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ، ص ٢٤١ •

٣ — نفس المصدر والجزء ، ص ٢٤٩ •

وعلى هذا يكون الخليفة الحكم المستنصر قد اتاح الفرصة لجميع افراد المجتمع في الاستفادة مما هيأه لهم من سبل لاكتساب المعرفة وتلقي العلم • فلم يعد العلم قاصرا على ذوي القدرة من الناس بل اصبحت فرص التعليم متاحة لكل شخص يريد ذلك • "١"

ولكن هل استفاد افراد الرعية من هذه الامكانيات التي وفرها لهم الخليفة الحكم المستنصر ؟

والحق ان الاندلسيين كانوا يتمتعون بميل ورغبة شديدة نحو العلم والمعرفة • وقد سبقت الاشارة الى تكلفهم اجزة التعليم من اجل العلم وحده • فكيف اذا توفرت الامكانيات والوسائل لهم • من الطبيعي حتما أن يكون ذلك حافزا شديدا لهم في التسابق الى ميادين العلم والمعرفة وتحصيل العلوم والآداب •

ولم يكن الحاجب المنصور بن ابي عامر اقل شأنا ممن سبقه بل عرف عنه انه من رواد الحركة الفكرية وانه كان لنشأته العلمية اثر كبير في تشجيعه العلم واكرامه العلماء فكان محبا لمجالسهم حريصا على صحبتهم في حله وترحاله • "٢"

ويشير عبد الكريم التواتي الى ان المنصور سار على نهج الخليفة الحكم من حيث الاهتمام بالتعليم وتوفيره للرعية وانه كان يحضر احيانا حلقات الدروس ويستفسر الطلاب عن مشاكلهم ويحثهم على اكتساب المعرفة ويمنح المتفوقين منهم المكافآت السخية • "٣"

ويبدو الفرق شاسعا بين حال المجتمع الاندلسي ونظيره الاوروبي آنذاك مما يجعلنا نشعر بالاجلال والتقدير لذلك الشعب الذى لم يرتض ذل الجهل وسطوة —

---

١ — ANWAR CHEJNE : MUSLIM SPAIN, P.164.

٢ — محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الأندلس ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ •

٣ — مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ، ص ٦٦٣ •

الأمية فكان الشعب الاندلسي في ذلك العصر يمثل شعلة متوهجه بنور المعرفة ،وكان مما يسر النفس الا ترى طفلا او طفلة قد بلغ الثامنة عشرة ولم يتزود بالعلم الكافي على الأقل لتأهيله للقراءة والكتابة • "١"

وفي الوقت الذى لم يكن في اوروبا غير قلة بسيطة من الرهبان ممن يعرف القراءة والكتابة كان كل فرد في الاندلس تقريبا يقرأ ويكتب ويلم ولو بقدر من ألوان المعرفة• "٢"

وقد ادرك الغربيون مدى ما كان يتمتع به جيرانهم من العرب الاندلسيين من حضارة زاهره وتطور علمي باهر ، فلم يخفوا اعجابهم بذلك ومن بينهم زيغريد هونكه التى تحدثت عن قرطبه في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ووصفتها بانها شيدة المدن بل واكبر مدن اوروبا كلها مما حوته من مظاهر الحضارة الفكرية و العمرانية حيث كان بها ١١٣,٠٠٠ منزل ، و ٦٠٠ مسجد ، و ٣٠٠ حمام ، ٨٠ مدرسة عليا ، و ٢٠ مكتبة فيها عشرات الالاف من الكتب • "٣"

وبهذا يتضح لنا حقيقة الازدهار العلمي الذى ساد ارجاء الاندلس في عصر الخلافة والذى كان دافعا قويا ليتجه الاوربيون نحو مصادر الاشعاع الفكري في قرطبة وغيرها من مدن الاندلس لينهلوا منها الوان المعرفة والثقافة ، وهو امر اعترف به الكثير من الكتاب الغربيين •

---

١ - جلال مظهر : علوم المسلمين ، ص ٨١ - سامي العاني : المرجع السابق ص ٩٥ •

٢ - روم لاندو : المرجع السابق ، ص ١٧٨ - ماهر حماده : المكتبات في الاسلام ، ص ٩٩ - محمد عثمان : المرأة العربية في الاندلس ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثالث عشر ، ص ١٠٦ •

٣ - شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٤٩٩ •

- لم تسعفنا المصادر التاريخية الاندلسية في التحقق مما اشارت اليه الكاتبة الالمانية زيغريد هونكه عن عدد المدارس والمكتبات في قرطبة في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى • وربما يكون لدي الكاتبه من المصادر الاوروبية ما اعتمدت عليه في استخلاص هذا الاحصاء عن المدارس والمكتبات في قرطبة في تلك الفترة •

القسم الثاني

نشاط العلوم والآداب في عصر الخلافة

الفصـــــــل الاول

===============

العلـــــوم الدينيـــــــــة

================ ===========

ا ـ الفقه

ب ـ الحديث

جـ ـ علوم القرآن (القراءات ـ التفسير .)

د ـ علم الكلام وموقف الاندلسيين منه .

الفقـــــــــه

==========

محمد بن يحيى بن لبابه ، يحيى بن عبد الله بن يحيى الليثي ، محمد بن القاسم الثغرى ، محمد بن الحارث الخشني ، عبد اللـه ابن ابراهيم الاصيلي ، عبد الرحمن القنازعي ، مروان بن علــي الأسدى ، محمد بن عمر (ابن الفخار) ، عبد الله بن محمد بـن عيسى (ابن الأسلمي) ، ابن عبد البر النمرى ، علي بن احمـد (ابن حزم) .

====

نالت العلوم الدينية عناية عظيمة من الاندلسيين ، وأولوها اهتماما كبيرا وقد سبق القول في التمهيد الى بداية نشاط الدراسات الدينية في الاندلس . وكيف ان احد الصحابة وكثير من التابعين كان لهم دور بارز في نشوء تلك الدراسات وانهم بذلك اول من يعزى اليه الفضل في نشاط الحركة العلمية الدينية في الاندلس .

والحق ان الفقه احتل لدى الاندلسيين مكانة عالية ، ومنزلة سامية ، وكان عالم الفقه يحظي منهم بكل تقدير واجلال ، فكانت سمة الفقيه عندهم عظيمة جليلة ، وقد يخلعون هذه الصفة على النحوى او اللغوى ، فيقال له فقيه ، لان هذه الصفة لديهم ارفع السمات ، ولأجل هذا فالفقيه معظم لدى الخاصة والعامه . "١"

وتبعا لهذا فقد نال الفقهاء كل تقدير واجلال من الخلفاء والامراء . وكان هؤلاء يدنون منزلتهم ، ويستشيرونهم فيما يعرض لهم من امور . فالخليفة الحكم المستنصر اراد ان يقطع شجرة العنب من الاندلس في محاولة للقضاء على شرب الخمر

---

١ – المقرى : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٢١ – زكريا هاشم : المرجع السابق ص ٥٥٥ .

فأستشار الفقهاء في ذلك فذكروا له انها قد تصنع من غيرها فكف عن ذلك "١" وفي ذلك اشارة الى مكانة هؤلاء العلماء والى ما كانوا يتمتعون به من احترام وتعظيم لحقهم سواء من الخلفاء الذين انزلوهم منزلا كريما لديهم ، او من العامه الذين كانوا يكنون لهم كل ولاء وتقدير •

وما من شك ان هذه المنزلة العالية للفقهاء قد اتاحت لهم ان يلعبوا دورا كبيرا في تشكيل بعض الاحداث ، ومنها على سبيل المثال حادثة الربض التي وقعت في عهد الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ١٩٨ هـ والتي لعب الفقهاء دورا في وقوعها ، (انظر الكامل ج ٥ ص ١٧٢) وتاريخ الاندلس حافل بالكثير من المواقف التي تشهد بما كان للفقهاء من تأثير قوي في الدولة والمجتمع •

وقد تسنى للكثير من الفقهاء ان يتوصلوا الى مناصب رفيعة في الدوله كميدان القضاء والفتيا والحسبه والشرطة "٢" وغيرها من الميادين الهامه •

وفي عصر الخلافة ازدهرت الدراسات الفقهية ، وذلك بفضل طائفة من الفقهاء النابغين الذين اسهموا بقدر عظيم في نهوض ذلك العلم والرقي بدراساته •

ومن الطبيعي ان يسير هؤلاء الفقهاء على المذهب المالكي تبعا لما سار عليه فقهاء المالكية من قبل •

---

١ ــ المقري : نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٢١٤ •

٢ ــ للاطلاع على من تولى القضاء من فقهاء عصر الخلافة وغيره • انظر الخشني : قضاة قرطبة وكذلك البناهي : تاريخ قضاة الاندلس • واما من تولى منصب الفتيا والحسبه والشرطة فكتب التراجم الاندلسية • كتاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي • وجذوة المقتبس للحميدى فتحوي الكثير من الامثلة على ذلك •

وفي مقدمة فقهاء عصر الخلافة يبرز الفقيه محمد بن يحيى بن عمر بن لبابه (ت ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م) الذي كان من أعظم الفقهاء علما وأوسعهم دراية بمسائل الفقه ووجوهه المختلفة ، وكان لذلك يعتمد عليه في الفتيا ، كما ولاه الخليفة عبد الرحمن الناصر قضاء البيره . "١" ولابن لبابه نشاط في ميدان التأليف، فقد صنف كتابا قيما في الفقه على المذهب المالكي وهو كتاب " المنتخب " ، وكان لهذا الكتاب شأن كبير بين فقهاء الاندلس حتى قال فيه ابن حزم (ما رأيت لمالكي كتابا انبل منه في جمع روايات المذهب وتأليفها وشرح مستغلقها . وتفريع وجوهها) "٢"

وانصرف الكثير من طلاب العلم الى دراسة الفقه ومعرفة مسائلة . فكانت الجوامع المنتشرة في الاندلس تحفل بحلقات العلم والمناظرات العلمية في هذا الميدان العلمي .

ومن اشهر المجالس العلمية في جامع قرطبة مجلس الفقيه يحيى بن عبد الله ابن يحيى الليثي (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) فقد كان يعقد مجالسه العلمية في جامع قرطبة ايام الجمع ، ويلقي هناك دروسه الفقهية على طلاب العلم الذين يزدحم بهم مجلسه لاشتهار ذلك الفقيه بعلو المكانة العلمية والمعرفة الواسعة بالفقه . "٣"

ونظرا لمنزلة هذا الفقيه العلمية فقد حرص الخليفة الحكم المستنصر على ان يتلقى ابنه هشام المؤيد العلم على ذلك الفقيه فسمع منه هشام دروسا مختلفة في الفقه . "٤"

---

١ ـ الخشني : تاريخ علماء الاندلس (مخطوط) ورقة ١٠١ أ .
ـ البيره . من كور الاندلس الجليلة القدر نزلها جند دمشق من العرب ، وبينها وبين غرناطة ستة اميال (الحميري : الروض المعطار ، ص ٢٩) .

٢ ـ الحميدي : الجذوة ، ص ٩٨ ـ الضبي : بغية الملتمس ، ص ١٤٤ ـ المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ١٧١ .

٣ ـ ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩١ .

٤ ـ ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩١ .

ونبغ الفقيه عبد الله بن محمد بن القاسم الثغري "١" (ت ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م) في الفقه ، وارتحل الى المشرق حيث اخذ عن الكثير من العلماء ثم عاد الى الاندلس ليوليه الخليفة الحكم المستنصر القضاء على بلده ، وكان لتضلعه في الفقه وسعة علمه ان شبهه اصحابه بسفيان الثوري . "٢"

وكان للخلفاء وفي مقدمتهم الحكم المستنصر اثر في دفع عجلة العلوم وتشجيع العلماء على البحث والدرس ، فالفقيه محمد بن الحارث بن اسد الخشني (ت ٣٦١ هـ / ٩٧١ م) الف للحكم كتبا كثيرة حتى قال عنه ابن الفرضي (بلغني انه الف له مائة ديوان . وقد جمع له في رجال الاندلس كتابا قد كتبنا منه في هذا الكتاب ما نسبناه اليه (يعني كتابه تاريخ علماء الاندلس) "٣" .

ولم يكن الخشني هو العلامة الوحيد الذى يحظى بتأييد الخليفة الحكم المستنصر ، فالى جانبه كان الفقيه ابو بكر محمد بن احمد بن يحيى (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) يلقى كل تكريم وتبجيل من ذلك الخليفة الذى اظهر اهتماما كبيرا بالدراسات الفقهية ، فقد ألف له ابو بكر كتبا كثيرة في ذلك ومن بينها كتابا في فقه التابعين ، ولمعرفته الواسعة بالفقه واحكام الشريعة فقد ولاه الخليفة القضاء . "٤"

---

١ ـ الثغرى نسبة الى الثغر ، وهو الموضع القريب من العدو (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٨١ .

٢ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ـ ياقوت : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨١ ـ سفيان الثوري : هو ابو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (٩٧ هـ ـ ١٦١ هـ / ٧١٥ م ـ ٧٧٧ م) كان راسخاً في علم الحديث ، وعد من ابرز فقهاء المحدثين وقد اراد الخليفة العباسي ان يوليه القضاء فهرب وتخفى حتى مات بالبصره (ابن قتيبة : المعارف ص ٢١٧ ـ ٢١٨ ـ ابن النديم : الفهرست ص ٣١٤) .

٣ ـ تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١١٣ ـ الحميدي : الجذوة ، ص ٧١ ـ الضبي : البغية ، ص ٧١ ـ ابن فرحون : الديباج المذهب ج ٢ ، ص ٢١٢ ـ ٢١٣ .

٤ ـ الصفدي : الوافي ، ج ٢ ، ص ٥١ .

كما ان الفقيه محمد بن عبد الله بن سيد (ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م) نـــال منزلة سامية لدى الخليفة الحكم ، وبتشجيع منه بوب له ذلك الفقيه المستخرجة فـــي الفقه المالكي "١" والمستخرجة كتاب فقهي يعرف بالعتبية نسبة الى الفقيه العتبي ـ تلميذ عبد الملك بن حبيب . "٢" الذى تقدم الحديث عنه في التمهيد .

وكان لازدهار حركة الدراسات الفقهية في الاندلس وما تبع ذلك من اختـلاف العلماء وتباين الاراء في تفسير مسائل الفقه وقضاياه اثر في اتجاه البعض من الفقهـاء نحو الاشتغال بدراسة مسائل الاختلاف ومحاولة حصر وجوهها المختلفة والخروج بمـا يكون اقرب للصواب ، فقد صنف الفقيه محمد بن حارث الخشني (كان حياً في حـدود ٣٣٠ هـ) كتابا في (الاتفاق والاختلاف لمالك بن انس واصحابه) . "٣"

كما صنف ابو محمد عبد الله بن ابراهيم الاصيلي (ت ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م) كتابا فيما اختلف فيه الفقهاء واسماه (الدلائل في اختلاف العلماء) و وقد لقي ذلك الكتاب قبولا حسنا بين علماء عصره . "٤"

واتجه الكثير من الفقهاء في دراساتهم الفقهية نحو شرح وتوضيح قواعد مذهبهم المالكي والعمل على تفسير المسائل الفقهية على ضوء من آراء واقوال الامام مالك بن انس

---

١ ـ ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٣ .
٢ ـ المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ١٧١ .
٣ ـ الحميدي : الجذوة ، ص ٥٣ ـ الضبي : البغية ، ص ٧١ .
٤ ـ ابن فرحون : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٣٣ ـ الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، ص ١٠٢٤ ـ ابن قنفذ : الوفيات ، ص ٢٢٣ .

رحمه الله يل ان الموطأ وهو الكتاب الفقهي الذى يعتبر حجر الاساس لمذهبهم الذى يسيرون عليه قد لقي منهم عناية فائقة ، واهتماما بالغا ، حيث تناولوه بالشرح والايضاح منذ دخول مذهب مالك الى الاندلس .

وفي عصر الخلافة ظهرت العديد من الشروحات لموطأ مالك ، فممن أسهم في هذا الميدان محمد بن عبد الله بن محمد المريّ (٣٢٤ هـ ـ ٣٩٨ هـ / ٩٣٥ م ـ ١٠٠٧ م) الذي كان له جهد بارز في ازدهار الدراسات الفقهية يتمثل في شرح كتاب الموطأ وغير ذلك من كتب الفقه بالاضافة الى تأليفه كتابا في اختصار المدونة . "١"

كما ان الفقيه عبد الرحمن بن مروان القنازعي (٣٤١ هـ ـ ٤١٣ هـ / ٩٥٢ م ـ ١٠٢٢ م) كان له قدم راسخ في هذا الميدان ، حيث توفر على دراسة الفقه وشرح مسائله فتناول الموطأ بالشرح والتفسير ، وألف في ذلك كتابا قيما ضمنه ما نقله يحيى بن يحيى في موطأه ويحيى بن بكير فى موطاءه . "٢"

وسار على هذا المنوال الفقيه مروان بن علي الاسدي القطان القرطبي ، حيث ألف كتابا في شرح موطأ مالك ، وكان لهذا الكتاب وقع طيب بين الفقهاء فأخذوه عن القطان ، ومنهم الفقيه ابو عمر بن الحذاء الذي اخذ عنه ذلك الكتاب سنة ٤٠٥هـ .

---

١ ـ ابن الخطيب : الاحاطة في تاريخ غرناطه ، ج ٣ ، ص ١٧٣ .
ـ والمدونه . مجموعة من المسائل الفقهية في فروع المالكية اخذها عبد السلام بن سعيد التنوخي (١٦٠ هـ ـ ٢٤٠ : ٧٧٧ ـ ٨٥٤ م) المعروف بسحنون ـ من اهل القيروان عن عبد الرحمن بن القاسم عن الامام مالك بن انس . واصبحت هذه المدونة التى دونها سحنون عن ابن القاسم من اشهر كتب الفقه على المذهب المالكي (ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٥٠ ـ الزركلي : الاعلام ، ج ٤ ، ص ٥ .
٢ ـ ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ .

ثم ما لبث ان ارسل في طلب الكتاب مرة اخرى وكان بطليطلة والقطان ببونه "١" - فارسل اليه الكتاب وقد اضاف اليه شروحا وزيادات كثيرة • "٢"

وهكذا نلمس ما كان عليه فقهاء عصر الخلافة من اهتمام وعناية بالغين بالموطأ ونلمس ايضا مدى ما كانوا يحملونه في نفوسهم من تقدير واجلال لهذا الكتاب باعتباره السجل الحافظ لاراء واقوال امامهم مالك بن انس امام دار الهجرة الذى اقتنعوا بعلمه وفقهه الواسع وما لبثوا ان تحمسوا لمذهبه ثم اخذوا في نشره والعمل على ارساء قواعده بما قدموه من شروح وايضاحات كثيرة على كتاب الموطأ •

واذا كان الحكم المستنصر قد حاز الفضل العظيم في تشجيع الحركة العلمية فان من الانصاف ان نشير الى ما اسهم به الحاجب المنصور بن ابي عامر في هذا الميدان ، فقد كان له دور كبير في دفع عجلة العلوم الدينية فبأمر منه صنف الفقيهان احمد بن عبد الملك المعروف بابن المكوى الاشبيلي وصاحبه ابو مروان المعيطي كتابا اسمياه " الاستيعاب " ضمناه اقاويل مالك بن انس رحمه الله فجمعا ارآءه واقواله في مصنف كبير لقي من العلماء والدارسين كل ثناء وتقدير ، حيث كان بمثابة موسوعة فقهية لآراء مالك واقواله في الفقه وكان بذلك مرجعا لكل طالب علم وباحث في مسائل الفقه على المذهب المالكي • "٣"

---

١ - بونه : ميناء جزائري يقع بالقرب من الحدود التونسية • (احمد عطية الله : القاموس الاسلامي ج ١ ، ص ٣٩٧ •

٢ - ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦١٦ •

٣ - الحميدي : الجذوة ص ١٣٢ - ١٣٣ - ابن فرحون : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٦ - الصدفي : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٤٤ •

وكان ابن بشكوال قد ذكر ان تأليف هذا الكتاب تم بأمر الخليفة الحكم المستنصر ولكن الحقيقة بخلاف ذلك ، فالحميدي وهو اقرب زمنيا في تأريخ ذلك الأمر الى جانب تأكيد الضبي لما اورده الحميدي ، يعطينا دليلا على ان تأليف الكتاب تم بأمر المنصور وليس كما قال ابن بشكوال الذي عاش في فترة بعيدة عن عصر الخلافه "١" .

وجاء تأليف ذلك الكتاب تأكيدا لما بلغه الاندلسيون من رقي علمي حيث كانوا في ذلك العصر اكثر منافسة لأندادهم من المشارقة في ميدان العلم والبحث والتأليف فلا يكاد اهل المشرق يتوصلون الى سابقة في ميدان البحث حتى ينبري اهل الاندلس لهم بالتوصل لمثل تلك السابقة العلمية او افضل منها ، فكما ان القاضي ابابكر محمد بن احمد بن الحداد الشافعي البصرى قد جمع اقوال الشافعي في كتابه الباهر "٢" فقد رأى المنصور الا يكون الاندلس قاصرا عما توصل اليه المشارقة في ميدان البحث والتأليف .

وبرز في ميدان الفقه آنذاك محمد بن عمر بن يوسف المعروف بابن الفخار (ت ٤١٩ هـ / ١٠٢٨ م) وكان من اهل قرطبه واحد الحفاظ المشار اليهم بالبنان وقد رحل الى المشرق فحج واقام بالمدينة "٣" . ورحلته العلمية هذه كانت وساما عظيما له وللاندلسيين ، فقد خبرنا ان الاندلسيين كانوا يرتحلون في طلب العلم الى المشرق ، ولكن الأمر اختلف هذه المره مع ابن الفخار فبعد اقامته بالمدينة لفت انظار الناس اليه بعلمه الواسع ومعرفته العميقة بالفقه فتقاطروا عليه يأخذون عنه ويستفتونه فيما يعرض لهم من القضايا الفقهية (وكان يفخر بذلك على اصحابه ويقول لقد شوورت بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم دار مالك بن أنس ومكان

---

١ — عاش ابن بشكوال في القرن السادس الهجري ، وكانت وفاته سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م .

٢ — المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ١٣٢ .

٣ — ابن بشكوال : الصله ، ج ٢ ، ص ٥١٠ — ابن تغري بردى : النجوم الزاهره ، ج ٤ ، ص ٢٦٨ — المقري : النفح ، ج ٢ ، ص ٦٠ — ٦١ .

شـــوراه) "١"

وهكذا يتضح لنا الدرجة الرفيعة التي بلغها علماء الاندلس في ذلك العصر ، وكيف أنهم اثبتوا قدرتهم الكبيرة على الوصول الى ما بلغه اندادهم من المشارقة •

وكان من نتائج التطور الحضاري وظهور عامل الترف في المجتمع الاندلسي ان عكف بعض الاشخاص على ممارسة ضروب من السلوك تنافي تعاليم الشريعة مما دعـــا بعض الفقهاء الى دراسة هذه الظواهر والعمل على وضع الحلول لها معتمدين فـــي ذلك على مصادر الشريعة وما توصلوا اليه من اجتهادات فقهية ، فالفقيه عبد اللـه ابن محمد بن عيسي المعروف (بابن الاسلمي (ت ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩م) اسـهم في هذا الميدان بتصنيفه كتبا مختلفة ، مثل كتاب " تفقيه الطالبين والارشـــاد الى اصابة الصواب في الأشربة) وكتاب آخر صغير الحجم سماه (تنبيه المريديـــن المخدوعين بشبه الفاتنين على تحريم الانبذه المسكره من اي الاشجار والحبوب كانت من كتاب الله وسنة رسوله واقوال جماهير الفقهاء والمحدثين في امصار المسلمين) والف ايضا كتابا في قوله تعالى (ياأيها الذين امنوا شهادة بينكم) الآية الـى آخر الآيات الثلاث • "٢" وكان لهذه الكتب مكانة عالية بين الفقهاء فتلقوها بقبول حسن حتى ذكر ابن الابار انه اطلع على كتابيه الأخيرين مما يؤكد مكانتهما العلميـة وخاصة ان مؤلف تلك الكتب اتصف بالعلم الواسع وحسن السيره • "٣"

---

١ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٥١٠ •

٢ — سورة المائده ، ايـــة (١٠٦) •

٣ — ابن الابار : التكملة ، ج ٢ ، ص ٧٩٦ •

وفي اواخر عصر الخلافة برز في الساحة العلمية فقيهان كان لهما دور عظيم في اثراء الحركة الفقهية بما اخرجاه من دراسات هامة ، كما ذاع صيتهما ليس في الاندلس فقط بل في العالم الاسلامي كله . الاول الفقيه ابو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري (٣٦٢ هـ — ٤٦٠ / ٩٧٢ م — ١٠٦٧ م) ، والثاني علي بن احمد بن سعيد بن حزم (٣٨٤ هـ — ٤٥٦ هـ / ٩٩٤م — ١٠٦٣م).

فالأول ، وهو ابن عبد البر كان له جهد بارز في ميادين العلم المختلفة فقد اسهم بنشاط وافر في اثراء حقول المعرفة من دين وتأريخ وادب (وألف مما جمع تواليف نافعة سارت عنه ، وكان يميل في الفقه الى اقوال الشافعي رحمة الله عليه) "١"

ورغم ميله الى المذهب الشافعي الا انه كان صاحب فضل عظيم على المذهب المالكي فقد صنف كتبا عديدة على ذلك المذهب ، ومن بينها كتاب " التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد " والكتاب يقع في حجم كبير حيث بلغ سبعين جزءا وقد اثنى عليه ابن حزم ، ووصفه بانه ليس له نظير في فقه الحديث "٢" ، وبالاضافة الى ذلك فقد صنف كتابا اسماه (الاستذكار لمذاهب علماء الامصار في شرح ما تضمنه الموطأ من معاني الرأى والاثار) وقد اشار ابن حزم الى انه اختصار لكتاب التمهيد المتقدم الذكر . "٣"

---

١ — الحميدي : الجذوة ، ص ٣٦٧ — ابن الوردي : تتمة المختصر ، ج ١ ، ص ٥٦٤ — ٥٦٥ .

٢ — الحميدي : نفس المصدر ، ص ٣٦٨ .

٣ — ابن خير : فهرسة ما رواه عن شيوخه ، ص ٨٦ — المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ١٦٩ — ١٧٠ .

وكان لكتب ابن عبد البر في الفقه اثر في اقبال الدارسين عليها ومطالعتها فتعاقب العلماء وطلبة العلم على دراستها ، وقد ذكر ابن خير الاشبيلي انه أخذ الكتابين المذكورين عن شيوخه . "١"

وكان لعلم ابن عبد البر بحاجة القضاة وأهل الفتيا الى من يجمع لهم آراء واقوال من سبقهم من أئمة العلم والفقه في مجال الفتيا اثر في انصرافه الى تصنيف كتاب يضم اقوال اهل المدينة وفي مقدمتهم مالك بن انس واتباعه واسماه " الكافي " وقد اثنى ابن حزم على هذا الكتاب واشار الى ما ضمنه ابن عبد البر من مسائل لا يستغني عنها المفتي وان الناس قد استغنوا بذلك الكتاب عن التصانيف الطوال في الفقه ويقع ذلك الكتاب في خمسة عشر جزءا ، "٢"

ولم تكن هذه الكتب وحدها ما ألفه ابن عبد البر بل انه لتضلعه في الفقه ومعرفته بمسائله قد ألف كتابا في " اختلاف اصحاب مالك بن انس واختلاف رواياتهم عنه " ويقع ذلك الكتاب في اربعة وعشرين جزءا . "٣"

ويلاحظ كثرة الاجزاء التي يتضمنها كل كتاب من كتب ابن عبد البر المذكور ، كما يبدو انه كان ينهج في تأليفه منهج التأني وعدم التسرع بحيث لم يكن يحمل نفسه مشقة الاخراج السريع لتآليفه وما يترتب عليه من نصب ومشقة من جهة ، وما يتولد

---

١ ـ فهرسة ما رواه عن شيوخه ، ص ٨٦ .
٢ ـ المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ١٧٠ ـ هذا ويذكر الحميدي : (في الجذوة ، ص ٣٦٨) انه يقع في ستة عشر جزءا .
٣ ـ الحميدي : الجذوة ، ص ٣٦٨ .

عن التسرع من هفوات لا يخلو منها اي عمل عجل من جهة اخرى ، فكان يوزع جهده العلمي على فترات بحيث ينجز في كل فترة جزءا من انتاجه العلمي لينتهي الأمر باجزاء كثيرة لأي من كتبه العديدة ، ولا شك ان عمره المديد الذى بلغ ما يقارب قرنا من الزمان — حيث توفي عن ٩٨ عاما كان له اثر في رسوخ مكانته العلمية ، وغزارة انتاجه العلمي النفيس الذى اثرى به المكتبة الاسلامية .

اما ابن حزم فهو علي بن احمد بن سعيد ، واصله من الفرس وجده الاقصى في الاسلام هو يزيد مولى يزيد بن ابي سفيان "١" وقد تلقى ابن حزم العلم على ايدى الكثير من العلماء ، كأحمد بن الجسور في علم الحديث ، ومحمد بن الحسن المذحجي في المنطق ، وعبد الرحمن بن ابي زيد في الادب وغيرهم من العلماء "٢" .

ويعتبر ابن حزم من اكبر علماء الاسلام قاطبة في ميدان التصنيف والتأليف في ابواب العلم المختلفة ، فقد اثرى المكتبة الاسلامية بنفائس الكتب وروائع المؤلفات مما لم يكن لغيره الا ما ذكر عن الحافظ محمد بن جرير الطبري ، فقد ذكر انه صنف ما يقارب من اربعمائة مجلد في شتى ضروب المعرفة . "٣"

---

١ — الحميدى : الجذوة ، ص ٣٠٨ — الضبي : البغية ، ص ٤١٥ .
ذكر عبد الحليم عويس في كتابه (ابن حزم الاندلسي ، ص ٥١) ان يزيد بن ابي سفيان هو " يزيد الخير " والحق ان هذا اللقب ليس له بل كان لاحد الصحابه واسمه زيد بن مهلهل الطائي الذى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ٩ هـ ، ومعه وفد من طيء ، وكان لكثرة خيله ان لقبه قومه بزيد الخيل ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم اسماه زيد الخير (الزركلي : الاعلام ، ج ٣ ، ص ٦١) .

٢ — عبد الحليم عويس : ابن حزم الاندلسي ، ص ٦٧ — انخل بالنثيا : المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

٣ — صاعد : طبقات الامم ، ص ١٠٢ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٤١٦ — ابن بسام : الذخيرة ، القسم الاول ، ج ١ ، ص ١٤٣ — المراكشي : المعجب ص ٩٤ .

وفيما يتعلق بنشاطه العلمي في ميدان الفقه فقد مال به النظر في بداية حياته الى مذهب الشافعي حيث سار على ذلك فترة من الزمن ولكنه ما لبث ان انحرف عنه الى المذهب الظاهري الذى ينسب اصلا الى الفقيه المشرقي داوود بن علي الاصفهاني "١" فعمل على تنقيحه وصياغته في منهج فقهي له قواعد واصول ، ثم عمل على بثه مناضحا عنه ، فألف فيه من الكتب الكثير . "٢"

ومذهب ابن حزم الظاهري يعتمد فيه على قبول ما نص عليه في القرآن أو ورد فيه حديث موثوق على ظاهر معناه الا ان يكون هناك ضرورة من عقل او حس تدعو الى صرف المعنى عن ظاهره والى الأخذ بالتأويل . "٣"

وابن حزم يوضح لنا ذلك في كتابه الفصل فيقول : (واعلموا ان دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه ، وجهر لا سر تحته ، كله برهان لا مسامحة فيه ، واتهموا كل من يدعو ان يتبع بلا برهان وكل من ادعى للديانة سرا وباطنا فهي دعاوى ومخارق ، واعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتم من الشريعة كلمة

---

١ — هو ابو سليمان داوود بن علي بن داوود بن خلف الاصفهاني . اول من استعمل قول الظاهر والغى الرأى والقياس ، وقد وصف بالعلم والفضل وتوفي سنة (٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م) (ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٠٣) .

٢ — ابن بسام : الذخيرة ، القسم الاول ، ج ١ ، ص ١٤٠ — ١٤١ — المراكشي : المعجب ، ص ٩٤ — ابن سعيد : المغرب ، وشي الطرس ، ج ١ ، ص ٣٥٥ — لطفي عبد البديع : الاسلام في اسبانيا . ص ٤٢ .

٣ — عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي ، ص ٥٠٦ — قدري طوقان : العلوم عند العرب ، ص ١٨٤ .

فما فوقها ولا اطلع اخص الناس به من زوجة او ابنة او ابن عم او صاحب على شيء من الشريعة كتمه عن الاحمر والاسود ورعاة الغنم ، ولا كان عنده عليه السلام سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعى الناس كلهم اليه ..) "١" .

ونتيجة لخروج هذا الفقيه على المذهب المالكي واصطدامه باتباعه فقد تألب عليه الفقهاء وتصدى لمناظرته الكثير منهم ، وكان لجرأته في قول الحق أثر في توتر علاقته مع غيره من الفقهاء الذين وقفوا ضده وعملوا على تثبيط همته ، والقد والقضاء على مذهبه ، ولكنه جابههم بموقف اكثر صرامة وقوة ، فكان شديد الوطأة على خصومه ، حاد اللسان في مناظراته العلمية ، حتى ان البعض من العلماء صوروا اسلوبه هذا في صورة قاتمة فوصفوا لسانه بانه وسيف الحجاج شقيقان . "٢"

والحق اننا لو امعنا في موقف ابن حزم وحالته النفسية التي نجمت عن تألب الفقهاء عليه وتظافرهم على احباط نشاطه ، بالاضافة الى تشرده عن وطنه ، واحراق كتبه لعذرناه بعض الشيء فيما اتصف به من صلابة في مواقفه مع العلماء ، وما تسم به حديثه من صراحة شديده .

---

١ — ج ٢ ، ص ١١٦ . وللوقوف اكثر على معاني الظاهرية واسباب انتهاج ابن حزم لها . انظر : عبد الحليم عويس : ابن حزم الاندلسي من ص ٨٥ الى ص ٩٦ . كما ان بالنثيا في كتابه الفكر الاندلسي ، ص ٢١٨ اشار الى ان ابن حزم عرض قواعد مذهبه في كتابه " الابطال " والذى نشر جولد زيهر جزءا منه وقد بين فيه ابن حزم اسس مذهبه وضعف المذاهب الاخرى . وانظر ايضا محمد ابو زهره : ابن حزم حياته وعصره . آراؤه وفقهه . ففيه الكثير من المعلومات عن الظاهرية .

٢ — ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٣٢٨ — الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، ص ١١٥٣ — ١١٥٤ .

واما عن مؤلفاته العلمية في الفقه فقد ألف من الكتب " كتاب الايصال الى فهم الخصال الجامعة لجمل شرائع الاسلام في الواجب والحلال والحرام وسائر الاحكام على ما اوجبه القرآن والسنه والاجماع " أورد فيه اقوال الصحابه والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين في مسائل الفقه كما ألف كتاب " الاحكام في اصول الاحكام " وكتاب " الاجماع ومسائله على ابواب الفقه " . "١"

واشار السلفي في معرض حديثه عن كتب ابن حزم ان كتاب الايصال يقع في اربعين مجلدا "٢" وهذا بلا شك فيه اشارة واضحة الى المجهود العلمي الكبير الذي قدمه ذلك الفقيه والى ما كان يتمتع به من علم واسع بالشريعة الاسلامية .

والجدير بالذكر ان ابن حزم لم يكن بارعا في علوم الدين فقط بل كان متضلعا في الكثير من العلوم كالتاريخ والأدب والفلسفة وغيرها من العلوم ، وان ما قدمه للمكتبه الاسلامية لدليل واضح على ما ذكرعنه .

ولم يكن ابن حزم اول ظاهري في الاندلس ، فقد سبقه الى ذلك الكثير من العلماء ومنهم الفقيه منذر بن سعيد البلوطي ، والى ذلك يشير الحميدي بقوله عنه (قال لنا ابو محمد علي بن احمد : وكان مائلا الى القول بالظاهر ، قويا على الانتصار لذلك ، ومن مصنفاته كتاب " الانباه على استنباط الاحكام من كتاب الله " وكتاب " الابانه عن حقائق اصول الديانة " . "٣"

وفي عصر الخلافة كان لبعض النساء دور بارز في حركة الدراسات الفقهية فممن برعن منهن في الفقه ، فاطمة بنت محمد بن يوسف المغامي (ت ٣١٩ هـ /

---

١ - الحميدي : الجذوة ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ - الضبي : البغية ، ص ٤١٥ - ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٤١٥ - ٤١٦ .

٢ - اخبار وتراجم اندلسيه . تحقيق احسان عباس ، ص ٥٣ .

٣ - الجذوة ، ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

٩٣١ م) والتي وصفت بالفقه والعلم والورع وانها لما ماتت كان يوما جليلا لكثرة من سار في جنازتها من اهل العلم تقديرا واجلالا لمنزلتها وقدرها العلمي وفضلها ٠ "١"

كما اشتهرت خديجة بنت جعفر التميمي زوجة الفقيه عبد الله بن اسد بالعلم الواسع في الفقه ، وقد حدثت عن زوجها بموطأ القعنبي قراءة عليه بلفظها ، كما اخذت الكثير من العلوم عن زوجها المذكور ٠ "٢"

ولما كان عصر الخلافة وما قبله يحفل بأعداد هائلة من علماء الفقه فقد اتجه الكثير من العلماء الى تأليف كتب التراجم التي تحفظ اسماء وسير اهل العلم تخليدا لمآثر بلدهم وفضله في العلم ، فألف احمد بن محمد بن عبد البر كتابا في تاريخ فقهاء الاندلس وقد استعان به ابن الفرضي في كتابه " تاريخ علماء الاندلس " واشار اليه في مقدمة كتابه ، كما ألف الفقيه عبد الله بن محمد بن دليم (ت ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م) كتابا اسماه " الطبقات ممن روى عن مالك واتباعهم من اهل الامصار " وقد نقل عنه القاضي عياض اليحصبي في كتابه المدارك "٣" وألف محمد بن عبد الله ابن عبد البر كتابا في فقهاء وقضاة قرطبه "٤" وصنف محمد بن حارث الخشني كتابا في اخبار الفقهاء والمحدثين " ٠ "٥"

وموجز القول فقد اظهر الاندلسيون بنشاطهم العلمي في ميدان الفقه قدرة هائله من التحصيل العلمي والانتاج الفكري الواسع في عصر الخلافة الذى ضم الكثير

---

١ ـ الضبي : بغية الملتمس ، ص ٥٤٧ ٠

٢ ـ ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٩٣ ٠

ـ القعنبي : هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب (ت ٢٢١ هـ / ٨٣٥ م) مديني سكن البصره وروى عن مالك ووصف بالعلم والفقه ـ (ابن عبد البر : الانتقاء ، ص ٦١) ٠

٣ ـ الزركلي : الاعلام ، ج ٤ ، ص ١٢٠ ٠

٤ ـ الحميدي : الجذوة ، ص ٦٤ ٠

٥ ـ ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٣ ٠

من الفقهاء البارزين الذين اغنوا الفقه بدراساتهم الفقهية القيمة ، وقد حرص هؤلاء الفقهاء في مسيرتهم العلمية على الالتزام بالمذهب المالكي - عدا البعض منهم كابن حزم - والعمل على رفع شأنه بما قدموه من بحوث علمية ومصنفات نفيسة ، وان الناظر في نتائج هذا النشاط العلمي ليدهشه القدر الهائل من المؤلفات العلمية التي قدمها اولئك العلماء في صورة تؤكد التفوق العلمي الذى احرزه الاندلسيون آنذاك في ميدان الفقه .

========

ب ـ الحديـــــــــث

=============

يحيى بن مالك بن عائذ ـ محمد بن عبد الملك ـ قاسم بـــــن اصبغ ـ بيت الباجي ـ يعيش بن سعيد الوراق ـ ابو بكـــر ابن الأحمر ـ احمد بن مفرج ـ محمد بن عبد الله المــــــرى ـ عبد الرحمن بن فطيس ـ عبد الله بن يوسف ـ (ابن الفرضــــي) هشام بن عبد الرحمن الصابوني ـ ابن عبد البر النمرى ـ عثمان ابن ابي بكر الصدفي ـ ابن حزم •

====

منذ بداية اشتغال الاندلسيين بالعلوم نجد ان علوم الدين قد احتلت الصداره في نشاطهم العلمي ، وكان علم الحديث هو والفقه في مقدمة العلوم الدينية التي توفر الاندلسيون على دراستها .

وقد اقبل الاندلسيون على دراسة الحديث وجمعه وترتيبه ، ولا ننكر فضل المشرق على الاندلس في هذا المجال ، فقد كان للرحلات العامية التي قام بها رجال الحديث الى المشرق دور كبير في نهضة علوم الحديث ونشاط دراساته في الاندلس . ولعل رحلة بقي بن مخلد في عصر الامارة تعد نقطة تحول هامة في حركة الدراسات الدينية ومن بينها الحديث .

وكان علماء الحديث من اكثر الناس رحلة في طلب العلم ، وكانوا كثيرا ما يلقون المشقات في سبيل البحث عن طائفة من الاحاديث وربما عن حديث واحد واظهر

الكثير منهم صبرا وجلدا في سبيل ذلك ، فيروى ان ابي المطرف بن فطيس الاندلسي رحل في طلب حديث واحد الى بعض كور الاندلس حتى سمعه من الشيخ الذى رواه وانصرف ، ثم رحل ايضا في طلب حديث لسفيان بن عيينه "١" الى عالم يسكن باقليم البيره فسمعه منه . "٢"

وتحفل كتب التراجم الاندلسية بالكثير من علماء الحديث الذين يعدون — بالمئات في عصر الخلافة ، فقد تميز ذلك العصر بنشاط كبير في ميادين العلم المختلفة ومن بينها علوم الدين . ونظرا للاعداد الهائلة من اهل الحديث فسوف نقتصر على ذكر ابرزهم ممن كان لهم سهم وافر في ازدهار علم الحديث ودراساته المختلفة.

يأتي في مقدمة علماء عصر الخلافة المحدث يحيى بن مالك بن عائذ (ت ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م) رحل الى المشرق وقصد العراق وغيرها من البلدان ، وسمع بها من سبعمائة عالم واكثر وظل في المشرق يتردد على حلقات العلم ويلتقى بالشيوخ وقد استغرقت رحلته ما يزيد على عشرين سنة عاد بعدها الى الاندلس وهو اوسع علما واكثر معرفة فتسابق الناس الى مجالسه العلمية وحلقات درسه ، وكان لكثرة الاقبال عليه من طلاب العلم ان اتخذ له مكانا في جامع قرطبه ، وعين له وقتا معلوما في كل اسبوع للتدريس فيه وللاملاء ، فكان يملي في كل يوم جمعه ، وكان مجلسه ذلك من اشهر المجالس العلمية في قرطبه . "٣"

---

١ — هو سفيان بن عيينه بن ابي عمران (١٠٧ — ١٩٨ هـ / ٧٢٥ م — ٨١٣ م) كان من اهل الحديث والفقه ووصف بالورع وتجنب الفتيا (ابن قتيبه : المعارف ص ٢٢١) .

٢ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٣١٢ .

٣ — ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٣ — ١٩٤ — الحميدى : الجذوة ، ص ٣٧٩ — ٣٨٠ (يذكر وفاته سنة ٣٧٦ هـ) .

والى جانب ابن عائذ برز محمد بن عبد الملك بن ايمن (ت ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م) الذى وصف بالبراعة التامة في علم الحديث والتمكن في علومه ، وقد ألف كتابا في السنن صنفه على تراجم كتاب ابي داوود ، وتميز ذلك الكتاب بالدقة والاتقان ، وكان ابن ايمن قد رحل الى المشرق بصحبة رفيقه المحدث قاسم ابن اصبغ فوصلا العراق سنة (٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) ، وكانا يعتزمان لقاء الحافظ المحدث ابي داوود السجستاني صاحب السنن ، ولكنهما وصلا بعد وفاته بسنه ، فلما فاتهما ابو داوود اتجه كل منهما الى تصنيف كتاب في السنن على تراجم كتاب ابي داوود وخرجا الحديث من روايتهما عن شيوخهما ، وكان لكتابيهما منزلة رفيعة بين المحدثين واهل العلم لدقتهما وجلالهما . "١"

ومما يدل على علو كعب بن ايمن في الحديث وعلومه انه حدث بالمشرق كما حدث بعد ذلك في الاندلس ولقي من اهل عصره كل تقدير واجلال وقد اشار الحميدي الى ثناء ابن حزم على كتاب ابن ايمن فيقول (ومصنف ابن ايمن مصنف رفيع . احتوى من صحيح الحديث وغريبه ما ليس في كثير من المصنفات) "٢".

واضافة الى ما تمتع به ابن ايمن من سعة العلم في الحديث ، فقد كان بارعا في الفقه حافظا لمذهب مالك — ولعل ما ساعده على الحفظ والمهارة في اكتساب العلم ما وصف به من ذكاء ونباهة استطاع بهما ان يحفظ الكثير من كتب

---

١ — ابن خير : فهرست ما رواه عن شيوخه ، ص ١٢٤ — ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٢٧ — المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ١٦٩ .

٢ — جذوة المقتبس ، ص ٦٨ .

العلم وتصانيف العلماء فيذكر احد اصحابه من العلماء ان ابن ايمن كان يأتيه الى منزلة فيأمره باخراج كتابه كذا وكذا الذي فيه حديث كذا وكذا فيبدي صديقه دهشته بعدم معرفته لذلك حتى اذا اخرج كتابه المذكور وجد ما وصفه ابن ايمن بالتمام مما يبعث على الاعجاب بقوة حافظته وذكائه لدرجة انه كان حافظا لكتب غيره من العلماء اكثر من حفظهم لها . "١"

اما عن رفيق رحلته الى المشرق قاسم بن اصبغ البياني "٢" (ت٠ ٣٤٠هـ/ ٩٥١م) فيعد من كبار حفاظ الحديث ، ومن المع ما اخرجته الاندلس في هذا الميدان ، وقد سمع العلم من شيوخ وطنه ثم رحل الى القيروان ومصر ومكه والمدينه والعراق ثم عاد الى الاندلس فتهافت عليه طلاب العلم يأخذون عنه ويسمعون منه ما اكتسبه من العلوم والمعارف وقد سمع منه الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم واخوته ، وطال عمره حتى اخذ عنه الكبار ثم الصغار وعرف بسعة علمه في اكثر من علم كالحديث والفقه والادب والنحو . "٣"

ونظرا لمكانة البياني العلمية فقد قربه اليه الحكم المستنصر ابان ولايته للعهد وكلفه بتأليف كتاب في الحديث فصنف كتابا في السنن المسنده بدأه في

---

١ ـ الخشني : تاريخ علماء الاندلس (مخطوط) ورقة ٦٨ ؟

٢ ـ البياني : نسبة الى بيانه من اعمال قرطبه (الحميري : الروض المعطار ص ٥٩) .

٣ ـ ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ ـ ٣٦٦ ـ الحميدي : الجذوة ، ص ٣٣٠ ـ الضبي : البغية ص ٤٤٧ ـ ٤٤٨ ـ ابن فرحون : الديباج المذهب ج ٢ ، ص ١٤٥ ـ ١٤٦ ـ الذهبي : المصدر السابق ج ٣ ، ص ٨٥٣ ـ ٨٥٤ ـ السيوطي : بغية الوعاه ، ج ٢ ، ص ٢٥١ ـ المقري : النفح ، ج ٢ ، ص ٤٧ ـ ٤٨ ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ٥٠ ـ السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافه ، ج ٢ ، ص ١٩٧ ـ ١٩٨ .

محرم سنة ٣٢٤ هـ وقد اختصره من كتابه الكبير فجاء في سبعة اجزاء ، وفيه من الحديث المسند الفان واربع مائة واربعة وتسعون حديثا . "١"

وقد نهج قاسم بن اصبغ في تأليفه لذلك الكتاب ان يكون على ابواب كتاب العلامه المشرقي ابن الجارود صاحب كتاب المنتقي ويشير الحميدى الى ثناء صديقه ابن حزم على كتاب قاسم بقوله : (قال لنا ابو محمد علي بن احمد : وهو خير منه (اى من كتاب ابن الجارود) انتقاء وانقى حديثا واعلى سندا واكثر فائده) . "٢"

وبذلك يتبين لنا المنزلة العلمية التي حظي بها قاسم بن اصبغ ، وما كان يتمتع به من علم واسع ، ومعرفة كبيره بالحديث ، وبراعة في التصنيف ، وانه بذلك قد بز غيره من علماء المشرق .

ولقاسم بن اصبغ كتب اخرى في الحديث مثل كتاب " الناسخ والمنسوخ " وكتاب " غرائب حديث مالك بن انس مما ليس في الموطأ " هذا بالاضافة الى مشاركته في علوم اخرى كالتاريخ ، فقد الف كتابا في الانساب وصف بالجوده والحسن ، وصنف ايضا كتابا في فضائل قريش . "٣"

ولعل من دلائل النهضة العلمية في الاندلس ، وانصراف الناس الى العلم باخلاص وهمة صادقة ما يلاحظ من بروز اسر علمية في المجتمع الاندلسي اسهم ابناؤها في الحركة العلمية ، ومن اشهر الأسرات العلمية في ميدان الحديث اسرة الباجي

---

١ — ابن خير : المصدر السابق ، ص ١٢٤ — ابن العماد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٢٧ — المقرى : النفح ، ج ٣ ، ص ١٦٩ .

٢ — جذوة المقتبس ، ص ٣٣١ .

٣ — الحميدى : نفس المصدر والصفحه .

او بيت الباجي بأشبيليه ، فقد كانت هذه الاسره من اعظم الاسرات التي اسدت للعلم والمعرفة جهودا علمية مثمرة ، فكان لها بذلك يدا بيضاء على العلم ، وكان افرادها جميعهم في الفضل والتقدم على درجة رفيعة حازوا بها قصب السبق في العلوم . "١"

فمن علماء هذه الاسرة عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة اللخمي — (٢٩١ هـ — ٣٧٨ هـ / ٩٠٣ م — ٩٨٨ م) والمعروف بابن الباجي ، كان من حفاظ الحديث المعدودين ، ومن علمائه المذكورين ، وقد تلقى علومه في بلده اشبيليه ثم ارتحل الى قرطبه وقام بالتدريس في جامعها حيث تقاطرت نحوه افواج اهل العلم يأخذون عنه ، وقد اظهر صبرا وجلدا في اداء رسالته العلمية حتى روي انه حدث ودرس نحوا من خمسين سنه . "٢"

ويبدو من انتساب هذا المحدث الى اشبيليه مدى ما كانت عليه هذه المدينة الاندلسية من رقي وازدهار علمي رفيع ، فلم تكن اقل عطاء وبذلا من حاضرة الخلافه وعاصمة الدوله ، وكان لها في الحياة العلمية في الاندلس دور بارز وجهد واضح لا ينكر .

وخلف ذلك المحدث ابنه احمد بن عبد الله (٣٣٢ هـ — ٣٩٦ هـ / ٩٤٣ — ١٠٠٥ م) الذي لم يكن باقل قدرا من ابيه ، فكان عالما بالحديث عارفا بعلومه ،

---

١ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٥٢٢ — ٥٢٣ .

٢ — ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٠ — ٢٤١ —

الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، ص ١٠٠٥ —

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣١٥ .

وكان قد اكتسب علومه في بداية حياته العلمية من ابيه ثم شد رحاله الى المشرق مع ابنه محمد حيث لقيا اقطاب العلم في المشرق فاخذا عنهم وسمعا الكثير ثم عادا الى الاندلس . ليتولى العلامة احمد القضاء ببلده اشبيليه ، ثم ما لبث ان رحل الى قرطبه ليقيم بها وينشر علمه بين اهلها الذين ازدحموا على حلقات درسه ومجالسه العلمية ، وكان لنباهته وسعة علمه انه شوور في ميدان القضاء وعمره ثمان عشرة سنه . "١"

ولم يتوقف عطاء تلك الاسرة في ميدان العلم فقد خلف العلامة المذكور ابنه محمد بن احمد (٣٥٦ هـ ـ ٤٣٣ هـ / ٩٦٦ م ـ ١٠٤١ م) ليحمل راية العلم من بعد ابيه ويؤدي دوره وواجبه تجاه وطنه وامته ، واذا كان العلامة المذكور يعد من علماء الحديث الا ان اهتمامه بالفقه قد غلب عليه . وكان له مشاركة في تصنيف بعض الكتب المتعلقة بالفقه والقضاء "٢" .

ومما يبعث على الاعجاب بهذه الاسرة ان العلم لم يكن مقصورا على افرادها من الرجال بل شمل حتى النساء ، ومنهن فاطمة بنت محمد بن علي اخت المحدث عبد الله بن محمد بن على المتقدم الذكر . وقد شاركت هذه الفقهيه اخاها المذكور في الأخذ عن بعض شيوخه واجاز لها العلامة المحدث محمد بن فطيس الألبيري في جميع روايته بخط يده . "٣"

---

١ ـ ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ١١ ـ ١٢ .
٢ ـ ابن بشكوال : نفس المصدر ا ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ .
٣ ـ الضبي : البغية ، ص ٥٤٧ .

وكان من عوامل نشاط الحركة العلمية في ميدان الحديث ما ابداه الخليفة الحكم المستنصر من تشجيع للعلماء على البحث والدراسة ومنهم علماء الحديث فبتشجيع من الحكم المستنصر ألف المحدث يعيش بن سعيد الوراق كتابا في الحديث وهو مسند حديث ابن الاحمر وكان العلامة يعيش من اروى الناس عن ابي بكر محمد بن معاوية القرشي المعروف (بابن الأحمر) ، وقاسم بن اصبغ البياني ، وهو ما حدا بالحكم المستنصر الى ان يأمره بتأليف مسند في حديث ابن الاحمر فالف له ذلك الكتاب . "١"

ولعناية يعيش بن سعيد بمسند ابن الأحمر فقد كان كثيرا ما يقرأه في حلقات درسه ، فقد اشار الحميدي الى ان ابن عبد البرقال : (قرأ علينا ابو عثمان يعيش ابن سعيد سنة تسعين وثلاثمائة " مسند حديث ابي بكر محمد بن معاوية القرشي " من تأليفه مما سمع منه ، واخبرنا بذلك عنه) . "٢"

ولا شك ان اهتمام الحكم المستنصر باخراج مصنف في حديث ابن الأحمر لدليل على مكانته العلمية وما يتمتع به من منزلة علمية كبيرة بين اهل الحديث .

وكان ابن الأحمر قد رحل الى المشرق فأخذ عن علمائه وفي مقدمتهم احمد بن شعيب النسوي ، وينسب الى ابن الأحمر انه اول من ادخل كتابه في السنن الى الاندلس حيث اخذه العلماء عنه ، وبقي مشتغلا بالعلم والبحث الى قريب من عهد الحكم المستنصر "٣" .

---

١ — الحميدي : الجذوة ، ص ٣٨٦ — ٣٨٧ .
٢ — الجذوة : ص ٣٨٧ .
٣ — الحميدي : نفس المصدر ، ص ٨٨ — ٨٩ .

وكان لابن الأحمر اسهام في حركة الانتاج العلمي المتصل بالحديث فقد ألف مسندا في الحديث فيه من الحديث المسند اربعة الاف حديث وثلاثون حديثا ومن الصحابة ثلاث مائة وثلاث عشر ، ومن النساء ثلاث واربعون امرأة . "١"

وبالاضافة الى ما ذكر عن اهتمام الحكم المستنصر بالتأليف العلمي في ميدان الحديث ما ذكر عن محمد بن احمد بن يحيى بن مفرج القرطبي (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) الذى رحل الى المشرق في طلب العلم ، وقصد الحجاز واليمن ومصر والشام والعراق واخذ عن علماء كثيرين قدر هو عدد هم بما يزيد عن مائتي عالم وشيخ ، ولدى عودته الى الاندلس كان الحكم المستنصر آنذاك وليا للعهد ، ونظرا لما عرف عنه من عناية بالعلم واكرام لأهله فقد ارسل في طلب هذا العالم الى قصره حيث اكرم نزله ورفع مكانته بين علماء الحديث فصنف له مؤلفات عديدة في مختلف ضروب المعرفة . "٢"

ويلاحظ الباحث في سير اولئك العلماء الافذاذ انهم كانوا حسب المصطلح الحديث " موسوعيين " نبغوا في علوم شتى ، وكانوا يطلقون في الاندلس على من اتصف بذلك لفظ (متفنن " اي ان له سهم وافر في كل فن من العلوم ، فالعلامة محمد بن عبد الله بن محمد المري (٣٢٤ هـ — ٣٩٨ هـ / ٩٣٥ م — ١٠٠٧ م) كان بارعا في الحديث وعلومه الى جانب رسوخه في الفقه والتفسير والادب والتاريخ ،

---

١ — ابن خير : المصدر السابق ، ص ١٤٣ .

٢ — ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٩١ — ٩٢ — ٩٣ — الحميدى : الجذوة ، ص ٤٠ — الضبي : البغية ، ص ٤٩ .

فكان بذلك (راسخا في كل جمّ من العلوم .... ماروى قبله ولا بعده مثله)"١"

كما ان المحدث عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس (٣٤٨ هـ ـ ٤٢٠ هـ / ٩٥٩ م ـ ١١١١ م) كان من أئمة الحديث وكبار علمائه حافظا للحديث عارفا بعلومه وما يتصل به من اسماء الرجال بصيرا بالمعدّلين منهم والمجرحين ، عرف بالذكاء وتوقد الذهن ، وقد اعانه ذلك على الحفظ حتى انه كان يلقي دروسه في الحديث من حفظه ، وكان التلاميذ يكتبون عنه ذلك ، واضافة الى تضلعه بالحديث وعلومه فقد كان بارعا بالتاريخ والسير والادب محبا للكتب جمّاعا لها . "٢"

وقد صنف ابن فطيس كتبا في الحديث منها " كتاب الأخوة من المحدثين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين " في اربعين جزءا ، و " مسند حديث محمد بن فطيس " في خمسين جزءا ، و " مسند قاسم بن اصبغ الموالي " في ستين جزءا ، وكتاب في " الكلام على الاجازة والمناوله " في عدة اجزاء ، و " الناسخ والمنسوخ " في ثلاثين جزءا . "٣"

ولابن فطيس تصانيف كثيرة في فروع مختلفة من العلم ولكننا اكتفينا بذكر ما هو متصل بالحديث . "٤"

---

١ ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .
٢ ـ ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٣١٠ ـ ٣١١ .
٣ ـ ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء والصفحة .
٤ ـ انظر مؤلفاته الأخرى في المصدر السابق نفس الجزء والصفحة ، وانظر : الذهبي تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، ص ١٠٦١ ـ والبغدادي : هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٥١٥ .

ومن دلائل النهضة العلمية في ميدان الحديث ما قام به الكثير من علماء الاندلس من دراسة لكتب الصحاح ، كصحيح البخاري وصحيح مسلم ، والسنن كسنن الترمذي ، والنسائي ، فتناولوها بالايضاح والشرح ، فممن ينسب اليه الاشتغال بذلك العلامة هشام بن عبد الرحمن بن عبد الله الصابوني (ت ٤٢٣ هـ / ١٠٣١ م) الذى كانت له عناية بصحيح البخارى ، فشرحه وراعى في تفسير أحاديثه ان يكون على حروف المعجم ، وقد وصف ذلك الكتاب بالاهمية العلمية . "١"

واثبت الاندلسيون قدرتهم الكبيرة في اثراء ميدان الحديث وعلومه بتآليفهم ودراساتهم المتعددة ، ويأتي في هدمة هؤلاء ابو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمرى الذى سبق الحديث عنه في ميدان الفقه فالى جانب ما تميز به من علم واسع في الفقه ، فقد كان من حفاظ الحديث والعارفين بعلومه وطرقه حتى قال فيه ابو الوليد الباجي — من علماء عصر الطوائف — (لم يكن بالاندلس مثل ابي عمر في الحديث) . "٢"

وقد شارك ابن عبد البر في حركة الانتاج العلمي بكتبه التالية " كتاب التقصي لحديث الموطأ " وكتاب " الانباه عن قبائل الرواه في اسماء رجال الحديث " وكتاب " الكنى في رجال الحديث " وكتاب " الشواهد في اثبات خبر الواحد " "٣"

---

١ — ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٥٠ .

٢ — الذهبي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١١٢٨ .

٣ — الذهبي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١١٢٩ — ١١٣٠ — البغدادى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٥٠ — ٥٥١ .

وكان لقدرة ابن عبد البر على التأليف ان اخرج كتبا كثيرة في فروع العلم المختلفة ونال بذلك منزلة رفيعة بين علماء عصره ، وما تلى ذلك من عصور حتى قال فيه ابن سعيد — مشيدا بعلمه — (وانظر الى آثاره تغنك عن أخباره) "١" .

— ومما يؤكد اهمية الرحلات العلمية ما ادخله الكثير من علماء الاندلس الى بلادهم من ضروب التآليف العلمية ومنها الحديث . فقد روي ان العلامة عثمان بن ابي بكر الصدفي (ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) رحل الى المشرق فسمع من اهل العلم ومنهم الحافظ ابى نعيم الاصفهاني الذى كتب عنه بخطه ما يقارب مائة الف حديث ، ثم عاد الى الاندلس وهو يحمل كتبا قيمه في الحديث ، وقد نسب اليه انه اول من ادخل كتاب غريب الحديث للخطابي الى الاندلس . "٢"

وكان لابن حزم قدم راسخة في الحديث ، فهو يعد من حفاظه والعارفين بعلومه ، وقد صنف في ذلك كتبا عديده ، فمما ينسب اليه منها كتاب " الجامع في صحيح الحديث " وكتاب " شرح حديث الموطأ والكلام على مسائله " وترتيب مسند بقي بن مخلد ، واجوبة من صحيح البخارى ، وكتاب مهم السنن وغيرها . "٣"

وكما شاركت النساء في ميدان الفقه فقد كان لهن مشاركة في نشاط الدراسات المتعلقة بالحديث وعلومه ، ونلاحظ من سير النساء العلمية ان المرأة لم تقتصر في اخذ العلم عن المقربين لها كالأب او الأخ او الزوج بل سعت الى كسب

---

١ — المغرب في حلي المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠٧ — ٤٠٨ .
٢ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٤٠٨ .
٣ — عبد الحليم عويس : ابن حزم الاندلسي ، ص ١١٢ (وفيه انظر بقية المصنفات المنسوبة لابن حزم في الحديث) .

العلم واخذ المعرفة أنى كانت وسلكت في ذلك طريق الرحلات العلمية ولكن مع من تربطها به صلة القرابة اى ان تكون مع محرم لها ، فيذكر ان راضية مولاة الخليفة الناصر والتي اعتقها ابنه الحكم المستنصر وتزوجها لبيب الفتى انها رحلت هي وزوجها الى المشرق فحجا سويا سنة (٣٥٣ هـ / ٩٦٤ م) ، وكانا يقرءآن ويكتبان ويتدارسان كتب العلم ، ودخلا الشام ولقيا الشيوخ والعلماء هناك ، ثم رحلا الى مصر فألتقوا بشيوخ العلم هناك ايضا . وقد روى عنها العلامة ابو محمد بن خزرج ، وقال عندي بعض كتبها ، وتوفيت راضية سنة (٤٢٣ هـ / ١٠٣١ م) بعد عمر مديد بلغ مائة وسبعة اعوام " . "١"

ونظرا لما حفل به ذلك العصر وما قبله من اعلام المحدثين فقد صنف بعض العلماء معاجم لعلماء الحديث فمنها ما صنفه مسلمة بن القاسم بن ابراهيم (ت ٣٥٣ هـ / ٩٦٤ م) حيث صنف كتاب طبقات المحدثين والذيل على الطبقات المذكور . "٢"

وكان لصلات العلامة احمد بن سعيد الصدفي (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) — بأهل الحديث والعلم عامة اثر كبير في معرفته الواسعة بالعلماء ، مما دفعه الى تصنيف معجم في المحدثين بلغ فيه الغاية والدقه واخذه عنه تلاميذه واهل العلم . "٣"

---

١ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٩٣ — ٦٩٤ .
٢ — البغدادي : هدية العارفين ، ج ٢ ، ص ٤٣٢ .
٣ — ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٣ — ٤٤ — الصفدي : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٨٩ — ٣٩٠ —
آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٤٠١ .

واخيرا لا يفوت الباحث في سير العلماء وخاصة علماء الدين ان يشير الى ما صنفه العلامة المحدث عبد الله بن يوسف الازدي المعروف (بابن الفرضي) (٣٥١ هـ — ٤٠٣ هـ / ٩٦٢ م — ١٠١٢ م) فقد صنف كتابه المشهور " تاريخ علماء الاندلس " حيث ضمنه اعدادا كبيرة من اولي العلم في الفقه والحديث بوجه خاص ، ولعل سعة علمه في الحديث وعلومه كان له اكبر الأثر في اخراج هذا العمل العلمي الرائع . ومما يؤسف له ان نهاية ابن الفرضي كانت مؤلمة للغاية ، حيث قتل في الفتنة التي اجتاحت قرطبة سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م . "١" كما ان لابن الفرضي مؤلف اسمه " المختلف والمؤتلف في اسماء الرجال " وقد لقي هذا الكتاب قبولا كبيرا لدي العلماء آنذاك حتى قال فيه ابن حزم (لا أعلم مثله في فنّه البته) . "٢"

وموجز القول فى النشاط العلمي للاندلسيين في هذا الميدان من العلوم الدينية انهم استطاعوا ان يبرهنوا على قدراتهم الواسعة في تناول هذا العلم من العلوم الدينية بالدراسة والبحث الجادين وقدموا في ذلك روائع من انتاجهم العلمي الغزير .

والحق اننا لو نظرنا في كتب التراجم الاندلسية لبها لنا ما حوته من اعداد غزيرة لعلماء الحديث ، وهذا يدل دلالة واضحة على ما بلغه علم الحديث من نشاط كبير يبعث على الاعجاب باولئك العلماء ، وبما قدموه من تصانيف وتآليف لا تزال المكتبة الاسلامية حتى وقتنا الحاضر تضم اعدادا كبيرة منها .

---

١ — الحميدي : الجذوة ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ — الضبي : البغية ، ص ٣٣٤ — ٣٣٥ — ٣٣٦ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٢٥٢ — ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج ١ ، ص ٤٥٢ — ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ١٠٥ — ١٠٦ — ابن قنفذ : الوفيات : ص ٢٢٧ — ٢٢٨ — الزركلي : الاعلام ، ج ٤ ، ص ١٢١ — بروكلمان : تاريخ الادب العربي ، ج ٦ ، ص ١٠١ .

٢ — المقري : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٧٠ (نقلا عن رسالة ابن حزم فى فضل الاندلس) .

ج - علوم القرآن

===========

القراءات :

============

احمد بن محمد الطلمنكي - عثمان بن سعيد الداني - مكي بن ابي طالب القيسي - علي بن محمد الانطاكي - احمد بن علي الربعي - عبد الملك بن ادريس البجائي - احمد بن قاسم اللخمي .

====

يقصد بعلوم القرآن ما يتعلق به من علوم كالقراءات والتفسير ، وكان للاندلسيين في هذه العلوم نشاط واضح ملموس ، ويجدر بنا قبل الحديث عن النشاط العلمي المتعلق بالقراءات ان نشير اشارة سريعة الى معنى القراءات .

روى ان الصحابة رووا القرآن عن الرسول صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض الفاظه وكيفيات الحروف في ادائها ، وانتقل ذلك عنهم الى غيرهم واشتهر الى ان استقرت سبع طرق معينة وتواتر نقلها ايضا بادائها ، واختصت تلك القراءات باصحابها الذين اشتهروا بروايتها من بين القراء الآخرين فأصبحت هذه القراءات اصولا للقراءة وذاعت بين المسلمين . "١"

والقراء السبعه هم نافع المدني ، وعاصم بن ابي النجود ، وابو عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن كثير ، وعبد الله بن عامر ، وحمزة بن حبيب ، وعلى بن حمزه الكسائي . "٢"

---

١ — ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٣٧ .

٢ — احمد حسن الزيات : تاريخ الادب العربي ، ص ٩٢ . وانظر: ابن قتيبه : المعارف ، ص ٢٣٠ — ٢٣١ .

والقراءات التي يقرأ بها الناس اليوم وصحت روايتها عن الائمة انما هي جزء من الاحوف السبعة التى نزل بها القرآن ، ووافق اللفظ بها خط مصحف عثمان رضي الله عنه الذى اجمع الصحابة رضي الله عنهم ومن اتى بعدهم عليه ونبذ ما سواه . "١"

ولما كانت الحركة العلمية في الاندلس في عصر الخلافة قد ازدهرت بصورة كبيرة وشملت ميادين العلم المختلفة فانه من الطبيعى ان يكون لعلوم القرآن نصيب وافر في هذا النشاط العلمي ، وقد سبق القول في التمهيد الى ان العلامه الغازي بن قيس احد علماء عصر الامارة قد ارتحل الى المشرق حيث اخذ القراءات عن العلامة المقرى نافع المدني وصحح مصحفه على مصحف نافع ثلاث عشرة مره . "٢"

وفى هذا اشارة الى بداية اشتغال الاندلسيين بعلم القراءات واهتمامهم بها ، وان دخول قراءة نافع - وهو احد القراء السبعة - الى الاندلس في عصر الاماره ليعد مؤشرا الى ما سوف تحتله هذه القراءه المعينة بين قراء الاندلس ، وخاصة اذا علمنا ان الغازى بن قيس الذى ينسب اليه ادخالها كان معلما للتلاميذ ومؤدبا لهم وهو امر يفيد بلا شك في سرعة انتشار هذه القراءة بين الاندلسيين .

وعليه فان جهود الغازى بن قيس كانت فاتحة الجهود العلمية في هذا الحقل من الدراسات ، وقد اشار المقدسي الى انتشار قراءة نافع بين الاندلسيين مما يؤكد غلبتها على من سواها من القراءات . "٣"

---

١ - مكي بن ابي طالب : الابانة عن معاني القراءات ، ص ٢١ - ٢٢ .
٢ - ابن الجزري : غاية النهاية ، ج ٢ ، ص ٢ .
٣ - احسن التقاسيم ، ص ٢٣٦ .

وفي عصر الخلافة برز العديد من علماء القراءات والذين اثروا هذا الميدان بجهود هم الموفقه • وكانت هذه الطائفة من العلماء تحتل مرتبة عالية في المجتمع الاندلسي نظرا لارتباط حياتهم العلمية بالقرآن الكريم من جهة ، وما يقومون به من دور تربوي في تعليم اطفال المسلمين قراءة القرآن بوجه سليم يضمن لهم الفهم الصائب والادراك الصحيح لمعاني القرآن ، وما ينتج عن ذلك من حسن التهذيب وغرس المعاني الكريمة في نفوس الناشئة ليكون ذلك زادا لهم في مسيرتهم العلمية • ولا يعني هذا ان دور القُرّاء كان محصورا في ذلك بل كان علم القراءات علما واسعا وعميقا فكان الكثير من طلاب العلم يقبلون على دراسته ومعرفة قواعده ، والتي يستهدف منها قراءة القرآن على الوجه الصحيح بعيدا عن التصحيف او الخلط •

ومن علماء القراءات في عصر الخلافة العلامة المقري ابو عمر احمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي (٣٤٠ هـ — ٤٢٩ هـ / ٩٥١ م — ١٠٣٧ م) "١" ، وكان لهذا المقري مكانة بارزة بين قراء عصره ، نظرا لما تمتع به من معرفة واسعة بعلوم القرآن ، فقد كان اماما بارعا في علم القرآن ، قراءته ، واعرابه ، واحكامه ، وناسخه ومنسوخه ، ومعانيه • وكان له فيها تصانيف تنم عن سعة علمه وعمق فهمه في هذا الميدان • "٢"

---

١ — الطلمنكي : نسبة الى طلمنكه ، وهي مدينة بثغر الاندلس بينها وبين وادي الحجاره عشرون ميلا •
(الحميري : المصدر السابق ، ص ١٢٨) •

٢ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٤٥ — ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٩ — الصفدي : الوافي ، ج ٨ ، ص ٣٢ — ٣٣ •

وكانت له رحلة الى المشرق حيث التقي بعلماء القراءات فأفاد منهم واخذ عنهم شيئا كثيرا ، ومن اخذ عنهم علي بن محمد الانطاكي ، ومحمد بن علي الادفوي ، ثم عاد الى الاندلس وهو اوفر حظا واكثر علما ، ونسب اليه ادخال بعض القراءات الى الاندلس . "١"

كان الطلمنكي ذا همة عالية في تعليم وتدريس طلبة العلم ، وكان لا يأخذ على ذلك اجرا بل كان يحتسب عمله لوجه الله ، واخذ ينتقل من بلد الى بلد ينشر علمه في كل منها ، وكان الناس يسارعون الى حلقات درسه ، لما اتصف به من علم ومعرفة ، وقد روي انه خرج على تلاميذه وهم يتدارسون القرآن ويتلقون القراءآت عليه فقال : اقرأوا واكثروا فاني لا اتجاوز هذا العام ، فاظهر تلاميذه دهشتهم وقالو لمه يرحمك الله ؟ فقال رأيت البارحة من ينشدني في النوم .

اغتنموا البر بشيخ ثوى يرحمه السوقة والصيد

قد ختم العمر بعيد مضى ليس له من بعده عيد

وقد توفي في ذى الحجة من ذلك العام (٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) . "٢"

وعاصر الطلمنكي من القراء المشهورين العلامة المقري ابو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان القرطبي الداني "٣" الذى يعتبر بحق احد مفاخر الاندلس في هذا الميدان فكان ذا قدم راسخ في القراءات ، عارفا بمعانيها عالما بما يتصل بها ، كما صنف فيها الكثير من الكتب الدالة على علمه وفهمه ، وقد حرص على ان

---

١ — ابن الجزري : غاية النهاية ، ج ١ ، ص ١٢٠ — ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٤٤ .

٢ — الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، ص ١٠٩٩ .

٣ — الداني : نسبة الى دانيه ، مدينة بشرقي الاندلس . (الحميري : الروض المعطار ، ص ٧٦) .

يكون علم القراءات وقواعده ميسور المأخذ ٠ سهل المنال ليكون ادعى الى فهمه وتعلمه ، فنظم علوم القراءات في ارجوزه ليحفظها طلبة العلم ٠ "١"

وقد اطنب المؤرخون في الثناء على الداني وانه لم يكن له نظير في عصره ولا بعد ذلك ايضا ، وانه لم يكن احد يضاهيه في حفظه وتحقيقه وعلمه الواسع بالقراءات ورواياتها ومعانيها وطرقها ، وكيف انه تمكن بجهوده العلمية البارعة جعل القراء عالة عليه في كتبه وآرائه ٠ "٢"

وقد انصرف الداني الي ميدان البحث والتأليف فاخرج تصانيف علمية قيمة تشهد له بعلو كعبه في علوم القرآن حتى قال فيه احد العلماء (ومن ينظر في كتبه علم مقدار الرجل وما وهبه الله تعالى فيه فسبحان الفتاح العليم) "٣"٠

ومن تصانيف الداني في القراءات كتاب " جامع البيان في القراءات السبع وهو من اعظم كتبه ، ويشتمل على نيف وخمسمائة رواية وطريف حتى قيل انه جمع فيه كل ما يعلمه في هذا العلم ٠ "٤"

---

١ ــ الحميدي : الجذوة ، ص ٣٠٥ ــ الضبي : البغية ، ص ص ٤١١ ــ ٤١٢ ــ الحميري : المصدر السابق ، ص ٦٧ ــ السيد عبد العزيز : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٨ ــ لطفي عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٤٥ ٠

٢ ــ الذهبي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١١٢٠ ــ ١١٢١ ــ المقري : النفح ، ج ٢ ، ص ١٣٥ ــ ١٣٦ ــ شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، ج ٣ ، ص ٣٣٢ ــ ٣٣٣ ــ احمد عطية الله : القاموس الاسلامي ، ج ٢ ، ص ٣٣٢ ــ لطفي عبد البديع : الاسلام في اسبانيا ، ص ٤٥ ٠

٣ ــ ابن الجزري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٠٤ ــ ٥٠٥ ٠

٤ ــ حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٥٣٨ ٠

كما ألف الداني من التصانيف كتابه " التيسير في القراءات " • ونظم منظومة اسماها " الاقتصاد " في علم القراءات وتقع في مجلد • كما الف كتابا في طبقات القراء في اربعة اسفار ، ضم فيه المقرئين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين الى عصر مؤلفه على حروف المعجم • "١"

ولم تكن شهرة الداني مقتصره على بلده الاندلس بل كان ذائع الصيت مشهور الاسم في العالم الاسلامي لما كان له من جهد عظيم رائع في الدراسات العلمية المتصله بعلوم القرآن الكريم • "٢"

وكانت الاندلس تستقبل الكثير من العلماء في مختلف وجوه المعرفة حيث كانوا يلقون كل تأييد وتشجيع من العلماء. ففيما يتصل بعلم القراءات فقد وفد على الاندلس العلامة المقرى مكي بن ابي طالب حموش بن حمد بن مختار القيسي (٣٥٥ — ٤٣٧ هـ / ٩٦٥ م — ١٠٤٥ م) وذلك سنة (٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م) حيث استقبله الحاجب عبد الملك بن المنصور بن ابي عامر بكل ترحيب وتكريم ، وعينه للتدريس بجامع الزهراء ، ولما زال نفوذ العامريين نقله الخليفة محمد بن هشام المهدى الى قرطبه ، ونظرا لما تمتع به مكي من علم واسع ومعرفة عميقة بعلوم القرآن فقد كان لذلك اكبر الاثر في ازدياد حركة الاقبال على مجالسه العلمية ، فتهافت عليه طلبة العلم وعلموا مقداره العلمي فأخذوا عنه وسمعوا منه الكثير ، ولذلك

---

١ — ابن خير : المصدر السابق ، ص ٧٢ •

٢ — للوقوف على اسماء مصنفاته الاخرى انظر : ابن الجزري : غاية النهاية ، ج ١ ، ص ٥٠٤ وايضا ابن خير : فهرست ما رواه عن شيوخه ، ص ٢٩ •

ذاع صيته في الاندلس في علم القراءات . "١"

وما يدل على منزلته العلمية ما وصفه به احد اصحابه وهو احمد بن محمد المقرى حيث قال (كان نفعه الله من اهل الشهر في علوم القرآن والعربيه ، حسن الفهم والخلق ، جيد الدين والعقل ، كثير التأليف في علوم القرآن ، محسنا لذلك ، مجودا للقراءات السبع ، عالما بمعانيها . "٢"

وقد صنف مكي كتبا كثيره ، منها "كتاب الهداية الى بلوغ النهاية" ، وكتاب "تفسير اعراب القرآن" ، وكتاب "التبصره في القراءات السبع" ، وكتاب "البيان عن وجوه القراءات في كتاب التبصره" وقد وصف بغزارة الفائده . "٣"

وكان مكي يدرك ما هو عليه من علم ومعرفة ادراك ثقة وليس غرورا بنفسه ، فهو قد قدم من تصانيف العلم والتأليف ما يجعله يحتل مكانة رفيعة بين علماء عصره فقد قال في مقدمة احد كتبه (هذا كتاب ابين فيه ان شاء الله تعالى معاني القراءات وكيفيتها وما يجب ان يعتقد فيها ، مع ما يتصل بذلك من فوائدها وغرائب معانيها ، وما علمت ان احدا تقدمني الى مثل كتابي هذا اى بما جمعت وبينت فيه اعظم الله عليه الاجر واكمل به الذكر ، وجعله لوجهه خالصا) . "٤"

---

١ — ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ، ص ٦٣٢ — ٦٣٣ — ابن الجزرى : الصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ — ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره ، ج ٥ ، ص ٤١ — الانبارى : نزهة الألباء ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ — ابن قنفذ : الصدر السابق ، ص ٢٤٢ — ٢٤٣ .

٢ — ابن بشكوال : الصله ، ح ٢ ، ص ٦٣١ .

٣ — الانبارى : نزهة الالباء ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ — المقرى : النفح ، ج ٣ ، ص ١٧٩ .

٤ — الابانه عن معاني القراءات ، ص ١٩ — ٢٠ .

وظهر غير هؤلاء قراء آخرون ، ولكنهم لم يصلوا في علمهم وشهرتهم الى ما وصل اليه من ذكرناه ، فمنهم علي بن محمد بن اسماعيل الانطاكي (٢٩٩ هـ ـ ٣٧٧ هـ / ٩١١ م ـ ٩٨٧ م) الذى دخل الاندلس سنة (٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م) فتلقاه الخليفة الحكم المستنصر بكل اجلال وترحيب ، وقد وصف الانطاكي بالبراعة في القراءات ، فدرس على يديه الكثير من طلبة العلم واخذوا عنه . "١"

ولابن عبد البر النمرى تآليف في القراءات منها " البيان عن تلاوة القرآن" والتجويد والمدخل الى العلم بالتحديد " جزءان و " الاكتفاء في قراءة نافع وابي عمرو بن العلاء " . "٢"

ومن علماء القراءات القادمين الى الاندلس . احمد بن علي الربعي ـ (ت ٤١٠ هـ / ١٠١٠ م) وكان قد قدم الاندلس سنة (٣٧٦ هـ / ٩٨٦ م) واتخذ له مجلسا في جامع قرطبة للتدريس به ونظرا لعلمه الواسع بالقراءات فقد عينه الحاجب المنصور بن ابي عامر مؤدبا لابنه عبد الرحمن ، وكان ذلك العلامة بارعا في القراءات عارفا بعلوم القرآن ، قراءته واعرابه ، واحكامه ، وناسخه ومنسوخه ، وقد ألف في احكامه كتابا قيّما . "٣"

---

١ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٣١٦ ـ ٣١٧ .

٢ ـ الحميدي : الجذوة ، ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨ ـ الضبي : البغية ص ٤٩٠ .

٣ ـ ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٨٥ ـ ابن فرحون : الديباج ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

وكان لاهتمام الخليفة الحكم المستنصر بالحركة العلمية وحرصه الشديد على متابعة ما صنف ويصنف في فروع العلم ما ذكر من ان العلامة المقرى عبد الملك بن ادريس البجاني "١" رحل الى المشرق حيث اخذ عن علمائه ثم عاد الى الاندلس ومعه كتاب الوقف والابتداء عن نافع برواية ورش ، وما ان علم الخليفة الحكم بذلك حتى بعث في احضاره فاطلع عليه وافاد منه . "٢"

واتخذ العلامة المقرى احمد بن قاسم اللخمي (٣٦٣ ــ ٤١٠ هـ) له مكانا في مسجد الغازى بقرطبه ، لتعليم الناس القراءات ، كما انه ألف فيها كتابا لقي من العلماء كل قبول وثناء . "٣"

وشاركت النساء في هذا النشاط العلمي ، فقد نبغت منهن المقرئه ريحانه التى درست القراءات واخذت بعض علومها بالمريه عن ابي عمرو ثم قرأت عليه القراءات الأخرى غير السبع واجازها . "٤"

وبهذا يتبين للباحث في هذا العلم انه كان لاهل الاندلس مشاركة عظيمة في ازدهار الدراسات الدينية المتعلقة بالقراءات ، فظهر بين علمائهم قرّاء قديرون ــ استطاعوا ان يقدموا لهذا العلم الهام من علوم القرآن الشيء الكثير بل اننا لا نبالغ

---

١ ــ البجاني نسبة الى بجانة ــ مدينة بالاندلس من اعمال كوره البيرة بينها وبين غرناطة مائة ميل . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٣٩) .

٢ ــ المراكشي : الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم الاول ، ص ١٣ .

٣ ــ ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٣١ ــ ٣٢ .

٤ ــ الضبي : البغية ، ص ٥٤٦ .

اذا قلنا ان اهل الاندلس كان لهم القدح المعلى في اثراء المكتبة الاسلامية بكتب القراءات ، وان من دلائل تقدمهم في هذا العلم واسهامهم الوافر في ازدهاره ما يتمتع به بعض علماء القراءات من الاندلسيين من مكانة عالية بين المسلمين حتى عصرنا الحاضر ، ويكفي في هذا الصدد شهادة العلماء لابي عمرو الداني بأن القرّاء جميعهم عالة عليه وعلى تصانيفه وكفي بهذا فخرا للاندلسيين وبما قدموه من جهود في علم القراءات .

=====

التفسـ ـ ـ ـ ـ ـير

=============

احمد بن بقي بن مخلد ـ عبد الرحمن بن مروان القنازعي ، محمـ ـ ـد بن عبد الله المري ـ منذر بن سعيد البلوطي ـ مكي بن ابـ ـ ـي طالب •

====

ومما يدخل في علوم القرآن الكريم علم التفسير ، الذى حظي باهتمام كبير من علماء الاندلس ، اذ كان من الطبيعي والقرآن الكريم هو مصدر التشريع ، ومنبع الاحكام ان ينال الكثير من عناية العلماء ، فاقبلوا على النظر في كتاب الله ومحاولة تفسيره مع الاستفادة من جهود العلماء الذين سبقوهم في هذا المجال •

ومن اوائل الدراسات في هذا الميدان ما ألفه العلامة بقي بن مخلد الذى تقدم الحديث عنه في عصر الاماره ـ فقد صنف في التفسير كتابا قيما وصفه ابن حزم بقوله (انه الكتاب الذى اقطع قطعا لا استثني فيه انه لم يؤلف في الاسلام تفسير مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبرى ولا غيره •) "١"

ولا شك ان شهادة ابن حزم لها قيمتها العلمية الكبيرة لما عرف عنه من علم واسع ومعرفة عميقة بعلوم الدين •

واذا كان كتاب بقي بن مخلد قد ألفه في عصر الاماره فما من ريب انه كان له اعظم الاثر فيما تلاه من الوان الانتاج العلمي في التفسير فقد افاد منه علماء ـ

---

١ ـ المقرى : النفح ، ج ٣ ، ص ١٦٨ (نقلا عن رسالة ابن حزم في فضل الاندلس •

التفسير باطلاعهم عليه ، ولعل من دلائل التأثير الذى تركه بقي بعد وفاته ما اتصف به ابنه احمد بن بقي (ت ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م) من صفات اكتسبها عن والده في ميدان العلم . فقد كان بارعا في علوم القرآن وتفسيره واحكامه واختلافات العلماء فيه وكان لعلمه الواسع بما تقدم يصفه ابن عبد ربه بانه من عجائب الدنيا وبأنه نسيج وحده . "١"

وكان الكثير من علماء الاندلس يتناولون ما يفد اليهم من كتب التفسير المشرقية بالدراسة العميقة والبحث ، وتتجلى قدراتهم العلمية وما بلغوه من معرفة واسعة بالتفسير ومناهجه بما سلكوه تجاه تلك الكتب الوافده عليهم فلم يقتنعوا بقراءتها بل كان لهم دور كبير في تنقيح تلك الكتب بالاضافات العلمية او بالتصحيح لما يرد فيها من بعض المعلومات ، او بالاختصار لما فصل منها في صورة تنم عن مستواهم العلمي ونضوجهم الفكري . فيذكر ان العلامة عبد الرحمن بن مروان الانصاري ـ المعروف " بالقنازعي " (ت ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) ارتحل الى المشرق فأخذ عن العلماء وسمع عن الكثير منهم ، ثم عاد الى الاندلس سنة (٣٧١ هـ / ٩٨١م) ليبث علمه وينشره بين الناس فرأى من الفائدة العلمية وتيسير المعرفة لدارسي تفسير القرآن ان يختصر تفسير ابن سلام فتناول ذلك بطريقة علمية ماهرة تنم عن قدرته العلمية وسعة معارفه في التفسير . "٢"

---

١ ـ ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج ١ ، ص ١٧٠ ـ ١٧١ ، (نقلا عن ابن عبد ربه وهو مما ليس في كتابه العقد الفريد) .

٢ ـ ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ .

وكان للكثير من العلماء اهتمام وعناية بعلوم الدين عامة ومن بينها التفسير •
فالعلامة محمد بن عبد الله المري (٣٢٤ هـ ـ ٣٩٨ هـ / ٩٣٥ م ـ ١٠٠٧ م)
كانت له جهود علمية مختلفة في الحديث والفقه والتفسير ، ومما يتعلق بالتفسير
تصنيفه لكتاب في تفسير القرآن "١" ولا ريب ان ارتباط نشاطه العلمي بعلوم
الدين ومعرفته الواسعة بتلك العلوم كان له تأثيره الكبير في تعميق معرفته بتفسير
القرآن ومعرفة احكامه وما يتصل بذلك اذ ان الحديث والفقه اكثر العلوم ارتباطا
بالقرآن الكريم في تفسير معانيه ومعرفة احكامه •

وكان للقاضي منذر بن سعيد البلوطي "٢" دراسات هامة في ميدان التفسير
واحكام القرآن الكريم ، فقد وصف بحفظ اقوال العلماء في تفسيره واحكامه ووجوهه
وحلاله وحرامه ، وصنف في ذلك تآليف عديده منها كتاب " الاحكام " وكتاب
" الناسخ والمنسوخ " وكتاب في " تفسير كتاب الله العزيز " • "٣"

وللعلامة قاسم بن اصبغ البياني مشاركة في ميدان التفسير ، حيث صنف
كتابا في احكام القرآن الكريم • "٤"

---

١ ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ١٧٣ •
٢ ـ البلوطي : نسبة الى فحص البلوط • وهي ناحية من نواحي قرطبه (الحميري : المصدر السابق ، ص ١٤٠) •
٣ ـ الزبيدي : طبقات النحويين ، ص ٢٩٥ ـ الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٤٠ •
٤ ـ حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٢٠ •

ونسب للوزير الكاتب احمد بن محمد بن برد (ت ٤١٨ هـ / ١٠٢٧ م) كتاب في تفسير القرآن الكريم واسمه " التحصيل في تفسير القرآن " "١" ومع ان الحميدى ذكر ذلك العلامة في كتابه جذوة المقتبس "٢" الا انه لم يشر فيه الى تصنيفه لذلك الكتاب ، وهذا مما يدعونا الى الشك في نسبة ذلك الكتاب اليه ، اضافة الى ما وصف به من عناية بالادب والشعر وانه لم تذكر له سابقة في علوم الدين ، ونحن نعلم انه لا يفسر كتاب الله العزيز اديب او شاعر بل عالم بالدين عارف بالقرآن الكريم وتفسيره واحكامه .

وكان لمهارة المقرى مكي بن ابي طالب في علوم القرآن اثر في اكتسابه معارف جمة في ميدان التفسير ووجوهه المختلفة . فقد صنف في تفسير القرآن واحكامه كتابا قيّما ، حيث ذكر ابن خير ان له كتابا في ذلك اسمه " الهداية الى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وانواع علومه " في سبعين جزءا ، وله ايضا كتاب غريب القرآن . وان شيخه محمد بن مكي بن ابي طالب حدثه بهما . "٣"

---

١ ـ البغدادى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٢ .

٢ ـ ص ١١٥ : وذكر الحميدى ان الاديب المذكور كان حيا سنة ٤٤٠ هـ ـ حيث رآه زائرا صديقه ابن حزم بضع مرات . وفي هذا اشارة الى مجانبة البغدادى للصواب عندما ذكر وفاته سنة ٤١٨ هـ .

٣ ـ فهرسة ما رواه عن شيوخه ، ص ٤٣ ـ ٤٤ ، ص ٦٧ . كما ان الانبارى ذكر هذين الكتابين في كتابه نزهة الألباء ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

وبهذا يتجلى لنا المشاركة الطيبة التي قام بها الاندلسيون في ميدان التفسير ويأتي في مقدمتها تفسير بقي بن مخلد الذى يعتبر وساما وضاء فى الدراسات القرآنية للاندلسيين والذي لم يكتف الاندلسيون بذلك فنشطوا في ميدان البحث والتأليف حول القرآن وما يتعلق به من تفسير واحكام فأخرجوا في ذلك انتاجا علميا قيمًا •

=====

د – علم الكلام وموقف الاندلسيين منـــــــــه

========================

تعريف علم الكلام – موقف الاندلسيين منه واثر ذلك في ضعف الاشتغال به – من ابرز المتكلمين في عصر الخلافه – عبد الله بن مسره واتباعه – محمد بن وهب القبرى – محمد بن احمد الشافعي .

====

لكي نستكمل الحديث عن نشاط الاندلسيين في العلوم الدينية يتوجب علينا ان نتعرف على موقفهم من علم الكلام والمشتغلين به ، وقد عرف العلماء هذا العلم بانه (العلم الذى يتضمن الحجاج (الجدال) عن العقائد الايمانية بالادلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف واهل السنة وسر هذه العقائد هو التوحيد) . "١"

وكان لخروج المشتغلين بهذا العلم عن منهج اهل السنة والجماعة اثر في تألب الفقهاء ضدهم ، فالفقهاء يرون في علم الكلام انه بدعة من البدع التي يجب محاربتها والتنكيل باتباعها ، ولهذا وقف علماء المسلمين من اهل الكلام على انهم اهل بدع وزيغ ، فيشير الضبي الى كلام ابن عبد البر النمرى عن هذا الموضوع فيقول (اجمع اهل الفقه والاثار في جميع الامصار ان اهل الكلام اهل بدع وزيغ ولا يعدون عند الجميع في طبقات العلماء) كما ذكر ابن عبد البر في كتابه بيان العلم حال اهل الكلام فيقول (اهل الاهواء عند مالك وسائر اصحابنا هم اهل الكلام ، فكل متكلم فهو من اهل الاهواء والبدع اشعريا كان او غير اشعرى ولا تقبل له شهادة في الاسلام ويفجر ويؤدب على بدعته فان تمادى عليها استتيب منها) . "٢"

---

١ ـ ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٥٨ .

٢ ـ بغية الملتمس : ص ١٥٧ ـ

وبناء على ذلك فان اصحاب علم الكلام كانت ترى فيهم جماعة المسلمين هذا الرأى وتعاملهم على انهم اهل ضلال • "١" ومن ثم كانت تبادر الى التصدي لهم ، واحراق كتبهم ، ففي الاندلس كان لفقهاء المالكية دور بارز في القضاء على المتكلمين وعلى اية حركة تستهدف الخروج على مذهبهم الذى ساد الاندلس •

وقد اشار المقدسي الى كراهيتهم لعلم الكلام وبغضهم لاتباعه ، وانهم ان عثروا على معتزلي فقد يكون نصيبه القتل • "٢"

وهذا بلا شك يعطينا دليلا واضحا على الموقف الصارم الذى اتخذه علماء الاندلس تجاه اهل الكلام ودراساتهم ، وكان لموقف العلماء المذكور اثر في القضاء على تعدد المذاهب ومنع تسرب التيارات الكلامية للاندلس • الأمر الذي ادى الى ضعف اشتغال الاندلسيين به ، وهذا ما عبر عنه ابن حزم بقوله (واما علم الكلام فان بلادنا وان كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ، ولا اختلفت فيها النحل ، فقل لذلك تصرفهم في هذا الباب فهي على كل حال غير عرية عنه ••) "٣"

---

١ — للوقوف اكثر على حال هذا العلم عند المسلمين وما قيل فيه وسبب ظهوره في المجتمع الاسلامي انظر • ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٥٨ ، وما بعدها وكذلك عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥ — ٢٠٦ •

٢ — احسن التقاسيم ، ص ٢٣٦ •

٣ — المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ١٧٦ (نقلا عن رسالة ابن حزم في فضل علماء الاندلس) •

ورغم تضافر جهود فقهاء الاندلس في محاربة علم الكلام والتضييق على المتكلمين الا انه ظهر بعض المشتغلين به ، ومن هؤلاء يحيى بن السمينه (ت ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م) الذى ارتحل الى المشرق ، ولقي هناك علماء الكلام وتأثر باقوالهم وارآءهم في ذلك ، ثم نقلها الى الاندلس ، وكانت له اراء في الاعتزال . "١"

ونسب الاشتغال بهذا العلم الى خليل بن عبد الملك بن كليب ، من اهل قرطبه وبسبب ما نسب اليه من اعتناق اراء اهل الكلام ، فقد اجتمع العلماء بعد موته واخرجوا كتبه ثم احرقوها بالنار . الا ماله علاقة بالفقه . "٢"

وظهر فى عصر الخلافة محمد بن عبد الله بن مسره (٢٦٩ — ٣١٩ هـ / ٨٨٢ م — ٨٣١ م) واشتهر باعتناقه أراء في علم الكلام تنافي تعاليم الشريعة الاسلامية ووصفه الحميدى بقوله (كان على طريقة من الزهد والعباده بسق فيها ، وافتتن جماعة من اجلها وله طريقة في البلاغة وتدقيق في غوامض اشارات الصوفية وتواليف في المعاني نسبت اليه بذلك مقالات نعوذ بالله منها والله اعلم به)"٣"

ويعتبر ابن مسره هذا من ابرز المشتغلين بعلم الكلام الى جانب اشتغاله بالفلسفة مما استوجب تدخل الدولة في القضاء على آرائه وعلى ما ابتدعه اصحابه من بدع خارجه على الدين ، ففي التاسع من ذى الحجة (٣٤٠ هـ / ٩٥١ م) — قرئ على الناس بجامعي قرطبه والزهراء كتاب الخليفة عبد الرحمن الناصر الى

---

١ — ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٨ .
٢ — ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٩ .
٣ — جذوة المقتبس : ص ٦٣ .

الوزير صاحب المدينة عبد الله بن بدر بانكاره لما ابتدعه اصحاب ابن مسره من افكار خارجه على الدين "١" واستمالتهم الناس الى مذهبهم وتسترهم بالزهد ، وان الخليفة اخذته الحمية للدين فأوعز الى وزيره المذكور بتتبع هذه الطائفة والتحقيق معهم ورفع امرهم اليه لينظر في شأنهم فسعى الوزير الى تحقيق ذلك . "٢"

وفي سنة ٣٥٠ هـ جيء بجماعة من اتباع ابن مسره الى القاضي محمد بن يبقي فأمر بما وجد لديهم من كتب فأحرقت واصحابها ينظرون اليها بين الحاضرين وقد ألف القاضي المذكور كتابا في الرد على ابن مسره وتفنيد كلامه حول العقيده . "٣"

وكان لاحتكاك الاندلسيين بعلماء المشرق وتأثرهم بالمجالس العلمية هناك وما يدور في بعضها من مناظرات وجدل بين المتكلمين اثر في اعتقادهم للكثير من الافكار الكلامية ، وتأثرهم بعقائد المتكلمين فأخذهم وهو محمد بن وهب القبري ، ارتحل الى المشرق فأطلع على علوم في المعاني والاراء الكلامية ثم عاد الى الاندلس ليبث افكاره وما اعتنقه من تعاليم فأظهر شيئا من ذلك فشنع الناس عليه في ذلك ووضع نفسه موضع السخط والكراهية . "٤"

---

١ ـ لمعرفة المزيد عن مذهب ابن مسره انظر ابن حزم : الفصل في الملل والنحل ، ج ٤ ، ص ١٩٩ . وانظر ايضا احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، ص ٣١ ـ ٣٨ .

٢ ـ ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٤ ـ ٢٥ .

٣ ـ النباهي : تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٧٨ .

٤ ـ الحميدى : الجذوة ، ص ٩٢ ـ الضبي : البغية ، ص ١٣٠ ـ ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٤٩٧ ـ ٤٩٨ .

ومن المتكلمين الذين وفدوا الى الاندلس محمد بن احمد الشافعي (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) حيث انزله الخليفة الحكم منزلا كريما ، ولكن مالبث ان سخط عليه فاخرجه من البلد لما عرف عنه من اعتناق لاراء المعتزلة ونشره لها بين الناس . "١"

وعليه فان علم الكلام كان بدعة من البدع ، ولا شك ان اتباعه بخروجهم على ما رسمته الشريعة الاسلامية - من وجوب التسليم بما انزله الله عز وجل من تعاليم عن توحيده والايمان به ايمانا مطلقا - لا شك انهم بخروجهم على ذلك قد استوجبوا سخط الامة الاسلامية وكراهية جماعة المسلمين لهم فلم تستقم لهم قناة ولم يعمر مذهبهم طويلا ، وقد وضح لنا من خلال هذا البحث صرامة موقف الفقهاء المالكية في الاندلس في محاربة المتكلمين وارائهم باعتبارهم اهل بدع وزيغ وضلال وبذلك ندرك حال علم الكلام في الاندلس وانكماشه بسقوط اتباعه امام قوة اهل السنه .

====

١ - الصدفي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٧ .

وخاتمة القول في دور الاندلسيين في ميدان العلوم الدينية ، انهم استطاعوا ان يطرقوا كل ابواب العلوم الدينية وان يحققوا في ذلك نشاطا علميا رائعا فقد شهد عصر الخلافة نهضة علمية قوية في كل ميادين المعرفة ، ولما كانت العلوم الدينية من فقه وحديث وتفسير وقراءات هي العلوم الاكثر التصاقا بعقيدة المسلمين في الاندلس ، فقد توفر على دراستها اعداد هائلة من العلماء ، وقد حظيت هذه العلوم منذ عصر الامارة بكثير من الاهتمام والعناية حتى اذا جاء عصر الخلافة كان النشاط العلمي في اوج قوته وذروة ازدهاره ، فاقبل علماء الاندلس بهمة ونشاط على البحث والتأليف في تلك العلوم وتمكنوا من اخراج روائع من الانتاج العلمي تشهد لهم بالنبوغ والتفوق العلمي .

ويكفي احدنا للوقوف على هذه الحقيقة ان يتصفح كتاب ابن الفرضي تاريخ علماء الاندلس اوغيره من كتب التراجم الاندلسية ففيها ما يثبت ان الاندلسيين كانوا في ذلك العصر قد بلغوا شوطا كبيرا في الازدهار العلمي وانهم استطاعوا ان يشاركوا غيرهم من المسلمين في الاقطار الأخرى في دعم المكتبة الاسلامية بنفائس الكتب في الفقه والحديث والتفسير والقراءات .

======

الفصل الثاني

الأدب والنحو وعلوم اللغة

ا ـ الادب : اولا ـ النثر .

(النثر الفني ـ النثر التأليفي الادبي)

ثانيا ـ الشعر .

ب ـ النحو وعلوم اللغة .

ا - الادب :

=========

اولا - النثــــر :

============

والنثر بدوره ينقسم الى نوعيـــن :

ا - النثـــر الفـــني .

ب - النثر التأليفى الادبي .

وسوف نبدأ الحديث عن النثر الفـــني .

===

النثر الفني

==========

تعريف النثر الفني — اهمية الكتابه عند الاندلسيين — منصب الكتابه في عصر الاماره ثم في عصر الخلافه ، وابرز من تولاه — تأثير الادب المشرقي في الانتاج الادبي الاندلسي المتصل بالنثر الفني — غلبة الكتابه الديوانيه على انواع الكتابه الفنيه — سمات الكتابه الفنيه آنذاك — النثر الفني في فترة الحجابه وما اتسم به — بروز الشخصيه العلميه الاندلسيه في هذا الحقل الادبي — من ابرز ادباء هذه الفتره — عبد الملك الجزيرى — ابن دراج القسطلي — احمد بن عبد الملك بن شهيد — كُتّاب الاندلس وبراعتهم في النثر والشعر على حد سواء .

====

النثر الفني يقصد به اسلوب الرسائل الديوانيه • والاخوانيات ،
والوصايا وغيرها من مواضيع النثر الفني • "١"
ومن الطبيعي ان ينال ميدان النثر الفني نصيبا كبيرا من الاهتمام بعد ان اتسع
نشاط الحركة العلميه • وقد برز في عصر الخلافه عدد كبير من الكتاب البلغاء
الذين اغنوا هذا الميدان بانتاجهم الادبي الرفيع •

ونظرا لاهمية الكتابه وما نالته من عناية لدى الاندلسيين فقد كان لكاتب
الرسائل منزلة جليلة في قلوب الناس ، ولكن هذا لا يشفع له من انتقادهم اذا جنح
عن الصواب ، وكان لسمو منصب الكتابه ان كان صاحبها يشرف ويعظم بذلك في
المخاطبات • "٢"

وفي عصر الاماره كان يضم بلاط الدولة اكثر من كاتب ، وهو امر كان —
يبدو انه من مقتضيات السياسه وما يفترضه نظام الدوله "٣" ، الا انه في عصر

---

١ — مصطفى الشكعه : الادب الاندلسي ، ص ٥٧٠ •
٢ — المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢١٧ — احسان عباس :
تاريخ الادب الاندلسي ، ص ٣٢٥ — بطرس البستاني :
دائرة المعارف ، ج ٤ ، ص ٤٨٠ — وبالاضافة الى
كاتب الرسائل كان هناك كاتب الزمام وهو المسئول عن شئون الخراج
ويفترض فيه ان يكون مسلما لاحتياج اعيان الناس ووجوههم اليه
(المقري : النفح ، ج ١ ، ص ٢١٧) •
٣ — للاطلاع على اسماء كتاب الامراء انظر : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٥٨ —
٥٩ — ٦٨ — ٨٠ — ٩٣ — ١١٣ — ١٥٢ •

الامير عبد الرحمن الاوسط نرى انه قد استجد نظام جديد في الكتابه ، اذ اختص ذلك الامير بكاتب خاص يدعى محمد بن سعيد الزجالي واتخذ لوزرائه كاتبا خاصا لكتاباتهم . "١" وقد استمر هذا النظام حتى سقوط الدولة الامويه . "٢"

وحينما تولى الامر عبد الرحمن الناصر وقبل أن يتلقب بالخلافه قام بالكتابه لديه الكاتب عبد الله بن محمد الزجالي الذى يعتبر من كبار الكتاب البلغاء . وهو الذى انشأ البيان الخاص بمروق ابن مسره "٣" .

وظل الزجالي في منصب الكتابه حتى توفي ٣٠١ هـ / ٩١٣ م . فتولاها بعده الاديب عبد الله بن بدر ، الا ان عبد الرحمن الناصر عزله سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م . وولى الكتابه بعده عبد الملك بن جهور الذى عزل هو الآخر سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م . ليتولى الكتابه عبد الحميد بن بسيل الذى لم تطل مدته في ذلك المنصب ليعود عبد الملك بن جهور الى الكتابه مرة اخرى . "٤"

وفي عصر الخلافه اتسعت مهام صاحب الرسائل ، وتشعبت وظائفه ، نظرا لما استجد من اعباء ومسئوليات . وبذلك رأت المصلحه ان يكون هناك اكثر من كاتب لمواجهة الاعباء الملقاه على كاهل الدوله ، وهذا ما حدا بالخليفه عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٤ هـ الى تعيين اربعة من الكتاب يحمل كل منهم لقب وزير ويتولى النظر في جانب من منصب الكتابه (فقلد الوزير جهور بن ابي عبده النظر في كتب جميع اهل

---

١ — ابن حيان : المقتبس تحقيق محمود مكي ، ص ٣٤ — ٣٥ .
٢ — ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٣٥ .
٣ — محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، ج ٢ ، ص ٧٠٠ — (وانظر في ذلك البيان المغرب ، نفس المرجع والجزء ، ص ٧٠٨) .
٤ — ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٦٥ .

الخدمه ، وقلد الوزير عيسى ابن فطيس النظر في كتب اهل الثغور والسواحل والاطراف وغير ذلك ، وقلد الوزير الكاتب عبد الرحمن الزجالي النظر في تنفيذ كل ما يخرجه من العهود والتوقيعات ، وينفذ به الأمر أو الرأى وغير ذلك ، وقلد الوزير محمد بن حدير النظر في مطالب الناس وحوائجهم ، وتنجيز التوقيعات لهم ، فالتزم القوم مالزموا ، فاعتدل بهم ميزان الخدمه ، وسهلت مطالب الرعيه) . "١"

وهكذا نلحظ ان منصب الكتابه كان له دور بالغ في تيسير وتسهيل امور الدوله وما يصدر عنها من قرارات تخدم اهداف الدولة والمجتمع على حد سواء .

ويأتي في مقدمة كتاب عصر الخلافه جعفر بن عثمان المصحفي الذى استعمله الحكم المستنصر اثناء ولايته للعهد كاتبا لديه ، وعندما تولى الخلافه عينه وزيرا وابقاه على وظيفة الكتابه ، (وكان مقدما في صناعة الكتابه ، مفضلا على طبقته بالبلاغه ، وله شعر كثير مدون يدل على تمكنه من الاجاده ، وتصرفه في افانين البيان) "٢" . وفي هذا دليل على ما كان يحرص عليه الخلفاء من تعيين ذوى الكفاءات الادبيه الناجحه في منصب الكتابه .

ويذكر ابن عذارى انه لثقة الخليفه الحكم المستنصر في جعفر فقد جمع له الى جانب الكتابه الخاصة الكتابه العليا وهي خطة الكتابه . "٣"

---

١ — ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ .
٢ — ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٥٧ — ٢٥٨ .
٣ — البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .

وبالاضافة الى ما اشرنا اليه من الكتاب فقد كان لبعض النساء دور بارز في ميدان الكتابه الفنيه ، فقد اختص بعض الخلفاء ببعض الكاتبات . فكان ممن اختصه الخليفه عبد الرحمن الناصر الكاتبه مزنه (ت ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م) ، وقد وصفت هذه الكاتبه بالادب الواسع ، وحسن الخط . "١"

كما اختص الخليفه الحكم المستنصر بكاتبة تدعى لبني (ت ٣٧٤هـ/ ٩٨٤م) وقد عرف عنها البراعه في الكتابه وجودة الخط . "٢"

ولا ريب ان دخول الكتب الادبيه المشرقيه للاندلس الى جانب التأثيرات الادبيه للمشرق في ادباء الاندلس كان لهما من التأثير ما يكفي لطبع انتاجهم في هذا الميدان بالطابع المشرقي . فلو عدنا قليلا الى ما قبل عصر الخلافه لرأينا الاديب فرج بن سلام القرطبي قد رحل الى المشرق . ودرس على ادبائه وفي مقدمتهم اديب المشرق عمرو بن بحر الجاحظ فأخذ عنه علومه وبعض تصانيفه الادبيه مثل البيان والتبيين (وخف على قلب الجاحظ ، فاستكثر منه ، وكتب كثيرا من مصنفاته ورسائله ، فكان اول من ادخلها الاندلس) . "٣"

ومن غير شك انه كان لتلك الكتب تأثير واضح في تلوين صور الانتاج الادبي الاندلسي ، ومنها بطبيعة الحال النثر الفني الذى اخذ يتجه الى الاهتمام بالبدء والموضوع والختام ، وانعكست عليه فخامة الخلافه فكثرت الالقاب ، والجمل الدعائيه المفخمه والعبارات الاعتراضيه المعظمه . "٤"

---

١ ـ الضبي : بغية الملتمس ، ص ٥٤٦ ـ ابن بشكوال : الصله ، ج ٢ ، ص ٦٩٢ .
٢ ـ ابن بشكوال : الصله ، ج ٢ ، ص ٦٩٢ .
٣ ـ ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود مكي ، ص ١٦٤ .
٤ ـ احمد هيكل : الادب الاندلسي ، ص ٢٥٢ .

ويبدو من خلال الاطلاع على ما وصل الينا من ضروب النثر الفني آنذاك ان الكتابه الديوانيه كان غالبة على انواع الكتابه الفنيه ، ولذلك لم تظهر الكتابه الانشائيه المستقله الا فى اواخر عصر الخلافه بظهور كتاب بارعين اغنوا ميدان الكتابه الفنيه بأمثلة رفيعه من كتاباتهم الانشائيه . "١"

وتدل الكتابه الرسميه في هذه الفتره على تفضيل الايجاز والقصد في التعبير وايثار المعنى "٢" . ومن نماذج هذه الكتابه خطاب عبد الرحمن الناصر الى احد المتمردين الذى كان قد تحصن باحد الحصون ، وقد جاء فيه (ولما رأيناك قد تذرعت باظهار اتقاء الله رأينا ان نعرض عليك اولا مالا بد لك منه آخرا ، وليس من اطاع بالمقال كمن اطاع بعد الفعال فبادر مستسلما الى قرطبه "٣" . ومن الامثلة ايضا على هذه الكتابه خطاب الخليفه الحكم المستنصر الى وزيره جعفر المصحفي ، وكان قد اصابه مرض شديد فأوصى اذا مات بتحقيق بعض المطالب لورثته فبعث اليه الحكم برسالة يعده فيها بتحقيق ما اوصى به ويسأل له الشفاء والعافيه . "٤"

وكانت بعض الخطب السياسيه والدينيه تمثل لونا من الوان النثر الفني البديع . فمن النماذج السياسيه للنثر الفني خطبة منذر بن سعيد البلوطي في الحفل الذى اقامه الخليفه عبد الرحمن الناصر (٣٣٦ هـ / ٩٤٨ م) لاستقبال

---

١ ـ احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٣٢٦ .
٢ ـ احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٣٢٦ .
٣ ـ ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ١٨٤ .
٤ ـ ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، ص ٦٩ ـ ٧٠ .

وفد امبراطور الروم قسطنطين السابع . "١"

ولمنذر بن سعيد خطب دينيه تتسم بالبلاغه وجزالة القول ، وقد وصفه الحميدى بقوله (كان عالما فقيها ، واديبا بليغا ، وخطيبا على المنابر وفي المحافل مصقعا) "٢"

وعرف عن الاديب احمد بن محمد بن اضحي البلاغه ، والتقدم في البيان ، فمن خطبه ما قالها بين يدى الخليفه عبد الرحمن الناصر ، حيث قال : الحمد لله المحتجب بنور عظمته عن ابصار بريته ، والدال بحدوث خلقه علي اوليته ، والمنفرد بما اتقن من عجائب دهره ومنن صمديته .. "٣"

وفي فترة الحجابه ازدهرت حركة النثر الفنيه فلمع في ذلك الوقت كتاب بارزون يحررون الرسائل ويصدرون المنشورات ويصفون الوقائع والاحداث الهامه وصفا نثريا . "٤"

وتجلت في النثر الفني تأثيرات مشرقيه مقتبسه عن طريقة ابن العميد والتي تميل الى الاطناب ، وتعتمد على المحسنات من سجع وجناس . "٥"

---

١ ـ انظر هذه الخطبه البليغه في النباهي : تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٦٦ ـ ٦٧ ـ ٦٨ . والامبراطور المذكور يدعى رومانوس حكم من سنة ٩١٢م الى ٩٥٩م ، وقد عرف عنه ميله الى العلم والادب .
(سعيد عاشور : اوروبا العصور الوسطي ، ج ١ ، ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩ .
٢ ـ جذوة المقتبس ، ص ٣٤٨ .
٣ ـ ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ١ ، ص ١٥١ .
٤ ـ احمد هيكل : الادب الاندلسي ، ص ٢٣٨ .
٥ ـ احمد هيكل : نفس المرجع والصفحه .

ويبدو ان النثر الفني في مسيرته قد تعرض لالوان من التأثير الفني المشرقي • ففي بداية الحركة النثريه كان اسلوب الجاحظ يغلب على كتابات الاندلسيين ثم مالبث الحال ان تطور لتحل تأثيرات مشرقيه جديده كطريقة ابن العميد • ولكن الحال لم يدم على هذا التقليد بل ما لبث الاندلسيون ان بلغوا درجة ارقى واسمى من ذي قبل ، فأظهر الكثير منهم نبوغا وابداعا وكان لتمرسهم بالكتابه الفنيه — واشتغالهم الدائب بها اثر في تولد ظاهرة النقد التي اسهمت في نقاء الكتابه الفنيه وتخليصها من الشوائب • فهذا الاديب احمد بن سعيد بن حزم (تقريبا من ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م) يقول في هذا الصدد (اني لا عجب ممن يلحن في مخاطبة او يجيء بلفظه قلقه في مكاتبه ، لانه ينبغي له اذا شك في شيء ان يتركه ويطلب غيره فالكلام اوسع من هذا) • "١"

ويتجلى من خلال هذا النص مدى مالحق الكتابه الفنيه في الاندلس من تطور ورقي ، وانه اصبح هنالك الكثير من الادباء والكتاب الذين اتصفوا بالنظرة الفاحصة والبصيرة النافذه في تقييم الانتاج الادبي من الكتابات الفنيه ، ولا شك انها ظاهرة صحية في ميدان المعرفة •

ويأتي في طليعة كتاب هذه الفترة ابو مروان عبد الملك بن ادريس الجزيري الذي تولى الوزارة والكتابه للمنصور بن ابي عامر ثم لابنه عبد الملك ، وما من شك في ان ما اتصف به من ادب واسع وبلاغه في القول كان له اثره الكبير في توليه تلك المناصب ، فقد كان (عالما اديبا شاعرا غزير الماده ، معدودا في اكابر البلغاء ومن ذوي البديهه في ذلك وله رسائل واشعار كثيره مدونه) • "٢"

---

١ — الحميدي : الجذوه ، ص ١٢٦ — الضبي : البغيه ، ص ١٨٢ •
٢ — الحميدي : الجذوه ، ص ١٢٦ •

وقد اظهر عبد الملك براعة ومقدرة في كتاباته التي كان يكتبها في بلاط ا . المنصور بن ابي عامر ثم لابنه عبد الملك ، وقد عرف عنه في كتاباته ميله الى طريقة الكاتب المشرقي عبد الملك الزيات . "١"

ومن المؤسف ان كانت نهاية عبد الملك حزينة ومؤلمه ولا تتناسب مع مقامه الادبي اذ قضى آخر عمره سجينا بأمر عبد الملك المظفر "٢" ، وقد وصف ابن حيان مكانته الادبيه بقوله (ولم يخلف مثله كتابة وخطابة وبلاغة وشعرا وفهما ومعرفة وبه ختم كتاب الاندلس رحمه الله) "٣" .

وخلف عبد الملك في ديوان الانشاء الاديب ابو حفص بن برد (ت ٤١٨ هـ / ١٠٢٧ م) ، وقد تولى هذا المنصب لدى الخليفه هشام المؤيد بالله ثم للمستعين وغيره ، ووصف هذا الكاتب بالبلاغه وروعة البيان ، فقد اشار ابن بسام الى مقدرته الفائقة في الكتابه وانه اسمع ببلاغته الصم بيانا ، وان له رسائل تعرب عن مقامه الرفيع في هذا الميدان . "٤"

ويحتل الشاعر المشهور ابن دراج القسطلي مكانة سامية بين كتاب تلك الفتره ، فكان من كتاب الانشاء في عهد المنصور ، معدودا في جملة العلماء والادباء ، وكانت له طريقة في البلاغه والرسائل تدل على براعته ، وحسن طريقته في الكتابه . "٥"

---

١ ــ ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٢١ .
٢ ــ لم يشر اى مؤرخ ممن ترجم لعبد الملك الجزيرى اسباب سجنه ولكن ابن بشكوال في كتابه الصله ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ . بقوله (وتوفي بالمطبق في سخطة المظفر عبد الملك بن ابي عامر في ذى القعده سنة ٣٩٤ هـ) .
٣ ــ ابن بشكوال : الصله ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ (نقلا عن ابن حيان فيما لم يتوفر بين ايدينا من كتاباته التاريخيه) .
٤ ــ الذخيره ، القسم الاول ، ج ١ ، ص ٨٤ .
٥ ــ الحميدى : الجذوه ، ص ١١٠ .

ويتضح لمن اطلع على رسائل ابن دراج وكتاباته النثريه عنايته الشديده بانتقاء الالفاظ المناسبه التي تؤدى المعنى في صورة بديعة وجميله ، ويحوى ديوانه الكثير من رسائله التي تؤكد ذلك • ومن كتاباته النثريه الرائعه وصفه لفتح شنت ياقب "١" حيث ابدع في ذلك الوصف ، وحاز على سرور الحاجب المنصور واعجابه • "٢"

وفي اواخر عصر الخلافه يلمع في سماء الكتابه الفنيه الاديب البارع احمد بن عبد الملك بن شهيد ، (المولود ٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م) ، وكان لابن شهيد اراء صائبه وتعاليم موفقه في ميدان الكتابه فقد عرف عنه التمكن في ميدان الادب والتصرف في وجوه البلاغه • وقد تكلم عن الملكة الادبيه التي سماها الطبع وكيف تقوى بالثقافه ومدى تأثيرها في العمل الادبي ، كما تحدث عن اثر البيئة والظروف السياسيه والاجتماعيه في الاذواق والملكات • "٣"

ولم يلتزم ابن شهيد اسلوبا معينا في كتاباته الا انه كان اكثر اعجابا بالبديع وكأنما انشأ رسالته في البرد والنار والحطب والحلواء ليحاكي المقامات فهو مفتون بقدرة البديع في الوصف • "٤"

---

١ — شنت ياقب تقع بمنطقة جليقية بالشمال الغربي ، وسميت بهذا الاسم نسبة الى ما يزعمه النصارى من ان بها قبر القديس يعقوب الحوارى ، وكان المنصور قد قام بحملته المذكوره (٣٨٧ هـ / ٩٩٧م) يسانده في ذلك الاسطول الذى تحرك من مرساه امام قصر ابي دانس في مياه البرتغال الحديثه (انظر : محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، ج ٢ ، ص ٥٥٩).

٢ — الحميدى : الجذوة ، ص ١١٢ •

٣ — احمد هيكل : الادب الاندلسي ، ص ٣٩٤ — ٣٩٥ •

٤ — احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٣٣٣ •

— عن بعض رسائل ابن شهيد في الوصف انظر الثعالبي : يتيمة الدهر ج ٢ ، ص ٤٤ ومابعدها ، والاصفهاني : خريدة القصر ، ج ٢ ، ص ٦٤١ — ٦٤٢ •

ونظرا لمكانته الادبيه فقد وصفه صديقه ابن حزم بقوله (ولنا من البلغاء احمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا ، وهو حي يعد لم يبلغ سن الاكتهال وله من التصرف في وجوه البلاغه وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من — لساني عمرو وسهل) . "١"

ولعل من دلائل اهتمام ادباء الاندلس بهذا الجانب الفني من الادب ان عكف البعض منهم على دراسة ميدان الكتابه الفنيه والبحث في افضل السبل الكفيله باخراج الوان النثر الفني في صورة جيده وقيمه . فقد قام الاديب عبد الله بن محمد البطليوسي (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) بدراسة كتاب ادب الكاتب لابن قتيبه الاديب المشرقي (ت ٢٧٠ هـ / ٩٨٠م) ووضع له شرحا مفيدا . "٢"

ويبدو ان الاندلس قد حفلت باعداد كبيره من الكتاب الامر الذى دفع احد العلماء وهو محمد بن موسى بن هاشم (ت ٣٠٩ هـ) الى تصنيف كتاب في " طبقات الكتاب بالاندلس " "٣" ، وكان هذا الاديب حيا في عصر الاماره وتوفي قبل عصر الخلافه . ومما سبق ذكره يتبين لنا مدى ما وصلت اليه الاندلس في هذا المضمار الادبي الهام ، وان عصر الخلافه بغير شك قد حظي باعداد من الكتاب اكبر واكثر من عصر الاماره ، وفي ذلك دلالة على النهضة الادبيه الكبيره التي عاشتها الاندلس في عصر الخلافه .

---

١ — المقرى : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٧٨ . (نقلا عن رسالة ابن حزم في فضل الاندلس) .
— عمرو : هو عمرو بن بحر بن محبوب الملقب بالجاحظ ولد بالبصره ونشأ ببغداد كان من ذوى الادب والبلاغه والفصاحه يميل الى المعتزله في مذهبهم ، الف عدد من الكتب القيمه في الادب كالبيان والتبيين والحيوان (ابن نباته سرح العيون ، ص ١٤٠ — ١٤١)
— اما سهل : فهو سهل بن هارون الكاتب من نيسابور . تفرد في زمانه بالبلاغه وله كتب في الادب ، وقد حظي بمنصب الكتابه لدى الخليفه المأمون (ابن نباته : المصدر السابق ، ص ١٣٦ — ١٣٧) .
٢ — حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٤٧ — ٤٨ .
٣ — الحميدى : الجذوه ، ص ٨٨ .

وختاما فان ميدان النثر الفني كان في تطوره وازدهاره مماثلا لما سارت عليه بقية العلوم والاداب من اعتماد على التأثيرات العلمية للمشرق في بداية الامر ، ثم ما لبث الحال ان تغير ليبدأ الاندلسيون في محاولة التخلص من قيود التقليد والمحاكاة لغيرهم ، لينتهي الامر بوضوح الشخصيه الاندلسيه وبروزها . وهو ما نلاحظه في الانتاج الادبي لعدد من كتاب الاندلس ، كابن دراج وابن برد واخيرا ابن شهيد الذى ذاع وعلا ذكره في المشرق والاندلس على حد سواء برسالته الرائعه " التوابع والزوابع " . وقد اشار مصطفى الشكعه الى براعة كتاب الاندلس وجمعهم بين المهارة في النثر واجادة الشعر وانهم (حينما يكتبون يحوزون اعجابنا ويثيرون دهشتنا بجمعهم بين جوهري النثر والشعر ، والاجادة فيهما على حد سواء . اذ ان اساتذتهم المشارقة من الكتاب كانوا على اجادتهم للكتابة تضمحل انغامهم وتقل موسيقاهم حين يكتبون الشعر) . "١"

====

---

١ — الادب الاندلسى موضوعاته وفنونه ، ص ٥٦٩ .

النثر التأليفي الادبي

==================

المقصود بالنثر التأليفي الادبي ـ عناية الاندلسيين بالادب ـ ما حفل به عصر الخلافه من الادباء • وابرزهم في ذلك • احمد بن محمد (ابن عبد ربه) وانتاجه الادبي ـ ابو علي القالي ودوره الكبير في ازدهار الحركة الادبيه في الاندلس ـ صاعد بن الحسن وكتابه الفصوص ـ ابن شهيد الاندلسي وانتاجه الادبي ـ ابن حزم وكتابه طوق الحمامه ـ حسان بن ابي عبده وتآليفه الادبيه •

=====

تعني بالنثر التأليفي الادبي تأليف كتب ادب بمفهوم القرن الثالث والرابع الهجريين لكلمة ادب ، فقد كان الادب آنذاك يقصد به الثقافه العربيه الخالصه التي يستهدف بها التأديب والتهذيب ككتاب الكامل للمبرد والامالي لابي علي القالي والاغاني للاصفهاني "١" .

والجدير بالذكر ان الاندلس بلغت في عصر الخلافه درجة رفيعه في النشاط الادبي ، ولا عجب اذا قلنا ان الادب قد استحوذ على جانب واسع من اهتمام الاندلسيين فابدعوا فيه وكان لهم في ذلك انتاج ادبي رائع .

وقد بلغ من عناية الاندلسيين بالادب ان اصبح انبل علم لديهم وبه يتوصل الى صحبة الخلفاء والامراء وينال به رضاهم ، واذا لم يكن العالم اديبا او يتصف بشيء من الادب فانه يكون مستثقلاً في مجالس الخلفاء . "٢"

وبناء على ما تقدم فان الكثير من العلماء الاندلسيين بمختلف تخصصاتهم العلمية كان لا يخلو احدهم من ادب او قرض للشعر ، وان تصفحنا لكتب التراجم الاندلسيه ومنها كتاب جذوة المقتبس للحميدي ليؤكد هذه الحقيقة .

ولم يكن الامر مقتصرا على المسلمين بل نجد ان المسيحيين من اهل البلاد كانوا يقبلون على دراسة اللغه العربية وآدابها في حين كانوا يجهلون الكثير عن لغتهم وآدابهم ، وهذا ما دفع مطران قرطبه الفارو الى ان يقول (ان جميع

---

١ ـ احمد هيكل : الادب الاندلسي ، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .
٢ ـ المقرى : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

الشبان المسيحيين المميزين بالذكاء كانوا يعرفون لغة العرب وآدابهم ويقرأون ويطالعون كتب العرب بولع ويجمعون اعدادا كبيره من تلك الكتب بنفقات باهظه ويعلنون في كل جهة على رؤوس الاشهاد اعجابهم بذلك الادب . "١"

ويذكر احمد امين ان الاندلسيين انتجوا في الادب اكثر مما انتجوا في العلوم الاخرى ، وانهم اثروا من وصف الحياة الاجتماعية بما تضمه مجالسهم بمختلف مشاربها ، ومن وصف الطبيعه والمواقع الحربيه وغير ذلك ، "٢"

وما اشار اليه الكاتب المذكور لا يخلو من الصواب ، الا ان الاندلسيين لم يكونوا اكثر انتاجاً في الادب من بقية العلوم . حيث يبدو انهم كانوا اكثر انتاجا في حقل العلوم الدينيه من بقية فروع العلم ، فقد كان علماء الدين اكثر من الادباء والشعراء يدل على هذا ما حفلت به كتب التراجم الاندلسيه من تراجم الفقهاء والمحدثين والمفسرين ، وبالتالي فان نشاطهم وانتاجهم في مجال العلوم الدينيه كان اكبر واوسع .

---

١ _ آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٤٨٥ _ ٤٨٦ _ روبرت بريفالت : المرجع السابق ، ص ١٤٥ _ اغناطيوس كراتشكوفسكي الشعر العربي في الاندلس ، ترجمة وتعليق محمد منير مرسي ، ص ٢٨ _ خوليان ريبيرا : المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلاميه مقال منشور بمجلة معهد المخطوطات العربيه ، ج ٥ ، الجزء الاول ، ص ٦٩ .

٢ _ ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ٣٥ .

وقد انتج علماء الاندلس مؤلفات غزيره وتصانيف قيمه في ميدان الادب ، وبها استطاعوا ان يرسموا وجها رائعا للاندلس ، اذ احتلت بعض مؤلفاتهم الادبيه مكانة عاليه ليس في الاندلس بل وفي المشرق ايضا .

ونظرا للاعداد الهائله من الادباء التي حفل بها عصر الخلافه فسوف نكتفي بالاشارة الى ابرزهم ، ممن كان لهم اسهام وافر في ازدهار الادب بما قدموا من انتاج ادبي قيم .

ويأتي في مقدمة اولئك الادباء ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه (٢٤٦هـ — ٣٢٨ هـ / ٨٦٠ هـ — ٩٣٩ م) كان بارعا في الادب وقول الشعر ، مما كان له اكبر الاثر في تقريب منزلته لدى الامراء في عصر الامارة ثم لدى الخليفه عبد الرحمن الناصر . كما نال ابن عبد ربه بعلمه وادبه منزلة رفيعه وشهرة واسعه بين ادباء عصره . "١"

وقد نشأ ابن عبد ربه بقرطبه وطلب العلم بها ثم رحل الى المشرق حيث تلقى العلم هناك ، وكان لاطلاعه على كتب الادب المشرقيه اثر في تكوين ثقافته وبالتالي في بروز التأثير الادبي المشرقي في مصنفاته الادبيه واهمها كتاب العقد . "٢"

---

١ — الحميدى : الجذوه ، ص ١٠١ — الثعالبي : يتيمة الدهر ،
ج ٢ ، ص ٧٥ — ابن خلكان : وفيات الاعيان ،
ج ١ ، ص ١١٠ — ابن كثير : البداية والنهايه ،
ج ١١ ، ص ١٩٣ — ابن العماد : شذرات
الذهب ، ج ٢ ، ص ٣١٢ .

٢ — احمد امين : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٨٥ .

ولابن عبد ربه مؤلفات عديده في الادب واللغه ، ولكن ما يهمنا منها كتابه الادبي " العقد " والذى عرف فيما بعد " بالعقد الفريد " حيث ان وصفه بالفريد لم يتم الا فيما بعد وفي عصور متأخره • فلم يذكر ابن الفرضي أو الحميدى أو الضبي ذلك بل اشاروا اليه باسم (العقد) فقط •

ويعتبر هذا الكتاب من روائع الادب العربي واركانه واصوله ، كما يعتبر مرآة لثقافة الاندلسيين في الادب • "١"

وقد اعتمد ابن عبد ربه في تأليفه لذلك الكتاب على ثقافته المشرقيه مما اكتسبه في رحلاته العلميه ، فقد استند في تأليفه الى العديد من المصادر العلميه لعلماء المشرق كالمبرد والاصمعي ، والمدائني ، وابن المقفع ، والجاحظ وابن قتيبه وغيرهم • "٢"

---

١ - لطفي عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٧٥ •

٢ - احمد امين : المرجع السابق ، ص ٧٥ - جبرائيل جبور : ابن عبد ربه وعقده ، ص ٤٤ •

- المبرد : محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الازدي الثمالي (٢٠٧ هـ-٢٨٥هـ/ ٨٢٢ - ٨٩٨ م) من اشهر ادباء الاسلام له كتاب الكامل في اللغه (ابن النديم : الفهرست ، ص ٨٧) •

الاصمعي : عبد الملك بن قريب الباهلي من كبار اهل الادب وكانت الروايه اغلب عليه• ولد (١٢٣ هـ / ٧٤٩ م) وعمر طويلا (ابن قتيبه : المعارف ، ص ٢٣٧) •

المدائني : علي بن محمد بن عبد الله (١٣٥ هـ - ٢٢٥ هـ / ٧٥٢ - ٨٣٩ م) له كتب في المغازى وايام العرب وكان بصريا وسكن المدائن فنسب اليها (ابن الاثير : الكامل ، ج ٥ ص٢٦٢)

ابن المقفع: عبد الله بن المقفع • من ائمة الكتاب واول من عني في الاسلام بترجمة كتب المنطق ولي كتابة الديوان للمنصور العباسي - (الزركلي : الاعلام ، ج ٤ ، ص ١٤٠) •

وقد مرت ترجمة الجاحظ اما ابن قتيبه فقد اشرنا اليه سابقا في المتن عند الحديث عن النثر الفني •

ونلمح مدى التأثير العلمي للمشرق في الحركة الادبيه الاندلسية من خلال قراءتنا لكتاب العقد . ونظرا لما حواه من ادب وشعر لأهل المشرق فلم يحظ في بادئ الامر بقبول واسع لديهم حتى قال الصاحب بن عباد — ابرز وزراء بني بويه في المشرق — عند مطالعته لذلك الكتاب (هذه بضاعتنا ردت الينا) . "١"

واشار ابن عبد ربه في مقدمة كتابه الى طريقته في التأليف ، فقال (وقد ألفت هذا الكتاب وتخيرت جواهره من متخير جواهر الاداب ومحصول جوامع البيان ، فكان جوهر الجوهر ، ولباب اللباب ، وانما لي فيه الاختيار وحسن الاختصار وفرش لدرر كل كتاب وما سواه فمأخوذ من افواه العلماء ومأثور عن الحكماء والادباء واختيار الكلام اصعب من تأليفه وقد قالوا اختيار الرجل وافد عقله)'

وبهذا يتضح المنهج الذى سار عليه ابن عبد ربه في تأليف كتابه المذكور حيث كان عنصر الاختيار هو العامل الرئيسي في ذلك . فقد انتقى عيون الاخبار — والاشعار ونقل كلام العلماء واقوال الادباء . واسهم ايضا في الكلام عن مقدمة كل باب والتمهيد له بفرشة ادبيه تدل على بلاغته وادبه الواسع . وما من شك ان — اختياره لما ورد في كتابه من مادة علميه لدليل على ما اتصف به من ثقافه ادبيه واحاطة بمعارف العرب واخبارهم .

وقد اشار الحميدى الى منهج ابن عبد ربه في تقسيم كتابه بقوله (وهو مقسم على معان وقد سمى كل قسم منها باسم من اسماء نظم العقد كالواسطه ونحوها)."٢"

---

١ — ياقوت : معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢١٩ — ٢٢٠ .
٢ — جذوة المقتبس ، ص ١٠١ .

ويلاحظ في هذا التقسيم جمال وابداع حيث جعل من كتابه عقدا بديعا يحتوى على خمسة وعشرين حبه من جهه ، وخمسة وعشرين حبه من جهة اخرى ، وفي وسطها كلها واسطة العقد وسمى كل باب من الابواب باسم جوهره فتشكلت قلاده جميله تنم عن ذوق فني رفيع أضفاه ابن عبد ربه على كتابه المذكور .

وقد نال هذا الكتاب مكانة رفيعه بين كتب الادب العربية واثنى عليه اكثر من عالم واديب ووصف بالقيمة الادبية الكبيره لما ضمه من ضروب الاداب والمعارف التي لا تتوفر في غيره من كتب الادب الاخرى الا فيما ندر . "١"

وقد اطنب ابن كثير في الثناء على كتاب العقد وانه يتم عن فضائل جمه وآداب ومعارف كثيره ، الا انه لم يغفر له زلاته فأشار الى تشيعه وتحامله على بني اميه وان هذا مخالف للمألوف لانه من موالي بني اميه فكان جديرا به ان يواليهم . "٢"

وعلى الرغم مما قيل عن تشيع ابن عبد ربه الا ان هناك ما يثير الشك في نسبة ذلك اليه . فقد ذكر ابن الابار ان القاسم بن خلف الجبيرى اشار الى ان الفقيه منذر بن سعيد البلوطي نزل على ابيه خلف في داره بطرطوشه "٣" ، واثنا مطالعته لكتبه قرأ احدها وكان يضم ارجوزه لابن عبد ربه يذكر فيها الخلفاء ويجعل معاويه رابعهم ولم يذكر عليا فيهم ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان الى عبد الرحمن بن محمد ، فلما رأى ذلك منذر غضب وكتب في حاشية

---

١ — ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ١١٠ — ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٢ ، ص ٣١٢ .
٢ — البداية والنهايه ، ج ١١ ، ص ١٩٣ — ١٩٤ .
٣ — طرطوشه . مدينه بشرق الاندلس بالقرب من بلنسيه . (القزويني : اثار البلاد ، ص ٥٤٤) .

الكتـــاب :

أو ما على لا برحت ملعنـــــا يابن الخبيثه عندكم بامـــام

رب الكساء وخير آل محمـــد داني الولاء مقدم الاســلام "١"

وما من شك ان في هذا الخبر ما يفرض على الباحث اعادة النظر فيما يتعلق بتشيع ابن عبد ربه وتحامله على مواليه بني اميه .

ومن كبار ادباء ذلك العصر الاديب البارع واللغوي الكبير ابو علي اسماعيل ابن القاسم بن عيذون المعروف بـ " القالي " (٢٨٨ — ٣٥٦ هـ / ٩٠٠م — ٩٦٦م) وكان متضلعا في الادب واللغه والنحو عارفا بها ، والقالي من اهل العراق اخـذ علومه ومعارفه عن علمائه كابي بكر بن دريد الازدي ، وابي بكر بن الانباري ، وابن درستويه وغيرهم . "٢"

وقد توفر القالي على دراسة الادب واللغه حتى اظهر براعة في تلك العلوم وذاع صيته بين علماء عصره . ويقال ان الامير الحكم المستنصر كتب اليه ورغبه فـي القدوم الى الاندلس ، فشد القالي رحاله الى الاندلس ودخلها سنة ٣٣٠هـ / ٩٤١م في ايام الخليفه عبد الرحمن الناصر حيث حظي بمنزلة سامية في بلاط الخلافه "٣" كما استفاد الاندلسيون من علمه الواسع في الادب واللغه واتخذوه حجة فيما نقله .

---

١ — التكمله ، ج ١ ، ص ٢٩٣ .

٢ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٦ — المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ٧٢ .

٣ — الحميـــدى : الجذوه ، ص ١٦٥ — ١٦٦ — المراكشي : المعجب ص ٥٩ — ٦٠ — الصفدى : الوافي ، ج ٩ ، ص ١٩١ — ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ١٨ — السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافه ، =

والجدير بالذكر ان القالي حين دخوله الاندلس جلب معه الكثير من عيون الكتب ونفائس المصنفات الادبيه واللغويه والنحويه لاهل المشرق ، وكان من بينها دواوين شعريه للجاهليين والاسلاميين كشعر ذي الرمه ، وعمرو بن قميئه والحطيئه والنابغه الجعدي ، والاخطل ، وجميل بن معمر العذري وغيرهم "١" .

ومما لا شك فيه انه كان لهذه الكتب اثر عظيم في دفع عجلة النشاط الادبي في الاندلس ، وانها قد دفعت الاندلسيين الى ميدان البحث والتأليف في الادب واللغه والنحو بعد استفادتهم من مطالعة كتب المشارقه ومصنفاتهم التي جلبها ابو علي القالي .

وكان القالي جم النشاط عظيم الاجتهاد في نشر علومه ومعارفه في الاندلس وقد سبق القول عند الحديث عن التعليم ما كان يقوم به من التدريس بجامع الزهراء — وانه كان يكتب عنه في مجلسه العلمي كل خميس اربعمائة شخص اثناء املائه الامالي .

وفي ميدان التأليف العلمي اسدى القالي خدمات علميه جليله بما صنفه من الوان التصانيف في الادب واللغه والنحو .

= ج ٢ ، ص ١٦٤ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج ٤ ، ص ٤٧٦ — نقولا زياده : لمحات من تاريخ العرب ، ص ١٧٤ — كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربي ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ .

١ — ابن خير : فهرست ما رواه عن شيوخه ، ص ٣٩٥ — ٩٦ — ٩٧ — ٩٨ . وهناك الكثير من المصنفات في الادب والاشعار ذكرها ابن خير في كتابه المذكور .

ففي الادب الف كتابه " الامالي " ويسمى بالنوادر ايضا ، حيث صدر كتابه بمقدمة اثنى فيها على الخليفه عبد الرحمن الناصر ثم ولي عهده ابنه الحكم المستنصر وجهودهما في نشاط الحركة العلميه ، ثم اشار الى طريقته في تدريس كتابه ، وكيف املاه على تلاميذه ، ثم ما تضمنه من المعارف ، فيقول — (فامللت هذا الكتاب من حفظي في الاخمسه بقرطبه وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركه واودعته فنونا من الاخبار ، وضروبا من الاشعار ، وانواعا من الامثال ، وغرائب من اللغات ..) " ١ "

ويلاحظ من النص مدى ما كان يتمتع به القالي من علم واسع بالادب واللغه وقوة حافظته التي اعانته على اكتساب معارفه الواسعه في تلك العلوم ،

كما أن في النص اشارة الى ما كان عليه جامع قرطبه وجامع الزهراء من مكانة رفيعه في حياة الاندلسيين العلميه ومدى اسهامهما في النشاط العلمي وازدهار العلوم والآداب .

والجدير بالذكر ان كتاب الامالي قد حظي بمنزلة طيبة بين كتب الادب واللغه ، ولقي من الادباء كل ثناء وتقدير ، فذكره ابن خير فيما رواه عن شيوخه ووصفه بالحسن وانه يشتمل على انواع من العلم لا نظير له في معناه . " ٢ " بل ان العلامة ابن حزم الاندلسي اشار اليه وعده من مفاخر الاندلس العلمية وقارن بينه وبين كتاب المبرد " الكامل " ، فقال (وهذا الكتاب مبار لكتاب " الكامل " الذى جمعه ابو العباس المبرد ، ولئن كان كتاب ابي العباس اكثر نحوا وخبرا فان

---

١ — الامالي : ج ١ ، ص ٣ .
٢ — ص ٣٢٥ .

كتاب ابي علي لاكثر لغة) . "١"

ورغم هذه المكانة العالية التي احتلها كتاب الامالي لدى الاندلسيين الا انه لم يسلم من نقد العلماء . فقد ألف العلامة اللغوي والجغرافي البارع أبو عبيد البكري كتابا في نقد وتصحيح بعض ما ورد في الامالي وسمى كتابه "التنبيه" وقال في مقدمته (وابو علي ـ رحمه الله ـ من الحفظ وسعة العلم والنيل ومن الثقة في الضبط والنقل بالمحل الذى لا يجهل وبحيث يقصر عنه , الثناء الاحفل . ولكن البشر غير معصومين من الزلل ولا برئين من الوهم والخطل . والعالم من عدت هفواته واحصيت سقطاته . كفى المرء نبلا ان تعد معايبه)"٢" .

ولابي علي القالي كتب اخرى منها " الابل ونتاجها وجميع احوالها " في خمسة اجزاء ، وكتاب " حلى الانسان والخيل وشياتها " وكتاب " مقاتل الفرسان " وكتاب " تفسير القصائد والمعلقات وتفسير اعرابها ومعانيها " "٣"

ويبدو ان كتبه المذكوره قد امتدت اليها يد الضياع كما امتدت الى غيرها من ألاف الكتب لعلماء المسلمين في الشرق والغرب .

---

١ ـ المقرى : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٧٢ (نقلا عن رسالة ابن حزم في فضل الاندلس) .
٢ ـ ص ١٥ .
٣ ـ ابن خير : المصدر السابق ، ص ٣٥٥ .

وفي عهد المنصور بن ابي عامر وفد على الاندلس الاديب صاعد بن الحسن الربعي "١" من ادباء المشرق . وقد امدنا صاعد بمقتطفات يسيره عن سيرته العلميه في المشرق وكيف انه تلقى علومه على القاضي ابي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ، والحسن بن احمد النحوي الفارسي ، وانه استظهر كتب اللغه المتداوله آنذاك ، وكتب الادب ودواوين شعر الجاهلية مما قربه الى السلطان "٢" حتى عينه الوزير ابو القاسم عبد العزيز بن يوسف "٣" النظر في خزانة كتبه فافاده ذلك باطلاعه على عيون التاليف واتيح له نسخ الكثير من الكتب التي خرجت في نهب دار المقتدر "٤" والتي كانت بخط الاصمعي والفراء وابي زيد وابن السكيت ما يزيد على

---

١ — جانب الاديب ابو عبد الله محمد الاشبيلي الصواب في كتابه المخطوط "ريحانة الالباب" ورقة ١٣٩ أ . عندما أشار الى قدوم صاعد بن الحسن في عهد الخليفه الحكم المستنصر وانه نال رتبة المنادمه في بلاطه . ولكن الحقيقة ما اشرنا اليه في المتن .

٢ — هو السلطان عضد الدولة بن الحسن بن بويه خلف والده الحسن على ممالكه بعد وفاته ودخل العراق سنة ٣٦٧ هـ (ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٣٦٧) .

٣ — احد وزراء الدولة البويهية قال عنه ابن خلكان (كان احد البلغاء ، وممن يجرى عند عضد الدولة مجرى الوزراء) (وفيات الاعيان ، ج ٤ ، ص ٤٠٦)

٤ — المقتدر : هو الخليفه جعفر بن احمد بويع بالخلافه سنة ٢٩٥ هـ وكانت مدة خلافته اربعا وعشرين سنه واحد عشر شهرا . (المسعودى : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٩٢)
اما عن نهب داره فقد تم ذلك سنة ٣١٧ هـ حينما اقدم مؤنس الخادم وغيره من رجال الدولة على خلع المقتدر وتولية اخيه القاهر بدلا منه (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٥٩) .

ثلاثة الاف ورقه . الا انه فقدها في الحادثة التي وقعت بين الوزير وصاحب بغداد مما حمله على الرحيل عن بغداد والبحث عن وطن آخر يجد فيه ما يناسب مكانته العلميه فكانت الاندلس مقصده . "١" وعندما دخل صاعد الاندلس استقبله المنصور بن ابي عامر بحفاوة بالغة وتكريم عظيم ، واراد ان يجارى به القالي الذى ذاع صيته في عهد الحكم المستنصر . ونظرا لاهتمام صاعد بما يعلي مكانته في بلاط الحاجب المنصور فقد رأى ان يتقرب اليه بعمل علمي ، وصادف ان اطلع صاعد على كتاب الامالي لابي علي القالي فقال للحاجب المنصور (ان اراد المنصور امليت كتاب دولته ارفع منه واجل لا اورد فيه خبرا مما اورده ابو علي فأذن له المنصور في ذلك فجلس بجامع مدينة الزهراء "٢" من اجل ذلك واخذ يملي كتابه المترجم بـ " الفصوص " فلما اكمله تتبعه ادباء الوقت فلم تمر فيه كلمة صحيحه عندهم ولا خبر ثبت لديهم) . "٣"

وقد اشار صاعد في مقدمة كتابه المذكور الى امر المنصور له بتأليف ذلك الكتاب وما رغب اليه في ان يمده بضروب طريفه من الادب والشعر مما لم يتضمنه

---

١ — الفصوص (مخطوط) ج ١ ، ورقة أ ب .

— انظر في ترجمة الفراء وابي زيد وابن السكيت (ابن قتيبه : المعارف ، ص ٢٣٧) و (ابن النديم : الفهرست ، ص ١٠٨) اما الاصمعي فقد مرت ترجمته .

٢ — مدينة الزهراء . مدينة غربي قرطبه بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٢٥ هـ وذلك تحت اشراف ابنه الحكم ولكن لم يتم بناءها الا في عهد الخليفه الحكم ، وقد انتقل اليها الخليفه عبد الرحمن سنة ٣٣٦ هـ (احمد مختار العبادى : تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٢٠ — ٢٢١) .

٣ — المقرى : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٧٨ .

كتاب الكامل وغيره من كتب النوادر من التي تساوى الناس في ذكرها وتكافؤ في علمها . "١"

ولم يلق كتاب الفصوص ما كان يأمله صاعد من قبول واستحسان من المنصور ، فقد كان منافسوه من الادباء له بالمرصاد ، حيث اجتهدوا في كشف جوانب النقص في كتابه وتضخيم ما قد يكون فيه من اخطاء حتى اخلوه من المحاسن وصوروه للمنصور في صورة مقاتمه مما دفعه الى ان يأمر بقذفه في النهر ، واستغل ذلك احد خصومه من الادباء فقال :

قد غاص في النهر كتاب الفصوص   وهكذا كل ثقيل يغوص

فاجابه صاعد :

عاد الى معدنه انما   توجد في قعر البحار الفصوص

والحق ان هذا الجفاء من المنصور لكتاب صاعد لم يدم طويلا ، فقد اشار المؤرخون الى ان المنصور اثاب صاعد على كتابه المذكور خمسة آلاف دينار "٢" .

وقد ادلى ابن بسام برأيه في موقف الادباء من صاعد وتألبهم على نقده وكيف انه اعانهم على نفسه ، فيقول (وما احسب ان احدا يجتري على اخراج تصنيف وابداء تأليف يضيق عنه التعديل . ويدفع في صدره النقد والتحصيل ،

---

١ ـ الفصوص : (مخطوط) ، ج ١ ، ورقه ١أ .

٢ ـ ابن بسام : الذخيره . القسم الاول ، ج ١ ، ص ٨ ـ المراكشي : المعجب ، ص ٧٧ ـ ٧٨ ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٤٨٩ ـ ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٢١ ـ السيوطي : بغية الوعاه ، ج ٢ ، ص ٧ ـ المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ٧٨ .

لا سيما وصاعد علم ان قرطبه ... ميدان جياد وبلد جدال وجلاد ، ولكنه اشترط غير المشهور فلم يظفروا منه بكبير واعانهم هو على نفسه بما كان يتنفق به من تنحله وكذبه ولم يكن عند ابي عامر تحرير ولا بصر بالنقد مشهور والافليس يخلو كتاب الفصوص المذكور من غريبة مسموعه ، ولا من فائدة رائعه بديعه ولكنه خبر وجد ناه فنقلناه) . "١"

وهكذا نلمس ان هناك عاملين كان لهما اعمق الاثر في وقوف الادباء ضد صاعد ومحاولتهم الغض من شخصيته العلميه . فأولهما : اشتراطه الجديه في تأليفه وبأنه سيورد مالم تورده كتب غيره من اهل الادب . وثانيهما : ماكان يتصف به في بعض الاحيان من ادعاء للحقائق وتزييف للاخبار .

ورغم ذلك وانصافا للحقيقة فقد كان صاعد (عالما باللغه والاداب والاخبار سريع الجواب ، حسن الشعر ، طيب المعاشره)"٢"

---

١ ـ ابن بسام : الذخيره ، القسم الرابع ، ج ١ ، ص ٨ .

٢ ـ الحميدى : الجذوه ، ص ٢٤٠ .

ـ حفظت لنا الكثير من كتب التاريخ والتراجم نصوصا ادبيه تثبت ما كان عليه صاعد من دراية بالادب ومعرفة واسعه به . انظر الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٢٤٣ ـ ابن بسام : الذخيره ، القسم الرابع ، ج ١ ، ص ٢١ ـ ٢٢ ـ الازدي : بدائع البدائه ، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ـ ٣٠١ ـ المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٥٨٣ ـ ٥٨٤ ـ ابن الوردي : تتمة المختصر ، ج ١ ، ص ٤٥١ ـ ٤٥٢ .

وقد جانب كراتشكوفسكي الصواب عندما وصف اسلوب صاعد في كتاباته الادبيه بانه اسلوب بدوي ۰ "١"

والحق ان ذلك مخالف للحقيقة العلمية المعروفه عن صاعد وما اتصف به من ادب واسع ودراية باللغه ، تكفلان له حسن الاسلوب ، وجودة الكتابه الادبيه في مضمار البحث والتأليف ، وان من يطلع على كتابه الفصوص ليقف على حقيقة الحال وصدق القول في ذلك ۰

وبالاضافة الى كتاب الفصوص فان لصاعد مؤلفات اخرى صنفها للمنصور بن ابي عامر منها كتاب " الهجفجف بن عدقان بن يثربي مع الخنوت بنت مخرمه بن انيف " وكتاب " الجواس ابن قعطل المذحجي مع ابنة عمه عفراء " ، وكان المنصور شديد الشغف بالاستماع الى هذا الكتاب الاخير فرتب له من يقرأه عليه كل ليله ۰ "٢"

ويبدو من خلال عنواني الكتابين انهما من كتب الاسماء التي تصنف لامتاع السلطان بما تضمه من الاخبار والقصص الطريفه فيقضي ليله في الاستماع اليها والتمتع بطرافتها ۰

كما برز ادباء قديرون غيرهم في مقدمتهم الاديب احمد بن عبد الملك بن شهيد الذي حظي بمنزلة رفيعه لدى الحاجب عبد الملك بن المنصور ، حيث استوزره ولكنه رغم تضلعه في الادب لم يبلغ منزلة الكتابه في الديوان فلم يلقب بالوزير الكاتب كما كان يتمنى ۰ "٣"

---

١ — الشعر العربي في الاندلس ، ص ٣٦ ۰
٢ — الحميدى : المصدر السابق ، ص ٢٤٠ ۰
٣ — سامي العاني : دراسات في الادب الاندلسي ، ص ٣١٧ ۰

وقد برع ابن شهيد في ميدان الادب فألف فيه كتبا منها " كشف الدك وايضاح الشك " وكذلك " حانوت عطار " وكتاب " التوابع والزوابع " . "١"

وتعود شهرته الواسعه الى كتابه الاخير " التوابع والزوابع " ويقصد — بالتوابع هنا الجن تصحب الانسان ، والزوابع تعنى : العواصف ، وتعني الزوبعه ايضا رئيس الجن ، وقد سمى ابن شهيد كتابه المذكور بهذا الاسم نظرا لاعتماده في شرح وتوضيح ارائه في الكُتّاب والادباء والشعراء وقضايا الشعر على لسان الجن . وقد نهج هذا المنهج ابو العلاء المعرى في كتابه رسالة الغفران . "٢"

وقد وجه ابن شهيد رسالته الى شخص كناه ابا بكر واسمه يحي بن حزم — وهو شيخ من شيوخ الادب ومن بيت غير بيت ابن حزم الفقيه المشهور . "٣"

وقد قدم في اول رسالته بما يشبه المدخل الى القصه ، فذكر نشأته العلميه وكيف عجب ابو بكر لذلك ، وحلف ان تابعة تنجده وزوبعة تعينه لان ما

---

١ — ابن خلكان : الوفيات ، ج ١ ، ص ١١٦ — ١١٧ — حنا الفاخوري : المرجع السابق ، ص ٨٣١ .

٢ — احمد امين : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢١٠ — احمد هيكل : المرجع السابق ، ص ٣٨١ .

— اشار البعض من الكتاب الى ان رسالة التوابع والزوابع اتت تقليدا لرسالة ابي العلاء المعري ولكن الحق ان الاخيره اتت بعد الاولى بعشرين سنه ، وانظر في توضيح ذلك احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢١٠ وسامي العاني : المرجع السابق ، ص ٣٣٣ .

٣ — الحميدى : الجذوه ، ص ٣٧٤ .

يملكه من ادب لا يتأتي الا لغير الانس ويقرله ابو بكر بذلك فيوضح انه كان له صديقا فمات واراد ان يقول في رثائه شيئا من الشعر ولكنه ارتج عليه ، فاذا بجني اسمه زهير بن نمير يتصور له على هيئة فارس ويقدم نفسه كصديق تابع له يعينه على الشعر متى أراد ، ثم غاب في الحائط • وانه كلما ارتج عليه اغاثه ذلك التابع • ثم ينتقل الى صلب القصه وانه تذاكر اخبار الشعراء واصحابهم من التوابع حتى اشتاق الى لقاء بعضهم ، فابدى الجني استعداده لمساعدته بعد ان يستأذن من شيخ الجن فاستأذن منه ، ثم عاد الى ابن شهيد حيث طاروا في الفضاء حتى اتوا ارض الجن • وطاف به تابعه على اصحاب الشعراء الاقدمين كامرىء القيس وطرفه من الجاهليين ، وابي تمام والمتنبي من الاسلاميين ، وفي كل لقاء مع احدهم يصور مقابلته معه ويسم كل منهم بالملامح التي عرف بها الشاعر في حياته ويسمع من تابعه وينشده هو حتى ينال اعجابه • "١"

ويلاحظ في هذه الطريقة الخياليه التي سار عليها ابن شهيد في سبيل ابراز مواهبه الادبيه وما كان عليه من ادب وبلاغه ، مدى ما تمتع به من مهارة فائقه على التصرف بفنون الكلام ، وما يملكه من خيال واسع استغله في اخراج صورة ادبية رائعة تضمنت اراءه في النقد وصور الصراع بين الموهبه وسعة الاطلاع • وقد شحن تلك الرساله بروائع نظمه ونثره معارضا بها غيره ومزج ذلك بمسحة من الفكاهه مع اعجلب بالنفس • "٢"

---

١ ـ احمد هيكل : المرجع السابق ، ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ •

٢ ـ احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، ص ٣٤٠ •

ومن المؤسف انه لم تصلنا هذه الرسالة كاملة ، كما لم يعثر على مخطوطة لها . وانما وصلنا منها ما ضمنه ابن بسام في كتابه الذخيره من نصوص . وقد نقلها بطرس البستاني ونشرها مستقله فصححها وحقق ما فيها وشرحها وقدم لها ـ دراسة تاريخيه ، فقسم تلك النصوص الى مدخل واربعة فصول ، فالأول : توابع الشعراء ، والثاني : توابع الكتاب ، والثالث : نقاد الجن ، والرابع : حيوان الجن . "١"

ويأتي ابن حزم صديق ابن شهيد في مقدمة ادباء تلك الفتره بما قدمه من انتاج ادبي رائع يتمثل في كتابه " طوق الحمامه " الذى يعتبر اهم ما ألفه ابن حزم في ميدان الادب ، والكتاب عن " الألفة والآلاف " اى الحب والمحبين .

والجدير بالذكر ان قيمة الكتاب ليست فيما يضمه من فلسفة حول الحب بل ان قيمته تبرز فيما تحويه من القصص والحكايات التي تصور مظاهر الحياة داخل قصور الخلفاء والامراء ، واساليب السلوك السائده هنالك . كما انه يشتمل على الكثير من الاعترافات الشخصيه لابن حزم والتي تلقي ضوءا على سيرته الشخصيه في شبابه . "٢"

ومما يزيد الكتاب اهمية انه كتاب في الحب يكتبه فقيه من فقهاء الاندلس عرف بالحزم في الدفاع عن الدين ، وانه صرف حياته في الاشتغال بعلومه . فتخصيصه وقتا للكلام عن هذا الموضوع فيه مايسترعي النظر ويثير التساؤل ، وقد

---

١ ـ نشر هذا الكتاب دار صادر ببيروت سنة ١٩٨٠م .

٢ ـ احمد هيكل : المرجع السابق ، ص ٣٤٢ ـ غرسيه غومس : الشعر الاندلسي ، ص ٤١ .

كان ابن حزم يحس وهو يكتبه ما سوف يتعرض له من بعض الاشخاص من نقد لمخالفته سيرته العلميه الدينيه ، ولكنه صرح بانه لا يميل الى المراءآه وان غايته كانت رسم صورة واقعيه لحياته وحياة الناس ببلده حول موضوع واحد هو الحب . "١"

وكان تأليف ابن حزم لهذا الكتاب استجابة لرغبة احد اصدقائه من مدينة المرية ، حيث ارسل الى ابن حزم في مدينة شاطبه يطلب منه تصنيف رسالة في صفة الحب ومعانيه واسبابه واعراضه . وقد اشار ابن حزم الى ان تصنيفه للكتاب من قبيل اعطاء النفس حقها من الراحة والانشراح تبعا للاثر القائل " اريحوا النفوس فأنها تصدأ كما يصدأ الحديد " . "٢"

وفي هذا اشارة الى ما تمتع به ذلك الفقيه من مرونة وتسامح الى جانب ما اتصف به من ثقافة واسعه وادراك عميق لمفاهيم الحياة وأسرارها الاجتماعية .

ويذكر ابن حزم انه قسم كتابة على ثلاثين بابا ، منها في اصول الحب عشرة ، وفي اعراض الحب وصفاته المحموده والمذمومه أثنا عشر بابا ، ومنها في الآفات الداخله على الحب ستة ابواب ، ومنها بابان ختم بهما الرسالة . وهما باب الكلام في قبح المعصيه ، وباب في فضل التعفف . "٣"

---

١ ــ احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

٢ ــ طوق الحمامه : ص ١ ــ ٢ .

ــ المريه : مدينة محدثه امر ببنائها الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٤ هـ . وهي من مراسي الاندلس وكانت تقصدها مراكب التجار من الاسكندرية والشام (الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٨٣ ــ ١٨٤) .

ــ شاطبه : مدينة في شرق الاندلس . وقد اشتهرت بصناعة الورق ، (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٠٩) .

٣ ــ نفس المصدر ، ص ٣ ــ ٤ .

ولا شك ان البابين الاخيرين يدلان بما يقطع الشك على ما اتصف به ذلك الاديب من نزاهة وعفه يمليانهما عليه تقوى الله ، فقد الف ذلك الكتاب في موضوع الحب وما قد يجر اليه من لهو وعزوف عن الاستقامه ، ولكنه تأكيداً لصلاحه وما اتصف به من خشية لربه فقد ختم كتابه بالبابين المذكورين ، وقد اشار الى ذلك بقوله :

(واخر كلامنا الحض على طاعة الله عز وجل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فذلك مفترض على كل مؤمن) . "١"

واخيرا فان ميدان التأليف الادبي قد لقي من الاندلسيين نشاطا وافرا حيث اخرج الاندلسيون الكثير من روائع الادب التي تشهد بعلو كعبهم في هذا الميدان

ولا يفوتنا اخيراً أن ننوه بمزيد من الاعجاب ، بدور الخليفة الحكم المستنصر في ازدهار الحركة الادبيه . فالى جانب دوره في تشجيع القالي على تأليف كتابه الامالي فقد ذكر انه بعث بألف دينار ذهب الى الاصفهاني لقاء رساله نسخة من كتابه الاغاني فبعث اليه بها قبل ان يرى الناس كتابه في العراق . "٢"

وقدم الحاجب المنصور جهدا مشكورا في نهضة الادب ، فقد صنف له الاديب حسان بن ابي عبده كتابا على شاكلة كتاب ابي السرى الذى الفه للخليفة العباسي هارون الرشيد وسماه " ربيعة وعقيل " ، وقد اثنى ابن حزم على ذلك الكتاب ووصفه بانه من املح واطرف ما صنف ، وانه ضم مختارات بديعه من شعر حسان — المذكور . "٣"

---

١ — المصدر السابق ، ص ٣ — ٤ .

٢ — ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٠٢ — ابن خلدون : العبر ج ٤ ، ص ٣١٧ .

٣ — الحميدى : الجذوه ، ص ١٩٦ (نقلا عن ابن حزم فيما ليس بين ايدينا من كتبه) .

وهكذا يتضح ان الاندلسيين بلغوا شأوا رفيعا في حقل الادب وانهم لم يكونوا فيه باقصرباعا عن اندادهم من اهل المشرق ، فان العديد من مصنفاتهم الادبية لا تزال حتى يومنا تحتل منزلة طيبة في قلوب اهل العلم وخاصة ذوى الادب منهم .

====

الشـــــعر

=========

مكانة الشعر لدى الاندلسيين — اثر الطبيعة الاندلسية في الشـــعر — الشعراء في بلاط الخلافة — ابرز شعراء الاندلس أحمد بن عبد ربه — يوسف بن هارون الرمادى — ابن هانئ الاندلسي — أحمد بــــن دراج القسطلي — عبادة بن ماء السماء — احمد بن شهيد — مروان ابن عبد الرحمن (الطليق) — اثر الخلفاء في ازدهار الشـــعر — تأليف المعاجم لاهل الشـــعر •

=====

ثانيـــا : الشـــــعر .

===============

احتل الشعر لدى الاندلسيين مكانة عظيمة ، واصبح يمثل تقريبا السـمة الادبية العامه لهم حتى روى ان مدينة شلب قل ان يرى احد من اهلها من لا يقـول شعرا ، ولا يتعاني الادب ، ولو مر شخص بالحراث خلف فدانه وسألته الشعر لقرض في ساعته اى معنى يقترح عليه واى معنى يطلب منه . "١"

وقد كان للطبيعة الاندلسية اثر كبير في تألـق الحركة الشعرية . وبـروز الكثير من الشعراء الاندلسيين ، فقد اتصفت الاندلس بالطبيعة الساحره من ميـاه جاريه ، وجبال خضراء ، وجنات تزهو بخضرة اشجارها ورونق ازهارها فرققـت مشاعرهم ، وازالت جفوتهم ، واثارت ملكاتهم الفكريه فاستغلوا احاسيسهم العميقـه وخيالاتهم الواسعه في وصف جمال الطبيعة والتغني بمفاتنها . "٢"

---

١ — القزويني : اثار البلاد ، ص ٥٤١ — ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٥٧ — ٣٥٨ .

ستانلي لين بول : العرب في اسبانيا ، ص ١٣٨ — زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٥٠٧ .

— شلب : بكسر اولها وسكون ثانيها . مدينة بغربي الاندلس وغـرب قرطبه بينهما مسيرة عشرة ايام (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٥٧) .

٢ — السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافه ، ج ٢ ، ص ١٦٨ احمد هيكل : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

ومرع الاندلسيون في فن الوصف ، وتصوير الطبيعة وجمالها الاخاذ ، فقد قدمت الينا كتب الادب الاندلسي ومصادره المختلفه ضروبا من الابداع الشعرى في مجال الوصف تكاد تنطق بروعة التصوير وحلاوة الوصف ، ولعل من اعظم الكتب التي حفظت لنا نماذج رائعة من شعرهم . كتاب " التشبيهات " لابن الكتاني الاديب والطبيب الاندلسي الذى عاش في عصر الخلافه ، وقد تناول في كتابه الكثير من روائع الشعر الاندلسي في ميدان الوصف والتشبيه ، واورد في ذلك للكثير من شعراء الاندلس كابن عبد ربه . "١" ويوسف بن هارون الرمادى ، وعباده بن ماء السماء الذى يتجلي في اشعارهم عمق تأثير البيئة الاندلسية .

وعليه فان البيئة الاندلسية كانت ذات تأثير بالغ في تشكيل اشعار الاندلسيين وتلوينها بما يناسب من الوان الطبيعة الجميلة التي تشد اذهانهم وتثير احاسيس الجمال عندهم .

ويلاحظ الدارس للشعر الاندلسي ان للاندلسيين من خلال اشعارهم اخيله ذهنيه ولعبا بالمعاني يكاد ان يتصفوا به وحدهم . وقد يتفوقون في ذلك على المشارقة ، اذ ولعوا بذلك ولعا شديدا . فلم يقلدوا المتنبي في قوة معانيه وروائع حكمه وقوة شاعريته بل اخذوا اسلوبه . وحاكوا فخامة تعبيراته وعمق خيالاته كما فعل شاعرهم ابن هاني ء . "٢"

---

١ — للاستزاده عن مدى تأثير الطبيعه في الشعر الاندلسي . انظر : سعد اسماعيل شلبي : البيئه الاندلسيه واثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف ، ص ٦٧ — ٢١٨ .

٢ — احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ١٠٥ — ١٠٦ — كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلاميه ، ص ٣٠٠ .

وابدع الاندلسيون في مجالات الشعر المختلفه واثروا ميدان الشعر بالكثير من اشعارهم البديعه ، وقد وصفها البارون فون شاك بقوله (ان اشعار الاندلسيين تمتاز بصفة عامه — بجزالة الالفاظ ، وجمال رنينها ، وابداع الاخيله ، وبعد مداها ..) "١"

وكان لعصر الخلافه بما اتسمت به الاندلس من ازدهار كبير في ميادين الحضاره ، وما نعمت به من رخاء واستقرار ، وما تميزت به الخلافه من هيبة وسلطان اثر في انصراف الكثير من الشعراء نحو تصوير تلك المظاهر ، وعندما وفد رسل ملك الروم الى قرطبه سنة ٣٣٦ هـ انشد منذر بن سعيد قصيدة طويلة ضمنها الاشاده بالخليفه عبد الرحمن الناصر وما اتسم به من قوة ونفوذ ، ويقول فيها :

ترى الناس افواجا يؤمون بابه وكلهم ما بين راج وآمل
وفود ملوك الروم وسط فنائه مخافة بأس او رجاء لنائل "٢"

ويفيدنا ابن حيان بالكثير من المعلومات عن المواقف التي ارتبطت بالخلافه والتي نظم الشعراء في وصفها اشعارا بديعه ، فمن هذه المواقف وصف الاعياد والاحتفالات ، ومما يرويه في هذا الصدد ما قيل بمناسبة عيد الفطر (٣٦٠ هـ / ٩٧٠م) ، فيقول (وظلت الخطباء والشعراء في هذا الحفل تتاغي فيما ترتجل من من خطبها وتنشد من اشعارها فتكثر وتجيد) . "٣"

---

١ — آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٤٦ .
٢ — المقرى : النفح ، ج ١ ، ص ٣٧٣ .
٣ — المقتبس : تحقيق عبد الرحمن الحجي ، ص ٣١ .

وفي بداية عصر الخلافه توصل الكثير من الشعراء الى درجات رفيعه في بلاط الخلافه ، فكان بلاط الخليفه عبد الرحمن الناصر يضم عددا من الشعراء المبدعين ، وكان في مقدمة هؤلاء ابن عبد ربه ، واسماعيل بن بدر ، وعبد الملك ابن سعيد المرادى ، والشاعر المشرقي طاهر بن محمد المهند ، ومحمد بن حسين الطبني . "١"

ونظرا لكثرة الشعراء الذين حفل بهم عصر الخلافه فسوف نقتصر على ابرزهم والمبدعين منهم . وفي مقدمة هؤلاء يأتي الاديب الشاعر احمد بن عبد ربه (٢٤٦ هـ — ٣٢٨ هـ / ٨٦٠ م — ٩٣٩م) والذى كان يتمتع بموهبة رفيعة في الشعر ، وقد اتاح له ذلك مكانة عالية لدى الامراء والخلفاء ، وكان لعامل السن — وما تتسم به مراحله المختلفه من انطلاق او تنسك — اثر في انقسام شعره الى قسمين . قسم قرضه وهو في ريعان الشباب ، واتسم شعره في هذه المرحله بالانطلاق في قول الشعر من غير التزام او تحفظ ، وقسم قرضه في سن الشيخوخه عندما ادركه الندم وتطلع للتوبه والتكفير عن معاصيه ، فكان شعره في هذه المرحله يتصف بالزهد والنسك وسماه الممحصات "٢" .

ولابن عبد ربه شعر كثير . فمنه ارجوزة في سيرة الخليفه عبد الرحمن الناصر وحروبه وما تهيئ له من النصر في المواقع الحربيه مع اعدائه ، واول تلك الارجوزة :

سبحان من لم تحوزه اقطار ولم تكن تدركه الابصار "٣"

---

١ — ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٠ .
٢ — احسان عباس : المرجع السابق ، ص ١٩٥ .
٣ — ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ — ٣٦٤ .

ولا شك ان ارجوزته تلك لها من الفائدة العلمية اكثر مما لها من الفائدة الادبية ، فانها تفيدنا في معرفة سيرة الخليفة السياسية والعسكرية ومواقفه مع النصارى وغيرهم ، فهي بالتالي اكثر نفعا في مضمونها في مجال التاريخ اكثر من الادب .

ونظرا لما تمتع به ابن عبد ربه من ثقافة واسعة فقد كان ابرز ما في شعره انه مرآة لثقافته وسعة اطلاعه على ضروب من المعرفة كالفقه وميدان الامثال وهو ما ينم عنه شعره الذى يحفل به كتابه العقد . "١"

ولم تكن سمعة ابن عبد ربه في خارج وطنه باقل شهرة منها في داخل وطنه ، فقد نال سمعة حسنه بين اهل المشرق ، فيذكر ان احد علماء الاندلس في اثناء عودته من الحج ومروره بمصر التقى بالشاعر المشرقي المتنبي وذلك في مسجد عمرو بن العاص فتجاذبا اطراف الحديث حتى قال المتنبي : انشدني لمليح الاندلس — يعني ابن عبد ربه — فانشده ابياتا من شعره طرب لها المتنبي وطلب اعادتها ثم صفق بيديه وقال : ياابن عبد ربه لقد تأتيك العراق حبوا . "٢"

ونظرا لما اتسم به شعر ابن عبد ربه من جزالة وعذوبه فقد كان الحكم قبل خلافته حريصا على الاستماع الى شعره فجمع له ابن عبد ربه قسطا كبيرا من شعره . وذكر الحميدى انه رأى منه ما يربو على عشرين جزءا . "٣"

---

١ — احسان عباس : المرجع السابق ، ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

٢ — المقرى : النفح ، ج ٣ ، ص ٥٦٥ — ياقوت الحموى : معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .

٣ — جذوة المقتبس ، ص ١٠١ .

وبرز من شعراء تلك الفتره يوسف بن هارون الرمادى الكندى (ت ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) . وقد سمي بالرمادى نسبة الي موضع بالمغرب اسمه رماده كان احد ابائه منها ووصف هذا الشاعر بجودة الشعر ، وسرعة بديهته في قوله . وغزارة ما قاله منه ، لذلك كان مشهورا لدى الخاصة والعامه بالمهارة في الشعر ، ورسوخ قدمه في فنونه المختلفة حتى وصفه ادباء عصره بقولهم (فتح الشعر بكنده وختم بكنده ، يعنون امرأ القيس والمتنبي . ويوسف بن هارون) . "١"

وفي هذا النص دلالة كبيره على منزلة يوسف الشعريه وانه بلغ درجة رفيعه بين شعراء عصره ، فقد وصف شعره بالجوده وانه في طبقة شعراء الاندلس المعدودين ، وفي مقدمة شعراء الحكم المستنصر . "٢"

ولما قدم الاديب ابو علي القالي الاندلس كان الشاعر الرمادى في مقدمة مستقبليه والمرحبين به ، ومدحه بقصيدة طويله منها .

فالشرق خال بعده وكأنما	نزل الخراب بربعه المأهول
فكأنه شمس بدت في غربنا	وتغيبت عن شرقهم بأفول "٣"

---

١ — الحميدى : الجذوة ، ص ٣٦٩ — ٣٧٠ — الضبي : البغية : ص ٤٩٣ — ٤٩٤ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٧٤ — ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٣٩٢ — ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٧ ، ص ٢٢٥ — ٢٢٦ — المقرى : النفح ، ج ٤ ، ص ٣٥ — ٣٦ — ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ١٧٠ — ١٧١ — احمد هيكل : الادب الاندلسي ، ص ٢٨٧ — ٢٨٨ — السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافه ، ج ٢ ، ص ١٧٣ — ١٧٤ .

٢ — المراكشي : المعجب ، ص ٦٩ — ٧٠ .

٣ — المقرى : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٧٥ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٢٦ .

وقد طال عمره فبلغ نحو قرن من الزمان وكان له اثر في غزارة ما خلفه من شعره . وتظهر براعة الرمادى في انه طرق اغراضا جديده من الشعر كشعره في الطير . ومن المؤسف انه رغم غزارة شعره لم يصلنا ديوانه الشعرى ، وما وصلنا من شعره نجده متفرقا في كتب الادب . "١"

وكان الرمادى يخرج في شعره بعض الاحيان عن مبدأ التحفظ والالتزام الخلقي مما كان له اثر في تعقب الشرطه له حتى قبضت عليه وعلى اصحابه ممن كانوا يجارونه في هجاء الناس ونشر مثالبهم . "٢"

وفي السجن كان يستشفع الى الخليفة الحكم المستنصر في اطلاقه بما كان يقرضه من قصائد المدح وطلب العفو ، ثم اتجه في عزلته الى قول الشعر في اوصاف الطير حتى ألف في ذلك كتابا كبيرا سماه " كتاب الطير " ، وصف فيه كل طائر وما تميز به من خواص ، وكانت كل قطعة شعرية يذيلها بمدح هشام بن الحكم ليشفع له عند ابيه في أطلاقه ، وقد وصف كتابه المذكور بالجودة والملاحه . "٣"

وفي عصر الخلافه تألق الشاعر محمد بن هانيء الازدى (ولد سنة ٣٢٦هـ/ ٩٣٧ م) بمدينة اشبيليه ، واصله من بني المهلب الذين حكموا بعض اجزاء بلاد المغرب ، وانتقل والده منها الى الاندلس ، وكان منذ صباه يهوى الشعر حتى اشتهر ذلك عنه ، وفي بداية شهرته الشعريه قصد صاحب اشبيليه جعفر بن علي فوجد قصره حافلا باعيان الشعراء . وهناك تمكن من القاء قصيدته الرائعه التي

---

١ ـ احمد هيكل : المرجع السابق ، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .
٢ ـ انظر عن هذه الحادثه في ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، ص ٧٤ ـ ٧٥ .
٣ ـ الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠ ـ ٣٧١ .

التي كانت بداية انطلاقه في ميدان الشهره ، ومطلعها :

اليلتنا اذ ارسلت واردا وحفـــــا   وبتنا نرى الجوزاء في اذنها شنفـــا

حتى اذا بلغ قوله :

كأن لداء الشمس غرة جعفـــــر   رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

لم يتمالك جعفر نفسه فقام اليه مرحبا به ، واوسع له في العطاء وانزله منزلة كريمة بين شعرائه ، "١"

ونظرا لما نسب الى ابن هانيء من اشعار تقدح في العقيدة فقد اسخط الناس عليه ، واستغل خصومه ومنافسوه من الشعراء ذلك فألبوا الناس ضــده واتهموه بالالحاد والخروج على الدين باشعاره ، فأوعز اليه حاكم اشبيليه بالخروج عن المدينه ، فخرج منها نحو المغرب لينزل ضيفا على الفاطميين الذين رأوا فيــه داعية لمذهبهم ، فرحب به المعز لدين الله الفاطمي وجعله شاعر بلاطه ، "٢"

ووصف ابن هانيء بكثرة الشعر وجودته ، وانه سار على منهج المتنبي ، فتعمد القوة في افكاره واوزانه والفاظه ، وامعن في المغالاة حتى اذا مدح ـ

---

١ ـ ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٩٧ ـ ٩٨ ـ ابن الخطيـــب : الاحاطه ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ـ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره ، ج ٤ ، ص ٦٧ ـ ٦٨ ـ الصفدى : الوافي ، ج ١ ، ص ٣٥٢ ـ ابن خلكان : المصـدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٢١ ـ اغناطيوس كراتشكوفسكـــي : الشعر العربي في الاندلس ، ص ٣٢ ـ محمد كـــرو : ابن هاني الاندلسي ، ص ١٢ ـ ١٣ ـ احمد هيكـــل : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

٢ ـ احمد الهاشمي : جواهر الادب ، ج ٢ ، ص ١٩٧ ـ ١٩٨ ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ١٣٥ .

شخصا جمله افضل الناس واكملهم ، غير انه يلاحظ على شعره قعقعة الالفاظ. "١"

والحق ان هذا الشاعر ابدع في الشعر وبرع فيه لدرجة جعلت الكثير من الادباء يصفونه بانه لم ينبغ في شعراء الاندلس مثله ، وانه كان عند اهل الاندلس في منزلة المتنبي عند اهل المشرق . "٢"

الا ان ما يؤخذ على ابن هانيء مغالاته الشديدة التي يخرج بها عن الدين والالتزام بتعاليمه . فقد تكلم ابن كثير عن شعره ومغالاته في الوصف وانه من اكبر الكفر وخاصة قصيدته في مدح المعز الفاطمي التي اولها .

ما شئت لا ما شاءت الاقدار ..... "٣"

وفي عهد الحاجب المنصور بن ابي عامر ظهر الشاعر احمد بن دراج القسطلي (٣٤٧ هـ — ٤٢١ هـ / ٩٥٨ م — ١٠٣٠ م) الذى ينتسب الى موضع في الاندلس يعرف بقسطلة دراج ، وكان من المتضلعين في الادب ككاتب انشاء ماهر وفي الشعر كشاعر بارع فهو (معدود في جملة العلماء والمقدمين من الشعراء والمذكورين من البلغاء ، وشعره كثير مجموع يدل على علمه) . "٤"

---

١ — الحميدى : الجذوه ، ص ٩٦ — محمد كرو : المرجع السابق ، ١٥ — ١٦ — حنا الفاخورى : المرجع السابق ، ص ٨٣٠

٢ — احمد الهاشمي : جواهر الادب ، ج ٢ ، ص ١٩٨ .

٣ — البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٧٤ .

٤ — الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ١١٠ — ١١١ .

ويعتبر ابن دراج القسطلي من المع من اخرجته الاندلس من الشعراء ان لم يكن المعهم . ولا نعرف شيئا كثيرا عن نشأته الأولى . الا انه يبدو انه اخذ علومه على شيوخ عصره شأنه شأن غيره من اهل العلم ، وعندما شعر بقدرته على قول الشعر ومهارته في طرق فنونه المختلفة اتصل بالحاجب المنصور ووقف بين يديه لينشده قصيدته التي يمدحه فيها ومطلعها :

اضاء لها فجر النهى فنهاها عن الدنف المضنى بحر هواها "١"

ولم يكن المنصور وجلساؤه يعرفون عن صاحبها اى شيء فاتهموه في نسبتها اليه . وكان بلاط المنصور يعج بالشعراء المتنافسين على الصدارة فيه فخشوا ان يأتي من يزيحهم او يزاحمهم الجاه والمنزلة لدى المنصور ، فسعوا به اليه ووصفوه بالانتحال والسرقة ، ولكن المنصور كان اكثر حكمة فعرض ان يختبر ابن دراج في الشعر فان نجح قربه واكرمه وان كان غير ذلك اقصاه .
واستطاع ابن دراج ان يفوز في اختبار المنصور له ، وان يتبوأ مكانة عالية بين شعراء بلاطه ، فقد اثبته في ديوان الشعراء . ولم يزل ابن دراج منذ ذلك الوقت في علو ورفعه حتى بز غيره من الشعراء . ووصف بانه لم يكن بالاندلس مثله في الشعر . "٢"

---

١ — ابن دراج : ديوان بن دراج ، تحقيق محمود مكي ، ص ٨ .
٢ — الحميدى : الجذوه ، ص ١١٠ — ١١١ — ١١٢ — الضبي البغية ، ص ١٥٨ — ١٥٩ — ١٦٠ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٤٠ — الصفدى : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٩ — الحميرى : الروض — المعطار ، ص ١٦٠ — ابن العماد : شذرات الذهب ج ٣ ، ص ٢١٧ — احمد امين : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٣٠ — ١٣١ — السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٢ .

ولو تصفحنا ديوان ابن دراج وامعنا النظر في قصائده للمسنا ما كان عليه من بلاغة شعرية ، بالاضافة الى ما يلاحظ من سعة ثقافته الادبية والتاريخية ، فمما يلفت النظر في شعره معارفه التاريخية وعلمه بالانساب ، فهو يمدنا في الكثير من قصائده باسماء الملوك الماضين ، والاقوام الغابره ، ومسميات عن اماكن تاريخية لا يعرفها الا من درس التاريخ وعني بدراسة شخصياته البارزه ، ومن قصائده التي تتضمن هذه الاشارات التاريخية قصيدته التي مطلعها :

ملكم اليكم مساعي المجد تنصرف — ونحوكم عنكم الآمال تنعطف

وكذلك قصيدته التي مطلعها :

بشراك من طول الترحل والسرى — صبح بروح السفر لاح فاسفرا "١"

وظل ابن دراج في بلاط المنصور يساير ركابه في سلمه وحربه ، فأمدنا بغرر من قصائده في غزوات المنصور وغير ذلك من الاحداث ، ثم أستمر في مكانته الرفيعة في عهد ابنه المظفر عبد الملك ، ولما زال نفوذ العامريين أتصل بالبقية من امراء الدولة الاموية ، ثم رحل الى بلنسيه ، ثم الى سرقسطه ، ليلزل على يحيي بن المنذر الذى اكرمه هو وابنه المنذر من بعده ، ثم لم يلبث ان رحل الى دانيه ليمدح اميرها مجاهد العامرى وظل هناك حتى وافته المنية . "٢"

وكانت شهرته الشعريه قد بلغت اهل المشرق فاعجبوا به ووصفه احدهم وهو الاديب ابو منصور الثعالبي بانه بصقع الاندلس كالمتنبي بصقع الشام ، وانه احد فحول الشعراء ، وممن اجاد في النظم وبرع فيه . "٣"

١ـ انظر ديوان ابن دراج ، ص ٢٠٣ و ص ١٠٢

٢ ـ ديوان ابن دراج : تحقيق محمود مكي ، ص ٥٨ ـ ٥٩ .

٣ ـ يتيمة الدهر ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .

واثنى عليه ابن بسام ووصفه وصفا ينم عن منزلته وقدره الادبي الرفيـــع ، فقال فيه (احد من تضاءلت الآفاق عن جلالة قدره . وكانت الشام والعراق ادنى خطى ذكره) . "١"

واشاد به ابن حزم في رسالته التي وضعها عن فضل علماء الاندلس ، وانه لو لم يكن لهم من فحول الشعراء الا احمد بن دراج القسطلي لما قصر عـن شأو بشار بن برد و وحبيب (ابو تمام) ، والمتنبي . "٢"

وبناء عليه فانه يتضح لنا مدى ما كان لهذا الشاعر من مكانة عظيمة بيـن شعراء الاندلس . وقد خلف ديوانا ضخما من القصائد الطوال ، والحق ان ـ المدح غلب على ديوانه ، ويعتبر الموضوع الرئيسي الغالب على قصائده . ولعل من دواعي اكثاره من المدح ارتباط حياته ببلاط المنصور ثم بابنه عبد الملـــك وغيرهم من الحكام . "٣" .

والجدير بالذكر ان ديوان شعره لم تصبه يد الضياع كما ضاعت من قبـل دواوين غيره من الشعراء فقد كان لجهود الباحثين اثر في التوصل الى كشفه . فقد اطلع عليه حسين مؤنس عند محمد التطواني . وحصل على نسخة منه ، حيـث اهداها الى محمود مكي الذى تناوله بالدراسة والتحقيق فاخرجه في حلة قشـيبه

---

١ ـ الذخيره : القسم الاول ، ج ١ ، ص ٤٤ ـ ٤٥ .
٢ ـ المقرى : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٧٨ .
٣ ـ احمد هيكل : الادب الاندلسي ، ص ٣١٣ .

اضافت الى تراثنا الادبي الاسلامي صفحة مضيئة تشهد بروعة الادب الاندلسي وبلاغة اهله .

ومن شعراء بلاط المنصور الشاعر عبادة بن عبد الله بن ماء السماء (ت ٤١٩هـ / ١٠٢٨م) الذى كان من فحول الشعراء وكبارهم ومن المقدمين في ديوان الشعراء . وقد وصف بالبراعة في نظم الشعر ، والتصرف في فنونه ، ونسب اليه الارتقاء بصناعة التوشيح حتى (كأنها لم تسمع بالاندلس الا منه ولا اخذت الا عنه ، واشتهر بها اشتهارا غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته) . "١"

وعرف عن عبادة براعته في الوصف ، وقد اورد له المؤرخون والادباء الكثير من الامثله الداله على تضلعه في ذلك وقدرته الكبيرة فيما يطرق من فنون الشعر "٢"

وفي اواخر عصر الخلافه برز بعض الشعراء . كالعلامة على بن احمد بن حزم الذى قال فيه صديقه الحميدى (كان له في الادب والشعر نفس واسع ، وباع طويل ، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة اسرع منه ، وشعره كثير وقد جمعناه على حروف المعجم) . "٣"

---

١ — ابن بسام : الذخيرة . القسم الاول ، ج ٢ ، ص ١ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٤٥٠ .

٢ — انظر في هذا الصدد : الحميدى ، الجذوه ، ص ٢٩٣ — ٢٩٤ والكتاني . التشبيهات ، ج ١ ، ص ١٩ ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ .

٣ — الجذوه ، ص ٣٠٩ .

واشعار ابن حزم متفرقة في كتب الادب والتاريخ ، وخاصة في كتابه طوق الحمامه الذى سبق القول اليه • كما ان لابن حزم قصيدة شعرية رائعة في الرد على نقفور ملك الروم الذى أرسل قصيدة طويله للخليفة العباسي يتهدده ويتوعده بخراب ديار الاسلام وانه سوف يملكها ، فتصدى له شعراء كثيرون من بينهم ابن حزم • وقد اورد هذه القصيدة السبكي في طبقات الشافعية ، وابن كثير في البداية والنهاية • "١"

كما ان احمد بن شهيد كان له مشاركة في قول الشعر بالرغم من تفوقه في النثر الذى غلب على شخصيته الادبية • اما عن انتاجه الشعرى فلم يجمع في حياته ولم يؤثر عنه ديوان من دواوين الشعر ، ولذلك بقيت اشعاره مبثوثه في كتب الادب والتاريخ الاندلسيه وكتب الادب المشرقية كاليتيمة للثعالبي •

وقد تمكن المستشرق الفرنسى " شارل بلا " من ان يجمع قدرا لا بأس به من شعره يقع في ثمانمائة وثلاثة واربعين بيتا ، وقدمه في ديوان وصدره بدراسة جيده "٢" •

ومهر الكثير من خلفاء وامراء بني امية في الشعر ، فقد تناول ابن الابار في كتابه الحلة السيراء من برع في الشعر وكان لهم به عناية ، واورد لهم الكثير مما قرضوه •

---

١ — طبقات الشافعية ، ج ٣ ، ص ٢١٤ — ٢٢٢ — البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٤٧ — ٢٥٢ •

٢ — سامي العاني : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ — ٢٢٥ •

واكثر من اشتهر بقول الشعر من الخلفاء من بني اميه في الاندلس ، الخليفة المستعين الذى وصف بالادب ، والفصاحة في قول الشعر ، وان لـه انتاج بديع فيه . "١"

ومن المشهورين بقول الشعر من امراء بني اميه في الاندلس مروان بن عبد الرحمن المعروف بـ " الطليق " الذى وصف بالبراعة في الشعر ومهارته في فنونه المختلفة . وقد شبهه ابن حزم في ملاحة شعره وحسن تشبيهه بابن المعتـز العباسي . وكان قد سجن لاقدامه على قتل ابيه فمكث في السجن سنة عشـر عاما ثم اطلق في عهد الحاجب المنصور ، وفي سجنه هذا قال اكثر شعره "٢".

وكان للنساء مشاركة كبيرة في ازدهار الشعر ، فقد برز منهن شـاعرات مجيدات ، كالاديبة صفية بنت عبد الله الريّي (ت ٤١٧ هـ) التي وصـفت بالنباهة في الادب والبراعة في قول الشعر . "٣"

كما اشتهرت من بينهن الشاعرة الغسانية التي كانت تمدح الملـوك . وكانت من بجانة كما ذكران لها قصيدة طويلة تمدح فيها خيران العامرى ، وتعارض بها قصيدة ابن دراج التي مدح بها الامير المذكور وأولها :

---

١ — ابن الابـار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٨ — ٩ .

٢ — الحميدى : الجذوة ، ص ٣٤٢ — ٣٤٣ — ابن الابـار : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

٣ — الحميـدى : الجذوه ، ص ٤١٣ .

لك الخير قد اوفى بعهدك خيـــران وبشراك قد آواك عز وسلطان

ومطلع قصيدتها :

اتجزع ان قالوا ستظعن اظعـــان وكيف تطيق الصبر ويحك ان بانوا "١"

وقد افرد مصطفى الشكعه في كتابه عن الادب الاندلسي بابا عن شاعرات الاندلس ، وقد يكون اشهرهن في باب الشعر ولادة بنت المستكفى التي عاشت اكثر عمرها في عصر ملوك الطوائف .

والحق ان من عوامل ازدهار الحركة الادبية ومنها ميدان الشعر يعـود الى عوامل من اهمها ما بذله الخلفاء من جهود وفي مقدمتهم الخليفة الحكـــم المستنصر ، وقد سبقت الاشارة الى ما ذكره الحميدى من انه رأى اجزاء كثيـرة من شعر ابن عبد ربه الذى جمعه للحكم المستنصر .

كما انه بتشجيع من الخليفة الحكم المستنصر ألف الاديب ابو عمر احمـــد ابن فرج الجيانى كتابا في الشعر اسماه " الحدائق (عارض فيه كتاب الزهره لابي بكر محمد بن داوود الاصبهاني ، الا ان ابابكر انما ذكر مائة باب في كـــل باب مائة بيت ، وابو عمر اورد مائتي باب ، في كل باب مائتي بيت ليس فيهـــا باب تكرر اسمه لابي بكر ولم يورد فيه لغير اندلسى شيئا) . "٢"

---

١ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٩٦ — المقري : النفـح ، ج ٤ ، ص ١٧٠ .

٢ — الحميدي : الجذوه ، ص ١٠٤ — ١٠٥ .

ولعل في هذا المنهج الذى سار عليه ابن فرج دليل على ماتمتع به شعراء الاندلس وادباؤها من علم واسع بالادب وقدرة كبيرة على اثبات شخصيتهم العلمية في ميدان المعرفة ، ومناهج التأليف ، ومن المؤسف ان ذلك الكتاب لم يصلنا .

ومن دلائل اهتمام الحكم المستنصر بالحركة الشعرية ورغبته في ازدهارها ما ذكر انه عزم على الغزو سنة (٣٥٢ هـ / ٩٦٣م) ، وكان يحرص على اصطحاب العلماء والشعراء حتى في حروبه ، ولكن حدث ان احدهم وهو عبد الله بن مغيث اعتذر عن صحبة الخليفة في تلك الغزوة لضعف جسمه ، ولكن الحكم اراد ان يعوض تخلف الاديب عن صحبته بما يرضى شغفه العلمي فعرض عليه مقابل تخلفه ان يؤلف كتابا في اشعار خلفاء بني اميه كما ألف الصولي - الاديب المشرقي - كتابا في اشعار خلفاء بني العباس ، فابدى ذلك الاديب قبوله ، وعرض عليه الخليفه تأليف الكتاب في منزلة او بدار الملك ، فاختار دار الملك ، وفي اثناء عودة الخليفه من الغزو تلقاه احد اتباعه بمؤلف ابن مغيث في اشعار خلفاء بني اميه ، فسر به الخليفة الحكم وزاد في اعلاء منزلته واوسع له في العطاء ."[1]

وسار الحاجب المنصور على خطى الحكم المستنصر في تشجيع الادب ، ففي ميدان الشعر اظهر اهتماما كبيرا وادخل على الحركة الشعرية في بلاطه نظاما جديدا ، فقد وضع ديوانا يضم اسماء الشعراء ، وينزلهم فيه حسب مراتبهم في

---

١ - الحميدي : نفس المصدر ، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ - احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٦٩ .

الشـــعر .

وكانت الصلات والاعطيات المرسومه لهم حسب مراتبهم المذكوره ، وقد أوكل امر هذا الديوان والاشراف عليه الى الاديب عبد الله بن محمد بن سلمة . وكان على جانب كبير من الادب ومعرفة الشعر وفنونه ، فكانت على يديه تخرج عطايا الشعراء ، وبنظره ينزلون منازلهم المختلفة . "١"

وقد مر معنا كيف ان المنصور اختبر الشاعر ابن دراج القسطلي وعندما اثبت نجاحه وقدرته الشعرية ضمه الى ديوان الشعراء .

كما ان من دلائل اهتمام المنصور بالشعر وازدهاره ، حرصه الشديد على مصاحبة الادباء والشعراء له في سلمه وحربه ، فكان حريصا على ان يرافقوه ويسيروا معه اينما حل وارتحل . "٢"

ويشير غرسيه غومس الى ان الاندلسيين قد نظموا الشعر في كل فن وباب من الزهديات والتاريخيات الى النوريات التي اكثر الناس منها في عصر الحاجب المنصور . "٣"

---

١ — الحميدى : الجذوه ، ص ٧٨ — المراكشي : المعجب ، ص ٦٠ — احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٧٥ — اغناطيوس كراتشكوفسكي : المرجع السابق ، ص ٣٣ .

٢ — على ادهـــم : المنصور بن ابي عامر ، ص ١٧٨ — احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ١٥٦ — ستانلي لين بول : قصة العرب في اسبانيا ، ص ١٥٢ .

٣ — الشعر الاندلســـي ، ص ٣٨ .

وهكذا نرى ان الخليفة الحكم ومن بعده المنصور بن ابي عامر كان لهما اثر كبير في ازدهار الحركة الشعرية ، وما ادى اليه ذلك من بروز اعداد هائلة من الشعراء الذين لا يقل البعض منهم مقدرة وبراعة عن اشهر شعراء المشرق .

وبناء عليه (لم يصل الشعر الاندلسي الى اوجه الكامل وسمته الجمالي الا في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى الذى يقترن بقيام الخلافة الاموية الاندلسية (٣١٧ هـ / ٩٢٩ م)) . "١"

ونتيجة للاعداد الهائلة من الشعراء الذين ظهروا في الاندلس فقد الفت معاجم كثيرة تضم تراجمهم . وممن صنف في ذلك الاديب محمد بن هشام المرواني (ت ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م) حيث الف كتابا في اخبار شعراء الاندلس ، كذلك الف اسماعيل بن محمد الاشبيلي (ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) كتابا جمع فيه اشعار اهل الاندلس سماه كتاب " البديع في وصف الربيع " ، وألف علي بن عبد المحسن الفتوحي (ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م) مؤلفا في تراجم الشعراء واللغويين عنوانه " المستجاد من فعلات الاجواد " . "٢"

---

١ ـ غرسيه غومس : الشعر الاندلسي ، ص ٣٤ وما اشار اليه غرسيه غومس اعلاه من ان قيام الخلافة الاموية في الاندلس سنة ٣١٧ هـ مخالف لما اوردته الكتب التاريخية من ان ذلك كان سنة ٣١٦ هـ .

٢ ـ آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

بل ان مما يؤكد براعة الاندلسيين في الشعر ما صنفه الاديب قاسم ابن نصير (ت ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م) فقد صنف كتابا في تراجم من برع من الفقهاء في نظم الشعر . "١"

واخيرا فان عصر الخلافة قد انجب فئة من الشعراء شهد لهم الادباء من معاصريهم ومن اتي بعدهم بالبراعة في الشعر والتصرف في فنونه ، فابن عبد ربه قد شهد له المتنبي بالمهارة في قول الشعر وجودة ما يقوله منه ، وكفى ابن عبد ربه فخرا ان يشهد له شاعر المشرق الاكبر . كما ان يوسف بن هارون وصفه الادباء بانه والمتنبي ختم بهما الشعر .

وان ابن دراج كان بالاندلس كالمتنبي بالمشرق ، وهذا بلا شك دليل كبير على تفوق الاندلسيين وعلى ما بلغوه من درجة رفيعة ومكانة سامية في قرض الشعر .

====

---

١ — ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٣٦٤ .

النحـــو وعلوم اللغــــــة

===================

عناية الاندلسيين بالنحو ـ بداية الاشتغال به ـ مكانة النحـــاه واللغويين في المجتمع الاندلسي ـ تأثر الاندلسيين بالمناهج التعليمية المشرقية في النحو ـ ابرز النحاه واللغويين ـ ابو علي القـــالي ـ ابن القوطية ـ محمد بن الحسن الزبيدى ـ احمد بن ابان ـ ابن سيده الاعمى والاتجاه العلمي في اللغه .

====

ب — النحو وعلوم اللغـــــه :—

================

من الطبيعي وقد اثبت الاندلسيون قدراتهم الواسعة في ميادين المعرفة ان يمتد نشاطهم العلمي الى حقل الدراسات النحوية واللغوية ، فقد انصـــرف الكثير من علماء الاندلس الى البحث والنظر في هذه العلوم ، وذلك لارتباطها الشديد بعلوم كثيرة كعلوم القرآن والدين بوجه عام .

وكان الاندلسيون يحرصون على استقامة الفاظهم ، وصحة كلامهم وخلوه مـــن اللحن ، ولهذا نجد ان علم النحو عندهم كان في درجة رفيعة . ومن العلـــوم القيمة لديهم ، فاهتموا به وسعوا الى دراسته وحفظ قواعده (وكل عالم في اى علم لا يكون متمكنا من علم النحو — بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحق للتمييز ولا سالم من الازدراء) . "١"

وفي بداية اشتغال الاندلسيين بالنحو كانوا يعتمدون على قراءة كتب الادب والنصوص الادبية دون استعمال كتب النحو . ثم قادهم ذلك الى التوسع في دراسته فتناولوا كتب النحو وعكفوا على دراستها . واول ما ذاع بينهم كتابي الكسائـــــى (ت ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م) وسيبويه (ت ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م)ثم لم يلبث بعضهم ان اتجه الى تأليف كتاب في ذلك . مثل جودي بن عثمان (ت ١٩٨ هـ / ٨١٣م) والذى نسب اليه انه اول من ادخل الاندلس كتاب الكسائي . "٢" وكان جودي

---

١ — المقـــري : النفح ، ج ١ ، ص ٢٢١ .

٢ — آنخل بالنثيا : المرجع السابق ، ص ١٨٥ —

=

قد رحل في طلب العلم الى المشرق ، والتقى هناك بكبار علماء النحو كالرياشي والفراء ، والكسائي . "١"

ويتبين لنا من ذلك اثر الرحلات العلمية في ازدهار حركة الدراسات النحويه واللغوية في الاندلس ،

وكيف ان ذلك دفع الاندلسيين الى طرق ميدان الدراسات النحوية واللغوية والنظر فيما وصل الى ايديهم من انتاج اهل المشرق ، فاستفادوا من ذلك كله . وتيسر لهم الانطلاق بعد ذلك في البحث والتأليف ، فلم تمر فترة وجيزة حتى نشطت حركة الدراسات النحوية واللغوية وأتت اكلها .

ففي القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، ظهر بعض علماء النحو الاندلسيين الذين كان لهم اهتمام بالغ بهذه العلوم . ومنهم العلامة مفرج بن مالك الذى عكف على دراسة كتاب الكسائي دراسة دقيقة فوضع له شرحا مفيدا في توضيح مسائله وشرح قواعده . كما ان معاصره ابا بكر بن خاطب النحوى ألف

= — الكسائي : على بن حمزه بن عبد الله الكوفي اخذ النحو عن جماعة من اهل العلم ثم قدم بغداد ، فمينه الرشيد مؤدبا لابنيه الامين والمأمون مات بالرى وخلف كتبا في النحو والقراءات . (ابن النديم : الفهرست، ص ٩٧ — ٩٨) .

سيبويه : عمرو بن عثمان مولى لبني الحارث اخذ النحو عن الخليل وبرع فيه فألف فيه كتابا اشتهر عنه . (ابن النديم : الفهرست ، ص ٧٦ — ٧٧)

١ — لطفي عبد البديع : الاسلام في اسبانيا ، ص ٧٣ .

الرياشي : محمد بن سليمان من علماء اللغة والنحو كثير الرواية عن الاصمعي ، توفي سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م . (ابن النديم : الفهرست ص ٨٦) .

الفراء : يحي بن زياد ، له كتاب معاني القرآن وكتب في النحو ، توفي (ت ٢٥٧ هـ / ٨٢٢ م) . (ابن النديم : الفهرست ، ص ٩٩ — ١٠٠)

كتابا في النحو قوبل بالكثير من الرضى والاستحسان من علماء النحو . "١"

ومما يجدر ذكره ان علماء النحو واللغة قد احتلوا مكانة سامية في بلاط الخلافة والمجتمع الاندلسي على السواء ، ذلك انه كان يعول عليهم في تأديب الناشئة ، وتعليمهم قواعد اللغة العربية والنطق بها نطقا سليما ، فقد اهتم الخلفاء والامراء بهذه الفئة من العلماء ، وحرصوا على تقريبهم ، والاعتماد عليهم في تنشئة ابنائهم نشأة علمية سليمة ، ولهذا يلاحظ عند الاطلاع على تراجم النحويين واللغويين اشتغال الكثير منهم بتأديب ابناء الخلفاء او الامراء وغيرهم من افراد المجتمع .

وعندما رحل النحوي الاندلسي محمد بن يحيى الرباحي الى المشرق اطلع هناك على اساليب الدراسة ومناهج النحويين في التعليم ، وفي عودته الى وطنه انجفل اليه الناس ليأخذوا عنه العلم ولم يكن في عهده عند مؤدبي العربية عناية كبيرة بالنحو ، وكان الاندلسيون يعانون صعوبات في طريقة التعليم والتأديب ، بالاضافة الى عدم درايتهم بدقائق العربية فبين لهم الرباحي المناهج العلمية وطرق التأديب عند اهل المشرق ، ووجوب عنايتهم بالنحو ومعرفة مسائله "٢" وفي هذا اشارة الى التطور التعليمي للاندلسيين واقتباسهم الوان التقدم العلمي والحضاري عن اخوانهم من اهل المشرق . ولا شك ان الحال لم تدم على هذه الصورة فقد استطاع الاندلسيون بعد ذلك ان يثبتوا قدراتهم الذاتيه في ميدان النشاط العلمي بصوره المختلفة .

---

١ — شوقي ضيف : المدارس النحوية ، ص ٢٨٩ .

٢ — الزبيدي : طبقات النحويين ، ص ٣١٠ — ٣١١ .

ويلاحظ في دراسة النحو وعلوم اللغة ارتباطهما ببعض ، ولذلك فمن الصعب الفصل بينهما في دراستنا عن النشاط العلمي لتلك العلوم .

وعلى عادة الخلفاء في تشجيع النشاط العلمي وحث العلماء على البحث والتأليف فقد خصص الخليفة الحكم المستنصر جانباً من دار الملك لتكون اشبه بما يسمى في عصرنا بمركز البحوث والدراسات "١" ، وفي هذا المكان كان العلماء والباحثون يجتمعون للبحث والدراسة والتأليف ، ومن هذه الاجتماعات العلمية ما ذكر ان الحكم المستنصر دعا بعض العلماء وهم محمد بن ابي الحسين ، وابو علي القالي ، وابني سيد ، وذلك لمقابلة كتاب العين للخليل بن احمد ، واحضر من هذا الكتاب نسخا كثيرة من جملتها نسخة القاضي منذر بن سعيد التى رواها بمصر عن ابن ولاد . وقد انصرف هؤلاء العلماء الى دراسة تلك النسخ ومعرفة وجوه الاختلاف بينها ، فلاحظوا أن نسخة منذر بن سعيد كانت اكثر خطأ فبينوا ذلك للخليفة . ولما بلغ ذلك منذر غضب ، وبعث بأبيات شعرية يغض فيها من علمهم ويسخر منهم ، مما دفع العلامة محمد بن ابي الحسين لان يرد عليه بابيات طويلة ضمنها سوء معرفته بكتاب العين ، ويثني فيها على ابي علي القالي وسعة علمه . "٢"

---

١ — في هذا المكان من دار الملك ألف الاديب عبد الله بن مغيث كتابه في شعر خلفاء بني اميه في الاندلس للخليفة الحكم المستنصر . (انظر باب الشعر) .

٢ — الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٥٠ — ٥١ — ٥٢ — الازدى : بدائع البدائه ، ص ٥٢ — ٥٣ — ٥٤ .

— الخليل بن احمد بن عمر الفراهيدى الازدى ولد بالبصره سنة ١٠٠ هـ / ٧١٨م ، واشتغل بالعلوم وصنف الكثير من الكتب في اللغة ومنها كتاب العين ولم يتمه ، وكتاب النقط والشكل والنغم والشواهد وهو اول من وضع العروض ، توفي سنة ١٦٠ هـ/ ٧٧٦م ، (ابن نباته : سرح العيون ، ص ١٥٢) .

وظهر في عصر الخلافه اعداد كبيره من علماء النحو واللغه ، وسوف نكتفي بالاشارة الى ابرزهم . فيأتي في مقدمتهم الاديب اللغوى ابو علي القالي الذى وفد الى الاندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر . وكان من ضمن الكتب التي ادخلها الاندلس كتاب سيبويه في النحو . وقد نهج في تدريسه للنحو نهج البصريين ، وتبعه في ذلك تلميذه ابن الاقليلي الذى كان يقرئ كتاب سيبويه ويدرسه لتلاميذه في جامع قرطبه . "١"

وكان لابي علي مشاركة واسعة في نشاط علوم اللغة ، فكان بارعا فيها . مجتهدا في دراستها فألف في ذلك كتابا هاما اسماه (البارع في اللغه) ، والذى وصف بانه (في اللغات كلها وانه زاد على كتاب الخليل بن احمد نيفا واربعمائة ورقة مما وقع في العين مهملا فاملاه مستعملا ، ومما قلل فيه الخليل فاملى فيه زيادة كثيره ، ومما جاء دون شاهد فأملى الشواهد ، وكان ابتداء اولة سنة تسع وثلاثين وكماله في شوال (٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م) ومات رحمه الله قبل ايعاب النسخة المرفوعة منه ، وقبل ان ينقحه فاستخرج من الصكوك والرقاع وخرج بخط فصيح في مائة واربعة وستين جزءا عدد اوراقها اربعة آلاف ورقة واربع مائة ورقة وست واربعون ورقة) . "٢"

كما ان القالي صنف كتابا في " المقصور والممدود " نال ثناء وتقدير علماء اللغة والنحو ، ووصفه ابن حزم بانه لم يؤلف مثله في بابه . "٣"

---

١ ــ شوقي ضيف : المرجع السابق ، ص ٢٨٩ ــ ٢٩٠ .
٢ ــ ابن خير : فهرسة ما رواه عن شيوخه ، ص ٣٥٥ .
٣ ــ المقرى : النفح ، ج ٣ ، ص ١٧١ (نقلا عن رسالة ابن حزم في فضل علماء الاندلس .)

واكد القالي علو كعبه وقدرته الفائقة في النحو بما اضافه من دراسات هامه الى تلك العلوم والى ما صنفه غيره من علماء اللغه ، فقد ألف للخليفة الحكم المستنصر كتاب " فعلت وافعلت " وجعله ثلاثة اضعاف ما كان للزجاج النحوي المشرقي . "١"

ومن علماء النحو واللغة المشهورين في عصر الخلافه محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) ، وهو من اهل قرطبه ، وكان من البارعين في النحو ، والمتضلعين في علوم اللغه حتى بز فيها غيره من العلماء فكان مرجعا في اللغة والنحو ، لا يلحق شأوه ، وله في هذه العلوم مؤلفات قيمة منها كتاب تصاريف الافعال ، وكتاب المقصور والممدود وغير ذلك من الكتب المهمة في ذلك . "٢"

وكان ابن القوطية يعقد مجالسه العلمية في جامع قرطبه ، حيث كان يزدحم على مجالسه تلك الكثير من طلبة العلم ، فيأخذون عنه كتب اللغة ويقرأونها

---

١ ـ ابن خير : المصدر السابق ، ص ٣٥٢ .

٢ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٧٦ ـ ٧٧ ـ الحميدى : الجذوة ، ص ٣٦ ـ الضبي : بغية الملتمس ، ص ١١٢ ـ ابن فرحون : الديباج ج ٢ ، ص ٢١٧ ـ ٢١٨ ـ الصفدي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٤٢ ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٤ ، ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩ ـ السيوطي : بغية الوعاه ، ج ١ ، ص ١٩٨ .

عليه ومن تردد على مجالسه العلمية العلامة ابن الفرضي الذى ذكر انه درس على يديه العربيه . وسمع منه كتاب الكامل للمبرد ، ولكن لم يتم سماعه منه لوفاة استاذه ابن القوطية . "١"

ولعل من شواهد نبوغ ابن القوطية في اللغة والنحو ما كان يبديه ابو علي القالي له — وهو بالمنزلة التي لا تنكر — من ضروب التقدير والاجلال لعلمه وفضله .) "٢"

ولا شك ان في ذلك ما يشير الى الدرجة الرفيعة التي كان يحتلها ابن القوطية في ميدان الدراسات النحوية واللغوية ، وانه قد اسهم بقدر كاف في ازدهارها بما كان يعقد من مجالس الدرس في جامع قرطبه وما تلقاه عنه طلبة العلم من المعرفة الواسعة في تلك العلوم الى جانب مشاركته في ميدان التأليف العلمي .

ومن معاصرى ابن القوطية الاديب النحوى محمد بن الحسن الزبيدى الاشبيلي (ت ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م) الذى انتقل الى قرطبه واخذ عن علمائها النحو واللغة والادب وكان لعلمه الواسع ومعارفه الغزيرة في النحو اثر في تقريبه الى بلاط الخلافه . فنال جاها ورياسه ، وصحب ابا علي القالي واخذ عنه الادب واللغة وبرع على وجه الخصوص في النحو واللغة ، حتى وصف بانه اوحد عصره في علم النحو وحفظ اللغه . وقد لقي من الخليفة الحكم المستنصر كل تكريم وتشجيع فعينه في بعض مناصب الدوله ، ولكنه مع ذلك لم ينصرف عن واجبه العلمي

---

١ — ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٧ .
٢ — الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج ٢ ، ص ٧٤ .

فكان على صلة بحلقات العلم والتدريس واخذ الكثير عنه كتبه وعلومه "١" •

ولا شك ان في ذلك دلالة على ما اتسم به ذلك العصر من اخلاص للعلم ، فالمناصب التي تولاها الزبيدى لم تكن لتشغله عن ميدان البحث والدرس • وتعد تلك الظاهره سمة من سمات ذلك العصر •

وكان للزبيدى نشاط كبير في حقل التأليف ، فقد ألف الكثير من المؤلفات في النحو وعلوم اللغة ، فصنف كتاب " الواضح " ، واختصر كتاب " العين " ، وألف في " الابنية " و " لحن العامه " وفي " أخبار النحويين " • "٢"

وكان الزبيدى يلقى من الخليفة الحكم المستنصر كل تشجيع فقد خلع عليه خلعة سنية بعد تصفحه لكتابه في اختصار كتاب العين • "٣"

---

١ — ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨٩ — ٩٠ — الصفدى : الوافي ، ج ٢ ، ص ٣٥١ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٢ — ٣٧٣ — كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربي ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ •

٢ — الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٤٧ — الضبي : البغية : ص ٦٦ — ٦٧ — ابن فرحون : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٩ — ٢٢٠ — المراكشي : المعجب ص ٦٢ — ٦٣ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٢ — ٣٧٣ — السيوطي : بغية الوعاه ، ج ١ ، ص ٨٤ — ٨٥ — ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٩٤ — ٩٥ — احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ٨٩ • وانظر الموسوعة العربية الميسره • حرف الزاى • ص ٩١٩ •

٣ — ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، ص ١٣٣ — ١٣٤

ونظرا لعناية الزبيدى بالنحو فقد الف في طبقات النحويين كتابا نفيسا • ضمنه اشهر النحاة في المشرق والاندلس من زمن ابي الاسود الدؤلي الى زمن عبد اللــه الرباحي شيخه في النحو ، وهذا الكتاب من بين ما اعتمد عليه الباحث في الكــلام عن علماء اللغة والنحو الاندلسيين •

وقد نهج الزبيدى في تأليفه لذلك الكتاب منهجا املاه عليه الخليفة الحكم المستنصر ، فقد كان لاهتمامه بحركة التأليف ان اورثه ذلك خبرة واسعة في التصنيف ومناهج التأليف ، والى هذا اشار الزبيدى في مقدمة كتابه المذكور بقولــــه : (الفت هذا الكتاب على الوجه الذى امرني به ••• (أى الخليفة الحكم المستنصـر) واقمته على الشكل الذى حده وامدني ، رضي الله عنه ، في ذلك بعنايتـــه وعلمه ، واوسعني من روايته وحفظه اذ هو البحر الذى لا تعبر اواذيه ، ولا تدرك سواحله ولا ينزح غمره ، ولا تنضب مادته ••) "١"

وهكذا يتبين ما كان عليه الزبيدى من علم واسع بعلوم النحو واللغه ومــــدى اخلاصه التام في نشر معارفه النحويه واللغوية • وانه قد استفاد من تشجيــــع واكرام الخليفة الحكم المستنصر في بث علومه وتأليف الكتب النافعه والتي لا يزال بعضها بين ايدينا •

وكان لاحمد بن ابان بن سيد (ت ٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م) جهود موفقة فـي ميدان النحو واللغة ، فصنف كتاب " العالم " في مائة مجلد ، مرتبا على الاجناس

---

١ ــ طبقات النحويين ، ص ٩ ــ ١٠ •

بدأ فيه بالفلك وختم بالذره . "١"

كما تناول كتاب الاخفش "٢" في النحو وقام بشرحه واضاف اليه اضافات هامه ، وكان لهذا الكتاب منزلة رفيعة حتى اثنى عليه ابن حزم ووصفه بالاتقان . "٣"

وبرع العلامة تمام بن غالب المعروف بابى الثياني (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤م) في علم اللغة ، وقد انتقل من قرطبه الى مرسيه . حيث انصرف الى التدريس ونشر علمه ، ثم عكف على التأليف فصنف كتابا في اللغة ، ولما اطلع عليه الامير مجاهد العامري حاكم دانيه اعجب به وبعث الى تمام بالف دينار وكسوه على ان يذكر في مقدمته انه صنفه باسمه ، ولكن تمام لاخلاصه للعلم رفض ذلك . وقال : كتاب صنفته لله ولطلبة العلم لا أصرفه الى اسم ملك ، وحلف ان لا يفعل ذلك ، ورد الألف دينار والكسوه ، فعظم في عين مجاهد والناس ، واثنى عليه العلماء ، ووصفوه بالنزاهة والقدر العلمي الكبير . "٤"

---

١ ـ الحميدي : الجذوة ، ص ٤٠٥ ـ الضبي : البغية ، ص ٥٣٨ ـ المقرى : النفح ، ج ٣ ، ص ١٧٢ ـ السيوطي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٩١ ـ البغدادي : هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٦٨ .

٢ ـ الاخفش : سعيد بن مسعده من كبار نحويي البصره ، وقد اخذ علومه عن سيبويه ، وقرئ عليه كتاب سيبويه بعد موته ، وقد ألف بعض الكتب في النحو منها الاوسط . والاشتقاق ، توفي سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٥م .
(ابن النديم : الفهرست ، ص ٧٧ ـ ٧٨) .

٣ ـ الحميدي : المصدر السابق ، ص ٤٠٥ .

٤ ـ ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ١٦٦ ـ المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ١٧٢ ـ شكيب ارسلان : الحلل السندسيه ج ٣ ، ص ٤٥٩ ـ آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ١٨٦ .

وفي اواخر عصر الخلافه لمع اسم اللغوى الكبير ابو الحسن علي بن اسماعيل ابن سيده الاعمى (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) ، وكان بارعا في اللغة ، متضلعا في علومها حتى وصف بانه لا يعلم بالاندلس اشد اعتناء منه باللغة ، ولا اعظم من مصنفاته في ذلك ، وانه من مفاخر مرسيه (بلده) حتى قال فيه احد العلماء (وهو عندى فوق أن يوصف بحافظ او عالم) . "١"

وقد اشاد به العلماء وأثنوا على علمه الواسع حتى وصفه القاضي صاعد بانه اعلم اهل الاندلس بالنحو واللغة والاشعار ، واحفظهم لذلك حتى انه كان يحفظ الكثير من المصنفات اللغوية والنحوية عن ظهر قلب . "٢"

ولم تكن منزلته العلمية معروفة لدى الاندلسيين فقط ، بل كانت ايضا معروفة لدى المشارقة فذكروه واشادوا به وبعلمه ، فقد روى السلفي بقوله : (سمعت ابا عبد الله محمد بن الحسن بن ابي زرارة اللغوي يقول : كان بالمشرق لغوي وبالمغرب لغوي في عصر واحد ولم يكن لهما ثالث وهما ضربان : فالمشرقي ابو العلاء التنوخي المعرى ، والمغربي ابن سيده الاندلسي ، وابن سيده اعلم من المعرى) . "٣"

ولو اننا القينا نظرة على ما تركه ذلك العلامة من تصانيف علمية قيمه لوقفنا على مقدار فضله ، وسعة علمه ، وعلو منزلته في ذلك . فقد صنف كتاب

---

١ — ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .
٢ — طبقات الامم : ص ١٠٣ .
٣ — اخبار وتراجم اندلسيه . ص ٧٠ .

" المحكم " والمحيط الاعظم " وهو مرتب على حروف المعجم في اللغـــه ،
و " المخصص " في اللغة ايضا وهو مرتب على ابواب ، وكتاب " شرح ابيـــات
الجمل للزجاجي " ، وكتاب " الانيق في شرح الحماسه " ، وكتاب العويص
في شرح اصلاح المنطق " . "١"

كما ان من بين مؤلفات ابن سيده الاعمى كتاب " شرح مشكل شعر المتنبي "
تناول فيه شرح الالفاظ المستعصيه التي تضمنها شعر المتنبي وابدى في ذلــك
براعة في معرفة معاني الالفاظ ، وحل غموضها وتوضيح معانيها بطريقة تنم عـــن
سعة علمه "٢" ، وكان الاديب ابراهيم بن محمد بن الافليلي قد شرح شـــعر
المتنبي شرحا وافيا وصف بالجودة والحسن . "٣"

والجدير بالذكر ان تلك الكتب قد احتلت منزلة عالية بين كتب اللغة فتناولها
العلماء بالدراسة والافادة مما حوته من معارف لغويه جمه . وقد ذكر ان كتــاب
" المحكم " في ثلاثين مجلدا ، وانه ليس في كتب اللغة احسن ولا انفع منه . "٤"

---

١ ـ ابن خير : المصدر السابق ، ص ٣٥٦ .
٢ ـ قام بتحقيق ذلك الكتاب محمد رضوان الدايه ، وصدر عن دار المأمـــون للتراث بدمشق .
٣ ـ المقري : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٧٣ (نقلا عن رسالة ابن حزم في فضل الاندلس) .
٤ ـ السلفي : المصدر السابق ، ص ٧٠ ـ القلقشـــندي : صبح الاعشى ، ج ١ ، ص ٤٦٨ .

اما كتاب " المخصص " فقد بلغ به منزلة لا تداني ، والحق ان من يطلع على هذا الكتاب فانه سوف يلمس ما كان عليه ذلك العلامة من علم ومعرفة لم تتأتى لغيره .والكتاب في مضمونه لغوى مرتب حسب المعاني ، وكل موضوع من موضوعات الحياة البشرية من مادى ومعنوى يذكره مفردا . ويضع له بابا خاصا به ثم يذكر جميع ما ورد فيه عن العرب من ألفاظ وجمل . "١"

وقد وصف هذا الكتاب بأنه موسوعة عظيمة ، ودائرة معارف جليلة ، وانه يقع في عشرين مجلداً تنم عن جلالة ما حواه وعظم ما ضمه من معارف . "٢"

واخيرا يتضح لنا عظم ما اسداه الاندلسيون في هذا الميدان الهام ، وما اضافوه الى المكتبة الاسلامية من دراسات هامة اسهمت في رفع شأن النحو واللغة العربية ، ولا نقول ذلك جزافا فان الاندلسيين اعتمدوا اولا في دراساتهم اللغوية والنحوية على المشرق ثم لم يلبثوا ان انطلقوا في ميدان البحث والدراسة ليخرجوا لنا في نهاية الامر بدراسات علمية قيمة وتصانيف نفيسه . فما اضافه القالي الى كتاب الخليل بن احمد من دراسة مستفيضة وزيادة هامه لدليل على تفوق الاندلسيين ونبوغهم وعدم اتكالهم على المشرق . وكفاهم فخرا انه ظهر من بينهم ابن سيده الذى لا يستبعد ان يكون اعظم لغوي في الاندلس والمشرق على حد سواء . وقد تمتعت الاندلس بسمعة عظيمة في هذه الدراسات فنبغ فيها في

---

١ — شكيب ارسلان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٤٦٤ .

٢ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج ٤ ، ص ٤٧٧ .

عصر الخلافة وما بعده علماء كبار منهم ابن عصفور وابن مالك الجياني ، وابو حيان الغرناطي وغيرهم كثير .

وخلاصة القول ان ميدان الحياة الادبية واللغوية والنحوية شهد في عصر الخلافة نشاطا زاهرا اثبت فيه الاندلسيون سعة معارفهم وتألق شخصيتهم العلمية .

ومن الحق ان نشير الى ان هذه العلوم قد اسهم الاندلسيون في تطورها منذ عصر الاماره ، فالنشاط العلمي آنذاك كان ينصب في اكثره على علوم الدين والادب وعلوم اللغة ، ولا غرو في ذلك فان الاندلسيين رأوا ضرورة الارتباط بين علوم الدين وبين تلك العلوم وما يؤدى اليه ذلك من ايضاح الكثير من مسائل الدين الواردة في القرآن الكريم والسنه المطهره ، وشرح معاني الفاظها وتسهيل فهمها .

وفي عصر الخلافة كان الاندلسيون قد بلغوا درجة رفيعة في ميدان البحث العلمي في مختلف وجوه العلم ومنها الدراسات الادبية واللغوية والنحوية ، ولا ادل على ذلك من ظهور الكثير من اعلام الادب واللغة والنحو الذين اثروا ذلك الميدان بانتاجهم العلمي الرفيع ، واضافوا بذلك دراسات قيمة الى المكتبة العربية .

وقد تألقت اسماء الكثير منهم كابن عبد ربه ، وابو علي القالي الذى يرجع اليه الفضل في ازدهار الدراسات الادبية واللغوية والنحوية في عصري الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ، وكذلك الاديب المشرقي صاعد بن الحسن الربعي الذى رغم ما وصف به من ادعاء وانتحال كان اديبا واسع الاطلاع ، جم المعارف ، بالاضافة الى بروز العلامة ابن القوطية في اللغة والنحو وما اثرى به تلك العلوم من دراسات مستفيضة ، والى جانب هؤلاء تألق اسم محمد بن الحسن الزبيدى الذى كانت له جهوده الموفقه في ذلك ، ويختتم عصر الخلافة بظهور اللغوى الكبير ابن سيده الذى ذاع صيته شرقا وغربا . وبهؤلاء وغيرهم تجلت لنا صور النشاط العلمي في الادب واللغه والنحو ، ووقفنا على ما قام به الاندلسيون من جهود علمية رائعة في هذه الميادين .

===

الفصـــــل الثالـــــث

العلـــــوم الانســـــانية

===================

- التاريخ
- الجغرافيا والرحلات الجغرافيـــــة .
- الفلســــــفة .

أ ـ التاريـــــخ

=========

عناية الاندلسيين بالتاريخ ـ نشاط ميدان التراجم واهتمام الاندلسيين به ـ ابرز مؤرخي الأندلس ، ابن القوطية وانتاجه العلمي • اسرة الرازى • احمد بن محمد وابنه عيسى ـ محمد بن الحـــارث الخشني ـ ابن الفوضي ـ ابن عبد البر النمرى ـ من عوامــل ازدهار الدراسات التاريخية ـ اهتمام الخلفاء بذلك وخاصة الخليفـــة الحكم المستنصر الذى كان يحفز الملكات العلمية على التأليف والبحـــث ـ دور المنصور في ازدهار التاريخ والتراجم ـ ابرز مؤرخي الاندلس ابـــن حيان وانتاجه العلمي ـ ابن حزم وانتاجه العلمي في التاريـــخ ـ ابن شهيد مؤرخا ـ دور اهل الذمة في دراسة التاريخ •

======

نال علم التاريخ من الاندلسيين كل عناية واهتمام ، فقد رأوا من واجبهم الوطني نحو بلدهم الاندلس ان يسعوا بجد للحفاظ على تاريخه وما يتضمنه من ضروب النشاط السياسي والعسكرى والحضارى بوجه عام •

ولما كان الاندلس في عصر الخلافة قد بلغ شأنا كبيرا في ميدان الحضارة والحقل العلمي خاصة فمن الطبيعي ان نرى الاعداد الهائلة من العلماء في مختلف وجوه العلم وفروع المعرفة ، الامر الذى دفع الاندلسيين نحو تخليد مآثر بلدهم في هذا الميدان بكتابة تراجم علمائه واعيانه •

والواقع ان الاندلسيين من باب استكمال وجوه الحضارة واثبات مكانتهم العلمية نشطوا في ميدان الدراسات التاريخية وكأنهم استهدفوا من وراء ذلك ابراز

ما اسهم به بلدهم مع المشرق الاسلامي في بناء الحضارة الاسلامية .

واذا ما تتبعنا حركة الدراسات التاريخية في الاندلس نلاحظ ان الاندلسيين عنوا اكثر ما عنوا بكتابة التراجم ، فقد نشطت حركة التأليف في هذا الميدان نشاطا كبيرا ، وان مجرد القاء نظرة على المكتبة التاريخية الاندلسية لكفيل بان يرينا هذه الحقيقة بوضوح .

وقد اظهر الاندلسيون براعة تامة وقدرة كبيرة في ميدان التراجم ، وكان الكثير منهم في بادئ الامر يتجهون الى كتابة سير علماء الاندلس بصورة عامة ثم ما لبثوا ان تناولوا كتابة التراجم بصورة اكثر تخصيصا للعلماء واهل المعرفة ، فعمد البعض الى التأليف في تراجم طبقة معينة من العلماء كطبقات الاطباء لابن جلجل ، وطبقات النحويين للزبيدي ، بل ان افرادا منهم الفوا في تراجم علماء جهة من الجهات ، ككتاب "... اخبار شعراء البيره" ، او في ترجمة شخصية معينه كالمنصور بن ابي عامر ، فقد ألف حسين بن عاصم كتابا اسماه "المآثر العامريه" في سير المنصور وغزواته واوقاتها . "١"

وقد شهد عصر الخلافة نشاطا كبيرا في ميدان التاريخ فبرز مؤرخون بارعون كان لهم جهد بارز في اثراء هذا العلم بالكثير من الدراسات المثمرة التي تنم عما امتازوا به من القدر العلمي الكبير .

وفي مقدمة مؤرخي عصر الخلافة يأتي المؤرخ محمد بن عمر بن عبد العزيز

---

١ — الحميدي : الجذوة ، ص ١٩٣ .

المعروف " بابن القوطية " (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) ، وقد اشرنا اليه سابقا عند الحديث عن النحو وعلوم اللغة باعتباره احد العلماء البارزين فيها ، وبالاضافة الى ما تقدم . كان ابن القوطية بارعا في التاريخ (حافظا لأخبار الاندلس مليا برواية سير امرائها واحوال فقهائها وشعرائها ، يملى ذلك عن ظهر قلب)"١" .

ولابن القوطية في ميدان التأليف التاريخي مصنف اسمه " تاريخ افتتاح الاندلس " ، ويبدو ان انتماء ابن القوطية الى القوط من جهة امه كان له اثر في نظرته الى الوقائع التاريخية التي حدثت بين القوط والمسلمين ، فكان يميل في بعض الاحيان الى تمجيد العنصر القوطي والانسياق نحو عواطفه القومية مما يخرج به عن محيط الموضوعية في كتاباته التاريخية ، فهو حينما يتحدث عن الزعيم القوطي ارطباس واخباره مع الزعيم العربي الصميل بن حاتم نجده يصور الزعيم القوطي في خلق نبيل وانه صاحب دهاء وحكمة في حين يصور الزعيم العربي في صورة اقل من ذ من ذلك ، كما انه يتوسع في اخبار الثائرين من اصول اسبانيه كمروان الجليقي ، وعمر بن حفصون ، وفضلا عن ذلك فهو باعتباره من موالي بني امية فهو لا يخفي ميله نحوهم والاشادة بهم في كتابه . "٢"

ورغم ما تقدم فان للكتاب قيمته التاريخية الهامة بين كتب التاريخ الاندلسي اذ يأتي في طليعة الكتب التي ارخت لاحداث الاندلس منذ افتتاحها الى عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر كما يتميز بالاسهاب والتفصيل في شرح بعض الاحداث والوقائع التي

---

١ — ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٧٦ — ٧٧ .

٢ — احمد هيكل : الادب الاندلسي ، ص ١٩١ — ١٩٢ — احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ .

لم يكن يعرفها العرب . "١"

ومن حق ميدان التاريخ ان يزهو بأسرة آل الرازي التي كان لها فضل كبير في ازدهار علم التاريخ .

ويأتي في مقدمة مؤرخي تلك الاسرة المؤرخ احمد بن محمد بن موسى الرازى الكنائي (٢٧٤ هـ — ٣٤٤ هـ / ٨٨٧ م — ٩٥٥ م) ، وكان والده محمد قد وفد الى الاندلس من المشرق حيث نزل مكرما على الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وقد اشرنا الى براعته في ميدان الجغرافيا اثناء الحديث عن ذلك في عصر الامارة ، اما ابنه احمد فقد ورث عن ابيه البراعة في التاريخ ، ووصف بسعة العلم وحفظ وقائع التاريخ الاندلسي ، والمعرفة التامة بسير ملوك الاندلس واعيانها . "٢"

والحق ان ما اسداه ذلك المؤرخ لحقل الدراسات التاريخية الاندلسية تأليفا وترجمة شيء يثير الاعجاب فقد صنف كتابا في " اخبار ملوك الاندلس وخدمتهم وركبانهم وغزواتهم " ويقع في حجم كبير ، كما ألف كتابا في " صفة قرطبه ، وخططها ومنازل العظماء بها " ، وقد نهج في تأليف كتابه الاخير طريقة المؤرخ المشرقي احمد بن طاهر في كتابه اخبار بغداد وذكره لمنازل صحابة المنصور بها ، كما اشار ابن حزم الى تأليفه بكتاب في " انساب مشاهير اهل الاندلس " وانه يقع في خمس مجلدات ، ووصفه بالقيمة العلمية الكبيره . "٣"

---

١ — احمد امين : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ — السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ — لطفي عبد البديع : الاسلام في اسبانيا ، ص ٦٩ — ٧٠ .

٢ — ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٢ .

٣ — الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ١٠٤ — الضبي : البغية ، ص ١٥١ — الصفدى : الوافي بالوفيات ، ج ٨ ، ص ١٣١ — ياقوت : معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ — ٢٣٦ — لطفي عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٦٨ — ٦٩ — — احمد هيكل : المرجع السابق ، ص ١٩١ — عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي ، ص ٥٨٧ .

وبالاضافة الى جهود احمد الرازى في ميدان التاريخ ، فقد كان له ايضا اسهام وافر في ازدهار الدراسات الجغرافية وسوف نأتي على ذكر ذلك عند الحديث عن الجغرافيا .

وقد انجب احمد الرازى ابنا اسمه عيسى ورث عن ابيه المهارة في دراسة التاريخ الى جانب تمكنه في الادب ، وكان لما اتصف به عيسى اثر في تقريب الخليفة الحكم له وادناء منزلته ، وكان يشجعه على البحث والتأليف ، فألف له عيسى كتابا قيما في التاريخ ، ولم يزل عيسى محفوظ الجاه كريم المقام حتى تولى الحاجب المنصور زمام الامور بعد وفاة الخليفة الحكم ، وقد الف عيسى للمنصور كتابا في " الوزارة والوزراء " ، كما ألف له كتابا في " الحجاب " . "١"

واذا كان لبعض العلماء الواردين على الاندلس دور بارز في ازدهار حركة الدراسات التاريخية في الاندلس فانه يأتي في طليعتهم المؤرخ محمد بن حارث بن اسد الخشني القيرواني (ت ٣٧١ هـ / ٩٨١ م) الذى تلقى علومه الاولى في القيروان ، وقد انصرف الى التاريخ والتراجم فكان له في ذلك جهود قيمة ، وانتاج علمي نفيس ، ونظرا لما كانت عليه الاندلس من حضارة وما ضمته من ارباب العلم والمعرفة فقد كان ذلك دافعا للخشني الى قصدها فدخلها سنة (٣١٢ هـ / ٩٢٤ م) ليأخذ العلم عن علماء قرطبة امثال قاسم بن اصبغ واحمد بن عباده وغيرهم من العلماء ، وكان لسعة علمه وفضله اثر في تقريب الخليفة الحكم له فأدنى منزلته

---

١ ـ المراكشي : الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم الثاني ، ص ٤٩١ .

ورفع مكانته بين العلماء • "١"

وقد اسهم الخشني بجهد وافر في رقي الدراسات التاريخية بما صنفه من المؤلفات القيمة • فقد صنف كتابا في " قضاة قرطبه " • وصدر المؤلف كتابه بالثناء على الامير الحكم المستنصر — الذى كان آنذاك وليا للعهد — وانه كان وراء تصنيفه للكتاب بما كان يهديه له من ضروب التشجيع المادى والمعنوى ورغبة منه في حفظ سير اهل العلم • ثم يعرض الخشني في مقدمة كتابه الى منهجه في جمع المادة العلمية للكتاب فيقول (لما امر الامير ابقاه الله بتأليف كتاب القضاه مقصورا على من قضى للخلفاء رضي الله عنهم بارض المغرب في الحاضرة العظمى قرطبة • ذات الفخر الاعظم ولعمالهم بها من قبل هززت رواه الاخبار في اخبارهم • وكاشفت اهل الحفظ عن افعالهم • وسألت اهل العلم عما تقدم من سيرهم قولا وفعلا) "٢"

والجدير بالذكر ان هذا الكتاب لقي عناية فائقة من دارسي التاريخ الاندلسي وخاصة من يهمهم دراسة الحياة الاجتماعية في ذلك العصر • وقد ترجم فيه مؤلفه لمن تولى القضاء منذ الفتح حتى سنة ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م) • وهي السنة التي تولي فيها القضاء القاضي محمد بن اسحاق بن السليم وبه ختم الكتاب •

---

١ — ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس • ج ٢ • ص ١١٣ — الذهبي : تذكرة الحفاظ • ج ٣ • ص ١٠٠٢ — الصفدي : المصدر السابق • ج ٢ • ص ٣١٥ — آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي • ص ٢٦٧ — ٢٦٨ •

٢ — قضاة قرطبه • ص ١ — ٢ •

والكتاب يفيض بالمعلومات القيمة عن سير القضاه وما يتخللها من مواقف طريقة مع الناس حتى وصف هذا الكتاب بانه يضعنا في قلب قرطبه من خلال ما يمدنا به من معلومات عن الحياة الاجتماعية كما ان اخباره مصوغة في قالب من الواقعية التي لا يرقى الى مستواها اى من كتب التاريخ والأدب ٠ "١"

وبالاضافة الى ما سبق صنف الخشني الكثير من الكتب ، فقد ذكر ابن الفرضي انه صنف للخليفة الحكم المستنصر مائة ديوان "٢" ولا شك ان فيه دلالة على ما اتصف به الخشني من سعة العلم والدراية العميقة بأكثر من علم ، وفيه دليل ايضا على ما كان يوليه الخليفة الحكم من عناية بالبحث والتأليف ٠

ومما ينسب للخشني من كتب التاريخ " تاريخ الاندلس " و " تاريخ الافريقيين " و " كتاب النسب " ٠ "٣"

والجدير بالذكر انه عثر لهذا العلامة على مخطوط يسمى " تاريخ علماء الاندلس" وهو عبارة عن معجم تراجم لاعلام الاندلسيين حتى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادي ، ويحوى ذلك المخطوط ١٨٢ ورقة مكتوبة بخط اندلسي عتيق جدا ، وقد اشار ابن الفرضي الى اعتماده في تأليفه لكتابه تاريخ علماء الاندلس على كتاب للخشني في تراجم رجال الاندلس فلعله ذلك المخطوط المشار اليه ٠ "٤"

---

١ - احمد هيكل : الادب الاندلسي ، ص ١٩٣ ٠

٢ - تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١١٣ ٠

٣ - الذهبي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٠٢ - ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٩ ٠

٤ - يوجد هذا المخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم " ٦٩١٦ " وقد اخذنا منه في بعض جوانب البحث ٠

وفي مجال التراجم يبرز العلامة المؤرخ عبد الله بن محمد الازدى المعروف بابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) الذى سبقت الاشارة اليه في ميدان الحديث .

كان هذا العلامة جم النشاط كثير الاشتغال بالعلم . فقد صنف العديد من كتب العلم ففيما يتعلق بالتاريخ ما صنفه في ميدان التراجم ، وهو كتابه " تاريخ علماء الاندلس " ، والذى يعد من اهم المصادر التاريخية لدراسة الحياة العلمية في الاندلس حتى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى . كما ان هذا الكتاب يعد اقدم كتب التراجم العامه التي بين ايدينا ، فعلى الرغم من ان كتاب الخشني " تاريخ علماء الاندلس " - الذى لا يزال مخطوطا حتى اليوم - يعتبر اقدم من كتاب ابن الفرضي المذكور الا ان الاخير بما اتيح له من اسباب الانتشار . كان في مقدمة كتب التراجم الاندلسية الهامة ذيوعا بين المشتغلين بدراسة التاريخ الاندلسي .

وفي مقدمة الكتاب يشير المؤلف الى عنايته بالتراجم فيقول (ولم ازل مهتما بهذا الفن ، معتنيا به مولعا بجمعه والبحث عنه ، ومسائلة الشيوخ عما لم اعلم منه حتى اجتمع لي من ذلك بحمد الله وعونه ما املته وتقيد في كتابي هذا - من التسمية - ما لم اعلمه يقيد في كتاب ألف في معناه في الاندلس قبله) . "١"

وقد اعتمد ابن الفرضي في تأليفه لكتابه المذكور على من سبقه من العلماء امثال احمد بن محمد بن عبد البر ، وخالد بن سعد ، ومحمد بن الحارث الخشني الآنف الذكر - والمؤرخ احمد الرازي ، والمؤرخ ابن يونس بن عبد الاعلى المصري في كتابه تاريخ مصر والمغرب ، وغيرهم من المؤرخين بالاضافة الى ما تلقاه من افواه العلماء مشافهة وما قيده عليهم . "٢"

---

١ - تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢ .

٢ - نفس المصدر والجزء ، ص ٢ - ٣ .

والحق ان كتاب ابن الفرضي على الرغم من سلوكه سبيل الاختصار فيما أورده من تراجم فله قيمته العلمية التي لا تنكر في توضيح ما كان عليه المجتمع الاندلسي من اهتمام بالعلوم والمعارف وما تمتع به الاندلسيون من علم واسع وخاصة في حقل العلوم الدينية اذ غلبت على الكتاب تراجم علماء الحديث والفقه وبعض اهل الادب ، ولا نكاد نلمس فيه ماله صلة بالميادين العلمية الاخرى كالطب والفلك والرياضيات والكيمياء .

وقد نال كتاب ابن الفرضي تقدير وثناء العلماء فذيل عليه احدهم وهو ابو القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال (٤٩٤ هـ — ٥٧٨ هـ / ١١٠٠م — ١١٨٢م) بكتابه القيم " الصلة " .

واسهم العلامة يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمرى في ازدهار الدراسات التاريخية بما بذله من جهد وافر تمثل فيما صنفه من كتب التاريخ والتراجم وفي مقدمتها " الاستيعاب في اسماء المذكورين في الروايات والسير والمصنفات من الصحابة رضي الله عنهم والتعريف بهم وتلخيص احوالهم ومنازلهم وعيون اخبارهم " على حروف المعجم ويقع في اثني عشر جزءا ، وكتاب " الدرر في اختصار المغازى والسير " في ثلاثة اجزاء ، وكتاب " اخبار ائمة الامصار " في سبعة أجزاء . " ١ "

ويعد الكتاب الاول وهو " الاستيعاب " من اهم كتب التراجم التي تناولت حياة الصحابة رضي الله عنهم ، والتي يعتمد عليها في معرفة سيرهم واخبارهم ،

---

١ — الحميدى : الجذوة ، ص ٣٦٨ — ٣٦٩ — الضبي : البغية : ص ٤٨٩ — ٤٩٠ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٧٧ — ٦٧٨ — ٦٧٩ .

فهو بذلك كتاب جليل غزير الفائدة ، وبه اكتسب ابن عبد البر منزلة رفيعة بين العلماء .

كما ألف ابن عبد البر النمرى كتاب " الانباه على قبائل الرواه عن النبي صلى الله عليه وسلم بما انضاف الى ذلك من انساب العرب " ويعد الكتاب بمثابة مدخل لكتاب الاستيعاب . "١"

ويذكر المقرى ان ابن عبد البر صنف كتابا في التاريخ اسماه " القصد والامم في معرفة اخبار العرب والعجم " "٢" وقد اشار كراتشكوفسكي الى هذا الكتاب ووصفه بانه عبارة عن رسالة صغيرة تقع في عشرين صفحة تقريبا ، وانها لا تتضمن شيئا عن العرب بل تدور حول اصول الشعوب الاخرى التي ورد ذكرها في الحديث ، كما يشير الى ان العلامة شيفير SCHEFER كان محبا في نشره لقطعة من الرسالة مقرونة بترجمة فرنسية ، وهى القطعة الخاصة باهل الصين ، وأكد انه توجد بها اشارة دقيقة الى عبادة الاسلاف بالاضافة الى تضمنها فكرة عن وجود قبائل الاينو AINO في شمال الصين ، وان احد العلماء وهو فيران FERRAND رغم تشككه بصدد النقطة الاخيرة الا ان ذلك لم يمنعه من الاستشهاد بما اورده ابن عبد البر حول مسألة علاقة الصين بسكان الهملايا "٣" .

وبناء عليه تدرك ما كان يتمتع به ابن عبد البر النمرى من علم واسع بالتاريخ والتراجم ، حتى قيل انه (كان مع تقدمه في علم الاثر ، وبصره بالفقه ومعانى الحديث له بسطة كبيره في علم النسب والخبر) . "٤"

---

١ — ابن خير : فهرست ما رواه عن شيوخه ، ص ٢١٤ — ٢١٥ .

٢ — نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٨٢ .

٣ — الادب الجغرافي العربي ، القسم الاول ، ص ٢٧٣ .

٤ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٧٩ .

وفي عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر اهدى الامبراطور رومانوس اليه كتابين احدهما في الطب وهو كتاب ديسقوريدس والاخر في التاريخ وهو كتاب هروشيش* ، ويهمنا الان الكتاب الاخير لعلاقته بالتاريخ ، فقد ترجمه الاندلسيون من اللاتينية الى العربية بواسطة قاضي النصارى الوليد بن خيزران ، والعلامة قاسم بن اصبغ. " ١ "

ويظهر ان هذا الكتاب لم يكن له من التأثير في كتابات مؤرخي الاندلس بقدر ما كان تأثرهم به في مجال الجغرافيا كما سيأتي بيانه عند الحديث عن الجغرافيا .

ولعل من اهم اسباب ازدهار الدراسات التاريخية ما كان يتصف به الخلفاء من عناية بالعلم وتشجيع العلماء على البحث والتصنيف ، فقد كان للخليفة الحكم المستنصر دور بارز في النشاط العلمي المتصل بهذا الميدان وغيره من ميادين المعرفة ولا ادل على ذلك مما تزودنا به كتب التاريخ من اسماء الكتب العلمية التي صنفت باسم الحكم المستنصر وبناء على رغبته كالذى صنفه الخشني ، وعيسى بن احمد الرازى وقد مر ذكرهما .

ومن هؤلاء المؤرخين الذين حظوا برعاية الخليفة الحكم محمد بن يوسف الوراق ، وقد نشأ في القيروان ، ولكنه ما لبث ان شد رحاله الى الاندلس حيث قربه وادني منزلته واغدق عليه الصلات الجزيلة ، واتاح له من الاسباب ما جعله ينصرف الى البحث والتأليف فصنف له كتبا عديدة في التاريخ والجغرافيا ففيما يتصل بالتاريخ ألف كتبا في اخبار ملوك افريقية وحروبهم والغالبين عليهم ، كما ألف في

---

* الفه Boulus Orosius في ستته بعض وعشرين تاريخ العالم من لدن آدم عليه السلام .

١ — احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، ص ٦٧ (نقلا عن ابن خلدون)

— سبقت الاشارة الى التعريف بهذا الامبراطور ، انظر الفصل الخاص بعناية الخلفاء بالحركة العلمية ما يتعلق بالخليفة عبد الرحمن الناصر .

اخبار مدن افريقية كتيهرت ، ووهران ، وتنس ، وغيرها . "١"

كما ان العلامة اسحاق بن مسلمة بن وليد الفيني كان متضلعا في تاريخ الاندلس عارفا باخبارها وسير ملوكها ، وقد الف في ذلك كتابا بناء على رغبة الحكم المستنصر . "٢"

وبالاضافة الى ما تقدم من التصانيف المؤلفة للحكم المستنصر ، لا نستبعد ان يكون المؤرخ الطبيب عريب بن سعد قد ألف كتابه في التاريخ "صلة تاريخ الطبرى" بناء على رغبة الخليفة الحكم المستنصر ونزولا على امره "٣" وخاصة اذا علمنا ان عريب المذكور قد ألف كتابه في الطب باسم الخليفة الحكم المستنصر . "٤"

---

١ ـ الحميدي : الجذوة ، ص ٩٧ ـ ابن الابار : التكملة ، ج ١ ، ص ٣٦٦

ـ تيهرت : تنطق تاهرت بفتح الهاء وسكون الراء ، مدينة جزائرية تقع في اقليم وهران ينسب تأسيسها الى عبد الرحمن بن رستم الاباضي ١٤٤ هـ/ ٧٦١ م . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧ ـ احمد عطية الله : القاموس الاسلامي ، ج ١ ، ص ٤٣٣) .

وهران : مدينة بالجزائر بينها وبين تنس ثماني مراحل ، بناها قديما محمد بن ابي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الاندلسيين ٢٩٠ هـ وتعرضت في تاريخها للتخريب اكثر من مرة (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦) .

تنس : ميناء ساحلية جزائرية تقع في منتصف الطريق بين وهران والجزائر وعلى مسيرة ١٢٥ ميلا من هذه الاخيره وهي بلدة قديمة جددها بعض مهاجرى الاندلس ابان القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى (احمد عطية الله : القاموس الاسلامي ، ج ١ ، ص ٥٠١) .

٢ ـ ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٣ ـ الحميدي : الجذوة ، ص ١٦٩ ـ الضبي : البغية ، ص ٢٣٦ ـ الصفدي : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤١٢ .

٣ ـ احمد هيكل : الادب الاندلسي ، ص ١٩٢ ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ .

٤ ـ انظر فيما بعد الحديث عن الطب .

ولم يكن الخليفة الحكم المستنصر بالذى يقصر باعا عن هؤلاء المؤرخين ، فقد كان على علم واسع ومعرفة عميقة بالتاريخ والانساب ثقة فيما ينقله . "١"

وقد دفعه اهتمامه بعلم الانساب الى تقييد الكثير من انساب اهل بلده ، والى تكليف اهل الاقاليم بان يلحقوا كل عربي اخمل ذكره قبل ولايته ، وان يصحح انسابهم ذوو المعرفة بذلك ، وقد نسب اليه تأليف في الانساب . "٢"

ويشير البغدادى الى مؤلف له في الانساب اسمه " انساب الطالبيين والعلويين القادمين الى المغرب " . "٣"

ومما يؤكد اهتمامه البالغ بهذا الجانب من التاريخ سؤاله واستفساره عن انساب الامم وتواريخهم ، فيذكر انه في سنة ٣٥٢ هـ وفد عليه رسول من امير براغوطه "٤" وكان المترجم عن ذلك الرسول الاديب عيسى بن داوود المسطاسي - فسأله الحكم المستنصر عن نسب براغوطه ومذهبهم فأفاده بذلك . "٥"

ولم يألوا الخليفة الحكم جهدا في تشجيع العلماء على البحث ولم يدخر وسعا في ذلك ، بل ان مما يزيدنا اعجابا به وبما اسداه للحركة العلمية - ومنها ميدان التاريخ - ما يذكر عنه انه كان يعين العلماء على التأليف بما يوفره لهم من كتب العلم ومصادر البحث ليس في الاندلس فقط بل وخارجها ايضا ، فقد اشار

---

١ - ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٥٦ .

٢ - ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٠٣ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، تحقيق ليفي بروفنسال ، ص ٤١ .

٣ - هدية العارفين ، ج ٢ ، ص ٣٣٣ .

٤ - انظر نسب هذه القبيلة البربرية واخبارها ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

٥ - ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

ابن الفرضي في مقدمة كتابه " تاريخ علماء الاندلس " الى اعتماده على كتاب ابي سعيد عبد الرحمن بن يونس المصرى في تاريخ مصر والمغرب والذى اعتمد في تأليفه على كتاب في التاريخ انفذه اليه الحكم المستنصر ليعينه على تأليف كتابه المذكور ٠

ويتضح لنا من خلال ما قدمه الخليفة الحكم المستنصر من جهود كثيرة في كتابة التاريخ مدى ماله من فضل في هذا الميدان ، وهو ما يتجلى في صفحات الكثير من كتب التاريخ والتراجم والانساب والتى تؤكد مدى اسهامه العظيم في ازدهار الحركة العلمية بحفزه الملكات على التأليف والبحث العلمي ٠

ولم يكن المنصور بن ابي عامر خالي الوفاض من تشجيع الحركة العلمية والعناية بميدان البحث والتأليف وقد سبقت الاشارة الى ما صنفه عيسى بن احمد الرازى من كتب للمنصور في " الوزارة والوزراء " " والحجاب " ٠ بالاضافة الى تأليف حسين ابن عاصم — وهو القائم على مكتبة المنصور والمشرف عليها كتابا في التاريخ اسماه " المآثر العامرية " في سيرة المنصور بن ابي عامر وغزواته واوقاتها ٠ "١"

ولا ريب ان عصر الحاجب المنصور ثم ابنه عبد الملك من بعده كان من اعظم العصور قوة وعزة للمسلمين في الاندلس ، وكان لما اتصف به عصر العامريين بوجه عام من قوة ورخاء اثر في انصراف بعض العلماء الى تأريخ حكمهم وسيرهم وماقاموا به من اعمال ، فصنف المؤرخ عبد الرحمن بن محمد بن معمر (ت ٤٢٣ هـ) كتابا في " تاريخ الدولة العامرية " ٠ "٢"

---

١ — الحميدى : الجذوة ، ص ١٩٣ — الضبي : البغية ، ص ٢٦٧ ٠

٢ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ — البغدادى : هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٥١٦ ٠

ولم يقف الحال في مسيرة البحث التاريخي على التأليف في دولة ما او عصر ما ، بل نجد بين كتب التاريخ الاندلسية ما صنف في بعض الاسرات الاندلسية التي ارتبط ذكرها باحداث ووقائع مشهوره فقد اشار ابن حزم الى بعض الكتب في هذا المجال ومنها ما هو في اخبار عمر بن حفصون القائم بريه ووقائعه وسيره وحروبه ، وكتاب آخر في اخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقي الذى كان قاطنا بالجوف ، وكتاب في اخبار بني قسي والتجيبيين وبني الطويل بالثغر . "١"

وفي الفترة التي حكم فيها المنصور بن ابي عامر ولد اشهر مؤرخ في الاندلس وهو حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي ويكنى ابو مروان (٣٧٧ هـ — ٤٦٩ هـ / ٩٨٧ م — ١٠٧٦ م) ، وقد نشأ هذا العلامة نشأة علمية حيث تلقي علوم اللغه والادب على الاديب ابي عمر بن ابي الحباب النحوى صاحب ابي علي القالي ، كما درس على الاديب صاعد بن الحسن الربعي واخذ عنه كتابه " الفصوص " ، واخذ الحديث عن العلامة عمر بن حسين بن نابل وغيره "٢" .

ونظرا لمكانته العلمية ومعرفته الواسعة بالتاريخ والادب . فقد تولى بعض المناصب الادارية والادبية الهامه ، كمنصب صاحب الشرطة او صاحب المدينة في قرطبه ، كما ضم الى ديوان الانشاء . "٣"

---

١ — المقرى : النفح ، ج ٣ ، ص ١٧٣ — ١٧٤ .

٢ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ١٥٣ — ١٥٤ — ابن خلكان : الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢١٨ — ٢١٩ — آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٢٠٨ — محمد عبد الله عنان : تراجم اسلامية ، ص ٢٧٢ .

٣ — احمد هيكل : الادب الاندلسي ، ص ٣٦٤ — ٣٦٥ — آنخل بالنثيا : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

وتتضح لنا مكانة ابن حيان التاريخية مما خلفه من كتابات ودراسات تاريخية قيمة يأتي في مقدمتها كتابه " المقتبس " ويقع في عشرة اجزاء و " المتين " في تاريخ الاندلس ويقع في ستين مجلدا . "١"

والكتابان المذكوران اهم ما الفه في تاريخ الاندلس ، وله كتب اخرى في التاريخ ككتاب " البطشة الكبرى في تاريخ الدولة العامرية " ، وكتاب " انتخاب من اخبار القضاه " "٢" .

ومما يؤسف له انه لم يصلنا اي من كتبه كاملا ما عدا قطع من كتابه الاول وهو المقتبس فالقطعة الاولى عثر عليها بروفنسال في خزانة القرويين بفاس ، وتحتوي على تاريخ الاندلس من سنة (١٨٨ هـ — ٢٣٢ هـ / ٨٠٣م — ٨٤٦م) وتقع في ستين لوحة لم تنشر × ، ولم يعثر عليها بعد وفاة بروفنسال . اما القطعة الثانية فهي محفوظة بخزانة جامع القرويين ، وتقع في خمس وتسعين لوحه ، وتحتوي على تاريخ الاندلس من سنة (٢٣٢ هـ — ٢٦٧ هـ / ٨٤٦م — ٨٨٠ م) . وقام على نشرها وتحقيقها محمود علي مكي .

القطعة الثالثة وتضم مائة وسبع لوحه وتتناول تاريخ الاندلس من سنة (٢٧٦ هـ — ٣٠٠ هـ / ٨٨٠م — ٩١٢ م) ، وقام على نشرها ملشيور انطونيا .

القطعة الرابعة : وتحتوي على تاريخ اربعة اعوام من حكم الخليفة المستنصر من سنة (٣٦٢ هـ — ٣٦٥ هـ / ٩٧٢م — ٩٧٥ م) ، وقام على تحقيقها عبد الله عبد الرحمن الحجي . "٣"

---

١ — الصفدي : الوافي ، ج ١ ، ص ٤٩ — المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ٤٩ — المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ١٨١ — بطرس البستاني : المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٣٠٣ .

٢ — ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، ص ١٤ .

٣ — محمد عبد الله عنان : تراجم اسلامية ، ص ٢٧٧ — ٢٧٨ .

واما القطعة الخامسة ـ وتعد من اهم القطع بل اهمها جميعا ـ فقد عثر عليها بين محتويات الخزانة الملكية بالرباط ، وتتعلق جميعها بعصر عبد الرحمن الناصر ، وتبدأ من سنة ٣٠٠ هـ وتنتهي بسنة ٣٣٠ هـ (٩١٢م ـ ٩٤١م) ، وقد نشرت هذه القطعة بعناية بعض الاساتذة وهم : ب. ثالميتا وف. كورنيطي و م. صبح بالمعهد الاسباني العربي للثقافة بمدريد ١٩٧٩م .

وفي بداية هذه القطعة يتحدث ابن حيان عن الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنائه وتربيتهم وما كان عليه الخليفة من قوة الدين وسعة في عزته ، وما سلكه في سبيل القضاء على حركة ابن مسره ، ثم يتحدث عن شعراء الناصر في لابلاطه وابرزهم في الشعر ،

ويعتمد ابن حيان في كتاباته التاريخية على من سبقه من المؤرخين كالمؤرخ احمد الرازي وابنه عيسى ،كما ينقل عن ابن الفرضي في كتابه " تاريخ علماء الاندلس" وعن يوسف بن عبد الله الوراق الذى يصفه بانه حافظ المغرب ، وعن ابن القوطية ، ومحمد بن حارث الخشني ، ومعاوية بن هشام ، وابن عبد البر النمري ، ويزداد اعتماده اكثر على آل الرازى وهو ما يتضح لكل مطلع على ما تبقى من كتابه "المقتبس" .

وبالاضافة الى ما تقدم ، فقد كان ابن حيان يعنى عناية شديدة بايراد الوثائق الرسمية الهامة ، فيورد منها مالا نجده في اى مصدر من مصادر التاريخ الاندلسي ، ككتاب الحكم بن هشام عن ثورة الربض ، وكتاب الخليفة الناصر الموجه ضد ابن مسره وتعاليمه وغير ذلك . "١"

---

١ ـ محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .

وتتجلي في كتابات ابن حيان ما كان عليه من فصاحة وبلاغة ، وانه كان ينهج في ذلك منهج الالتزام بالصدق والصراحة فيما يقول من غير تحامل او هوى ". "[1]

واسلوب ابن حيان في كتاباته التاريخية اسلوب رفيع بليغ حتى وصفه دوزي بانه (يسوق التاريخ مساق من يبدي رأيه وحكمه فيما يعرض من القضايا ، ويبحث عن اسباب الاشياء ويناقشها عن علم وفهم وذكاء ... ويمتاز ابن حيان الى ذلك باسلوب صاف ناصع لا يهبط الى الركاكة التي تثير السخط . "[2]"

ولاشك ان ابن حيان بهذا الاسلوب قد استحق ثناء العلماء من معاصريه ومن أتى بعدهم فقد حظي بالتقدير والاجلال ، ونال مكانة رفيعة بين مؤرخي الاسلام ، فهو يقف موقف الند مع المؤرخ المشرقي ابي الحسن على المسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) ، والمؤرخ المشرقي الآخر ابن الاثير ، ويجمع في اسلوبه القوى بين البلاغة التي يمتاز بها المسعودى ، وبين روح التحقيق التى يمتاز بها ابن الاثير . "[3]"

أما عن طريقته في الكتابة التاريخية فهي مزيج بين طريقة الفصول ومنهج الحوليات ز فيما يخص الغزوات والاحداث العسكرية ، ويتخلل ذلك الحديث عن الشخصيات البارزة في ذلك العصر . "[4]"

---

١ — ابن بشكوال : الصلة ، ص ٢١١ .

٢ — آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٢١١ .

٣ — محمد عبد الله عنان : تراجم اسلامية ، ص ٢٧٣ — ٢٧٤ .

٤ — محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص ٢٨١ .

ويأتي في اواخر عصر الخلافة من المؤرخين العلامة ابن حزم الذى اتصف بتفننه في العلوم والمعارف ومشاركته الواسعة في ميدان البحث والتأليف العلمي ، ففيما يتعلق بالتاريخ فقد اسهم فيه بنصيب وافر من الجهد العلمي الجاد ، فمن ذلك تأليفه كتاب " جمهرة انساب العرب " الذى وصف بانه اوسع كتب النسب واحفلها وادقها مع الايجاز ، وقد كان لثقافته التاريخية واطلاعه الواسع أثر في وقوفه على اقوم المعلومات عن الانساب فجمعها ونسقها فيي كتابه المذكور مع الاشارة الى اهم الاحداث التاريخية والادبية وايام العرب في اسلوب جذاب سهل كما تتضح براعته في دراسة مواطن واماكن القبائل العربية في الاندلس الى جانب ما ابداه من غزارة العلم وسعة المعرفه بانساب بني اسرائيل وتواريخهم . "١"

ولا شك انه كان لما تمتع به ابن حزم من ثقافة واطلاع واسع على الكثير من العلوم كالفقه والحديث والتاريخ والانساب اثر فيما توصل اليه من نتائج علمية قيمة في ميدان التاريخ والانساب وانه كان لاهتماماته بدراسة كتب اليهود والنصارى اثر في ترسيخ معلوماته عن تواريخ اليهود والنصارى ومعرفته العميقة بمذاهبهم وطرائقهم الدينية وهذا ما آزره عند دفاعه عن الاسلام ضد مزاعم اهل الديانات والفرق الاخرى كما يلاحظ في كتابه " الفصل" بالاضافة الى تسهيل مهمته عند دراسته لانساب بني اسرائيل وتاريخهم في كتابه عن الانساب .

ولابن حزم كتاب اخر في التاريخ اسمه " نقط العروس " وقد نشر هذا الكتاب مرات عديدة ويضم معلومات مقتضبه عن خلفاء المشرق والاندلس مرتبة فصولا بحسب

---

١ — ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، مقدمة المحقق ، ص ١٣ — ١٤ .

جوامع مختلفة تربط بينهم مثل اكثر الخلفاء عمرا ، او من ولي صبيا منهم . "١"

وبالاضافة الى ذلك فقد الف رسالة صغيرة في فضل الاندلس ، ولحسن الحظ فقد حفظت من الضياع وهي على صغر حجمها ذات قيمة علمية كبيرة ، فهي توضح لنا ما كان عليه الاندلسيون من علم وادب ومعارف شتى وما قدموه في حقول المعرفة من تصانيف علمية نفيسة تنم عما بلغته الاندلس آنذاك من ازدهار في ميدان العلوم والآداب . "٢"

وتأليف ابن حزم لتلك الرسالة فيه انعكاس لشخصيته العلمية وما تميز به من علم واسع بجهود علماء بلده ووقوفه على كتبهم ، فهو يشير في اكثر من جانب الى انه اطلع على الكثير من تآليفهم كقوله — بعد ان اورد عددا من كتب التاريخ والسير — (فقد رأيت من ذلك كتبا مصنفه في غاية الحسن) وكقوله فيما يتصل بالشعر (ومنها كتب كثيرة جمعت فيها اخبار شعراء الاندلس للمستنصر رحمه الله رأيت منها " اخبار شعراء البيره ") "٣"

ونظرا لما كان لابن حزم من جهد وافر في ميدان الدراسات التاريخية ، فقد ألف عبد الحليم عويس كتابا في نشاطه العلمي في ميدان التاريخ واسمه " ابن حزم الاندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري " ، وهو بلا شك يكشف الكثير عن الجهود العلمية التي بذلها ذلك العلامة البارع في حقل الدراسات

---

١ — آنخل بالنثيا : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .

٢ — نظرا لاهمية هذه الرسالة في التعريف بجهود الاندلسيين العلمية وما بذلوه من جهود في ميدان التأليف العلمي في مختلف وجوه المعرفة ، فقد رأينا ان نثبتها في اخر الرسالة كملحق .

٣ — انظر . المقرى : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٧٣ — ١٧٤ — ١٧٥ .

التاريخية وما كان له من أثر بارز في ازدهارها .

وكان لصديق ابن حزم عبد الملك بن شهيد انتاج علمي في التاريخ فقد ألف كتابا فيه ، يبدوا أنه كان كبير الحجم غزير الفائدة اذ وصف بانه يقع في اكثر من مائة سفر في " الاخبار على توالي السنين بدأبه من عام الجامعه سنة اربعين وانتهى الى اخبار زمانه المنتظمه بوفاته . "١"

وشارك اهل الذمة في نشاط الحركة العلمية ففي التاريخ ألف الاسقف جود مار الجيروني كتابا بالعربية عن تاريخ الفرنجه . "٢"

كما ان حسداي بن اسحاق بن شبروط الذى تبوأ مكانة سامية في بلاط الخليفة الحكم المستنصر ، كان له دور كبير في ازدهار الحركة العلمية في الطب كما سيأتي ذكره — والى جانب الطب اتجه الى دراسة التاريخ فكان له في ذلك جهد بارز بما سلكه في بعث الدراسات التلموديه . فينسب اليه انه اول من فتح لأهل الاندلس من اليهود باب علمهم في الفقه والتاريخ وكانوا قبل ذلك يستندون في معرفة فقه دينهم وسني تاريخهم على اخوانهم من يهود بغداد ، ولكن حسداي كفاهم مؤنة ذلك فاستجلب ما اراد من تواليف اليهود بالمشرق ويسر لهم بذلك معرفة فقههم وتاريخهم . "٣"

واخيرا فان ميدان التاريخ والتراجم قد حظي من الاندلسيين بكل اهتمام

---

١ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٣٥٥ .
٢ — زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٥٠١ .
٣ — صاعد : طبقات الامم ، ص ١١٦ — احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

وعناية بالفين فظهر فيهم مؤرخون لامعون استطاعوا ان يمدوا حركة الدراسات التاريخية بالكثير من الجهود العلمية الموفقه فأثروا بذلك حقل التاريخ والتراجم والانساب ، وكان للخليفة الحكم المستنصر دور هام في ازدهار تلك الدراسات بما كان يبذله من جهود في سبيل ازدهارها من حفز للملكات على التأليف والبحث العلمي ، وما يقدمه من عون في سبيل ذلك ، ولا ادل على ازدهار الدراسات التاريخية وتطورها في عصر الخلافة من هذا العرض السابق للمكتبة التاريخية الاندلسية.

=====

ب- الجغرافيــــا

===========

بداية الدراسات الجغرافية وارتباطها بالتاريخ - تأثر جغرافيي - الاندلس بكتابات هروشيش الجغرافية - ابرز الجغرافيين آنذاك .

احمد بن محمد الرازى وكتاباته الجغرافية - محمد بن يوسف الوراق وانتاجه العلمي - احمد بن عمر العذرى وارائه الصائبة في الجغرافيا - احمد بن سعيد بن ابي الفياض - ابن النظام كتابات ابن سيده الجغرافية - ما اورده المجريطي في كتابه غاية الحكيم من معلومات جغرافية .

====

شهد ميدان الجغرافيا في عصر الخلافة نشاطا كبيرا يتمثل في الجهود الجغرافية التى تنم من المستوى العلمي الطيب الذى بلغه جغرافيو الاندلس آنذاك .

واذا كان الجغرافي اللامع عبد الله بن عبد العزيز البكرى الذى ظهر في القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى يعتبر عمدة الجغرافيين في الاندلس ، فان من الحق ان نشير الى انه يدين بالكثير من معارفه الجغرافية لمن سبقه من علماء عصر الخلافة وهو ما سوف يتبين لنا من خلال هذا العرض الذى نقدمه عن النشاط الجغرافي في هذه الفترة موضوع دراستنا .

وكان علم الجغرافيا يرتبط في الكثير من الاحيان بعلم التاريخ ، فقد ظهر في عصر الخلافة فئة كبيرة من المؤرخين البارزين الذين عنوا بالجغرافيا الى جانب عنايتهم بالتاريخ ، فالكثير من المؤرخين الذين تحدثنا عنهم من قبل كان لهم اسهام جيد في تنشيط الدراسات الجغرافية كالمؤرخ احمد الرازى ومعاصره محمد بن يوسف الوراق .

والجدير بالذكر ان بعض جغرافيي الاندلس قد تأثروا بما ورد في كتاب هروشيش التاريخي وما تطرق اليه من معلومات جغرافية عن الاندلس كان لها اثر في

الدراسات الجغرافية عند الاندلسيين فلم يقتصر الجغرافيون الاندلسيون على المعلومات الجغرافية التى اخذوها عن هروشيش ، بل اضافوا اليها ما اكتسبوه من معلومات توفرت لديهم عن طريق التجربة العملية من رحلات ومشاهدات للمعالم والظواهر الجغرافية . "١"

ويبدو ان الجغرافيين الاندلسيين حينما تناولوا ما ورد فى كتاب هروشيش من آراء عن صفة الجزيرة الايبيرية لم يحاولوا تصحيحها لانهم كانوا يعتبرونها كمقدمة ، ولعل السبب في ذلك يعود الى انهم عندما وصفوا جغرافية بلادهم سلكوا في ذلك مذهب البلدانيين والمسالكيين ، فقسموا البلاد الى اقاليم وتحدثوا عن المسالك واطوالها وذلك بما كان لهم من معرفة ببلادهم وأقاليمها ومسالكها . "٢"

وعلى الرغم من ظهور طائفة من الجغرافيين البارزين في ذلك العصر ، الا ان مما يؤسف له ان آثارهم العلمية لم يصلنا منها الا قطعا متناثرة ونصوصا مبثوثه في بعض المصادر الجغرافية والتاريخية . والتى اعتمد مؤلفوها في بعض جوانب دراساتهم العلمية على آثار اولئك الجغرافيين .

ويأتي في مقدمة جغرافيي عصر الخلافة العلامة احمد بن محمد الرازى (٢٧٤ هـ — ٣٤٤ هـ / ٨٨٧ م — ٩٥٥ م) الذى كان له دور كبير فى رقي الدراسات الجغرافية في الاندلس ، فقد ألف فى ذلك كتبا عديدة ابرزها ما ألفه في

---

١ — حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون في الاندلس : مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، العدد الثالث ، ج ٧ ، ٨ ص ٢١٨ .

٢ — حسين مؤنس : نفس المقال ، ص ٢١٩ .

مسالك الاندلس ومراسيها وامهات مدنها والاجناد العربية الستة التي نزلتها بعد الفتح "١" . وكان دقيقا في اوصافه الجغرافية فذكر خواص كل بلد منها وما يتميز به عن البلدان الاخرى وضمن ذلك معلومات لا توجد في مصنفات غيره من الجغرافيين . "٢"

كما ان كتابه في صفة قرطبة لا يخلو من معلومات جغرافية تتعلق بالصورة الجغرافية للمدينة وتقسيماتها المختلفة مما يلحق الان بميدان جغرافية المدن .

وقد جانب عبد الرحمن حميده الصواب في كتابه عن الجغرافيين العرب عندما اشار الى ان لاحمد بن محمد الرازى كتابا في وصف افريقية والمغرب . "٣"

---

١ — يذكر المقرى انه ابان حكم الوالي ابو الخطار حسام بن ضرار الكلبي كثر اهل الشام الواردين على الاندلس بقيادة بلج بن بشر القشيري وان قرطبة قد ضاقت باعدادهم الكبيرة ففرقهم ابو الخطار فانزل اهل دمشق البيرة لشبهها بها وسماها دمشق ، وانزل اهل حمص اشبيليه وسماها حمص واهل قنسرين جيان وسماها قنسرين ، واهل الاردن ريه ومالقه وسماهما الاردن . واهل فلسطين شذونه وسماها فلسطين ، واهل مصر تدمير وسماها تدمير (نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٣٧) .

٢ — الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ١٠٤ — الضبي : بغية الملتمس ، ص ١٥١ — الصفدى : الوافي بالوفيات ، ج ٧ ، ص ٤٠٢ — ياقوت الحموى : معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ — ٢٣٥ — عبد الرحمن حميده : اعلام الجغرافيين العرب ، ص ٢٤٧ .

٣ — ص ٢٤٧ .

والحق ان ذلك الكتاب من تأليف محمد بن يوسف الوراق كما سيأتي توضيحه فيما بعد ، ولم يعرف للرازي مصنف بذلك الاسم وقد يكون الامر قد التبس على الاستاذ المذكور ، نظرا للاضطراب الواضح في ترجمته لكل منهما فهو يذكر ان احمد الرازي شرقي المولد ، وهذا مجانب للصواب ، فأبوه محمد هو المشرقي المولد وليس ابنه احمد كما يذكر الكاتب ، وبالاضافة الى ذلك فهو يشير الى ان وفاته كانت سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م وهي السنة التي توفي فيها الوراق "١" واما احمد بن محمد الرازي فقد كانت وفاته سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م .

وقد تناول احمد بن محمد الرازي الجغرافيا على انها علم متمم للتاريخ وما تبقى من نصوص عن معارفه الجغرافية التي بين ايدينا هي في الغالب مقدمة لكتابه في التاريخ " اخبار ملوك الاندلس " وذلك لان النصوص الجغرافية الباقية والمترجمة الى البرتغالية والاسبانية تستطرد الى الحديث عن ملك الاندلس ومن قطنها من الامم مثل دخول المسلمين اليها . "٢"

ومن المصادر التاريخية التي حفظت لنا نصوصا جغرافية للرازي كتاب المقري نفح الطيب ، حيث اورد المقري نصا من اهم ما خلفه الرازي في هذا الميدان عن جغرافية الاندلس ، ففي بداية هذا النص يشير الرازي الى موقع الاندلس ، وانها في الاقليم الرابع ، وما لها من خواص طيبة تتعلق بتربته وخصوبة ارضه وصفاء هوائه ومدى تأثير المناخ في الاثمار والفواكه والنبات ، ثم يتطرق الى الشكل الجغرافي للاندلس وانها مثلثة ومعتمدة على ثلاثة اركان ، ويصف موقع كل ركن منها ، ثم

---

١ — انظر اعلام الجغرافيين العرب ، ص ٢٤٧ .

٢ — حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون في الاندلس ، مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، العدد الثالث ، ج ٧ ، ٨ ، ص ٢٥٥ — ٢٥٦ ، وانظر ما ذكره ج .س . كولان عما قام به كايانكوس من ترجمة نسخة جغرافية للرازي من البرتغالية الى الاسبانية (الاندلس ، ص ٧١) .

يصف المناخ وان الاندلس تنقسم به الى قسمين في اختلاف الظواهر المناخية من هبوب الرياح ومواقع الامطار ، وجريان الانهار ، فهناك اندلسي غربي واود يته الى البحر المحيط الغربي ويمطر بالرياح الغربية ، واندلس شرقي وتجرى اوديته الى الشرق ويمطر بالرياح الشرقية . "١"

ومن دلائل النبوغ العلمي في الجغرافيا عند الرازى براعته في وصف الظواهر الجغرافية ، حيث امدنا بفقرتين في غاية الاهمية الاولى عن انهار الاندلس والثانية عن جباله .

وقد نفى حسين مؤنس أن يكون الرازى ناقلا وصفه للانهار والجبال عن اليونان او اللاتين ، لان ما وصفه هؤلاء عن الاندلس ما هى الا معلومات متفرقة متناثرة غير منسجمة ، ومن غير المعقول ان يطلع الرازى على كل ما كتبوه من هذه النصوص المتفرقة ثم يجمعه مرتبا منسقا بهذه السهولة . بالاضافة الى ان احدا من هؤلاء لم يشر الى العلاقة بين رياح الاندلس وامطارها وانهارها والى اهمية هذه الانهار فى الرى وانما تحدثوا فقط عن اهميتها الملاحية توطئة لغزو تلك البلاد فدراستهم بذلك كانت من قبيل الاعداد العسكرى لغزو البلاد ، بعكس الرازى الذى يكتب عن بلاده عن علم وخبرة بأحوالها الجغرافية . "٢"

وحظي احمد الرازى بمنزلة رفيعة بين علماء عصره ومن اتى بعدهم لما اتصف به من علم غزير وعناية بالغة بالتاريخ والجغرافية ، ولما قدم فى ذلك من ضروب التآليف القيمة التي تنم عن مكانته العظيمة حتى وصف بانه اول من ادخل الجغرافيا

---

١ — ج ١ ، ص ١٢٩ — ١٣٠ — ١٣١ . وانظر ايضا . ج . س . كولان ، الاندلس ، ص ٧٣ — ٧٤ .

٢ — الجغرافية والجغرافيون في الاندلس ، مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، العدد الثالث ، ج ٧ ، ٨ ، ص ٢٥٨ .

الاقليمية الى الاندلس ، وكذلك اشتهر فى اوروبا شهرة واسعة حتى عرف هناك باسم Elmore Elrasis "١" .

وقد وصف ابن حزم كتاب الرازى في جغرافية الاندلس الذى تحدث فيه عن مسالك الاندلس ومراسيها بانه بديع في ميدانه ، وانه اشتمل على الكثير من المعلومات التى تفرد بها عن غيره من كتب الجغرافيا الاندلسية . "٢"

ومن دلائل تفوق الرازى في ميدان الجغرافيا ، واهمية ما اورده من معلومات في وصف الاندلس انه لو اردنا ان نكتب وصفا جغرافيا جامعا للأندلس لما اضفنا شيئا الى ما ذكره هو . كما انه لقيمة معلوماته الجغرافية ان اعتمد عليها الاسبان حتى القرن الثالث عشر في حل الكثير من مشكلات التنظيم الادارى التى اعترضتهم فيما استولوا عليه من بلاد المسلمين . "٣"

---

١ — اغناطيوس كراتشكوفسكي : الادب الجغرافي العربي ، القسم الاول ، ص ٦٩ (والجدير بالذكر ان كراتشكوفسكي لم يوضح تفسيرا للاسم الاول ، ويبدو انه تحريفا لكلمة المؤرخ اذا علمنا انه كان يطلق عليه صفة " التاريخي " فيقال له احمد بن محمد الرازى التاريخي) — عبد الرحمن حميده : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ .

٢ — المقـرى : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٦٠ (نقلا عن رسالة ابن حزم في فضل الاندلس) .

٣ — حسين مؤنس : الجغرافيون والجغرافيون في الاندلس ، مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، العدد الثالث ، ج ٧ ، ٨ ، ص ٢٦٧ .

وهكذا نلمس ما كان عليه احمد بن محمد الرازى من معرفة واسعة بالجغرافيا ، وانه بذلك قد اسدى الى علم الجغرافيا الكثير من النتائج العلمية القيمة التي تضمنتها ابحاثه ودراساته الهامة .

واذا كان معلوما لدينا ان الرازى اندلسي ولد في الاندلس وعاش بين سهوله وجباله ومروجه وانهاره ، فان من الطبيعى ان يكون منهجه العلمي في ايراد معلوماته منهج المشاهدة والملاحظة وليس المنهج النظرى الذى يكتفي العالم فيه بالسماع والرواية عن الغير ، الأمر الذى يوضح مدى ما كانت عليه معلوماته وكتاباته الجغرافية من صحة وصدق .

ونظرا لقيمة ما خلفه الرازى من الكتابات الجغرافية في وصف الاندلس ، فقد اعتمد عليها من اتي بعده من الجغرافيين كالبكرى الذى اقتبس الكثير عنه فيقول البكرى عند تعرضه لبعض الظواهر الجغرافية (وفي جبل المنتلون الطحلب الذى لا يعدل به قال احمد بن محمد بن موسى الرازى .. وهو المقدم فى الافاوة المفضل فى انواع الاشنان لا ينبت في شيء من الارض الا بالهند والاندلس ..) "١"

ولم يكن المؤرخ محمد بن يوسف الوراق باقل اسهاما في ميدان الجغرافيا من معاصره احمد الرازى فقد اظهر الوراق مهارة كبيرة في التاريخ والجغرافيا معا ، وكان لما تمتع به من علم واسع اثر كبير فى اخراجه الكثير من التصانيف التاريخية والجغرافية الهامة والتى كان لها اعظم الاثر في ازدهار تلك الدراسات ، لاسيما

---

١ — المسالك والممالك : تحقيق عبد الرحمن الحجي ، ص ١٢٥ — ١٢٦
(وفي الكتاب نصوص اخرى للرازى نقلها عنه البكرى) .

اذا علمنا ما كان يكنه الخليفه الحكم المستنصر للوراق من مودة وتشجيع مكناه من الانصراف الى البحث والتأليف العلمي ، فمما صنفه الوراق للخليفة الحكم المستنصر من كتب الجغرافية كتاب " مسالك افريقية وممالكها " "١" ، وكتب اخرى في اخبار مدن افريقية سبق ان اشرنا اليها عند الحديث عن جهوده في ميدان التاريخ ، وما من شك أن تلك الكتب تضم الكثير من المعلومات الجغرافية المبثوثة بين ثنايا الكتابات التاريخية •

وكان لنشأة الوراق بالقيروان اثر في تعميق معارفه واتساع علمه عن تاريخ وجغرافية افريقية ، فاقامته الطويلة بها ، وحياته بين اجوائها اكسبته معرفة بمسالكها وممالكها وما يتصل بذلك من معارف تاريخية وجغرافية ، وهذا امر لا مبالغة فيه اذا علمنا ان الكثير من جغرافيي العرب اعتمدوا على منهج الملاحظة والمشاهدة في ايراد معلوماتهم عن جغرافية البلدان •

ومما يؤسف له انه بالرغم من غزارة ما كتبه الوراق في التاريخ والجغرافيا الا ان مؤلفاته لم تسلم من يد الضياع كما ضاعت غيرها من الكتب في مختلف فروع العلم ، ولم يتبق لدينا مما كتبه الا نصوصا متفرقة في بطون الكتب ، ككتاب المسالك والممالك للبكرى ، وكتاب البيان المغرب لابن عذارى •

ويعلل حسين مؤنس تقريب الخليفة الحكم المستنصر لمحمد بن يوسف الوراق وتشجيعه على البحث والتأليف في جغرافية افريقية والكتابه عن مسالكها وممالكها ،

---

١ ـ الحميدى : الجذوة ، ص ٩٧ ـ الضبي : البغية ، ص ١٤١ ـ ابن الابار : التكملة ، ج ٢ ، ص ٦٧١ ـ الصفدى : الوافي ، ج ٥ ، ص ٢٥١ ـ ياقوت : معجم الادباء : ج ٢ ، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ـ شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، ج ٢ ، ص ٧٣ ـ آنخل بالنثيا : المرجع السابق ، ص ٣٠٩ ـ آدم ميتز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع ، ج ٢ ، ص ١٦ •

بأن الخليفة الحكم المستنصر كان مشغول البال مهتماً بمحاولات الفاطميين بسط نفوذهم على المغرب وانه وجد في الوراق خير عارف بأحوال المغرب وشئونه فشجعه على البحث والتأليف بغية الاستعانة بما يؤلف في سبيل ذلك الاطلاع عن تلك المنطقة "١".

والحق ان الخليفة الحكم المستنصر وان كان مهتما بتحركات الفاطميين السياسية والعسكرية في المغرب الا ان ذلك لا يعني - ونحن نعلم مدى اخلاص الحكم المستنصر للعلم والمعرفة - ان تشجيعه للوراق انما كان لخدمة الاغراض السياسية والعسكرية ، وخاصة اذا علمنا ان عصر الخليفة الحكم كان عهد سلام نسبي ، ولم يكن هناك من الخطر الشديد ما يدعو الى الارتياع والخوف الذى يدفع الحكم المستنصر الى تحويل دفة البحث العلمي الى غير وجهته الصحيحة .

ويعتبر محمد بن يوسف الوراق اول من صنف في الغرب الاسلامي كتابا بعنوان المسالك والممالك ، ومن هذا يتبين لنا انه كان مسالكيا في حين كان اول جغرافي اندلسي وهو احمد الرازى بلدانيا ، وبالاضافة الى ذلك يتضح مما اقتبسه البكرى عن الوراق انه هو الذى ابتكر مزج الجغرافية بالتاريخ ، فكان يربط بين جغرافية المكان وما اقترن به من احداث تاريخية ، وهي طريقة يسير عليها البكري في اجزاء كثيرة من مسالكه . "٢"

وظهر في اواخر عصر الخلافة العلامة الجغرافي احمد بن عمر بن انس العذري المعروف بابن الدلائي "٣" من اهل المريه (٣٩٣ هـ - ٤٧٨ هـ / ١٠٠٢ م -

---

١ - انظر مقال : الجغرافية والجغرافيون في الاندلس : مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، العدد الثالث ، ج ٧ ، ٨ ، ص ٢٦٩ .

٢ - حسين مؤنس : المقال السابق ، ص ٢٧١ .

٣ - الدلائي نسبة الى دلاية وهي قرية من اعمال المريه . (الحميري : الروض المعطار ، ص ٧٧) .

١٠٨٥ م) ، وكان له اسهام وافر في اكثر من علم ومن بينها علوم الدين وقد أخذ عنه ابن عبد البر النمري وابن حزم الظاهري وغيرهما من العلماء . "١"

وقد اظهر العذري مقدرة فائقة في ميدان الجغرافيا ، فكانت له ابحاثا موفقة ودراسات قيمة ، ولكن الامر المدهش ان من ترجم له كالحميدي والضبي وابن بشكوال لم يتطرقوا الى دراساته المتعددة في علم الجغرافيا . بل اكتفوا بالاشارة الى تضلعه في علم الحديث وغير ذلك من علوم الدين .

وقد ذكر ابن حزم عددا من علماء الجغرافية في رسالته التي كتبها في فضل الاندلس ولكنه لم يذكر العذرى او يشير اليه والى نشاطه العلمي "٢"

ولكن المهتمين بالدراسات الجغرافية ذكروه في كتبهم ، فالبكرى اشار اليه والى كتاب " نظام المرجان في المسالك والممالك " ، وكذلك ذكره العلامة الجغرافي المشرقي زكريا بن محمد القزويني (١٢٠٣ م — ١٢٨٣ م) صاحب كتاب " اثار البلاد واخبار العباد " ونقل عنه الكثير من النصوص الجغرافية المتعلقة بالاندلس .

وقد حفظت لنا قطعة من كتاب العذرى قام على تحقيقها عبد العزيز الاهواني وعنوانها نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب

---

١ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٦٦ — ٦٧ .

٢ — انظر رسالة ابن حزم المذكوره في كتاب نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٦٣ — ١٧٣ .

البلدان والمسالك الى جميع الممالك ". ويشير ضياء الدين الريس الى ان الاهواني قد اشار في مقدمة دراسته تلك الى ان الجزء المتبقي يمثل عشر الكتاب لان العذري — جعله كتابا كبيرا فى المسالك والممالك ، ولكنه في الجزء المنشور لا يسير على طريقة المسالكيين ، بل يلاحظ مزجه بين الجغرافيا والتاريخ وان المادة التاريخية تتخلل كل جزء من اجزاء الكتاب . "١"

وقد حفظ لنا القزويني الكثير من النصوص الجغرافية للعذري ، ويتضح من خلالها ما كان يتمتع به العذري من معارف واسعة وتمكن عميق في الجغرافيا وبراعة فذه في الوصف الجغرافي فهو اذا وصف كورة فصل ذلك في اتقان وشمول وصدق ، واذا تحدث عن مدينة صورها تصويرا جليا واضحا وضمن حديثه عنها اشارات هامه عن احوال اهلها الاقتصادية والاجتماعية ."٢"

ويكفى ان ندرس ما نقله القزويني في كتابه " اثار البلاد واخبار العباد " عن العذري لنلمس مقدرة العذرى الجغرافية وجدارته العلمية بالوقوف فى مقدمة جغرافيي الاندلس على طول تاريخه . "٣"

وظهر في عصر الخلافة جغرافيون آخرون ولكنهم لم يصلوا في مستواهم العلمي وعطائهم الى من ذكرناهم ، منهم احمد بن سعيد بن ابي الفياض (٣٧٥ هـ —

---

١ — الكتب نقد وعرض (احمد بن محمد بن انس العذرى ، نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك) . تحقيق عبد العزيز الاهواني مطبوعات معهد الدراسات الاسلامية في مدريد سنة ١٩٦٥ م — مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ج ١٣ ، ١٩٦٥ م — ١٩٦٦م ، ص ٢١١ .

٢ — ضياء الدين الريس : نفس المقال والصفحة .

٣ — للوقوف على ما اشرنا اليه انظر اثار البلاد ، ص ٥٠٣ — ٥١٢ ، ٥٢ ٥٤٢ — ٥٤٥ .

٤٥٨ هـ / ٩٨٥ م - ١٠٦٥ م) وكان تلميذا للمقرى ابي عمر الطلمنكي ، وقد ألف في حقل الدراسات الجغرافية كتابا يسمى " العبر " نشر ميخائيل الغزيرى قطعة منه على انها للرازى ، كما الف في الجغرافية أيضا كتابا عن " الطرق والانهار " ولكنه ضاع فيما ضاع من كتب الاندلسيين . "١"

وكان للعلامة عبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن النظام نشاط كبير في ميدان الجغرافية وقد اعتمد على ما كتبه في ذلك المؤرخان ابن حيان في المقتبس والمقري في نفح الطيب الذى اورد له الأخير نصا جغرافيا هاما حول جغرافية الاندلس وحدودها . "٢"

ومما تجدر الاشارة اليه ان ابن سيده الاعمى (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) ضمن كتابه " المخصص " الكثير من المعارف الجغرافية المتعلقة بالارض واوصافها وما يتصل بذلك من خصب وجدب ورمال وانخفاض وارتفاع واستواء وصحة وحرث ونبات وكذلك ما يتعلق بالشجر واوصافها ، والنبات والثمار وغير ذلك من الموضوعات ذات الصلة القوية بعلم الجغرافيا . "٣"

ولا شك ان ماورد في كتاب ابن سيده لدليل واضح على ما تمتع به من علم واسع ليس بميدان اللغة فقط وانما بمظاهر الحياة وما تحويه البيئة ، وان ما ورد من معلومات عن النبات في كتابه لهو اكثر ارتباطا بما يدرسه الجغرافيون المحدثون

---

١ - آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٢١٢ .

٢ - انظر ذلك النص في نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ .

٣ - عمر كحاله : العلوم البحته ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

في ميدان الجغرافية الاقليمية .

والى جانب من ذكرنا يقف المطالع لمخطوط " غاية الحكيم " لمؤلفه مسلمه المجريطي على الكثير من المعارف الجغرافية ، كأهمية الوقوف على اسرار الكائنات وما تضمه الارض من الحيوان والنبات والاحجار ، ومعرفة الطول والعرض ، وما تمتاز به بعض بقاع الارض من انهار وبحار وتربه وامطار وثلوج وبراري ، وما يقرب منها من خط الاستواء ، "١" والى غير ذلك من المعلومات التي تدخل في حقل الدراسات الجغرافية كما يتحدث في موضع آخر من كتابه عن فصول السنه وهي الربيع والصيف والخريف والشتاء . "٢"

وبالاضافة الى ذلك يضم الكثير من المعلومات عن خواص النبات والمعادن وتأثيرها وما يتداوى به منها "٣" كما يحوي اشارات هامه الى الوسائل الناجحة في عملية التكييف بين الانسان وبيئته وازالة ما قد يعيق راحته ويهدد امنه وسلامته كتواجد الحيوانات السامه والطريقة المثلي للقضاء عليها ، وازالتها من بيئة الانسان الى غير ذلك من المعلومات القيمة الهامة حول البيئة وتأثيرها في الانسان .

---

١ ـ مسلمة المجريطي : غاية الحكيم (مخطوط) ورقة ٢٦٣ أ

٢ ـ مسلمة المجريطي : نفس المصدر ، ورقة ٨٨ ب ، ٨٩ أ

٣ ـ مسلمة المجريطى : غاية الحكيم (مخطوط) ورقة ٣٠٩ أ

الرحـــلات الجغـرافيـة

==============

أبرز من قام بالرحلا ت الجغرافية • ابراهيم بن يعقوب الطرطوشي ـ رحلة الفتيان المغررين من لشبونه واقتحامهم المحيط الاطلنطـــي ـ الاشارة الى رحلة الخشخاش واقتحامه المحيط الاطلنطي مع عددا مـــن رفاقه القرطبيين ـ ممن كان له رحلا ت جغرافية مطرف بن عيســـى الغساني الغرناطي •

====

نشطت الرحلات في القرون اللاحقة لعصر الخلافة حيث برز في ذلك الميدان بعض الرحالة الذين لا تزال شهرتهم تستحوذ على اهتمام الباحثين في ميدان الرحلات كالرحالة ابن جبير الكناني (٥٣٩ هـ ـ ٦١٤ هـ / ١١٤٤ ـ ١٢١٧ م) .

ورغم ذلك فان عصر الخلافة لم يخل من بعض النشاط في هذا الميدان الحيوى الهام فممن كان له نشاط في ذلك التاجر اليهودى ابراهيم بن يعقوب الطرطوشي ، وكان عمله الرئيسي جلب الرقيق الاوروبي الى الاندلس ولعل هذا هو ما فتح له المجال للتجول في اصقاع اوروبا فقام برحلات الى المانيا وبلاد الصقالبه وشمالي اوروبا ، ونظرا لعناية الخليفة الحكم المستنصر بكل ما له صلة بالعلم والمعرفة فقد قرب ذلك التاجر اليه وشجعه على الاستمرار في ارتحاله وكتابة ما يتوصل اليه في ذلك ، ولهذا فقد بعث ابراهيم برسالة الى الخليفة الحكم المستنصر عن رحلة قام بها الى المانيا ايام الامبراطور اوتو الكبير على الاغلب ، ومن حسن الحظ ان البكرى من ضمن كتاباته الجغرافية جزءا كبيرا من رسالة الطرطوشي ، وقد عني بهذا الجزء من رسالة الطرطوشي نفر من المستشرقين كگرنك وروزن وجورج ياكوب فنشروه على حده وترجموه الى عدة لغات منها الالمانية والروسية والهولندية . "١"

---

١ ـ حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون في الاندلس ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ـ العدد الثالث ، ح ٧ ، ٨ ، ص ٢٧٢ .

٢ ـ الطرطوشي : نسبة الى طرطوشه ، مدينة اندلسية بشرق الاندلس بينها وبين البحر الابيض عشرون ميل . (الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٢٤) .

وفي هذا دلالة على اهمية ما كتبه الطرطوشي عن احوال الشعوب الاوروبية وعاداتها الى غير ذلك من المعلومات الطريفة والمهمة التي توضح لنا ما كانت عليه اوروبا آنذاك .

والقطعة التى اوردها البكرى من رسالة الطرطوشي تصف رحلته الى شرق اوروبا وكيف عبر البحر الادرياتي . وانه وصل الي بلاد " صقالبة الغرب " وزار براج وشرقي المانيا ووصل الى مجد برج وهي مقر اقامة الامبراطور اوتو . وكيف التقى مع اعضاء سفارة ملك البلغار ثم سيرة بحذاء نهر الالب فبلاد الصقالبه حتى وصل الى اشفارن على مقربة من البحيرة المسماه بذلك الاسم ، ويجد الباحث صعوبة في تحديد خط سيره بدقة نظرا للتحريف الكبير الذى لحق اسماء المواضع في النص . "١"

والجدير بالذكر ان الطرطوشي في كتاباته الجغرافية قد اتصف بالملاحظة الدقيقة وحب الاستطلاع فكان وصفه رائعا فيما اورده في تلك الرحلة ، فهو يقف كثيرا عند وصفه لاعضاء سفارة ملك البلغار فيصف ملابسهم واخلاقهم وجلالة قدرهم وبأس ملكهم ودياناتهم وكيف ان ملكهم حاصر القسطنطينية مما دفع ملكها الى مداراته وتزويجه ابنته فتنصر من اجل ذلك . وكان اعتماد البكري كبيرا جدا على الطرطوشي فيما يتعلق بوصف احوال الشعوب الاوروبية والحديث عن بلاد البلغار وعاداتهم . "٢"

وقد حرص الطرطوشي في التثبت مما توصل اليه في رحلته من معلومات جغرافية واخبار فالبكري يشير الى ثبوت وجود مدينة النساء نقلا عن الطرطوشي الذى تأكد له

---

١ ـ حسين مؤنس : المقال السابق ، ص ٢٧٣ .

٢ ـ البكري : المسالك والممالك ، ص ١٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٨ .

ذلك عند ما سأل امبراطور الروم اوتو عن ذلك فاخبره بحقيقة وجودها . "١"

ولاهمية ما خلفه الطرطوشي من كتابات جغرافية قيمة فسنورد نموذجا منها ما نقله البكري عنه في وصف بلاد الجليقيين وعاداتهم المعيشية واخلاقهم . يقول البكري (جملة القول في بلاد الجليقيين والافرنج وغيرهم من قبائل النصارى الى بلاد الصقالبة وغيرهم على ماأورده ابراهيم بن يعقوب الاسرائيلي الطرطوشي ،

قال ابراهيم : بلد الجليقيين سهل جميعه والغالب على ارضهم الرمل ، واكثر قوتهم الدخن والذره ومعوّلهم في الاشربه على شراب التفاح (والبشكه) وهو شراب يتخذ من الدقيق ، واهله اهل غدر ودناءة اخلاق لا يتنظفون ، ولا يغتسلون في العام الا مره او مرتين بالماء البارد ولا يغلسون ثيابهم منذ يلبسونها الى ان تنقطع عليهم ، ويزعمون ان الوسخ الذى يعلوها من عرقهم تنعم به اجسادهم وتصح ابدانهم وثيابهم اضيق الثياب ، وهى مفرجه يبدو من تفاريجها اكثر ابدانهم . ولهم بأس شديد لا يرون الفرار عند اللقاء (فى الحرب) ويرون الموت دونه). "٢"

وفى عصر الخلافة الذى تميز برقيه وازدهاره في كل ميدان من ميادين الحضارة وما ترتب على ذلك من اتساع المعارف والرقي الفكرى لدى الاندلسيين في ميدان الجغرافيا فقط ، ادى ذلك الى رغبة البعض منهم في الوقوف على الحقائق الجغرافية لبعض مظاهر الطبيعة عبر الملاحظة والمعاينة الحسية . فهذه مجموعة من الشبان من مدينة لشبونه وعددهم ثمانية رجال كلهم ابناء عم عزموا على دخول بحر

---

١ — البكري : نفس المصدر ، ص ١٧٠ .

٢ — المسالك والممالك : (جغرافية الاندلس واوروبا) ، ص ٨٠ — ٨١ .

الظلمات ليعرفوا ما فيه والى اين انتهاؤه (فابتنوا مركبا وادخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لاشهر ، ثم دخلوا البحر في اول طاروس "١" الريح الشرقية ، فجروا بها نحوا من احدى عشر يوما ، فوصلوا الى بحر غليظ الموج ، كدر الروائح كثير التروش "٢" ، قليل الضوء ، فايقنوا بالتلف ، فردوا قلعهم في اليد الاخرى ، وجروا في البحر في ناحية الجنوب اثني عشر يوما ، فخرجوا الى جزيرة الغنم ، وما فيها من الغنم مالا يأخذه عد ولا تحصيل ، وهي سارحة لا ناظر لها ولا راع ، فقصدوا الجزيرة ونزلوها فوجدوا عين ماء جاريه ، عليها شجرة تين برى ، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحدهم على اكلها ، فاخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب اثنى عشر يوما الى ان لاحت لهم جزيرة ، فنظروا فيها الى عمارة وحرث ، فقصدوا اليها ليروا ما فيها ، فما كان الا غير بعيد حتى احيط بهم في زوارق ، فأخذوا وحملوا الى مدينة على ضفة البحر ، فأنزلوا بها في دار ، فرأوا بها رجالا شقرا زعرا شعورهم سبطه ، وهم طوال القدود ، ولنسائهم جمال عجيب ، فاعتقلوا في بيت ثلاثة ايام ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربي ، فسألهم عن حالهم وفيم جاؤوا واين بلادهم ، فأخبروه بكل خبرهم فوعدهم خيرا ، واعلمهم انه ترجمان فلما كان في اليوم الثاني من ذلك اليوم احضروا بين يدى الملك ، فسألهم عما سألهم عنه الترجمان فأخبروه بما اخبروا به الترجمان بالامس ، وانهم اقتحموا البر ليروا ما فيه من العجائب وليقفوا على نهايته ، فلما علم الملك ذلك ضحك وقال للترجمان : اخبر القوم ان ابي امر قوما من عبيده بركوب هذا البحر ، وانهم جروا في عرضه شهرا الى ان انقطع عنهم الضوء وانصرفوا من غير فائده تجدى ، ثم وعدهم خيرا وصرفوا الى موضع حبسهم الى ان بدأ جرى الريح الغربيه ، فعمر بهم زورق وعصبت عيونهم

---

١ — طاروس لفظه غير عربيه ومعناها هبوب الريح (شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، ج ١ ، ص ٩٦) .

٢ — التروش قد تكون مأخوذه من فعل ترش اى ساء خلقه فيكون هذا المعنى مناسبا لسياق الكلام (شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، ج ١ ، ص ٩٦) .

وجرى بهم في البحر برهة من الدهر .

قال القوم : قدرنا انه جرى بنا ثلاثة ايام بلياليها ، حتى جيء بنا الى البر فأخرجنا وكتفنا الى خلف ، وتحركنا بالساحل الى ان تضاحى النهار ، وطلعت الشمس ونحن في ضنك وسوء حال من شدة الكتاف ، حتى سمعنا ضوضاء واصوات ناس فصحنا بجملتنا فاقبل القوم الينا فوجدونا بتلك الحال السيئة . فحلوا وثاقنا وسألونا فاخبرناهم بخبرنا وكانوا برابر . فقال لنا احدهم : اتعلمون كم بينكم وبين بلدكم ؟ فقلنا : لا . فقال : مسيرة شهرين ؛ فقال زعيم القوم : واأسفى فسمى المكان الى اليوم آسفى ، وهو المرسى الذى في اقصى المغرب) "١"

ورغم اشتهار هذه الحادثة الجغرافية الهامه عند الكثير من جغرافيي المسلمين ابتداء من الادريسي ومن اتى بعده من الجغرافيين كالعلّامة ابو حامد الغرناطي والعمري والحميري والذين نقلوها اساسا عن الادريسي وما تتسم به من دلائل الصحه والصدق الا ان كراتشكوفسكي خلع طيها الكثير من ضروب التشكيك والاساطير فأشار الى ان هذه القصة تدخل في حقل الادب الشعبي للقرون الوسطى وان احد العلماء وهو دى خويه قد استطاع اثناء تحليله للاساطير الاوروبية المبكره عن رحلة القديس براندان ان يكشف الكثير من نقاط الشبه بين القصتين مما يشير الى مصدر مشترك . "٢"

والحق ان هذه الرحلة التى قام بها الاندلسيون كانت في ميدان الحقيقة اكثر منها فى مسرح الاسطورة والادعاء كما زعم البعض بل ان فيما اورده كراتشكوفسكي

---

١ — الحميري : الروض المعطار ، ص ١٧ — ١٨ .

٢ — الادب الجغرافي العربي : القسم الاول ، ص ١٣٧ .

بصدد هذا الحادث فيه رد عليه وعلى محاولاته في الانتقاص من هذه الخطوة الجريئة للاندلسيين في ميدان الرحلات والمغامرات التى فتحت الباب امام الكشوفات الجغرافية لقارة امريكا • فيقول كراتشكوفسكي (ورغما عن هذا فقد اعتقد المتخصصون في جغرافيا العصور الوسطى ان هذه الرحلة ربما ساهمت في الحث على الرحلات المتأخره الـــتى قام بها الملاحون الاوربيون في المحيط الاطلنطي "١" وفى اعتراف هؤلاء رد كافى على مزاعم كراتشكوفسكي ودحض لاقواله فاذا كان تأثير هذه الرحلة بهذه الصورة الجلية فمن الاولى ان تنتفي عنها مزاعم الادعاء والخيال •

ويعلق عمر الدقاق على هذه الحادثه بتسائله عن هؤلاء الاقوام الذيـــن ورد وصفهم في النص بشقرة الوانهم وشعورهم السبطة وقدودهم الطويلة — هل هـــم السكان الاصليون لقارة امريكا الذين اطلق عليهم كولومبوس فيما بعد الهنود الحمر ؟ اوليس من المحتمل ان تكون مسيرة هؤلاء الرحاله عبر البحر هذه المده التى تبلـــغ ٣٥ يوما قد قادتهم الى شواطئ العالم الجديد ؟ وهى مدة كافية للوصول الـــى هناك • "٢"

وقبل هذه الحادثة كان للاندلسيين مغامرة بحرية ولكنها لم تكن بحجـــم ما تلاها • فقد اورد المسعودى خبرا عن احد فتيان قرطبه واسمه الخشخاش وانـــه جمع اليه بعض رفاقه من الفتيان المتحمسين واغراهم باقتحام المحيط الاطلنطى ومعرفـــة حقيقته وابعاده فاستعدوا لذلك بتهيئة المراكب والزاد ثم ولجوا المحيط وغابوا مـــدة

---

١ — نفس المرجع والقسم والصفحـــة •

— فى هذا الصدد انظر التعليق الهام الذى كتبه شكيب ارسلان فى الحلـــل السندسية ، ج ١ ، ص ٩٢ — ٩٣ — ٩٤ — ٩٥ — ٩٦ •

٢ — مغارة العرب عبر بحر الظلمات " الاطلنطى " (مقال نشر بمجلة الفيصـــل العدد ٤٦ ، ربيع الثاني سنة ١٤٠١ هـ ، ص ٧٠ •

طويلة ثم عادوا من رحلتهم بالكثير من الغنائم • وذاع خبر هذه الرحلة بين الاندلسيين وتناقلوها زمنا طويلا • "١"

ولا نعلم بالتحديد في اى وقت تم هذا الحدث الهام الذى كان فاتحة لمغامرات مشابهة وان كان كراتشكوفسكي قد اشار الى احتمال كونها حدثت فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى "٢" •

وفيما تقدم اشارة بينه الى النضوج العلمي والتطلع العميق الى الحقيقة العلمية لدى اهل الاندلس ، وكيف ان هؤلاء الاشخاص سواء الخشخاش ورفاقه او من اتى بعدهم كأبناء العمومه السالفي الذكر — تحملوا اخطار البحر واعباء الرحلة واهوالها في ذلك المحيط من اجل الحقيقة العلمية التي سعوا اليها ومعرفة ما يكون عليه بحر الظلمات (المحيط الاطلسي) وحدود انتهائه •

وهى بلاشك محاولة عظيمة في ميدان الكشف الجغرافي تلاها الكثير من المحاولات الكشفية لاقتحام ذلك المحيط والرغبة في معرفة اسراره وما يكون بعده • وبهذا فالاندلسيون كانوا هم اول من طرق هذا الميدان ، ولا ريب ان ما توصلوا اليه من معلومات فى هذا الميدان قد كشف الستار واماط اللثام عن الغموض الذى كان يحجب بحر الظلمات ، فاستفاد الاوربيون من ذلك وبنوا معلوماتهم عن ذلك المحيط على ماوصلهم من العرب في ذلك ، ومن الجحود وغمط الحق ان لا يذكر

---

١ — مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ١ ، ص ١١٩ — عمر الدقاق : المقال السابق ، ص ٦٩ •

٢ — المرجع السابق ، القسم الاول ، ص ١٣٦ •

للمسلمين فضل في اكتشاف القارة الامريكية وهم اسبق الناس الى محاولات الكشف الجغرافي لتلك القارة .

ونسب الى العلامة مطرف بن عيسي الغساني الغرناطي (ت ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م) العديد من الرحلات الجغرافية ، فهو قد قام بالتجوال الطويل في البلدان المختلفة في المشرق وجلب معه الى الاندلس علما كثيرا ، وكانت له منزلة عالية في بلاط الخليفة الحكم المستنصر ، والف له كتابا في الجغرافيا اسماه " المعارف في اخبار كورة البيره واهلها وبوائرها * واقاليمها وغير ذلك من منافعها " ووصف هذا الكتاب بالقيمة العلمية الكبيرة وعظم الفائدة . "١"

وقد اشار بالنثيا الى هذا العلامة الجغرافي ووصفه بانه صاحب رحلات واسفار "٢" ولكن للاسف لم تمدنا المصادر التي ترجمت له بمعلومات كافية عن رحلاته وتجوله في البلدان .

وخلاصة القول ان ميدان الجغرافيا والرحلات شهد نشاطا طيبا ، وقد نجم عن ذلك اثراء هذا الميدان بعدد من التصانيف العلمية التى تتضمن ما توصل اليه اولئك الجغرافيون والرحاله من علماء عصر الخلافة من دراسات كانت بمثابة القاعده لما حدث فيما تلاه من عصور من جهود جغرافية كان لها اعظم الاثر في تطور المعارف الجغرافية وتوسيع آفاق البحث في ميدان الجغرافيا .

---

١ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٢٢ .

* — في ط اوروبا " وفوائدها " . وفي ط العطار " وبواديها " نفس المصدر والجزء والصفحة ، ح رقم ١ .

٢ — تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٢٨٦ .

ح ـ الفلسفة

==========

بداية الاشتغال بالفلسفة واسباب تأخره ـ اثر الرحلات العلمية بين الاندلس والمشرق في نهضة الدراسات الفلسفية ـ ابن مسره الفيلسوف وما آل اليه امره ـ ابن الكتاني ـ ابن البغونش ـ نشاط اهل الذمة في ميدان الفلسفة ـ موقف المنصور من الفلسفة وما نجم عنه ـ ابن حزم ودراساته الفلسفية ودوره في الكشف عن نظرية المعرفة ـ تسخير ابن حزم الفلسفة في دحض اراء الفلاسفة الملحدين •

===

خلت اسبانيا من الاشتغال بالفلسفة فيما قبل الاسلام ، فلم يعرف عن اهلها الاهتمام بهذا العلم والاشتغال به ، ولم تزل على هذه الحالة عاطله من الفلسفة حتى فتحها المسلمون ـ ٩٢ هـ / ٧١٠ م ، واستمر الحال على هذه الصوره الى ان توطد الملك لبني امية فانصرف الناس الى العلوم ومن بينها الفلسفة . "١"

ولم تشهد الاندلس قبل عصر الخلافة نشاطا ملحوظا في ميدان الفلسفة الا ما يذكر عن الامير عبد الرحمن الاوسط من انه كان مهتما بالعلم وجمع الكتب راغبا فيما يختص منها بالفلسفة وعلوم الاوائل ، وانه كان يبعث في اقتنائها من خارج الاندلس ، ولهذا ينسب اليه انه اول من ادخل الفلسفة الاندلس . "٢"

ويمكن ان نرجع السبب في ضعف الاشتغال بالفلسفة في الاندلس فيما قبل عصر الخلافة الى امور اهمها انشغال الاندلسيين آنذاك بالدراسات الدينية

---

١ ـ صاعد : طبقات الامم ، ص ٨٣ ـ ٨٤ .

٢ ـ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٥٥٦ .

كالحديث والفقه والدراسات اللغوية والادبيه ، اذ كانت هذه العلوم جل ما استحوذ على اهتمامهم وعنايتهم ولذلك لم يكن امامهم متسع لدراسة الفلسفة وعلوم الاوائل .

كما ان الاندلسيين آنذاك كانوا ينظرون للفلسفة نظرة الكراهية وعدم — الاستحسان ، بل كانوا ينقمون على من يشتغل بها فهي بهذا (علم ممقوت بالاندلس لا يستطيع صاحبه اظهاره فلذلك تخفى تصانيفه) . "١"

ولا غرابة في ذلك فان ما عرف به فقهاء المالكية من تشبث باحكام الشريعة والتزام بها قد دفعهم الى محاربة كل ما من شأنه الخروج على شرائع الدين وتعاليمه فقد حاربوا علم الكلام بل هاجموا اصحاب المذاهب الاخرى التي تحاول فرض وجودها الى جانب المذهب المالكي في الاندلس واذا كان الامر كذلك تبين لنا عمق الكراهية والتبرم الشديد لغير المألوف من المذاهب الدينية والافكار الفلسفية

ومن الطبيعي وعلم الفلسفة يتضمن فيما يتضمنه الكثير من الدراسات الفلسفية حول الانسان والكون والعدم والوجود الى غير ذلك من المسائل التي تستند في تعريفها وتوضيحها على الاجتهادات العقلية لبعض الفلاسفة ممن لا يعطي جانب الايمان بالله اي نصيب في ذلك ، وهو امر يترتب عليه اقحام النفس الانسانية في ميدان الضلال والانحراف العقائدي ، وبالتالي يتسم العديد من مسائل الفلسفة بسمة الالحاد والخروج على الدين ، وهذا بلا شك هو الدافع الحقيقي الذى جعل الفلسفة مذمومة ممقوته في نظر الاندلسيين (فانه كلما قيل : فلان يقرأ الفلسفة

---

١ — المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ١٨٦ (نقلا عن ابن سعيد في تذييله على رسالة ابن حزم في فضل الاندلس) .

اطلقت عليه العامه اسم زنديق .... وقيدت عليه انفاسه فأن زل في شبهة رجموه بالحجاره او احرقوه قبل ان يصل امره للسلطان او يقتله السلطان تقربا لقلوب العامه وكثيرا ما يأمر ملوكهم باحراق كتب هذا الشأن اذا وجدت) . "١"

وعليه فان من كان يشتغل بالفلسفة في الاندلس كان يتهم بالكفر والزندقه ، وهذا حال بلاشك دون اقبال العلماء في الاندلس على الاشتغال بالفلسفة .

وعلى الرغم من ذلك فقد وجدت الفلسفة في الاندلس اتباعا ودارسين لها ، وكان هؤلاء يمارسون الطب ودراسة الفلك والرياضيات وعلم الكلام ، تسترا بتلك العلوم من باب التقية والتخفي تحت ستارها لدرء نقمة العامه والفقهاء عليهم ، وهذا ما نلاحظه في سير البعض من المشتغلين بالفلسفة كابن مسره . "٢"

وكان للرحلات العلمية الى المشرق اثر في اقتباس الاندلسيين لما هنالك من تيارات كلامية ، وافكار فلسفية . وقد سبقت الاشارة الى ارتحال يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينه الى المشرق ولقائه لعلماء الكلام واخذه كتبهم وتأثره بأفكارهم واقوالهم ونقله كل ذلك الى وطنه الاندلس . "٣"

كما ان عمر بن احمد الكرماني من علماء عصر الخلافة رحل الى المشرق حيث تلقى علومه في الطب والفلسفة على علماء المشرق ثم عاد الى الاندلس وهو يحمل

---

١ — المقرى : النفح ، ج ١ ، ص ٢٢١ ، وانظر في ذلك احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٣٤ والسيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ٢ ، ص ٢١٦ واحسان عباس : الادب الاندلسي ، ص ٦٣ — واحمد الزيات : تاريخ الادب العربي ، ص ٣٨٧ .

٢ — انظر الخشني : تاريخ علماء الاندلس (مخطوط) ورقة ١١٥ ب .

٣ — ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١٨٨ .

رسائل اخوان الصفا ، وقد نسب اليه انه اول من ادخلها الى الاندلس • "١"

ومن الحق ان نقول ان عهد الخليفة الحكم المستنصر كان يتسم بالازدهار العام في ابواب المعرفة ومنها الفلسفة ، وكان لعنايته بالكتب واهتمامه بجمعها ان دخلت الاندلس الكثير من الكتب ومن بينها كتب الفلسفة (فكثر تحرك الناس في زمانه الى قراءة كتب الاوائل وتعلم مذاهبهم) • "٢"

وهكذا نجد ان الاحتكاك العلمي بين الاندلسيين والمشارقة الى جانب دخول كتب الاوائل ومن بينها كتب الفلسفة الى الاندلس قد اثر في انصراف الناس الى دراسة الفلسفة والاشتغال بها •

واول من نسب اليه الاشتغال بالفلسفة محمد بن عبد الله بن مسره القرطبي (٢٦٩ هـ ـ ٣١٩ هـ / ٨٨٢ م ـ ٩٣١ م) • وكانت له اراء فلسفية وطريقة انتهجها في بث افكاره واقواله بين تلاميذه •

ويشير اليه ابن الفرضي بقوله (وكان : يقول بالاستطاعة ، وانفاذ الوعيد ،

---

١ ـ صاعد : طبقات الامم ، ص ٩٧ ـ القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٢٤٣ ـ ابن ابي اصيبعه : عيون الانباء ، ص ٤٨٤ ـ ٤٨٥ ـ عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي ، ص ٥٨٩ ـ احمد الزيات : تاريخ الادب العربي ، ص ٣٨٧ . آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي (على الرغم من انه يذكر ص ١١ ان مسلمة المجريطي هو الذى نقل رسائل اخوان الصفا الى الاندلس الا انه يعود ، ص ١٧ ، فيذكر ان الكرماني هو الذى ادخلها الى الاندلس والحق ما اشرنا اليه اعلاه لتضافر المصادر التاريخية على ذلك) •

٢ ـ صاعد : طبقات الامم ، ص ٨٨ •

ويحرف التأويل في كثير من القرآن وكان : مع ذلك يدعي التكلم على تصحيح الاعمال ومحاسبة النفوس على حقيقة الصدق في نحو من كلام ذي النون الاخميمي وابي يعقوب النهرجوري : وكان له لسان يصل به الى تأليف الكلام ، وتمويه الالفاظ واخفاء المعاني) . "١"

وكان ابن مسره قد جلب عليه نقمة العامه وسخط الفقهاء ، فاتهموه بالزندقه والخروج على الدين ، فخرج هاربا من الاندلس الى المشرق حيث اشتغل بملاقاة اهل الكلام واصحاب الجدل من المعتزلة وغيرهم ، ثم رجع الى الاندلس في ثوب الزاهد المتنسك فاقبل عليه الناس ليأخذوا عنه علومه الا انه ما لبث ان انكشف مذهبه فانقبض عنه البعض وتمادى البعض الاخر في صحبته والاخذ عنه . "٢"

وقد سبق القول الى الحديث عن ارائه في علم الكلام وما انتهى اليه امره وامر اتباعه "٣" واذا تعدينا ابن مسره الى غيره من المشتغلين بالفلسفة لتبين لنا تقيد الكثير منهم بما املته الشريعة الاسلامية من تعاليم وعدم الخروج عليها ، فمن هؤلاء ابو عبد الله محمد بن الحسن المعروف بابن الكتاني (ت ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م) الذى كان عارفا بالطب ماهرا في الفلسفة والمنطق ووصف بالذكاء وجودة الفهم في الاشتغال بتلك العلوم . "٤"

---

١ - تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٣٩ .

٢ - ابن الفرضي : نفس المصدر والجزء والصفحة .

٣ - للوقوف على اراء ابن مسره ومنهجه الفلسفي انظر : الخشني : تاريخ علماء الاندلس (مخطوط) ورقة ١١٥ ب . وصاعد : طبقات الامم ، ص ٢٨ - وابن الابار : التكملة ، ج ١ ، ص ٥٩٢ - وانخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ - احسان عباس : الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبه ، ص ٣٤ وما بعدها .

٤ - المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ١٧٥ (نقلا عن رسالة ابن حزم في فضل الاندلس) .

وكان لهذا الفيلسوف مشاركة جمة في ميدان التأليف فألف العديد من الكتب والرسائل ، واثنى عليه وعلى تصانيفه في الفلسفة ابن حزم فقال (واما رسائل استاذنا ابي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي في ذلك فمشهورة متداولة وتامة الحسن فائقة الجودة عظيمة المنفعة) . "١"

ولا شك ان ما ذكره ابن حزم حول تداول رسائل الكتاني الفلسفية بين الناس لهو مؤشر هام على ما اصبح للفلسفة من منزلة في الاوساط العلمية الاندلسية .

هذا ويتضح لنا ان الجانب الفلسفي الذى كان يلقى القبول بين الاندلسيين كان فيما يتعلق بالاراء الصائبة في ميدان الادب والاخلاق ، يدل على ذلك ما اورده ابن حزم عن استاذه المذكور فيقول (سمعته يقول لي ولغيرى : " ان من العجب من يبقى في العالم دون تعاون على مصلحة ، اما يرى الحراث يحرث له ، والبناء يبني له ، والخراز يخرز له ، وسائر الناس كل يتولى فيه شغلا له فيه مصلحة وبه اليه ضرورة .

اما يستحي ان يبقى عيالا على كل من في العالم ؟ الا يعين هو ايضا بشيء من المصلحة " .

قال ابو محمد : ولعمرى ان كلامه هذا لصحيح ، وقد نبه الله تعالى عليه بقوله : (وتعاونوا على البر والتقوى) فكل ما لمخلوق فيه مصلحة في دينه او فيما لا غنى به عنه في دنيا فهو بر وتقوى) . "٢"

---

١ — المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ١٧٥ (نقلا عن رسالة ابن حزم في فضل الاندلس) .

٢ — الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٤٩ .

ونلمس من خلال ما تقدم ان ما كان من الفلسفة مختصا بما يوافق الشرع من الحث على محاسن الاخلاق وجميل الآداب فقد قوبل من الاندلسيين بالاستحسان والتقدير . اما ما يتعارض مع العقيدة فكان يلقي المعارضه الشديدة ، والتشهير به وبصاحبه ورميه بالزندقة من الفقهاء والمجتمع الاندلسي .

وكان لابي عثمان سعيد بن محمد بن البغونش (ت ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م) اراء في الفلسفة تنم عن براعته فيها وحسن سيرته ، وقد وصفه القاضي صاعد بقوله (لقيت منه رجلا عاقلا جميل الذكر والمذهب حسن السيره نظيف الثياب ذا كتب جليلة في انواع الفلسفة وضروب الحكمه وتبينت منه انه قد قرأ الهندسة وفهمها والمنطق وضبط كثيرا منه ثم اعرض عن ذلك وتشاغل بكتب جالينوس وجمعها ...) "١"

ونلمس من خلال سير الكثير من المشتغلين بالفلسفة اتصافهم بحسن السيره وجميل الاخلاق وهذا بلا شك يعطينا انطباعا عن نوعية الدراسات الفلسفية التى كانوا يدرسونها ومدى تأثيرها في اخلاقهم .

كما واسهم اهل الذمة في ميدان الفلسفة ، وممن اشتغل بذلك منهم اسحاق بن قسطار (ت ٤٤١ هـ / ١٠٥٦ م) وكان ماهرا في المنطق عارفا بالفلسفة ملما بمسائلها "٢" .

وكان يماثله في ذلك الفيلسوف والطبيب اليهودى منجم بن الفوال السرقسطي الذى عاصر احداث الفتنة التي اجتاحت قرطبة عقب زوال النفوذ العامري ، وكان يتمتع

---

١ — طبقات الامم ، ص ١٠٩ — ١١٠ .

٢ — صاعد : نفس المصدر ، ص ١١٧ .

بعلم واسع فى الطب والمنطق وسائر علوم الفلسفة بالاضافة الى نشاطه في مجال التأليف فقد ألف في الفلسفة والمنطق كتابا اسماه " كنز العقل " رتبه على المسألة والجواب وضمنه معارف جمه في قوانين المنطق واصول الطبيعة . "١"

وعندما تولى الحاجب المنصور بن ابي عامر الامر في عهد الخليفة هشام بن الحكم (عمد اول تغلبه عليه الى خزائن ابيه الحكم الجامعة للكتب ... وابرز ما فيها من ضروب التآليف بمحضر خواص من اهل العلم والدين وامرهم باخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة في علوم المنطق وعلوم النجوم وغير ذلك من علوم الاوائل حاشا كتب الطب والحساب فلما تميزت من سائر الكتب المؤلفة في اللغة والنحو .. امر باحراقها وافسادها فاحرق بعضها وطرح بعضها في ابار القصر وهيل عليها بالتراب والحجارة ، وغيرت بضروب من التغيير ، وفعل ذلك تحببا الى عوام الاندلس وتقبيحا لمذهب الخليفة الحكم عندهم . "٢"

ومن الحق ان نقول ان الحاجب المنصور رغم ما استهدفه من عملية اباده كتب الفلسفة رغبة في اكتساب ثقة الفقهاء توطيدا لمكانته السياسية الا ان ذلك لا يعني بالضرورة انه كان مشجعا لتلك الدراسات مؤيدا لاهلها من الفلاسفة يدل على ذلك ما وصفه به المؤرخ ابن عذاري من انه كان اشد الناس معاداة لمن علم ان لديه شيء من الفلسفة والجدل في الاعتقاد وممارسة علم التنجيم والاستخفاف

---

١ ــ صاعد : طبقات الامم ، ص ١١٦ ــ ١١٧ ــ ابن ابي اصيبعه : عيون الانباء ، ص ٤٩٨ .

٢ ــ صاعد : طبقات الامم ، ص ٨٨ ــ ٨٩ . وانظر ايضا ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٣ ــ والصفدي : الوافي ج ٣ ، ص ٣١٢ ــ ستانلي لين بول : قصة العرب في اسبانيا ، ص ١٥٠ ــ علي ادهم : المرجع السابق ، ص ١٥٦ ــ وبروفنسال : حضارة العرب في اسبانيا ص ٦٥ .

بشيء من الشريعة الاسلامية • "١"

وكان من نتائج موقف المنصور هذا من الفلسفة ان ضعف نشاط الفلاسفة واضمحل انتاجهم العلمي فآثر الكثير منهم السكون والبعد عن الاشتغال بمسائل الفلسفة كما تستر الكثير منهم بالاشتغال بعلوم اخرى كالطب والرياضيات ولم يعودوا الى نشاطهم الا بعد زوال الخلافة الاموية • "٢"

وبالاضافة الى ذلك فقد آثر الكثير من الفلاسفة الهجرة الى خارج وطنهم الاندلس وفي مقدمتهم الفيلسوف عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بالاقليدى الذى كان ماهرا في علمي الفلسفة والمنطق حاذقا فيهما ، فلما وقف المنصور موقفه المعادي للفلسفة اضطر خوفا على نفسه الى الرحيل الى المشرق • "٣"

كما ان الفيلسوف سعيد بن فتحون المعروف بـ " الحمار " السرقسطي كان له نشاط وافر في ميدان الفلسفة والادب واللغة والموسيقى • وقد ألف في الفلسفة كتابا في المدخل الى علوم الفلسفة اسماه " شجرة الحكمة " وصنف رسالة في تعديل العلوم ، وقد نال هذا الفيلسوف على يد الحاجب المنصور شيئا من التنكيل حيث سجنه ثم اطلقه بعد ذلك مما كان له اثر على نفسيته فخرج من الاندلس الى صقلية • "٤"

---

١ ـ البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٣ •
٢ ـ صاعد : طبقات الامم ، ص ٨٨ ـ ٨٩ ـ زكريا هاشم : فضل الحضارة الاسلامية على العالم ، ص ٥٥٦ •
٣ ـ صاعد : نفس المصدر ، ص ٩١ ـ القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٢٢٥ •
٤ ـ صاعد : طبقات الامم ، ص ٩٢ •

والجدير بالذكر ان هذا الفيلسوف كان له مكانة علمية رفيعة وانتاج علمي نفيس استطاع به ان يحتل منزلة سامقة بين علماء عصره حتى قال فيه ابن حزم (واما الفلسفة فأني رأيت فيها رسائل مجموعة وعيونا مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقسطي المعروف بالحمار دالة على تمكنه من هذه الصناعة) "١"

وفي اواخر عصر الخلافة برز العلامة ابن حزم في ميدان الفلسفة كما برز في علوم اخرى وكانت له اراء واقوال قيمة في الفلسفة ضمنها كتاب الفصل فى الملل والنحل فعندما طرق ميدان الفلسفة في كتابه المذكور بدأ بتعريفها بقوله (الفلسفة في الحقيقة انما معناها وثمرتها والغرض المقصود بتعلمها ليس هو شيئا غير اصلاح النفس بان تستعمل في دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية الى سلامتها في المعاد ، وحسن السياسة للمنزل والرعية وهذا نفسه لا غير هو غرض الشريعة) "٢".

والعلم والمعرفة عند ابن حزم اسمان لمعنى واحد ، وهو اعتقاد الشيء على ما هو عليه وتيقنه به وارتفاع الشك عنه ، وسبل المعرفة عنده اربعة :

١ ــ النصوص من القرآن والاحاديث النبوية .

٢ ــ ما اوجبته اللغة من المعاني التى تحملها الكلمات وما اصطلح عليه العرب من الفهم عند سماع هذه الكلمات .

٣ ــ الاكتساب "بالاختيار" ونقل التواتر .

٤ ــ الحس بالبديهة والعقل . "٣"

---

١ ــ المقرى : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٧٥ (نقلا عن رسالة ابن حزم في فضل الاندلس) .

٢ ــ ج ١ ، ص ٩٤ .

٣ ــ عمر فروخ : تاريخ الفكر العربى ، ص ٥٩٦ ــ ٥٩٧ .

ولا شك ان ابن حزم بما توصل اليه من اراء صائبة في ميدان الفلسفة قد حل اعظم مشكلة في تاريخ نظرية المعرفة ، وهي المشكلة التي تشدق مؤرخو الفلسفة الاوروبية بانهم قد توصلوا الى حلها بواسطة فيلسوفهم الالماني كانط Kant (ت ١٨٠٤م) الذى كانت تشغل باله الاجابة على السؤال الآتي : " كيف تكون الاحكام المبنية على الاختبار الحسي ممكنة البديهة ؟ وقد توصل الى حل ذلك بتوضيحه ان المعرفة التي نعتقد اننا قد عرفناها بواسطة بديهة العقل Apriori راجعة الى الحواس في زمن متقدم ثم سمى ذلك Apriori Aposteriori ولم يعلم ان ابن حزم الاندلسي الذى عاش قبله بسبعة قرون قد وقف امام هذه المشكلة ثم حلها حلا لا يقصر عما توصل اليه اللهم الا في بسط القول وشكل المنطق اللذين امتاز بهما كانط مع اسبقية ابن حزم في ميدان الكشف العلمي • "١" *

والجدير بالذكر ان ابن حزم قد عالج الكثير من القضايا المتعلقة بالكون وما فيه في اسلوب فلسفي مقنع مؤيدا اقواله بالنصوص الكريمة من القرآن والسنه واقوال العلماء •

ومن الحق ان نقول ان ابن حزم قد اظهر نبوغا مدهشا في كتابه الفصل الذى ضمنه الكثير من ارائه الفلسفية والتي استهدف منها الدفاع عن التعاليم الاسلامية

---

١ ـ عمر فروخ : المرجع السابق ، ص ٥٩٧ ـ ٥٩٨ ـ قدري طوقان : العلوم عند العرب ، ص ١٨٢ ـ ١٨٣ •

* للاستزادة من التوضيح انظر ابن حزم : الفصل ، ج ١ ، ص ٥ ـ ٧ ، ج ٣ ، ص ١٠٧ ـ ١٠٨ و ج ٥ ، ص ١٠٨ ،،
عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي ، ص ٥٩٧ •
وكتابه الاخر عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، ص ١٤٦ ، وما بعدها •

والذود عن حمى الشريعة ، وبذلك كان ابن حزم فيلسوفا اسلاميا لامعا ، بل انه يعد افضل الفلاسفة في عصره بما قدمه من جهود رائعة في تسخير هذا العلم كأداة لدحض مزاعم خصوم الاسلام من الفلاسفة الملحدين وغيرهم من اهل الضلال هذا الى جانب توصله الى نظرية المعرفة التي تعد من اعظم النظريات الفلسفية .

وبهذا يتبين ان ميدان الفلسفة في عصر الخلافة كان نشاطه مقيدا بما يوافق تعاليم الشريعة الاسلامية ويلائم نصوصها ، ولعل ظاهرة خروج الفيلسوف ابن مسره على تعاليم الدين وما لاقاه من تنكيل هو واتباعه كان له اثره في انصراف الكثير من العلماء الفلاسفة عما يتعلق بالعقائد وما لا يوافق الشرع الى دراسة مظاهر السلوك الانساني كالاخلاق والاداب ، فكان لبعضهم اراء صائبة واقوال حكيمة في ذلك .

=====

وبعد هذا العرض للنشاط العلمي للاندلسيين في ميدان العلوم الانسانية من تاريخ وجغرافيا وفلسفة نخلص الى القول ان هذه العلوم لقيت نشاطا ملحوظا من علماء الاندلس ، فلم يكونوا في عطائهم هذا لما ذكرناه من علوم باقل مما منحوه للعلوم الاخرى ، ولا نرمي القول جزافا فان المكتبة الاسلامية في عصرنا هذا تشهد بعطائهم الخصب في هذه الميادين العلمية .

والحق ان الاندلسيين اظهروا براعة مدهشة في مجال التاريخ بما اثروا به هذا الميدان من دراسات وبحوث علمية قيمة يأتي في مقدمتها ما نراه ماثلا امامنا من ضروب التآليف التاريخية في ميدان التراجم والتاريخ ، وان فيما اعتمدنا عليه في كتابة هذا البحث من مصادر التاريخ الاندلسي لشاهد قوى على ما ذهبنا اليه ، ويكفي الاندلسيون فخرا ان ظهر فيهم من هو في طبقة ابن الاثير والمسعودي ، وهو المؤرخ البارع ابن حيان الاندلسي الذى يعود الفضل الاول في ظهور قدراته العلمية الى ما تميزت به البيئة الاندلسية من علم ومعرفة وما توفر فيها من اجواء كفلت لمواهبه العلمية النمو ومنحت شخصيته العلمية البروز ، كما ان فضل من سبقه من المؤرخين لا ينكر كأسرة آل الرازي التي كانت من اعظم الاسر العلمية عطاء في ميداني التاريخ والجغرافيا .

وفي الجغرافيا اثبت الاندلسيون مقدرة واسعة رغم ضياع الكثير من تآليفهم الا ان ما بقي بين ايدينا منها فيه دليل على ازدهار الدراسات الجغرافية آنذاك ، وما ذكرناه من جهودهم في هذا الصدد ليؤكد ما اشرنا اليه ، ولعل من عوامل تألق عمدة جغرافيي الاندلس ابو عبيدة البكري اعتماده على جغرافيي عصر الخلافة كالوراق واحمد الرازي والطرطوشي وغيرهم .

وفي ميدان الفلسفة فقد اظهر الاندلسيون نبوغا واضحا بالرغم مما اعترض اشتغالهم بهذا العلم من عقبات اشرنا اليها الا ان الكثير من علماء الفلسفة الاندلسيين

التزموا في ابحاثهم الفلسفية البعد عما يخالف الشرع وما قدمه ابن حزم الاندلسي في هذا العلم من ابتكاره نظرية المعرفة فيه دليل على مقدرتهم الواسعة على خوض هذا الميدان والخروج بنتائج علمية لا تزال موضع اعجاب الباحثين ومناط اهتماماتهم العلمية .

======

الفصـــــل الرابــــــع

العلـــوم التجريبيـــــــــــــــة

ا ـ الطـــب

ب ـ الرياضيات والفلك

ج ـ الكيميـــاء .

ا ـ الطـــــب :

===============

بداية الدراسات الطبية ـ دخول كتب الطب المختلفة الى الاندلـــس ـ اشتغال بعض الاطباء بالطب لدى الخلفاء كأصبغ بن يحيى ، ويحـــيى ابن اسحاق ، وابن الكتاني ابرز اطباء عصر الخلافه ـ خلف بـــن عباس الزهراوى وانتاجه العلمي القيم وخاصة في ميدان الجراحـــه ـ عريب بن سعيد وكتابه " خلق الجنين " ـ سليمان بن حســـان ـ وبراعته في الصيدلة ـ ابنا يونس الحرانيى وطب العيون .. وغيرهم .

====

ا ـ الطــــب :

=============

يعتبر علم الطب وما يلحق به من علوم اخرى كالصيدله من ابرز العلوم الـتي حازت على اهتمام وعناية الاندلسيين . بل لا نغالي اذا قلنا ان الطب يأتي فـي مقدمة العلوم الطبيعية من حيث النشاط ووفرة الانتاج العلمي في الاندلس .

وقد سبقت الاشارة الى بداية اشتغال الاندلسيين بالطب ، وانهم كانـوا قبل عصر الخلافة اقل دراية ومعرفة بميدان الطب ، وكيف انهم كانوا يعولون فـي دراستهم لمسائل الطب على كتاب مترجم من كتب النصارى يقال له " الابريشـم " اى الجامع "١"

ويتضح لمتتبع حركة الدراسات الطبية قبل عصر الخلافة ان اكثر المشتغليـن بالطب آنذاك كانوا من اهل الذمه ، وهذا بلا شك يأتي تأكيدا لما جبل عليـه المسلمون من تسامح كريم في معاملة اهل الذمة وافساح المجال امامهم للتزود مـن المعرفة والثقافه ، وممارسة نشاطهم العلمي في امان ويسر .

وفي عصر الخليفه عبد الرحمن الناصر اخذت حركة الاشتغال بالطب تأخـذ ابعادا جديده " فتتابعت الخيرات في ايامه ، ودخلت الكتب الطبية من المشرق ،

---

١ ـ ابن جلجـــل : طبقات الاطباء ، ص ٩٢ ـ صاعـــد : طبقات الامم ، ص ١٠٤ ـ احسان عباس : الادب الاندلســي ، ص ٧٤ .

وجميع العلوم ، وقامت الهمم وظهر الناس ممن كان في صدر دولته من الاطباء المشهورين " . "١"

وقد كان للتيارات الثقافية الوارده على الاندلس اثر في النهوض بالطب والرقي بدراساته المختلفة ، وهو ما اشار اليه ابن جلجل كظاهرة علمية حدثت في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر .

من اهم تلك الكتب كتاب " زاد المسافر " الذى نقله العلامة عمر بن بريق . وكان ابن بريق من اشهر الاطباء في الاندلس . وحدث ان خرج الى افريقية فدرس الطب على يد الطبيب القيرواني المشهور ابي جعفر بن الجزار ولازمه مدة ستة أشهر ثم عاد الى الاندلس وهو يحمل كتاب ابن الجزار المذكور "٢" .

ومن الكتب الطبية التي دخلت الاندلس وكان لها اثر في دفع عجلة الدراسات الطبية ورقيها كتاب في النباتات الطبية لديسقوريدس ."٣"

---

١ ــ ابن جلجل : المصدر السابق ، ص ٩٧ ــ ٩٨ .

٢ ــ ابن جلجل : المصدر السابق ، ص ١٠٧ ــ صاعد : المصدر السابق ، ص ١٠٦ ــ ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ص ٤٩٠ ــ ٤٩١ .

٣ ــ يتألف هذا الكتاب من خمس مقالات : الاولى : في ذكر ادويه عطريه الرائحه وادهان وصموغ .
الثانيه : في ذكر الحيوان ورطوباته والحبوب والبقول .
الثالثه : اصول النبات والنبات الشوكي وبذور وصموغ وحشائش مزهره .
الرابعه : في ذكر ادوية اكثرها حشائش بارده وحاره ومسهله =

وكان ذلك الكتاب قد ترجم في المشرق في العصر العباسي على يد الترجمان اصطفن بن بسيل ولكنه لم يتمكن من ترجمة كل الاسماء الوارده في ذلك الكتاب فابقاها على حالتها باللغة اليونانية • ثم دخل الكتاب بصورته تلك الى الاندلس فانتفع به اطباء الاندلس • وفي سنة ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م بعث الامبراطور البيزنطي ارمانوس الى الخليفة عبد الرحمن الناصر بهدايا نفيسة ومن ضمنها كتابين : الأول وهو كتاب ديسقوريدس مصورة فيه الحشائش تصويرا رائعا ، وكتاب هروشيش باللاتينية في التاريخ — وقد سبق الحديث عنه في ميدان التاريخ • ولما لم يكن لدى الناصر من يجيد اللغة اليونانية فقد ظل كتاب ديسقوريدس متداولا بين الناس بترجمة اصطفن • اما النسخة المرسله فقد بقيت في مكتبة الخليفة عبد الرحمن الناصر حتى بعث الى امبراطور الروم رسالة يطلب فيها ان يبعث اليه من يجيد اليونانية ليتسنى له الاستفاده من ذلك الكتاب ، فبعث اليه براهب يدعى نقولا سنة ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م فاجتمع مع بعض الاطباء الاندلسيين امثال حسداى بن شيروط ، ومحمد الشجار ، وعالم آخر يعرف بالبسباسي ، وابو عثمان الجزار المعروف باليابسه ، ومحمد بن سعيد ، وعبد الرحمن بن اسحق بن الهيثم ، وابو عبد الله الصقلي وكان يجيد اليونانية عارفا بخواص الادويه • "١"

= وعقيئه وما ينفع منها للسموم •

الخامسه : ذكر الكرم وانواع الاتربه والادويه المعدنيه •

(عمر كحاله : العلوم البحته ، ص ٢٩٧ — ٢٩٨)

١ — ابن ابي اصيبعه : عيون الانباء ، ص ٤٩٤ — زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٣٢٢ — آنخل بالنثيا : المرجع السابق ، ص ٤٦٢ —

Titus Burckhardt: Moorish Culture in Spain P.69

/ زكريا هاشم : المرجع السابق ، ص ٤٦٣ — ٤٦٤ •

وقد اشار ابن جلجل الى عملية الترجمة هذه بقوله : " فصح يبحث هؤلاء النفر الباحثين عن اسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس تصحيح الوقوف على اشخاصها بمدينة قرطبه خاصة بناحية الاندلس ما ازال الشك فيها عن القلوب وأوجب المعرفة بها بالوقوف على اشخاصها وتصحيح النطق باسمائها بلا تصحيف الا القليل منها الذي لا بال به ، ولا خطر له ، وذلك يكون في مثل عشرة ادويه "." ١ "

وبناء على ذلك فقد كان لكتاب ديسقوريدس اثر هام في اتساع افق الدراسات الطبية وما يتعلق بالنباتات وتركيب الادويه . ولم يكن الاندلسيون ليقفوا موقف الاخذ والتسليم بما يروهم من علوم عن الامم الاخرى بل كانوا يدرسون انتاج غيرهم بنظر ثاقب وتمحيص دقيق فيأخذون ما يصح لديهم وينبذون ما عداه ويضيفون الكثير من الايضاحات والشروح اذا لزم الامر وهو ما فعلوه بكتاب ديسقوريدس . فقد درس احد اطباء الاندلس وهو سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل ذلك الكتاب فلاحظ ان ديسقوريدس قد اغفل ذكر الكثير من الادوية ، فصنف مقالة في ذكر الادوية وقال : " ان ديسقوريدس اغفل ذلك ولم يذكره اما لانه لم يره ولم يشاهده عيانا واما لان ذلك كان غير مستعمل في دهره وابناء جنسه "." ٢ "

وكان الخلفاء يحرصون على ان تضم قصورهم عددا من الاطباء البارعين لحاجتهم اليهم في مجال العلاج الطبي وفيما يحسن تناوله من الاغذية والاشربه ،

---

١ - ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ص ٤٩٤ .

٢ - ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ص ٤٩٥ .

ولهذا نلحظ عند دراستنا للطب آنذاك اشتغال الكثير من الاطباء بخدمة الخلفاء والحكام وممارستهم الطب داخل قصورهم ٠

فمن اولئك الاطباء اصبغ بن يحيى القرطبي الذى خدم بالطب الخليفة ـ عبد الرحمن الناصر "١" ٠

كما اشتغل بخدمة الخليفة عبد الرحمن الناصر من الاطباء عمر بن بريق الذى كان يعينه في تحضير الادوية وتركيبها عدد من الاتباع ٠ "٢"

ومن بين الاطباء في قصر الخليفة عبد الرحمن الناصر الطبيب سليمان بن باج الذى عرف بالتمكن العميق في الطب وتركيب الادوية ٠ وحدث ان تعرض الخليفه الى رمد في عينه فوصف له علاجا ناجحا عوفي به من مرضه ، وقد وصف سليمان ـ بالتحفظ الشديد على اسرار عمله حتى ان الخليفة عبد الرحمن الناصر طلب منه الوصفه العلاجيه السابقه فأبى ذلك ٠ "٣"

وقد نال الطبيب يحيى بن اسحاق مكانة رفيعة لدى الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ونظرا لعلمه الواسع وسيرته الحسنه ان قلده الوزاره ٠ وكان يحيى ماهرا في الطب فألف فيه كتابا على نهج الاقدمين سماه الابريشم "٤" ٠

---

١ ـ ابن جلجل : طبقات الاطباء ، ص ١٠٨ ـ ابن الابار : التكمله ج ١ ، ص ٢٠٦ ٠

٢ ـ ابن جلجل : المصدر السابق ، ص ١٠٧ ـ صاعد : طبقات الامم ص ١٠٦ ٠

٣ ـ ابن جلجل : المصدر السابق ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ ـ ابن ابي اصيبعه : عيون الانباء ، ص ٤٨٩ ويسميه ابن تاج بخلاف ابن جلجل ٠

٤ ـ صاعد : طبقات الامم ، ص ١٠٤ ـ ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ص ٤٨٨ ـ ٤٨٩ ٠

ويبدو انه قد استحدث نظام جديد للاطباء المشتغلين بخدمة الخلفاء وذلك في عصر الخليفة الحكم المستنصر ، فقد انشيء ديوان يضم اولئك الاطباء وينزلهم درجات متفاوته حسب قدراتهم وكفاءاتهم ومن هؤلاء الطبيب احمد بن حكم ابن حفصون الذى اشتغل بخدمة الخليفة الحكم المستنصر . وكان قد قدمه في ديوان الاطباء الحاجب جعفر المصحفي . ونال ابن حفصون مكانة عالية بين اطباء البلاط فلما مات جعفر أسقط ذلك الطبيب من ديوان الاطباء ، مما اثر على منزلته العلمية والاجتماعية فبقي خامل الذكر حتى وفاته . "١"

ولحق بخدمة الخليفة الحكم المستنصر أبو بكر احمد بن جابر وكان كبير المنزله عند الخلفاء معظما لديهم ، ومثله ايضا الطبيب ابو عبد الملك الثقفي الذى جمع بين المهارة في الطب البراعة في الهندسه وكان عالي المقام لدى الحكم المستنصر . "٢"

وفي عصر الخليفة هشام المؤيد برز بعض الاطباء في بلاطه وفي مقدمتهم الطبيب الذائع الصيت سليمان بن حسان " ابن جلجل " ، وسوف نفصل الحديث عنه فيما بعد .

ونال الطبيب الفيلسوف محمد بن الحسين المعروف " بابن الكتاني " مكانة سامية في بلاط الحاجب المنصور بن ابي عامر وخدمه وابنه عبد الملك المظفر بالطب ،

---

١ — ابن جلجل : المصدر السابق ، ص ١١٠ — صاعد : المصدر السابق ، ص ١٠٦ — ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ص ٤٩٢ .

٢ — ابن جلجل : طبقات الاطباء ، ص ١١١ — ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ص ٤٩٢ .

ولما وقعت الفتنة انتقل الى سرقسطة حيث توفي بها سنة ٢ ٤٢٠ هـ/١٠٢٩م ٠ "١"

كما ان الطبيب عبد الرحمن بن اسحق بن الهيثم حظي بمنزلة عالية لدى الحاجب المنصور ٠ ووصف ذلك الطبيب بالمعرفة الواسعة بالطب وتركيب الادوية ، وقد ألف في ذلك كتبا عديدة ، منها كتاب " الاكمال والتمام في الادوية المسهلة والمقيئة" "والاقتصاد والايجاد في خطأ ابن الجزار في الاعتماد " "٢" و " الاكتفاء بالدواء من خواص الاشياء " وهذا الكتاب ألفه بناء على رغبة الحاجب المنصور بن ابي عامر "٣" كما ألف ايضا من الكتب كتابا في السموم ٠ "٤"

وهكذا نلمس ما كان يحتله بعض اطباء ذلك العصر من مكانة عالية لدى الخلفاء وان ارتباطهم العملي بخدمة الخلفاء قد دفعهم الى مزيد من الدراسات العلمية التي تعلي مكانتهم وترفع شأنهم اكثر في بلاط الخلفاء ٠ ولا ادل على ذلك مما ألفه الطبيب ابن جلجل من تآليف طبيه ، وكذلك ابن الهيثم وغيرهما مما ذكرنا من الاطباء المشتغلين بخدمة الخلفاء ٠

---

١ — ابن ابي اصيبعه : عيون الانباء ، ص ٤٩٣ — احمد عيسى : معجم الاطباء ، ص ٣٧٤ ٠

٢ — ابن الجزار : احمد بن ابراهيم من اصح اطباء افريقية وهو من اهل القيروان ، (ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ص ٤٨١)، وقد مر ذكر ابن الجزار في بداية الحديث عن الطب ، فأنظر ذلك ٠

٣ — جانب البغدادى الصواب في كتابه هدية العارفين عندما ، اشار الى ان وفاة ابن الهيثم سنة ٣٤٠ هـ ٠ فكيف يصح هذا وهو قد ألف للمنصور احد كتبه في الطب والمنصور تولى الامر بعد وفاة الخليفه الحكم سنة ٣٦٦ هـ ٠

٤ — ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ص ٤٩٣ — آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٤٦٣ ٠

ولعل من دلائل النهوض العلمي في ميدان الطب ونشاط علمائه ان كان الكثير من الاطباء يمارس هذه المهنة في صورة تشابه ما عليه حال اطباء هذا العصر من الاشتغال فيما يسمى بالعيادات الطبية التي يردها المرضى للعلاج • فقد كان الطبيب ابن ملوكه النصراني يشتغل بمداواة المرضى وعلاجهم وخصص لذلك دارا يستقبل فيها المرضى ووضع على باب تلك الدار ثلاثين كرسيا لجلوس الناس وانتظارهم العلاج • "١"

وهذا بلا شك يعطينا صورة واضحة لما كان عليه اطباء ذلك العصر من مراعاة تامة للناس والتزام عميق بالتنظيم والتنسيق في اداء عملهم وممارسة نشاطهم •

وفي ذلك العصر برز الكثير من الاطباء ممن عنوا بالطب وما يتعلق به من دراسات مختلفة ، كدراسة النباتات الطبية وتركيب الادوية مما يدخل تحت مسمى " الصيدلة " •

ونظرا للاعداد الكبيرة من الاطباء الذين عاشوا في عصر الخلافة ، فان حديثنا سيكون مقتصرا على ابرزهم ممن كان لهم دور فعال في ازدهار الطب ورقي دراساته •

ويأتي في مقدمة هؤلاء الاطباء الطبيب اللامع عباس بن خلف الزهراوى "٢" ،

---

١ — ابن جلجل : المصدر السابق ، ص ٩٧ — ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ص ٤٨٦ •

٢ — نسبة الى مدينة الزهراء بناها الناصر عبد الرحمن وبينها وبين قرطبه خمسة اميال (الحميرى : الروض المعطار ، ص ٩٥) •

ويكنى ابو القاسم ويعرف في اللاتينية " بأبو الكاسيس " . AbuLcasis. "١"

ولا نعلم بالتحديد تاريخ ولادته فلم يشر الى ذلك اولي التراجم الاندلسيه كالحميدى او الضبي او ابن بشكوال ، وقد اكتفى اولهم بالاشارة الى وفاته بعد الاربعمائة . "٢"

ونظرا لعدم وضوح تاريخ مولده ووفاته في كتب التراجم المشار اليهما ، فقد ظهر الاختلاف بين الكتاب والمؤرخين المحدثين في ذلك ، حتى ان بعضهم اشتط في الخروج عن حقيقة الامر بان اشار الى وفاته (٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م) ومنهم غوستاف لوبون ، وحسن ابراهيم حسن و Titus Burckhardt "٣"

ومهما يكن من امر فمن المؤكد ان الزهراوى كان حيا في القرن الرابع الهجرى : العاشر الميلادى "٤" وهو ما يؤكده ابن حزم عند كلامه عن فضل الاندلس وجهود علمائه فيقول مشيدا بكتاب الزهراوى في الطب (وكتاب التصريف لابي القاسم خلف بن عياش * الزهراوى وقد ادركناه وشاهدناه ولئن قلنا انه لم يؤلف في الطب اجمع منه ولا احسن للقول والعمل في الطبائع لنصدقن) "٥" .

---

١ — Titus Burkhard : OP.CIT,P.69

سيد حسين نصر : العلوم في الاسلام ، ترجمة مختار الجوهرى ، ص ١٤٥ .

٢ — الجذوه : ص ٢٠٩ .

٣ — انظر كتبهم بالترتيب ، حضارة العرب ، ص ٤٩٠ — تاريخ الاسلام ، ج ٤ ، ص ٥٢١ —

Moorish Culture in Spain.P.70

٤ — لتأكيد ذلك انظر خالد ناجي : الزهراوى وعمليات الغدة الدرقية ، مجلة المؤرخ العربي — العدد السادس عشر ١٩٨١ م ، ص ١٨٥ .

* — في بقية المصادر والمراجع يسمى " عباس " .

٥ — المقري : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٧٥ (نقلا عن رسالة ابن حزم في فضل الاندلس) .

ويتضح من كلام ابن حزم ان عباس عاش في عصر الخلافه ، فقد ادركه وشاهده وابن حزم كما هو معروف عاش فترة كبيره من عمره في عصر الخلافه ، وان ما ورد في النص السابق بلفظ " ادركناه " لفيه دلالة على ان مشاهدة ابن حزم له تمت والزهراوى في اواخر عمره ، اى انه قضى اكثر عمره في عصر الخلافه ، وهذا بلا شك دليل قوي على معاصرة الزهراوى لتلك الفترة ، هذا بالاضافة الى اشارة الحميدى الى ان وفاته كانت بعد الاربعمائة اى انه قضى شطرا كبيرا من عمره في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى . ومما يدعم هذا الرأى ما ذكره عنه آنخل بالنثيا انه ولد سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م ، وتوفي سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م. "١"

ويعد خلف بن عباس الزهرواى من اعظم الاطباء في الاسلام بل لا نبالغ اذا وصفناه بانه انبغهم في ميدان الجراحة الطبية على الاطلاق ، فقد كان له باع طويل في ازدهار الجراحه الطبيه ووضع الاسس العلميه الصحيحه لذلك المجال الحيوى الهام من الطب .

وكان الزهرواى جم النشاط في اشتغاله بالطب ماهر التصرف في فنون الجراحه متضلعا في معرفة دقائقها ، وقد الف في ذلك كتابا عظيم الفائده كبير النفع اسماه " التصريف لمن عجز عن التأليف " واشار في مقدمة الكتاب الى سبب تسميته بذلك فقال : (انما اسميته بذلك لكثرة تصرفه بين يدى الطبيب وكثرة حاجته اليه في

---

١ ـ تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٤٦٦ .

كل الأوقات وليجد فيه من جميع الصفات ما يغنيه عن التأليف) "١"

ويتضح لمن اطلع على ذلك الكتاب — الذى لا يزال مخطوطا — ان — الزهراوى الفه بعد عمر طويل من التجارب والبحث والدراسة والحياة العملية الجاده في حقل الطب والجراحه • وقد اشار في مقدمة كتابه الى ذلك لدي حديثه عما تضمن كتابه بقوله (وكل ما جربته وامتحنته من طول عمرى منذ خمسين سنه) "٢" •

والكتاب المذكور لحسن الحظ لا يزال موجودا وتوجد منه نسخ في بعض المكتبات الاسلامية والاوروبية ، ومنها نسخة موجودة في المكتبة الملكية بالرباط ويقع ذلك الكتاب المخطوط في عدة أجزاء ويتضمن ثلاثين مقاله كالتالي :—

الاولى : في الاغذية وتركيب الادوية وهي كالمدخل للكتاب •

الثانيه : في تقسيم الامراض وعلاماتها وعلاجها •

الثالثة : في وصف المعاجين •

الرابعه : في عمل الترياقات "٣" والادوية المفرده النافعه من السموم •

الخامسه : وصف الارياجات "٤" القديمة والحديثه وادخارها وتخميرها •

---

١ — الزهراوى : التصريف لمن عجز عن التأليف (مخطوط) ج ١ ، ص ٢ ، ٣ •

٢ — التصريف لمن عجز عن التأليف (مخطوط) ج ١ ، ص ٤ •

٣ — الترياقات جمع ترياق ، مشتق من اليونانية تيريون : وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالافاعي ونحوها ، ويقال له بالعربية درياق ، (الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ١٣٩) •

٤ — الارياجات : اشار اليها الخوارزمي على انها من اصناف الادوية ولم يوضح ما هي (مفاتيح العلوم ، ص ١٤٠) •

السادسه : وصف الادوية المسهلة من الحبوب لجميع العلل •

السابعه : وصف ادوية القيء والحقن وغيرها •

الثامنه : الادوية المسهله اللذيذة الطعم المأمونه •

التاسعه : ادوية القلب والمسك •

العاشره : وصف الاطريفلات "١" والمنبهات والمسهلات •

الحادى عشره : وصف الجوارشات "٢" والكمونيات •

الثانيه عشره : ادوية الباءه والمسمنة للابدان المهزوله والمدره للبول •

الثالثه عشره : الاشربه والسكنجبينات "٣" والربوب •

الرابعه عشره : المطبوخات والنقوعات المسهله وغير المسهله •

الخامسه عشره : في المربيات "٤" ومنافعها وحكمة ترتيبها وادخارها •

---

١ ـ الاطريفلات او الاطريفل بالهنديه ترى ابهل • اى ثلاث اخلاط وهي اهليلج وبليلج وأملج (الخوارزمي : نفس المصدر ص ١٤٠) •

٢ ـ الجوارشات او الجوارشنات • ذكرها الخوارزمي ضمن الادوية ولم يوضح ما هي وقال التهانوى في كشاف اصطلاحات الفنون ، ج ١ ، ص ٣٢٧ بقوله (الجوارش بضم الجيم وكسر الراء المهمله معرب كوارش والجوارن بالنون تصحيف : معناه الهاضم للطعام •• والجوارش لا تكون الا عذبة طيبة الرائحه) •

٣ ـ السكنجبين : دواء يتركب من الخل والعسل (الخوارزمي : المصدر السابق ، ص ١٤٠) •

٤ ـ المربيات : ما يرب بالعسل من الاترج والاهليلج ونحو ذلك (الخوارزمي : المصدر السابق ، ص ١٤٠) •

السادسه عشره : في الشفوفات "١" المسهلة وغير المسهلة .

السابعه عشره : في الاقراص المسهله والممسكات .

الثامنه عشره : في السعوطات والبخورات والقطورات والذرورات والفراغر .

التاسعة عشره : في الطيب والزينه وغيرها .

العشرون : في الاكحال وغيرها .

الحاديه والعشرون : ادوية الفم والحلق وما اشبه ذلك .

الثانيه والعشرون : في ادوية الصدر والسعال .

الثالثة والعشرون : في الضمادات لجميع العلل .

الرابعة والعشرون : في صناعة المراهم .

الخامسة والعشرون : في الادهان ومنافعها .

السادسه والعشرون : في اطعمة المرضى وكثير من الاصحاء مركبة حسب الامراض .

السابعه والعشرون : في طبائع الادوية والاغذية ومايتعلق بها .

الثامنه والعشرون : في اصلاح الادوية وحرق الاحجار المعدنية وما يتصرف في الطب من ذلك .

التاسعه والعشرون : في تسمية العقاقير باختلاف اللغات واعمارها وشرح ماورد من اسماءها في كتب الطب والاكيال والاوزان .

الثلاثون : في العمل باليد من الشق والبط والجبر والكي والخلع . "٢"

---

١ ـ الشفوفات او الشيافات من الادوية التي يحتقن بها في الدبر (الخوارزمي : المصدر السابق ، ص ١٤٠) .

٢ ـ الزهراوى : المخطوط السابق ، ج ١ ، ص ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ .

ويتضح من عناوين المقالات السابقة العلم الواسع والبراعة التامه التي تميز بهما الزهراوى • حيث ضمن كتابه المذكور الكثير من صور العلاج الطبي واوصاف الادوية المختلفة والاغذية والاشربة المنوعة مما يصح به جسم الانسان ويقويه امام مختلف الامراض •

والجزء الاخير من الكتاب في الجراحه • ويقول في مقدمته (لما اكملت لكم يابني هذا الكتاب الذى (هو) جزء العلم في الطب بكماله وبلغت الغاية فيه من وضوحه وبيانه فرأيت ان اكمله لكم بهذه المقالة التي هي جزء العمل باليد في بلدنا وفي زماننا معدوم البتة حتى كاد ان يندر من علمه وينقطع اثره وانما بقي منه رسوم يسيره في كتب الاوائل قد صحفته الايد ووقعه الخطأ والتشويش حتى استغلقت معانيه وبعدت فايدته فرأيت ان اجيده * واولف فيه هذه المقالة على طريق الشرح والبيان والاختصار وان آتي بصور حدايد الكي وسائر الات العمل اذ هو من زيادة البيان ووكيد ما يحتاج اليه) • "١"

ويتضح من هذه المقدمة مدى عناية الزهراوى بميدان الجراحة واهتمامه البالغ بتوضيح الاساليب العلمية الصحيحة في اجراء العمليات الجراحية وسعية الجاد في سبيل رفع شأن هذا الحقل الهام من علم الطب بعد ان شوه ادعياء الطب صورته وادخلوا عليه ما ليس منه • فوضع الزهراوى الاسس السليمة لعلم الجراحة واضاف اليه الكثير من الابتكارات العلمية الهامه ، وكان لجهوده في ذلك ابعد الاثر

---

* هكذا في الاصل ، وربما تكون لفظ " اقيده " •

١ — الزهراوى : المخطوط السابق ، ج ٧ ، ص : ٢ ، ٣ ، ب •

في ازدهار علم الجراحة الطبيه ٠

والزهراوى يقدم الكثير من التوجيهات والارشادات التي يوجهها الى زملائه من الاطباء والجراحين ٠ فهو ينصح الجراح ان يكون عارفا باعضاء الجسد ودقائق تكوينه والذى ينطوى تحت " علم التشريح " لكي يتسنى له الوقوف على منافع الاعضاء وهيأتها واتصالها وانفصالها وعددها ومخارجها ، ويقول في ذلك (من لم يكن عالما بما ذكرنا من التشريح لم يخل ان يقع في خطأ يقتل الناس به كما قد شاهدته كثيرا ممن تسور في هذا العلم وادعا له بغير علم ولا درايه) ٠ "١"

ويضرب الزهراوى الكثير من الامثلة لاطباء لم يعتنوا بما ذكر فوقعوا في أوخم النتائج واودوا بحياة مرضاهم ٠ ومن ضمن ذلك ما ذكره بقوله (انني رأيت طبيبا جاهلا قد شق على ورم خنزيرى * في عنق امراءة فابدا بعض شريانات العروق فنزف دم المرأة حتى سقطت ميته بين يديه) ٠ "٢"

وقسم الزهراوى هذا الجزء على ثلاثة ابواب :

الباب الاول : في الكي بالنار والكي بالدواء ، مرتب من القرن الى القدم وصور الات حديد الكي وكلما يحتاج اليه ٠

---

١ — التصريف لمن عجز عن التاليف (مخطوط) ج ٧ ، ص ٣٠ — ٤ ٠

٢ — نفس المصدر والجزء ، ص ٤ ٠

* — الخنزيرى او الخنازير اورام الشباه الغدد في الاباط والاربيه (الخوارزمي مفاتيح العلوم ، ص ١٣٠) ٠
وقال الثعالبي في فقه اللغه ، ص ٨٦ —
(الخنازير أشباه الغدد في العنق) ٠

الباب الثاني : في الشق والبط والفصد والحجامه والجراحات واخراج السهام مبوب مرتب ، وصور آلاته في سبعة وتسعين فصلا .

الباب الثالث : في الجبر والخلع وعلاج الكسر مبوب مرتب من القرن الى القدم وصور آلاته في خمسة وثلاثين فصلا . "١"

ومما يؤكد علو مكانة الزهراوى في حقل الجراحة الطبية ما زود به كتابه المذكور من صور الالات الجراحية التي يحتاج اليها الجراح اثناء اجرائه العمليات الجراحية للمرضى . والكتاب يحوى العشرات من صور تلك الادوات الجراحية . "٢"

وقد اطنب المؤرخون والكتاب من قدماء ومحدثين في الثناء على الزهراوى — وعلى كتابه " التصريف لمن عجز عن التأليف " . فقال فيه ابن حزم الاندلسي (ولئن قلنا انه لم يؤلف في الطب اجمع منه ولا احسن للقول والعمل في الطبائع لنصدقن) "٣" .

واعتمد عليه الكثير من الاطباء في عصره وما بعده ونقل عنه المؤرخ النويرى عند حديثه عن الغوالي والندود وكيفية عملها . "٤"

---

١ — التصريف (مخطوط) ج ٧ ، ص ٥ .
٢ — انظر الملحق .
٣ — المقرى : النفح ، ج ٣ ، ص ١٧٥ (نقلا عن رسالة ابن حزم في فضل الاندلس) .
٤ — انظر نهاية الارب ج ١٢ ، ص ٥٢ و ص ١٢٤ .

واشار ابن ابي اصيبعه بذلك الكتاب ووصفه بالأهمية في ميدان الطب والقيمة العلمية العالية • "١"

ولم يخف الكتاب الغربيون اعجابهم بالزهراوى ومدى ما توصل اليه في ميدان الجراحة الطبية من تفوق باهر • وقد اشار بالنثيا الى ذلك بقوله (اما الجزء الثلاثون من كتاب الزهراوى الذى نشر في اللاتينية باسم الجراحة فقد كان اهم واذيع كتاب في تاريخ الطب كله • وقد ارتفع به الزهراوى في اعين الناس الى طبقة ابقراط وجالينوس) • "٢"

ولم يكن الاعجاب بالزهراوى ومكانته العلمية مقصورا على من تقدم بل وصف عند بعض الكتاب الغربيين بابي الطب • "٣"

واذا كان هذا الثناء على الزهراوى من الاوروبيين ، فان الاطباء العرب المحدثين لم يكونوا اقل احتفاء وتقديرا له من غيرهم ، فهو في نظرهم اول من نبغ في الجراحة ، بل هو كما يقول نجيب محفوظ " فخر الجراحة العربية " ، وهو ثالث الثلاثة النوابغ من الاطباء المسلمين وفخرهم ، وهم : الرازى وابن سيناء الزهراوى ، هؤلاء المباقرة الذين يرجع اليهم الفضل في نهضة الطب فى الشرق والغرب على حد سواء • "٤"

---

١ ـ عيون الانباء ، ص ٥٠١ •
٢ ـ تاريخ الفكر الاندلسي • ص ٤٦٦ •
٣ ـ ستانلي لين بول : العرب في اسبانيا ، ص ١٣٦ ـ ١٣٧ •
٤ ـ عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ، ص ٢٠٥ ـ محمد عوضين : صفحات من تراثنا الطبي : مقال بمجلة البحث العلمي ، العدد الاول ، ص ٢٠٩ ـ على عبد الله الدفاع : الزهراوى الرائد الاول للجراحه ، مجلة الفيصل ، العدد ٤٢ ، ص ٧٩ •

هذا قليل من كثير مما قاله العلماء عن الزهراوى وجهوده الموفقه في ميدان الطب . ونظرا لاهمية ما صنفه في ذلك فقد ترجم كتابه " التصريف " الى اللاتينية جيرارد الكريموني وسماه الساهارافاريوس ، وهو تحريف لاسم الزهراوى . وقد طبعت الترجمة اللاتينية له على مراحل . ففي عام ١٥١٩ م طبع منه جزء بعنوان " كتاب النظر والعمل " ، وكان قد سبق طبع جزء آخر وكثر استعماله منذ عام ١٤٧١ م وهو " كتاب الخادمين " ، وموضوعه تحضير الادويه المفرده . "١"

كما طبع الجزء الخاص بالجراحة سنة ١٤٩٧ م ، والجزء الخاص بامراض النساء سنة ١٥٦٦ م ونشرت له تراجم عديده الى اللغات الحديثه . "٢"

وهذا بلا شك فيه دلالة قاطعة على اهمية الكتاب وعظم نفعه للناس ، وادراكهم قيمته . وهذا ايضا ما دفع الاطباء في مدرستي سالرنو ومونبيليه وغيرهما من مدارس الطب في اوروبا الى جعل كتاب الزهراوى مقررا علميا يدرس في تلك المدارس ويعتمد عليه طلاب العلم في حياتهم الدراسية ، وهذا بلا شك قد ساعد على وضع اسس الجراحه في اوروبا . "٣"

---

١ — آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٤٦٦ — سيد حسين نصر : العلوم في الاسلام ، ص ١٥١ .

٢ — عبد الحليم منتصر : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ ، وانظر الموسوعة العربية الميسره حرف الزاى ، ص ٩٣٠ .

٣ — زيغريد هونكه : شمس العرب ، ص ٣٤٧ — غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٤٩٠ — أرنولد واخرون : تراث الاسلام ، ص ٤٧٤ — احمد الملا : اثر العلماء المسلمين في الحضارة الاوروبية ، ص ١٣٦ — ١٣٧ — قدري طوقان : العلوم عند العرب ، ص ١٥٥ — أ. سيديو : تاريخ العرب العام ، ص ٣٨٧ — الموسوعة العربية الميسره : حرف الزاى ص ٩٣٠ — عبد العزيز بنعبد الله : الفكر العلمي =

ومن روائع ابتكارات الزهراوى في ميدان الجراحة انه اهتدى الى طريقة علمية رائعة في سحق الحصاه في المثانه ، وقد عدت هذه الطريقة من اختراعات العصر الحاضر على غير حق . "١"

كما ان الزهراوى درس علاج تشويهات الفم والفك باستعماله عقافة "صنانيـر" في استئصال العينيه (البوليب او الاورام الليفيه في الاغشية المخاطيه) ، ونجح كذلك في عملية شق القصبه الهوائية واجرى هذه العملية على خادمه . ووفق في ايقاف النزيف في حالة اجراء العمليات بربط الشرايين الكبيره ميسرا بذلك دوره كجراح من جهة ومحافظا على سلامة مريضه من جهة اخرى ، وهو بلا شك فتح علمي كبير ادعى تحقيقه لاول مره الجراح الفرنسي الشهير امبرواز بارى عام ١٥٥٢م ، ولم يكن يعلم ان الزهراوى كان قد احرز ذلك السبق قبله بستة قرون . "٢"

= في المغرب الاقصى (مجلة الداره . السنه الرابعه . العدد الرابع ص ١٦٤ – ى ١٠ . شاهين : اثر العرب في الطب ، محاضرة القيت بجامعة اسكس ٤ نوفمبر ١٩٧١م – خالد ناجي : الزهراوى وعمليات الغدة الدرقية ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد السادس عشر ، ص ١٩٩ .

١ – غوستاف لوبون : المرجع السابق ، ص ٤٩٠ – احمد الملا : المرجع السابق ، ص ١٣٧ – محمد الحسيني : الحياة العلمية في الدولة الاسلامية ، ص ١٩٦ – عز الدين فراج وآخرون : الطب الاسلامي ، ص ٤٦ – عبد العزيز بنعبد الله ، المقال السابق ، ص ١٦٤ .

٢ – زيغريد هونكه : شمس العرب ، ص ٢٧٧ – ٢٧٨ – لوثروب استواد رد : حاضرة العالم الاسلامي ، ج ١ ، ص ١٣٥ – عز الدين فراج واخرون : الطب الاسلامي ، ص ٤٦ . – جون . س . بادو وآخرون : عبقرية الحضارة العربية ، ص ١٨٤ .

وكان لتمرس الزهراوى بالجراحة وعلاقته الطويلة بميدان العمليات الجراحية اثر في ازدياد معارفه وظهوره بالكثير من الاساليب العلمية الهامه التي انتهى اليها تفكيره بعد حياة مديده من الالتصاق بالجراحة والعمليات الجراحية • فمثلا كان الزهراوى يحرص تمام الحرص ان لا تؤثر العملية الجراحية على شكل الجسم خارجيا ويحاول قدر جهده ان يقلل مقدار الاثر الناجم عن ذلك • وكان يعمد الى طريقة التدريز المثمن (نسبة الى ثمانية) في جراحات البطن • ويوضح كيفية تخييط الجرح بابرتين وخيط واحد مثبت بهما ، وكان يلجأ في الكثير من الاحيان الى استخدام أمعاء القطط في تخييط بعض الجروح • "١"

ومن المؤلم ان تنسب الكثير من ابتكاراته العلمية في اجراء العمليات الجراحية الى غيره من الاطباء وخاصة الغربيين الذين كانوا ينهلون من كتابه التصريف ويأخذون عنه معارفهم في الجراحة • فان طريقته التي اتبعها اثناء اجرائه للعمليات الجراحية في النصف السفلي من الانسان • والتي اوصى فيها ان يرفع الحوض والارجل قبل كل شيء قد اخذها الاوربيون عنه ونسبت بغير حق الى الجراح الالماني فردريك ترند لنبورغ • "٢"

وتبدي زيغريد هونكه اعجابها العظيم بالجراح العربي وتذكر افضاله على الطب وجهوده الموفقه في ذلك ، فتقول : (ولكن من يذكر افضال الجراح العربي العظيم ؟ وعنه اخذنا طريقة ترك فتحة في رباط الجبس في الكسور المفتوحة ،

---

١ — زيغريد هونكه : المرجع السابق ، ص ٢٧٨ — ٢٧٩ •

٢ — زيغريد هونكه : المرجع السابق ، ص ٢٧٩ •

وامد الجراحين واطباء العيون والاسنان الاوروبيين بالآلات اللازمه للعمليات بواسطة الرسوم الجديده التي وضعها) . "١"

كما اهتم الزهراوى كثيرا بحياة مرضاه ومن يجرى لهم عمليات جراحية خطيره . وكان حريصا جدا في عمله لا يسلك طريقا في ذلك الا بعد دراسة وافية لحالة المريض واستعداده للعملية الجراحية . وقد ابتكر طريقة جديدة لايقاف النزف فكان اول من استعمل الكي بواسطة كاويات مصنوعه من الذهب الخالص وبانواع واحجام مختلفة "٢" . وكتابه التصريف يحوي الكثير من صور تلك الالات التي تثبت مهارته الفائقة في هـذا الميدان . "٣"

ولا زال الطب الحديث مدينا لابي القاسم الزهراوى بالشيء الكثير اذ — تعتبر طريقة ايقاف النزف بواسطة الكي من احدث الطرق المتبعه حتى عصرنا الحاضر . "٤"

واشار الزهراوى في معرض حديثه عن ظاهرة نزيف الدم الى استعداد بعض الاجسام للنزيف (هيموفيليا) ، فقد شاهد عدة حوادث نزيف في عائلة عالجهـا بالكـي . "٥"

---

١ — شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٢٧٩ .

٢ — الزهراوى : التصريف (مخطوط) ج ٧ ، ص ٢٧ .

٣ — انظر الملحق . لتقف على بعض انواع ادوات الكي التي كان يستعملها الزهراوى .

٤ — خالد ناجي : الزهراوى وعمليات الغدة الدرقية . مقال بمجلة المؤرخ العربي العدد السادس عشر ١٩٨١م ، ص ١٩٩ .

٥ — زيغريد هونكـه : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .

واظهر الزهراوى براعة عميقة في معالجة التهاب المفاصل واصابة فرزات الظهر بالسل ، ومع الأسف ينسب علاج تلك الامراض وتحديد اعراضها الى الانكليزى برسيفال بوت فيعرف بالدواء البوتي . "١"

بل ان الزهراوى اهتدى من خلال ابحاثه الطبية وتجاربه المثمرة في ميدان الجراحة ومن خلال تمرسه بالعمليات الجراحية وكشفه على مرضاه الى الاشاره الى مبدأ انتشار الاورام السرطانية ، وما يتعلق بذلك من سرطان الرحم وكيفية علاجه . "٢"

كما اهتم الزهراوى بعلاج الاسنان ووضع الكثير من الاساليب العلمية السليمه لمعالجتها وتنظيفها مما يلحق بها من تسوس ، وصنع لجراحة الاسنان الكثير من الادوات الجراحية التي تساعد على خلع الاضراس او الاسنان او تنظيفها ، وينصح الزهراوى بالعمل على معالجة الضرس الذى يسبب الالم لصاحبه وعدم قلعه بقدر الاستطاعه لانه لا يمكن تعويض فقده بمثله . كما يرشد الى الطريقة السليمة في قلع الضرس اذا اصر المريض على ذلك بواسطة مشرط يحل اللثه من كل جهة ثم يحرك الضرس حتى اذا تزعزع من مكانه قلع بالكلبتين . "٣"

---

١ — زيغريد هونكه : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .

٢ — انظر . التصريف لمن عجز عن التأليف . ج ٧ ، ص ١٥٨ .

٣ — الزهراوى : التصريف (مخطوط) ، ج ٧ ، ص ١١٥ — ١١٦ .

وفيما يتعلق بالاسنان وجراحة الفم فقد اشار الى عملية صنع " الكبـــارى " لتثبيت الاسنان الضعيفه ، بل انه اهتدى الى ما عليه اطباؤنا الآن من اســتعمال اداة كالملعقة لتخفيض اللسان عند الكشف على اللوزتين . "١"

وفي امراض النساء احدث الزهراوى تطوراً جديدا في ميدان الولاده . ففيما يختص بسقوط يدى وركبة الجنين او وضعه المسمى بوضع الارجل اى (تقدم الارجـل من باب الرحم على الرأس ، او الوضع الوجهي ، فالزهراوى يعتبر اول من عالـــج هذا الوضع ، واول من نصح بولادة الحوض "٢" وهي الولادة المسماه حديثـــا بأسم طبيب النساء الشتوتفرتي ، كما ينسب الى الزهراوى ابتكار مرآة خاصــــة للمهبل وألة لتوسيع باب الرحم . "٣"

هذه بعض الامثلة على مدى ما تمتع به الزهراوى من معرفة واسعة بالطـــب وبراعة تامه في ميدان الجراحة الطبية ومدى ما اسهم به من ابتكارات علمية في هـــذا المجـــال .

---

١ — جلال مظهر : حضارة الاسلام ، ص ٣٣٣ — عز الدين فراج واخرون : المرجع السابق ، ص ٤٧ — ى.أ. شاهين : اثـــــر العرب في الطب ، محاضرة وانظر تلك الاداة في الملحق .

٢ — انظر : التصريف لمن عجز عن التأليف ، ج ٧ ورقة ص ١٩٩ إلى ص ٢٠٢ . وانظر جون . س . بادو : عبقرية الحضارة العربية ص ١٨٤ .

٣ — زيغريد هونكـــه : المرجع السابق ، ص ٢٧٨ — عبد الحليم منتصـــر : المرجع السابق ، ال ص ٢٠٥ — ى.أ. شاهيـــن : اثر العرب في الطب (محاضرة) الموسوعة العربية الميسره ، حرف الزاى ، ص ٩٣٠ .

والحق اننا لو تتبعنا الزهراوى في سيرته العلمية وما قدمه في ميدان الطب وبخاصة الجراحة لاحتجنا الى وقت اكبر ولخرج الباحث في ذلك بكتاب مستقل عن الزهراوى وجهوده العلمية ، ولكن فيما اشرت اليه ما يكفي للدلالة على عظمة الزهراوى واثر ابحاثه العلمية في علم الطب فقد تقدمت الدراسات الطبية في عهده وازدهر الطب الجراحي واصبح علما مستقلا له قواعد واسس ، وحسبك شاهدا على رقي الجراحه العربية كلمات الازدراء التي قالها " لا نفرانك Lanfranc " في اواخر القرن الثالث عشر عن الجراحين الفرنسيين ، فبعد ان عاد من ايطاليا واطلع فيها على ترجمة تآليف ابي القاسم ورجع الى باريس قال عن جراحي باريس : انهم جهلاء ولا يكاد يوجد فيهم جراح واحد عالم بصنعته ، " ١ " .

وكان الزهراوى الى جانب تمكنه من الجراحة الطبية ماهرا في تحضير الادوية وتركيبها ، وقد اعتمد في هذا العلم على من سبقه من العلماء كديسقوريدس وجالينوس وعلى معاصريه من اهل بلده كابن جلجل ، وعلى اهل المشرق كالرازي وابن الجزار القيرواني ، وقد جانب علي عبد الله الدفاع الصواب عندما اشار الى اعتماده على الطبيب النباتي ابن البيطار "٢" ، فالمعروف ان ابن البيطار كان

---

١ — لوثروب استوادرد ة حاضر العالم الاسلامي ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

٢ — ابن البيطار : ضياء الدين محمد بن عبد الله بن احمد الاندلسي ، (٥٧٥ هـ / — ٦٤٦ هـ / ١١٧٩م — ١٢٤٨م) درس علم النبات على علماء الاندلس ووصف بانه اعظم نباتي العرب تجول في المشرق وترك لنا مصنفا في الادوية المفرده . (محمد الصادق : تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، ص ٢٢٢) .

من رجال القرن السابع الهجري : الثالث عشر الميلادي ، فمن اين للزهراوي اذا ان يعتمد على طبيب ونباتي عاش بعده بثلاثة قرون . "١"

وقد اثنى ابن ابي اصيبعه على جهود الزهراوي في حقل الصيدله وتركيب الادوية ، فيقول عنه (كان طبيبا فاضلا خبيرا بالادوية المفرده والمركبه ، جيد العلاج) "٢" .

وفي ندوة عن تاريخ العلوم عند العرب عقدت ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م بمعهد التراث العربي بحلب اشار احد العلماء المشتركين في هذه الندوة بان الزهراوي — اول من استعمل الفحم في ترويق شراب العسل البسيط ، وأنه اول من استعمل قوالب خاصة لصنع الاقراص الدوائية . "٣"

وقد تتلمذ على الزهراوي تلاميذ كثيرون اخذوا عنه معارفهم في الطب والجراحة ، وتلقوا على يديه الكثير من الخبرات العلمية نظريا وعمليا . وكان لهؤلاء التلاميذ اثر في بث علوم ومعارف استاذهم الزهراوي فأدت جهودهم في هذا الصدد الى اتساع رقعة النشاط العلمي في ميدان الطب في ذلك العصر وامتداده الى كثير من مدن الاندلس الاخرى . ولا ادل على ذلك من شهادة احد الكتاب الغربيين وهو الاستاذ كاميل في كتابه الطب العربي حيث قال (كانت الجراحة في الاندلس

---

١ — انظر : الزهراوي الرائد الاول للجراحة (مقال بمجلة الفيصل ، العدد ٤٢ سنة ١٤٠٠ هـ ، ص ٨١).

٢ — عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص ٥٠١ . وانظر/ [illegible] الحضارة العربية ص ١٨٤.

٣ — علي الدفاع : الزهراوي الرائد الاول للجراحه ، مجلة الفيصل . العدد ٤٢ سنة ١٤٠٠ هـ . ص ٨١ .

تتمتع بسمعة اعظم من سمعتها في باريس او لندن او ادنبره وذلك ان مارسي مهنة الجراحة في سرقسطة كانوا يمنحون طبيب جراح (Medico-Surgeon)، اما في اوروبا فكان لقبهم حلاق ـ جراح (Barber- Surgeon)، وظل هذا التقليد ساريا حتى القرن السادس عشر الميلادى) . "١"

وبرز الى جانب الزهراوي العديد من الاطباء ولكنهم لم يبلغوا الدرجة التي بلغها الزهراوى الذى كان يعد فريدا في ميدان الجراحة الطبيه ولم يكن له نظير في ذلك .

فمن اولئك الاطباء الطبيب عريب بن سعيد القرطبي "٢" وكان من الموالي من بيت يعرف ببني التركي ، وقد اتصف بالمعرفة الواسعة في العديد من العلوم كالطب والتاريخ والادب . ولكنه لمع في ميدان الطب واظهر تفوقا كبيرا في ذلك وكانت له تآليف في الطب منها كتاب في عيون الادويه وكتاب في خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولود . وكان معظما لدى الخلفاء جليل المنزلة عندهم فحظي بمقام كريم لدى الخليفة عبد الرحمن الناصر ثم ابنه الحكم المستنصر ثم الحاجب المنصور بن ابي عامر . "٣"

---

١ ــ محمد الصادق العفيفي : تطور الفكر العلمي ، ص ١٨١ .

٢ ــ ورد اسم ابيه في الكثير من الكتب " سعد " ولكنه ورد "سعيد " في كتابه المخطوط الذى سوف اتحدث عنه . كما ان المراكشي في الذيل اورده سعيد كما هو اعلاه .

٣ ــ المراكشي : الذيل والتكمله . السفر الخامس . القسم الاول . ص ١٤١ـ ١٤٢ ــ احمد هيكل : المرجع السابق . ص ١٩٢ ــ عمر كحاله : العلوم البحته ، ص ٤٦ ــ محمد عوضين : صفحات من تراثنا الطبي ، مجلة البحث العلمي ، العدد الاول ، ص ٢٠٥ .

ولعل شهرة عريب تعود الى مصنفه القيم " خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولود " الذى حفظ لنا الكثير مما كان يتمتع به عريب من معرفة واسعة بالطب وتضلع في ميدان هام منه ، وهو طب الاطفال .

وقد ألف عريب كتابه هذا في عصر الحكم المستنصر حيث يقول في مقدمة كتابه المذكور " وان أحق ما طرقت الهمم اليه واستعملت الافكار فيه بعد حقوق الله عز وجل واستيفاء حدود شكره طلب الزلفى الى الامام الاهدى الحكم المستنصر بالله امير المؤمنين ... ولما رأيت ان احظى الاعمال المقربه من حسن رأيه ايده الله واقرب الوسائل اليه وازكاهم لديه تأليف كتب العلم وجمع منثور الحكم ، وتجديد اثار الاوائل الذين سبقوا الى الفضيلة ، وفازوا بالرفعة ونهجوا سبيل الحكمة ، ومنحوا من بعدهم صنوف المنفعة تكلفنا كتابا يشتمل على اقاويل العلماء في ابتداء خلق الله تعالى الانسان الذى جعله اشرف المخلوقات وخيار اتم الالات ، وسخر له ما تحت اكناف السموات وكيف احكم تدبيره ، واتقن تصويره ، وانشأه وركب اعضاءه ، وجعله في درجة النمو الى ان بلغ به حد الانتهاء وغاية الكمال ثم حطه الى نقصان) . "١" *

---

١ — عريب بن سعيد : خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولود (مخطوط) ، ورقة ٨٥ ب و ٨٦ أ .

* — يلاحظ ان اول ورقة في المخطوط تحمل الرقم ٨٥ ب ، وهذا راجع الى ان المخطوط ضمن مجموعة من المخطوطات ، ولم يكن منفصلا على حده ، بل كانت صفحاته في ترقيمها تبعا لما سبقه من ترقيم للمخطوط الذى قبله .

وفي المقدمة اشارة الى جهود الخليفة الحكم المستنصر في دفع عجلـــــة الحركة العلمية وتشجيعه العلماء على البحث والتأليف ، وبهذا يتبين لنا مدى مـــا اسهم به ذلك الخليفة من جهود عظيمة في كل ميدان من ميادين المعرفة ومنها ميدان الطب .

ثم يتطرق عريب الى الحديث عن الجنين وتدبيره واسباب الولاده وما يتعلق بذلك من مسائل كأسباب الحمل ومستقر النطف ثم خلق الاجنه في الارحام ومواقيـــت تحريكها ووصف الوان العلاج لذلك . كما تطرق الى دلائل كون الجنين ذكـــــرا أو انثى مسلماً في ذلك بان الله عالم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام . "١"

وقد وضع عريب لكتابه المذكور فهرسا يحوى المواضيع الطبيه التي تناول ـ فيها خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولود وقسمه على ابواب كالاتي :ـ

الباب الاول : في الزرع الذى هو علة الحيوان واول خلق الانسان وما يتعلق بذلك .

الباب الثاني : في القضيب وما يتعلق به من قوة او ضعف وعلاج ذلك .

الباب الثالث : في الارحام ومواضعها والعلل المانعه للحمل ووصف علاجها .

الباب الرابع : وصف حال النطف وذكر ما يساعد على ذكورة الجنين من العلاجات .

الباب الخامس: في امتزاج زرع الوالدين ودلايل العلوق وخلق الجنين وما يتكون مـــن الاعضاء اولا وغير ذلك .

---

١ ـ عريب بن سـعيد : المخطوط السابق ، ورقة ٨٦ أ .

الباب السادس : في قدر الحمل وحدوده وعدد شهوره وايامه والمولودين لسبع اشهر او ثمانية وما فوق ذلك •

الباب السابع : في تدبير الحبالى وحفظ قواهن ووصف العلاج لحفظ صحتهن والحديث عن الاسقاط واسبابه وعلاجه •

الباب الثامن : في دلايل الوضع وتسهيل الولاده • وتدبير النفساء واستخراج المشيمه •

الباب التاسع : في تكوين اللبن وارضاع المولود واختيار الصبي وحفظ صحته وما يختار من الرضاع •

الباب العاشر: في اعمار المولودين وتنقلهم فيها ومراتبها ودرجاتها •

الباب الحادى عشر: في تدبير الطفل من قرب ولاده واول حدود سنه وما يعالج به من الامراض العارضه له •

الباب الثاني عشر : في تدبير الاطفال ووصف علاجهم بعد الاربعين يوما الى وقت نبات الاضراس •

الباب الثالث عشر: في تدبير الصبي من بعد نبات اضراسه الى وقت اثغاره وهو الجزء الثالث من سنه وابتداء كلامه ومشيه وفطامه وما يلحق به من الامراض وعلاجها •

الباب الرابع عشر : في تدبير الصبي من بعد اثغارهم الى وقت اشعارهم وقرب احتلامهم وعلاج ما يعرض لهم •

الباب الخامس عشر : في احتلام الغلمان وحيض الجوارى ومواقيت البلوغ وما يحدث من اختلاف عند ذلك في الحركات والصور وتحديد اهل الطب لسن الانسان من بدء حياته الى نهاية عمره • "١"

---

١ - عريب بن سعيد : خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولود (مخطوط) ، ورقة ٨٦ ب و ٨٧ أ •

ويتجلى لنا من عناوين الموضوعات السابقة ما ضمه ذلك الكتاب من معارف وخبرات طبية تنم عن علم واسع بالطب ودراية عميقة بطب النساء والاطفال ، وقد اظهر عريب نبوغا فيما يتعلق بكل ذلك . ومن روائع ما توصل اليه عريب ما ذكره في الباب الثالث من محاولات جيده في سبيل علاج المرأة العقيمة وما وصفه في سبيل ذلك من طرق العلاج ، وهي بلا شك مسألة طبيه صعبه ولا تزال احدى الابحاث الطبيه المطروحه في وقتنا هذا امام اطباء النساء .

كما يلاحظ ايضا في هذا الفهرس ترتيبه مسمى عمر الانسان من حمله الى بلوغ رشده ، فهو اولا جنين ثم مولود ثم طفل فصبي ، ولكل مرحلة من هذه المراحل علاجات ونصائح طبيه وارشادات قيمه ، والكتاب لا يخلو ايضا من نصائح طبيه ونفسية يراعى الالتزام بها في تربية الطفل لكي يكفل له اسباب السلامة النفسية والجسدية . وقد وصف هذا الكتاب بانه اهم ما كتب في طب الاطفال في اية لغة حتى القرن العاشر الميلادى . "١"

وكان يعاصر عريب من الاطباء الطبيب الذائع الصيت سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل ، وقد وصف بالبراعة في تركيب الادوية وتحضيرها (فكان طبيبا فاضلا خبيرا بالمعالجات ، حسن التصرف في صناعة الطب ، وكان في ايام هشام المؤيد بالله ، وخدمه بالطب ، وله بصيرة واعتناء بقوى الادوية المفرده) "٢" .

وعرف عن ابن جلجل عنايته بعلم الطب ودراسته منذ صغره حيث درس على ايدى اطباء عصره من اهل قرطبه فبلغ فيه درجة رفيعه اهلته لتدريس الطب وهو

---

١ — جون . س . بادو وآخرون : عبقرية الحضارة العربية ، ص ١٦١ .

٢ — ابن ابي اصيبعه : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص ٤٩٣ .

ابن اربع وعشرين سنه • "١"

وكان لاهتمامه بالطب وعكوفه على دراسته اثر في رسوخ قدراته العلمية في ذلك الميدان وخاصة فيما يتعلق بتركيب الادوية ومعرفة النباتات الطبية حتى قال عن نفسه (وكان لي في معرفة تصحيح هيولي الطب الذى هو اصل الادوية المركبه حرص شديد وبحث عظيم حتى وهبني الله من ذلك بفضله بقدر ما اطلع عليه من نيتي في احياء ما خفت يدرس وتذهب منفعته لابدان الناس فالله قد خلق الشفاء وبثه فيما انبتته الارض واستقر عليها من الحيوان المشاء والسابح في الماء والمنساب وما يكون تحت الارض في جوفها من المعدنيه كل ذلك فيه شفاء ورحمه ورفق)"٢"

وهكذا نلمس في سيرة ابن جلجل ودراسته للطب وبحثه في حقل الصيدله وتركيب الادوية مدى اخلاصه العميق لذلك العلم وحرصه البالغ على احياء ما اندرس منه فكان له بالفعل دراسات علمية قيمه لا يزال بعضها بين ايدينا •

وقد اثنى عليه القفطي ووصفه بالذكاء والنباهه وانه تفرد بصناعة الطب وان له ذكر في عصره ومصره • "٣"

ومن تصانيفه العلمية في حقل الصيدله وتركيب الادوية كتاب فسر فيه اسماء الادوية المفرده من كتاب ديسقوريدس ، وقد ألفه في سنة ٣٧٢ هـ/٩٨٢م

---

١ — ابن جلجل : طبقات الاطباء ، مقدمة المحقق فؤاد سيد (نقلا عن ابن الابار في التكمله) •

٢ — ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ص ٤٩٤ — ٤٩٥ •

٣ — تاريخ الحكماء ، ص ١٩٠ •

بقرطبه في عصر الخليفة هشام المؤيد بالله . كما انه لم يكتف بذلك بل اضاف شيئا جديدا في علم الادوية فصنف مقالة في ذكر الادوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك والى سبب اغفال ديسقوريدس لتلك الادوية عند الحديث عن كتاب ديسقوريدس ، "١"

وكانت لابن جلجل اراء وتوجيهات قيمة في ميدان الطب والعلاج فقد ألف رسالة في ذلك اسماها رسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين ، كما انه صنف كتابا في تراجم الاطباء والفلاسفه . "٢"

ويذكر فؤاد سيد ان الكتاب الاول ضاع ولم يصل الينا منه الا قطعة صغيره محفوظه في مكتبة مدريد ، اما المقالة التي ذكر فيها ما لم يذكره ديسقوريدس فقد اشار ان في مكتبة البودليان باكسفورد رسالة صغيره ضمن مجموعة عنوانها استدراك على كتاب الحشائش لديسقوريدس لابن جلجل ، ومن الجائز ان تكون هي ، وأما الرسالة التي ألفها في غلط المتطببين فقد ضاعت كما ذكر فؤاد سيد ان له مقالة في ادوية الترياق ومنها نسخة ضمن المجموعة السابقة بالبودليان . "٣"

---

١ — انظر ذلك في مقدمة الحديث عن ميدان الطب .

٢ — ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ص ٤٩٥ — البغدادى : هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٣٩٦ — السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٤ — ٢١٥ — عمر كحاله : العلوم البحته ، ص ٣٠١ .

٣ — ابن جلجل : المصدر السابق ، من مقدمة المحقق .

وفيما يتعلق بكتابه طبقات الاطباء فقد حفظ من الضياع واشار اليه القفطي بقوله (وله تصنيف صغير في تاريخ الحكماء لم يشف فيه غليلا ، وكيف وقد اورد من الكثير قليلا ومع هذا فقد كان حسن الايراد) "١"

ويتضح من مقدمة الكتاب ان ابن جلجل الفه لاحد الامراء من بني اميه حيث اشار الى ذلك ، فقد وصف هذا الامير بانه من نسل الخلفاء وان تصنيفه لذلك الكتاب يأتي تلبية لرغبته وعلى ما رسمه له ، "٢"

وقد نهج ابن جلجل طريق الاقتضاب والاختصار في تراجمه للاطباء والحكماء ، فطبقات الاطباء كتاب مختصر لم يحط فيه بالكثير من اعلام الطب والفلسفة ، وقد اشار الى ذلك بقوله (واقتصرنا على قليل من كثير لئلا يمله قاريه ، وليسهل على النفس حفظه ، والكلام اذا طال ثقل) "٣"

وفي ميدان طب العيون برع الاخوان احمد وعمر ابنا يونس الحراني وكانا يعيشان في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر . وفي سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤١م رحلا الى المشرق حيث طافا هناك مترددين بين حلقات العلم ومجالس الاطباء ومنهم ثابت بن سنان بن ثابت بن قره حيث درسا على يديه كتب جالينوس ، كما درسا طب العيون على ابن وصيف ثم انصرفا عائدين الى الاندلس فدخلاها في عصر الخليفه الحكم المستنصر سنة ٣٥١ هـ/ ٩٦٢م حيث انزلهما منزلا كريما ورفع مقامهما

---

١ — المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

٢ — طبقات الاطباء ، ص ٣ — ٤ .

٣ — نفس المصدر ، ص ١١٦ .

بين علماء بلاطه . "١"

وكان الاخوان احمد وعمر يجتهدان في رفع مكانتهما العلمية بين علماء عصرهم ، ويسعيان الى ارضاء ميول الخليفة الحكم المستنصر في ميدان العلم والبحث ولم يزل حالهما على هذه الصورة حتى لحق عمر مرض شديد توفي على اثره . وبقي اخوه احمد على منزلته العاليه لدى الحكم المستنصر حيث اسكنه في قصره بمدينة الزهراء ، ووصف احمد بالتمكن العميق في الطب والبراعة في طرق العلاج المختلفة فضلا عما عرف به من الورع وحسن السيره . "٢"

وكان لما تمتع به احمد من صفات العالم الماهر اثره الكبير في اعلاء منزلته لدى الحكم المستنصر ، فقد سمح له الحكم المستنصر أن يقيم خزانة طبيه بالقصر رتب فيها اثنى عشر صبيا طباخين للاشربه صانعين للمعجونات ، ونظرا لما جبل عليه من حسن الخلق فلم يكن يبخل بشيء من العلاج على المرضى من الفقهاء والمساكين الذين كانوا يترددون على هذه الخزانة الطبية حتى كان يستقبلهم ويكشف عليهم ويصف لهم العلاج الناجح . وكان لمهارته في طب العيون ان اشتهر بذلك وذاع صيته بين الناس . "٣"

ويتضح لنا من سيرة ذلك الطبيب خاصة الاثر الاخلاقي الحميد الذي كان يصبغ سيرته العلمية وما كان يتمتع به اطباء ذلك العصر عامة من اخلاق حميده وحسن

---

١ — ابن جلجل : طبقات الاطباء ، ص ١١٢ — ١١٣ — ابن الابار : التكملة ج ١ ، ص ١٥ — فرات فائق : الكحاله عند العرب ، ص ٣٦ .

٢ — ابن جلجل : نفس المصدر ، ص ١١٣ .

٣ — ابن جلجل : المصدر السابق ، ص ١١٣ — ابن ابي اصيبعه : عيون الانباء ، ص ٤٨٧ .

معاملة لمرضاهم ، مما كان له الاثر البالغ في نفسيات المرضى وفي الاسراع بشفائهم .

ولمع من الاطباء في تلك الفترة محمد بن عبدون الجبلي . وقد رحل ابن عبدون الى المشرق سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨م ، وفي البصرة التقى بالكثير من العلماء واخذ عنهم الكثير من المعارف ، وفي عودته الى وطنه عرج على مدينة الفسطاط بمصر وتولى ادارة بيمارستانها ، "١" .

وهذا بلا شك يعطينا دليلا واضحا على ما كان له من معرفة واسعة بالطب ، فان توليه لذلك المنصب لدليل على منزلته العلمية وعلوها بين اطباء العالم الاسلامي ، كما يثبت تفوق الشخصيه الاندلسيه .

وبعد عودة ابن عبدون الى الاندلس سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠م لقي من الخليفة الحكم المستنصر ما يناسب مقامه العلمي وحظي لديه ولدى ابنه هشام بمنزلة رفيعه وخدمهما بالطب . وقد وصف ابن عبدون بالبراعة في الطب وحسن العلاج . "٢"

كما اشتهر الطبيب ابو الحكم عمر بن عبد الرحمن الكرماني (ت ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٥م) الذى جمع في علمه بين الرياضيات والفلسفة والطب — بالمهارة في ميدان الجراحة الطبيه ، وكان له (نفوذ مشهور في الكي والقطع والشق والبط وغير ذلك من اعمال الصناعة الطبيه) "٣" .

---

١ — ابن جلجل : طبقات الاطباء ، ص ١١٥ .

٢ — ابن جلجل : نفس المصدر والصفحه — ابن ابي اصيبعه : عيون الانباء ، ص ٤٩٢ — ٤٩٣ — المقري : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ١٥١ — ١٥٢ .

٣ — صاعد : طبقات الامم ، ص ٩٤ — ٩٥ — ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ص ٤٨٤ — ٤٨٥ .

وبرز ابو بكر حامد بن سمجون في صناعة الادوية المفرده وافعالها ، وقد عرف بالتمكن في معرفتها وتقصى انواعها ، وله كتاب في ذلك وصف بالجوده والقيمه العلميه العالية . "١" وقد ألف ذلك الكتاب في عصر الحاجب المنصور الذى لم يكن عصره اقل مما سبقه في عصر الخليفه عبد الرحمن الناصر ثم ابنه الحكم المستنصر من ازدهار في المعرفة والعلوم . ولابن سمجون ايضا من كتب الطب كتاب الاقراباذين . "٢"

وممن لمع ايضا من اطباء عصر الخلافه سعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربه (ت ٣٤٢ هـ) الذى كانت له طرق مختلفه اختصربها في معالجته لبعض الامراض . ومنها طريقته في مداواة الحميات اذ كان يخلط بالمبردات شيئا من الحوار ، وقد وصفت طريقته تلك بالصواب والاتقان . "٣"

ومما يذكر عنه ان احد اصحابه وهو الفقيه سليمان بن ايوب مرض بالحمى وطال المه ، حتى اذا كان في احد الايام التقى والده بالطبيب سعيد بن عبد الرحمن فسأله عن علة ابنه ثم بعث اليه بعد ذلك بثماني عشرة حبه من حبوب مدوره وامره ان يشرب منها كل يوم شيئا معينا ، فما اكملها حتى زال مرضه وذهبت اوجاعه . "٤"

---

١ — ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ص ٥٠٠ .
٢ — ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ص ٥٠٠ .
٣ — ابن جلجل : المصدر السابق ، ص ١٠٤ — ١٠٥ — صاعد : المصدر السابق ، ص ١٠٤ — ١٠٥ .
٤ — ابن جلجل : المصدر السابق ، ص ١٠٤ — ١٠٥ .

ونلمس من خلال هذه القصة ما بلغه الطب آنذاك من ازدهار ومدى ما وصل اليه ميدان العلاج الطبي من تطور . فالعلاج المذكور اشبه ما يكون بما يتناوله المرضى في عصرنا هذا من الحبوب ، فالدواء كان على صورة حبوب في شكل مدور ثم ان تناولها كان على فترات معينه ، وبمقدار محدود ، ولو تصورنا البعد الزمني بيننا وبينهم لادركنا انهم فيما يخص الطب كانوا ذوى فضل عظيم في تطور هذا العلم وازدهاره وبلوغه هذا المستوى الذى ننعم به الان .

ومن الحق ان نقول في الختام انه برز في عصر الخلافة اعداد كبيره من الاطباء بذلوا جهودا مثمرة في ميدان الدراسات الطبيه ، وقد اكتفينا بأبرزهم واكثرهم تأثيرا في تطور الطب آنذاك .

وما من شك ان ما ذكرناه من جهود الاندلسيين في هذا الصدد كان شيئا يبعث على الاعجاب ، فما قدمه ابو القاسم الزهراوى من دراسات وابحاث قيمه في تطور الطب والجراحه ، وما قدمه غيره من الاطباء كعريب بن سعيد وابن جلجل ، وابنا يونس الحراني وغيرهم كان عملا عظيما لا ينساه العلم لهم ، ولا يزال الكثير من ابحاثهم ودراساتهم العلمية يستحوذ على اعجابنا ويشهد لهم بعلو كعبهم في ميدان الطب والصيدله ، ويكفي ان نختتم هذا الحديث عن اطباء الاندلس بما ذكره عنهم احد الكتاب الغربيين ، وهو روبرت بريفالت ، الذى يقول (كان الحكام المسيحيون يفوضون تعليم اولادهم الى الاساتذه العرب واذا اصيبوا بتوعك معي ذهبوا بأنفسهم الى قرطبه لاستشارة اشهر الاطباء فيها) . "١"

---

١ - اثر الثقافه الاسلامية في تكوين الانسانية ، ص ١٧٧ .

ب ـ الرياضيات والفلك :ـ

تأخر الاشتغال بالرياضيات والفلك وسبب ذلك ـ ازدهار الدراسات الرياضيه والفلكية في عصر الخلافه ـ الارتباط الوثيق بين الرياضيات والفلك آنذاك. مدرسة مسلمة المجريطي في الرياضيات والفلك وجهوده العلمية ـ ابن السمح الغرناطي ـ ابن الصفار ـ ابو مسلم بن خلدون ـ الكرماني ـ السري ـ احمد بن نصر ـ الاسقف بن زيد .

====

الرياضيات والفلك :

لم يكن لاسبانيا قبل فتح المسلمين لها نشاط يذكر في ميدان العلوم القديمه ومنها الرياضيات والفلك . فقد كانت في قديم الزمان خالية من تلك العلوم ولم يشتهر أحد من اهلها بالاشتغال باى منها واستمر ذلك الوضع حتى فتحها المسلمون (فتمادت على ذلك ايضا لا يعنى اهلها بشيء من العلوم الا بعلوم الشريعة وعلم اللغة الى ان توطد الملك لبني اميه بعد عهد اهلها بالفتنه فتحرك ذووا الهمم منهم لطلب العلوم وتنبهوا لاشارة الحقائق) . "١"

ولعل من عوامل تأخر الاشتغال بتلك العلوم ما ذكرناه عند الحديث عن الفلسفة من انشغال الاندلسيين بعلوم الدين ، وما كانوا يكنونه لبعض العلوم القديمه من كراهية وامتعاض مما ادى الى تأخير حركة الاشتغال بها ، وبخاصة الفلسفة والفلك والتنجيم .

وقد جانب آنخل بالنثيا الصواب عندما اشار في معرض حديثه عن الرياضيات الى ان الفقهاء كانوا يتشددون في الاشتغال بالرياضيات ولم يكونوا يبيحون الا الحساب في مسائل الميراث . "٢"

---

١ — صاعد : طبقات الامم ، ص ٨٣ — ٨٤ .

٢ — تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٤٤٧ .

وهذا بلا شك مخالف للحقيقة ، فالرياضيات لم تلق من التحريم والكراهية ما لقيته الفلسفة والفلك مثلا ، كما نعلم ان الرياضيات علم يكاد ابعد ما يكون عن مجال الانحراف العقائدى والمساس بعقيدة المشتغل بها . والرياضيات تتضمن الحساب والهندسة وهما علمان اشتغل بهما الاندلسيون واحتاجوا اليهما ، فالحساب احتاجوا اليه في ميدان الفرائض والضرائب وغيرهما من الميادين التي تستند في نشاطها الى الارقام الحسابية ، والهندسة احتاجوا اليها في ميدان البناء والعماره ، وعندما ازدهرت علوم الرياضيات اعتمد عليها الفلكيون في ممارسة نشاطهم وابحاثهم الفلكية ، وهو امر لم يتحقق الا في بداية القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى .

ويتضح لمن تتبع حركة الدراسات الرياضيه والفلكية ان تلك العلوم لم تزدهر وتتطور الا في عصر الخلافة ، وهو العصر الذى ازدهرت فيه الحركة العلمية بشكل عام ، ومن الطبيعي ان تشمل في ازدهارها علوم الرياضيات والفلك .

وما من شك في ان للتطور الحضارى اثر في اتساع آفاق الدارسين والاقلال من نظرة الكراهية لتلك العلوم ، فمن دلالات الوعي الحضارى وحرية الفكر اننا نجد علماء بارعين في الفلك والرياضيات ، وفي نفس الوقت كانوا مبرزين في علوم الدين حتى تولى بعضهم القضاء . ومن هؤلاء العلامة محمد بن احمد بن الليث (ت٤٠٥هـ/ ١٠١٤م) الذى وصف بالتمكن في الفلك والرياضيات ، وقد تقلد قضاء شربون من اعمال بلنسيه . ومثله مختار بن شهر الرعيني (ت ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣م) ، الذى تقلد القضاء وجمع الى علمه في الدين براعته في الهندسة والفلك . "١"

---

١ — صاعد : طبقات الامم ، ص ٩٦ — ٩٧ .

وكان للرحلات العلمية اثرها العظيم في ازدهار تلك العلوم • فكان الاندلسيون العائدون من المشرق يحملون معهم ما اكتسبوه من علوم ومعارف عن اخوانهم المشارقه فينشرونها في بلدهم وبين تلاميذهم • كما كان لوفود العلماء المشارقة الى الاندلس اثر بارز في نشاط تلك الدراسات وتطورها بما كان يحمله اولئك العلماء من الوان المعرفة وضروب التآليف العلمية •

واذا اضفنا الى ذلك كله موقف الخليفه الحكم المستنصر من العلوم وعنايته الكبرى بذلك الميدان العلمي الهام لا تضح لنا مدى ما وصلت اليه الدراسات الرياضية من رقي وازدهار ، فقد برع فيها الكثير من العلماء الذين اثروا ذلك الميدان بدراساتهم وابحاثهم القيمه •

كما ازدهر الفلك في عهد الحكم المستنصر ، فقد اولاه رعايته واحاطه بتشجيعه ، واستجلب من العراق ومصر اهم الكتب الاساسيه فيه قديمها وحديثها وقد ادى ذلك الى نبوغ الكثير من الفلكيين الذين تخصصوا في مراقبة حركات النجوم واستخدام الات المرصد واثبتوا نبوغهم وعبقريتهم في ذلك المجال بما قاموا به من تصحيح وتحسين الجداول الفلكية ، وتقويم نتائج من سبقهم • "١"

ونتيجة للارتباط الشديد بين الدراسات الرياضية والفلكية فسوف نلحظ ان العديد من العلماء بل اكثرهم قد جمعوا الى مهارتهم في الرياضيات براعتهم في الفلك • وهذا راجع بلا شك الى حاجة الفلكي الى الحساب والهندسة لمعرفة مواضع

---

١ — مياس بياكروزا : المؤلفات الاولى عن الاسطرلاب في اسبانيا العربيه ، مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، العدد الثالث ، ج ١ ، ص ١٩٢ •

الكواكب ، فالزيج وسيلة من الوسائل الهامه في الدراسات الفلكية ، وقد عرفه ابن خلدون بانه صناعة حسابية على قوانين عدديه فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما ادى اليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامه ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب في افلاكها . "١"

وبناء على ما تقدم فمن الصعوبة ان نفرق بين الفلكي والرياضي فكل منهما يعتمد في علمه على نصيب كبير من علم الآخر .

وبعد ان ازدهرت الدراسات الرياضية والفلكية اصبحت تدرس في الجوامع جنبا الى جنب مع العلوم الدينية والادبيه واللغوية ، فكانت قرطبه والكثير من مدن الاندلس تعج بالرياضيين والفلكيين الذين انصرفوا الى تدريس تلك العلوم في جوامعها وبثها بين طلبة العلم ، فقد كان احمد بن محمد الانصاري ضليعا في الرياضيات ماهرا في الفلك ، وكان يجلس لتعليم ذلك في جامع قرطبه في عصر الخليفة الحكم المستنصر ، وقد شهد له استاذه مسلمة المجريطي بالتفوق الكبير في الهندسة والعلوم الرياضيه . "٢"

والجدير بالذكر انه قد ظهر في قرطبه مدرسة علمية كبيره في الرياضيات والفلك كان لها اكبر الاثر في نشاط تلك العلوم وتخريج افواج كبيره من الرياضيين والفلكيين ، وهذه المدرسة العلمية هي مدرسة العلامة مسلمة بن احمد المجريطي

---

١ ـ القدمه : ص ٤٨٨ ـ ٤٨٩ .

٢ ـ صاعد : المصدر السابق ، ص ٩١ ـ ابن الآبار : التكمله ، ج ١ ، ص ١٤ .

(ت ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م) الذي (كان امام الرياضيين في الاندلس في وقته واعلم ممن كان قبله بعلم الافلاك ، وكانت له عناية بأرصاد الكواكب وشغف بفهم كتاب بطليموس المعروف بالمجسطي) "١" .

ويتجلى من خلال هذا النص النشاط العلمي الواسع الذى كان يتمتع به مسلمة ومدى تعمقه في علمي الرياضيات والفلك . وعنايته الكبيرة في رصد الكواكب وما يتصل بذلك من النشاط الفلكي بمناحيه المختلفة .

وقد ألف مسلمه كتابا في الرياضيات وبالذات فى علم العدد وهو المعروف لدى اهل الاندلس بالمعاملات . "٢"

وقد اثنى ابن خلدون على تفوق الاندلسيين في هذا الميدان حيث قال (ولأهل الصناعة الحسابية من اهل الاندلس تآليف فيها متعدده من اشهرها معاملات الزهراوى وابن السمح وابي مسلم بن خلدون من تلاميذ مسلمة المجريطي "٣" .

---

١ — صاعد : المصدر السابق ، ص ٦٢ — ابن ابي اصيبعه : عيون الانباء ، ص ٤٨٢ — ٤٨٣ . .

— يلاحظ ورود اسم مسلمة المجريطي في اكثر من علم . والسبب في ذلك ان هذا العلامه قد اتصف بالمعرفة الواسعة في اكثر من علم كعلمه في علم الرياضيات والفلك والكيمياء وعلم الحيوان والجغرافيا . وهي صفة اتصف بها الكثير من علماء المسلمين ، وكانت سمة من سمات الحياة العلمية عند المسلمين آنذاك .

٢ — تصريف الحساب في معاملات المدن في البياعات والمساحات والزكوات وسائر ما يعرض فيه العدد من المعاملات (ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٨٤) .

٣ — المقدمة : ص ٤٨٤ .

كان لمسلمة جهود موفقة في ميدان الدراسات الفلكية ، وكان لتضلعه في ذلك العلم اثر هام في نظرته العلمية الى دراسات من سبقه من العلماء في الفلك فقد ألف كتابا اختصر فيه تعديل الكواكب من زيج البتاني "١" ، كما اهتم بزيج العلامة المشرقي الرياضي محمد بن موسى الخوارزمي وترجم تاريخه الفارسي الى التاريخ العربي ووضع اوساط الكواكب فيه لاول تاريخ الهجره ، واضاف اليه من علمه جداول حسنه ويشير القاضي صاعد الى وقوع مسلمة رغم علمه الواسع في نفس الاخطاء التي وقع فيها الخوارزمي ، وانه قد نبه على ذلك في كتاب الفه في الفلك "٢" •

ومما يؤكد مكانة مسلمة العلمية وعظم تأثيره في ازدهار الفلك والرياضيات ما حظيت به مجالسه العلمية من الشهره وبعد الصيت حتى ازدحمت حلقات درسه باعداد هائلة من طلبة العلم ، فكان له تلاميذ نجباء اخذوا عنه العلم وقاموا بدورهم في بث تلك المعارف ونشرها في الاوساط العلمية في مختلف ارجاء الاندلس وسوف نشير الى اهم تلاميذه في خاتمة الحديث عنه •

---

١ ـ البتاني : هو جعفر بن سنان من اشهر علماء الرياضيات والفلك بين المسلمين كان حيا في القرن الثالث الهجرى : التاسع الميلادى •
(صاعد : طبقات الامم ، ص ٧٥) •

٢ ـ طبقات الامم : ص ٩٢ ـ ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ص ٤٨٢ ـ ٤٨٣ ـ عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ، ص ١٨١ ـ عمر فروخ : المرجع السابق ، ص ٥٨٨ ـ قدرى طوقان : تراث العرب العلمي ، ص ٢٥٧ •

وبالاضافة الى ما تقدم من جهود مسلمة العلمية تنسب اليه دراسات على تأليف عربي مفقود اصله اليوناني ، وقد ترجمه الى اللاتينيه هرمان الالماني وكذلك يوحنا الاسباني ، وموضوع الكتاب حول استخدام الاسطرلاب "١" المسطح "٢".

ويشير بياكروزا في معرض حديثه عن نشاط الاندلسيين في ميدان الدراسات الفلكية الى ما قام به مسلمة من دراسات علمية في ذلك بقوله (واذا كانت هذه المؤلفات من عمل مسلمه فانه يكون بذلك اول من ألف عن الاسطرلاب في الاندلس ولكن يحوط الشك بهذه النسبة لسببين : اولهما ان ابن سعيد الطليطلي وهو خير مرجع لهذه الدراسات لم يذكر عن مسلمة انه قام بعمل تأليف عن الاسطرلاب ، علاوة على عدم وجود اشارة كهذه في الكتب العربية الاخرى . والسبب الثاني : هو عدم وجود اصل عربي له ، اذ ان كل ما نعرفه هو اشارات في الترجمات اللاتينيه ويجب الا يغرب عن البال ان كثيرا من هذه الترجمات اللاتينية تخلط بين المؤلفين الاصليين للكتب . "٣"

والحق ان ما ادلى به بياكروزا لايخلو من الصحه الا ان ما ذكره ليس كافيا في القطع بانه لم يكن لمسلمة تأليف عن الاسطرلاب . ذلك ان صاعدا في كتابه طبقات الامم لم يحط بكل ما ألفه الاندلسيون في كل علم من العلوم القديمه

---

١ ـ الاسطرلاب . معناه مقياس النجوم وهو باليونانيه " اصطرلابون " واصطر هو النجم ولابون هو المرآه (الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ١٧٧) .

٢ ـ قدري طوقان : تراث العرب العلمي ، ص ٢٥٧ .

٣ ـ المؤلفات الاولى عن الاسطرلاب في اسبانيا العربيه . مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد . العدد الثالث ، ج ١ ، ص ١٩٢ ـ ١٩٣ .

وبذلك لا يكون كتابه حجة في كونه قد استقصى كل ما ألف في ذلك • فمثلا كان لمسلمة كتب اخرى لم يذكرها صاعد ككتاب " رتبة الحكيم " و " مفاخر الاحجار " و " غاية الحكيم " ، ولا يدفعنا عدم ذكر صاعد لهذه الكتب ان نشك في نسبتها الى مسلمة • كما ان السبب الآخر ليس قاطعا في ذلك المجال ، فان عدم وجود اصل عربي للكتاب لا يعني انه مستحيل كونه اصلا مؤلف عربي • فمن الجائز ان اصله العربي ضاع او فقد كما ضاع الكثير من كتب الاندلسيين الذين تعرضوا على مسار تاريخهم للكثير من ضروب الفتن والكوارث الى جانب ما نعرفه من تعصب النصارى ضد التراث الاسلامي واحراقهم اياه بعد كل نصر يحرزوه على المسلمين •

ومما يوضح هذا الامر ما ذكر عن الفلكي الاندلسي ابن الزرقاني الذى عاش في القرن الخامس الهجري : الحادى عشر الميلادي من ان له كتاب في الكواكب السياره وكيف انه ضاع اصله العربي ولا يوجد منه الا ترجمة عبريه • "١"

هذا بالاضافة الى ان آنخل بالنثيا اشار الى ان من بين مؤلفات مسلمة " رسالة في الاسطرلاب " "٢" ولا شك ان شهادة بالنثيا في هذا الميدان لها قيمتها وثقلها في مساندة من يذهب الى مشاركة مسلمة في التأليف العلمي حول الاسطرلاب •

وكان لمسلمة دور كبير في تعريب بعض الكتب اليونانية في الفلك ، فقد ترجم كتاب " قبة الفلك " Planis Phaerium لبطليموس • وقد

---

١ ـ آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٤٥١ ، ج رقم ٢ •

٢ ـ نفس المرجع ، ص ٤٤٨ •

نشرت ترجمته اللاتينيه في سويسرا سنة ١٥٣٦ م بعنوان :

Sphaetae atqua astroum coelestium
ratio, naturaetmotus

" اى سرعة افلاك السماء ونجومها وطبيعتها وحركتها " "١" ترجمة Rudolf of Burges
ومترجمها الى اللا تينية هو رودولف اوف برجس • "٢"

وكان لطول ارتباط مسلمة بالدراسات الفلكية واطلاعه على الكثير من اسرار هذا العلم ان دفعه ذلك الى تأليف كتاب اسماه " غاية الحكيم " الذى ضمنه الكثير من المعلومات الفلكية • ولكنه صبغ ذلك بصبغة تنافي حقائق هذا العلم اذ شاب كتابه المذكور الكثير من النصوص المتعلقة بالطلاسم والتماويذ • فهو القائل في مقدمة كتابه المذكور (اعلم ان الداعى الذى حركنى الى تأليف هذا الكتاب الذى سميته . ب (غاية الحكيم) "٣" وكان تأليفي لهذا الكتاب سنة ثلاثة وسبعين وثلاثمائة عند فراغي من تنقيح كتابي رتبة الحكيم واتممته في اربع وسبعين وثلاثمائة [illegible] الى تأليفه ما رأيت اكثر اهل زماننا يبحثون عنه من امور "٤" فنون انواع السحر وهم لا يعلمون ما يفعلون ولا في اي سبيل يقصدون • "٥"

---

١ ـ آنخل بالنثيا : المرجع السابق ، ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩ •

٢ ـ قدرى طوقان : تراث العرب العلمي ، ص ٢٥٧ •

٣ ـ في الاصل رتبة الحكيم والصحيح ما اثبتناه اذ ان حديثه عن كتاب غاية الحكيم وليس رتبة الحكيم ، وقد يكون ذلك الخلط عائدا الى الناسخ او غير ذلك •

٤ ـ في الاصل توجد كلمة غامضه ، والكلمة التى بين الحاصرتين تتمشي مع مفهوم النص وسياقة الكلام •

٥ ـ مسلمة المجريطي : غاية الحكيم (مخطوط) ورقة ١ أ •

ـ ترجم هذا الكتاب الى اللغة اللاتينية بامر من الملك الفونسو وذلك عام ١٢٥٢ م =

وقد قسم كتابه المذكور الى اربع مقالات يتضح من خلالها مدى ما كان يعتقده الاوائل في الكواكب وعمق تأثيرها في حياة الناس وارتباط ذلك التأثير بالوان من الشعوذه التي تنافي حقائق العلم وتعاليم الدين •

والكتاب رغم هذا يحوى الكثير من المعارف الهامه في الكيمياء والفلسفة والجغرافيا والطب والنبات وغير ذلك من المعلومات القيمة التي تلقي الضوء على نواحي من العلم والمعرفة تفيدنا في دراسة تلك العلوم وتوضيح نشاط الاندلسيين في ذلك •

ونسب اليه البغدادى في هدية العارفين تأليف كتاب " اخوان الصفا وخلان الوفا " والحق ان هذا الكتاب لم يكن من تأليفه بل كان من تأليف بعض علماء المشرق ، وقد نسب ادخال ذلك الكتاب الى العلامة الاندلسي الكرماني تلميذ مسلمة • ويذكر عبد الحليم منتصر انه من الجائز ان مسلمه وضع بحثا في ذلك في قالب مبسط خال من التعقيد • "١"

وكان لمكانة مسلمة العلمية وتفوقه في الفلك ان ذكره ابن حزم بقوله : (سمعت من اثق بعقله ودينه من اهل العلم ممن اتفق على رسوخه فيه يقول : انه لم يؤلف في الازياج مثل زيج مسلمة وزيج ابن السمح وهما من اهل بلدنا) "٢"

ولم يفارق مسلمة الدنيا حتى خلف من بعده تلاميذ نجباء حملوا الرسالة العلمية من بعده وكانوا مثالا نيرا لغيرهم من العلماء • "٣"

---

* — تاريخ وتحت عنوان Picatrix (على الدفاع : امام علماء المغرب في العلوم التطبيقية المجريطي — المجريطي : مقال نشر بمجلة الفيصل ، العدد ٥٦ ، صفر سنة ١٤٠٢ هـ) •

١ — تاريخ العلم ، ص ١٨١ •

٢ — المقرى : النفح ، ج ٣ ، ص ١٧٦ (نقلا عن رسالة ابن حزم في فضل الاندلس) •

٣ — صاعد : المصدر السابق ، ص ٩٢ •

ومن الصح تلاميذ مسلمه بل كبيرهم اصبغ بن محمد بن السمح المهرى — القرطبي (ت ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ م) ، وكان متضلعا في الرياضيات راسخا في علم الفلك بالاضافة الى مهارته الفائقة في ميدان الطب . "١"

وما من شك ان تلقيه العلم على يد مسلمة المجريطي وملازمته اياه قد عاد عليه بفائدة جليله ، ومعارف جمه بدت علاماتها واضحة في سيرته العلمية وفيما قدمه من جهود علميه تتمثل في تآليفه العلمية المتعلقة بالفلك والرياضيات والطب .

وكان للفتنة التي اجتاحت قرطبه بعد زوال النفوذ العامرى اثر في تبرمه لما اصاب تلك المدينه من كوارث ، مما اثر على نفسيته فخرج من قرطبه اثر ذلك واستقر بغرناطه حيث نزل ضيفا على اميرها حبوس بن ماكسن الصنهاجي الذى انزله منزلا كريما ورفع مكانته بين علماء بلاطه . "٢"

وفي هذا اشارة الى ما نجم عن الفتنة من تفرق العلماء في مختلف اقطار الاندلس وانتشارهم في مدنها المختلفة .

---

١ — صاعد : المصدر السابق ، ص ٩٣ — ابن الابار : التكمله ، ج ١ ، ص ٢٠٧ — ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ص ٤٨٣ — ٤٨٤ — ابن الخطيب : الاحاطه في اخبار غرناطه ، ج ١ ، ص ٤٢٨ — الصفدى : الوافي بالوفيات ، ج ٩ ، ص ٢٨٢ — المقرى : النفح ، ج ٣ ، ص ٣٧٥ — ابن قنفذ : الوفيات ، ص ٢٣٤ — عمر فروخ : المرجع السابق ، ص ٥٨٩ — عمر كحاله : العلوم البحته ، ص ١٨٨ .

٢ — ابن الابار : التكمله ، ج ١ ، ص ٢٠٧ .

واسهم ابن السمح الذى جمع في علمه بين الرياضيات والفلك والكيمياء في حركة التأليف العلمي ، فألف كتابا في الهندسة اسمه " المدخل الى الهندسة في تفسير كتاب اقليدس " "١" ، كما ألف كتابا اسمه " ثمار العدد " والمعروف بالمعاملات ، وكتاب " طبيعة العدد " ، بل كان لاهتمامه الكبير بالهندسة ان الف فيها كتابا كبيرا تقصى فيه اجزاءها من الخط المستقيم والقوس والمنحني ، اما فيما يتعلق بالدراسات الفلكية فقد صنف كتابين في آلة الاسطرلاب ، احدهما في التعريف بكيفية صنعتها على مقالتين . اما الآخر فمؤلف في كيفية العمل بهـا والتعريف بجوامع ثمارها ، وهو مقسم على مائة وثلاثين بابا . كما انه صنف زيجا وذلك على طريقة الهند المعروفه بالسند هند "٢" ، وهو كتاب كبير يقع في جزئين احدهما في الجداول ، والآخر في رسائل الجداول . "٣"

---

١ — هذا الكتاب مصنف في اصول الهندسة ، واقليدس من علماء الرياضه اليونان (الخوارزمي : المصدر السابق ، ص ١٥٧) .

٢ — ذكر القاضي صاعد في كيفية انتقال السند هند الى المسلمين نقلا عن احد العلماء انه قدم على الخليفة العباسي المنصور رجل من الهند عالم بالحساب والفلك وكان بحوزته كتاب في الفلك اسمه السند هند في حركات النجوم وما يتعلق بها من مسائل ويحوى اثنا عشر بابا ، فأمر المنصور بترجمة ذلك الكتاب والف عليه العلامه محمد بن ابراهيم الفزارى كتابا يسميه الفلكيون " بالسند هند الكبير " ثم اختصره الخوارزمي واضاف اليه الكثير من المسائل . انظـر: — طبقات الامم ، ص ٦٧ — عبد الله مبشـر : علم الفلك والنجـوم عند اهل الهند والسند (مقال بالمجلة العربية ، السنه الرابعه ، العدد ١١ ص ٥٨ .

٣ — صاعد : طبقات الامم ، ص ٩٣ — قبدرى طوقان : تراث العـرب العلمي في الرياضيات والفلك ، ص ٣٣٦ .

وقد اثنى ابن حزم الاندلسي على زيج ابن السمح وأنه لم يؤلف مثلـــه هو زيج استاذه مسلمة كما سبق ان اشرت •

ولم يكن ابن حزم هو الوحيد الذى اثنى على ابن السمح ، فقد وصـــف ابن الخطيب مؤلفاته بالحسن والجوده وانها عظيمه الفائدة ، كما اشار الى ان لـه مصنفا كبيرا في التاريخ ، وانه لمنزلته العلمية وعلو مقامه يعد من مفاخر الاندلس • "١"

وشارك ابن السمح في ازدهار حركة الدراسات الرياضية والفلكية صديقـه احمد بن عبد الله بن عمر القرطبي المعروف بابن الصفار (ت ٤٢٦ هـ/١٠٣٤م) الذى لم يكن باقل عطاء من ابن السمح ، فقد اسهم في نشر علمه وبث معارفـــه حتى اتخذ له موضعا في جامع قرطبه يلقي فيه دروسه ويعلم فيه التلاميذ • "٢"

وصنف ابن الصفار العديد من المصنفات من بينها تأليفه لزيج مختصـــر على مذهب السند هند ، كما ألف كتابا في العمل بالاسطرلاب موجز حسن العبـاره قريب المأخذ • "٣"

---

١ ـ الاحاطه ، ج ١ ، ص ٤٢٨ •

٢ ـ صاعد : المصدر السابق ، ص ٩٣ ـ ٩٤ ـ ابن بشكوال : الصلـة ج ١ ، ص ٤٢ ـ ابن ابي اصيبعه : المصدر السـابق : ص ٤٨٤ •

٣ ـ صاعد : المصدر السابق ، ص ٩٣ ـ ٩٤ ـ ابن ابي اصيبعه : ص ٤٨٤ ـ عمر كحاله : العلوم البحته ، ص ١٨٩ •

ومما يسر ان كتابه الاخير لا يزال محفوظا وموجودا بين ايدينا ، وهو كتاب صغير الحجم الا ان ما ضمه من معلومات حول العمل بالاسطرلاب تعد من اهم المعلومات واعظمها فائدة في هذا الميدان . ويشير مياس بياكروزا الذى ـ نشر ذلك المخطوط في مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد . "١" الى ان الكتاب ترجمه الى اللاتينيه بلاتو تيبر تينوس في الثلث الاول من القرن الثاني عشر الميلادى ، وان للكتاب ترجمه اخرى الى اللغة العبريه . "٢"

ولكن بعد اطلاعي على مخطوطة الكتاب ومقارنتها بما نشره بياكروزا لوحظ اختلاف كبير بين ما هو في المخطوط وما نشر ، ففي المخطوط الكثير من المواضيع التي لم ترد في النسخة المنشوره .

والمخطوط يقع في ١٨ لوحه ، وبعد البسمله والصلاة على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ذكر نسبة الرسالة الى ابن الصفار ثم يبدأ الحديث عن ـ الاسطرلاب والآته ومهمة كل منها ، ويظهر من اسلوب المؤلف ان الكتاب المذكور موجه لطلبة العلم والمشتغلين بالفلك في صورة توجيهات وارشادات فهو يصدر كل باب من رسالته بقوله " اذا اردت ـ مثلا ـ كذا وكذا فافعل كذا .. " ، وهو بهذا يرسم الطريقة العلمية الصحيحة للمشتغلين بالفلك ، وكيف يتبعون احسن

---

١ ـ ابن الصفار : العمل بالاسطرلاب ، العدد الثالث ، ج ١ ، ص ٤٧ ـ ٧٦ .

٢ ـ مياس بياكروزا : المؤلفات الاولى عن الاسطرلاب في اسبانيا العربيه ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، العدد الثالث ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

السبل في ممارسة نشاطهم العلمي • كما يتضح من دراسة ذلك المخطوط المهـــاره الفائقة والتطبيق العملي الذى كان يجريه ابن الصفار في محاولة منه للخروج بأينـــع الثمرات واهم النتائج •

ويوضح ابن الصفار في رسالته الكيفية العملية السليمة لمعرفة الاوقات وتحديد موضع الشمس من فلك البروج ومعرفة اوقات النهار وما يمر من ساعات وتعيين وقت الظهـــر والعصر ، بل انه يعين جزئيات ساعة واحدة من الليل والنهار ، ثم يتابع دراسته العملية في توضيح ارتفاع الشمس وكيف يتم ضبط ذلك ، وكيف تتم معرفة درجة الشـمس المجهولة من قبل ارتفاع نصف نهارها • ويستمر في توضيح الكثير من المعلومات المتعلقه بدرجات طلوع الشمس والتعريف بالكواكب الموضوعة في الشبكة الى معرفة وقت طلــــوع اول درجة من البروج ، ومع اى درجة يتوسط السماء اى كوكب ، لينتقل الى موضـــوع تعيين القبله في الليل والنهار • ويمضي المؤلف ليعين الطول وكيفية اخذه ويوضح معنى الطول بقوله (واعلم ان الطول هو ما بين نصف نهار بلدك ونصف نهار بلد آخـــر من دائرة معدل النهار) "١" • كما ينبه الى معرفة كيفية معرفة الظل من قبـــل ارتفاع الشمس ومعرفة ارتفاع الشمس من قبل الظل • ويسير المؤلف على هذا المنهـج حتى يصل الى كيفية معرفة موضع القمر من البروج ، ومواضع الكواكب السياره فيهـــا ، وفي باب آخر معرفة سعة المشارق • ثم يتطرق الى باب آخر في معرفة دخول الســـنين العجميه وشهورها فيقول (اذا اردت في اى يوم يدخل فيه ينير (يناير) مـــن اى عام اردت من اعوام تاريخ الهجرة فاعرف تلك السنه الداخله كم هي من تاريــــخ

---

١ ـ ابن الصفار : العمل بالاسطرلاب (مخطوط) ورقة ٧ ب •

مولد المسيح عليه السلام "١" ويختتم المؤلف كتابه بصورة فلكية دائرية موضحا عليها مواضع الشهور والفصول . "٢"

ومن العجب ان ابن الصفار يشترك مع ابن السمح في كثير من الحقائق ، فكلاهما تلميذ لمسلمة الجريطي ، وكلاهما برع في الفلك والرياضيات ، وكلاهما خرج من قرطبه بعد الفتنه فابن السمح خرج الى غرناطه ، وابن الصفار خرج الى دانيه "٣" ، وكلاهما توفي في سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م .

وكان لابن الصفار تلاميذ بارعين في الفلك والرياضيات . كما كان له اخ يسمى محمد وصف بالمهارة في علم الفلك ، واشتهر بصناعة الاسطرلاب وانه (لم يكن بالاندلس قبله اجمل صنعا لها منه) . "٤"

وبرز الى جانب من تقدم الكثير من الرياضيين والفلكيين ، ومنهم الحسن ابن علي الزهراوى . وكان الزهراوي بارعا في الرياضيات ماهرا في الفلك وله مصنف ممتاز في المعاملات على طريق البرهان ، وهو الكتاب المعروف بكتاب " الاركان " والزهراوى هذا من تلاميذ مسلمة المجريطي . "٥"

ومن تلاميذ مسلمة المجريطي ايضا العلامة ابو مسلم بن خلدون الذى سبقت الاشارة اليه في علم الفلسفة ، فبالاضافة الى مهارته في الفلسفة فقد كان بارعا في

---

١ ــ ابن الصفار : نفس المصدر . ورقة ١٧ أ .

٢ ــ هذه خلاصة موجزه واشارة سريعة لمحتويات ذلك المخطوط .

٣ ــ دانية مدينة بشرقي الاندلس (الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧٦) .

٤ ــ صاعد : المصدر السابق ، ص ٩٣ ــ ٩٤ ــ ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ص ٤٨٤ .

٥ ــ صاعد : المصدر السابق ، ص ٩٤ ــ ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ص ٤٨٤ .

الهندسة والفلك ، وكان جم النشاط في بث علومه ومعارفه حتى لازمه الكثير من طلاب العلم ، فكان له تلاميذ كثيرون اخذوا عنه العلم ونشروه عنه . "١"

وقد جانب عبد الحليم منتصر وقدرى طوقان الصواب "٢" عندما اشارا الى ان من تلاميذ مسلمة المجريطي ابن خلدون صاحب المقدمه ، فصاحبنا ابو مسلم بن خلدون كان يعيش في القرن الرابع الهجرى : العاشر الميلادى ، واما ابن خلدون صاحب المقدمة فقد كان يعيش في القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى . وتوفي في مصر سنة (٨٠٨ هـ / ١٤٠٢ م) ، فالفرق الزمني واضح جدا ، ولعل الذى اوقعهما في هذا اللبس توافق الاسم لاب كل من العالمين المذكورين فظنا ان ابن خلدون الرياضى هو صاحب المقدمة المشهور .

كما لمع ابو الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرماني في ميدان الفلك والهندسه ، وقد سبقت الاشارة اليه عند الحديث عن الفلسفة وانه نسب اليه ادخال رسائل اخوان الصفا الى الاندلس .

وكان الكرماني متضلعا بالاخص في ميدان الهندسه حتى قال عنه صاعد (اخبرني عنه تلميذه الحسين بن احمد بن الحسين بن يحي المهندس المنجم انه مالقي احدا يجاريه في علم الهندسه ، ولا يشق غباره في فك غامضها وتبيين مشكلها واستيفاء اجزائها) . "٣"

---

١ — المقرى : النفح ، ج ٣ ، ص ٣٧٦ .

٢ — الاول في كتابه تاريخ العلم ، ص ١٨٢ . والثاني في كتابه تراث العرب العلمي ، ص ٢٥٩ .

٣ — طبقات الامم ، ص ١١٢ — ١١٣ .

وكان للخليفة الحكم المستنصر اثر في ازدهار تلك الدراسات الرياضيه والترغيب في البحث في مواضيعها المختلفة . ويروى عنه — في هذا الصدد — انه كان يعظم العلامه عبد الله بن محمد المعروف بالسرى . وكان السرى بارعا في الهندسه والحساب ، وألف في ذلك كتابا مشهورا في البيع . وقد حظي السرى بمنزلة رفيعة لدى الحكم المستنصر الذى كان حريصا على تقريبه اليه للاستفادة من علمه ، غير ان السرى كان يفضل العزله والزهد لورعه . "١"

كما برز في عصر الخلافة من علماء الرياضيات احمد بن نصر الذى ألف كتابا في الهندسة في المساحة المجهوله ، وقد أثنى عليه ابن حزم وعده من مفاخر الاندلس في الرياضيات وان كتابه المذكور لم يؤلف مثله في معناه . "٢"

وكان لبعض اهل الذمه نشاط في هذا الميدان العلمي ، وممن برز منهم الاسقف القرطبي ابن زيد الذى نال مكانة رفيعة لدى الخليفة الحكم المستنصر وصنف له كتابا في الفلك اسمه (تفضيل الازمان ومصالح الابدان) ، وفيه ذكر منازل القمر وما يتعلق بذلك مما يستحسن مقصده وتقريبه "٣" ، وقد ترجمه الى

---

١ — صاعد : نفس المصدر ، ص ٩٠ — ٩١ — القفطي : اخبار الحكماء ص ٢٤٣ — ابن ابي اصيبعه : عيون الانباء ، ص ٤٨٤ — ٤٨٥ — المقرى : النفح ، ج ٣ ، ص ٣٧٦ — احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٧٠ .

٢ — الحميدى : الجذوه ، ص ١٤٨ (نقلا عن صديقه ابن حزم في رسالته عن فضل الاندلس) — المقرى : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٧٦ (نقلا عن رسالة ابن حزم في فضل الاندلس) .

٣ — المقرى : النفح ، ج ٣ ، ص ١٨٦ (نقلا عن تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم في فضل الاندلس) . —

Titus Burckhardt: Morrish Culture in Spain, P.56-

اللاتينية جيسرارد الكريموني ٠ "١"

وبناء على ما تقدم يتبين لنا مدى الازدهار الذى نالته تلك العلوم على ايدى الاندلسيين بما اضافوه الى ذلك الميدان من ضروب التآليف والوان التصانيف القيمه التي تشهد بعلو كعبهم في الرياضيات والفلك ٠

والحق ان هذا التطور العلمي البناء لم يكن ليتم الا في عصر الخلافه الـذى شهد نشاطا علميا شاملا بفضل ما اتاحه الخلفاء من اجواء علمية مناسبه ترعرعت فيها القدرات العلمية واثمرت ثمرات يانعه وخاصة فى عهد الخليفة الحكم المستنصر الـذى لم يدخر جهدا في دفع عجلة العلوم وتشجيع العلماء على البحث والتأليف ٠

===

---

١ ـ زيغريد هونكـه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٥٠١ ـ
عبد الكريم التواتـي : مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ، ص ٦٦١ ٠

" الكيميـــــــــــــاء "

ج ـ الكيميـــــاء :

=================

علم الكيمياء عند المسلمين وتطوره على ايديهم ـ دور الاندلسيين في ذلك وبداية اشتغالهم بالكيمياء قبل عصر الخلافه ـ ابرز علماء الكيمياء في عصر الخلافه ـ مسلمه بن احمد المجريطي ودراساته الكيميائيـه ـ عبد الله بن محمد السرى ـ عبد الله بن محمد الذهبي ـ محمـد ابن الحارث الخشني ـ اهمية الكيمياء في تحضير الادوية وعنايـة الاطباء بها كالطبيب خلف بن عباس الزهراوى وابن جلجـل .

===

قبل ان اتطرق الى الحديث عن جهود الاندلسيين في هذا العلم يجد ربنا ان نعرف معنى لفظ كيمياء • فالخوارزمي يذكر ان هذا الاسم عربيّ مشتق (من كمى يكمى اذا ستر واخفى ، ويقال : كمى الشهاده يكميها اذا كتمها ، والمحققون لهذه الصناعة يسمونها " الحكمه " على الاطلاق وبعضهم يسميها الصنعه) "١"

وقد ازدهر هذا العلم على ايدي المسلمين ازدهارا واسعا ، وكان من اوائل المشتغلين بهذا العلم من المسلمين خالد بن يزيد بن معاويه (ت ٨٥ هـ / ٧٠٤ م) ، ثم ما لبث الحال ان تطور على ايدي علماء اخرين يأتي في مقدمتهم العلامة البارع جابر بن حيان الذي يعتبر أبو الكيمياء العربيه والحديثه • "٢"

ويذكر محمد الصادق عفيفي نصا لاحد العلماء الاوروبيين وهو درابر فحواه (ان المسلمين هم الذين انشأوا في العلوم العملية : علم الكيمياء وكشفوا بعض اجزائها المهمه ومن اختراعاتهم ماء الفضه (حامض النتريك) وزيت الزاج (حامض الكبريتيك) وماء الذهب (حامض النيتروهيدروكلوريك ••) "٣" •

وبالاضافة الى ما تقدم فان فضل المسلمين على تطور الكيمياء وازدهار دراساتها المختلفة كان كبيرا جدا حتى دفع الغربيين الى اعتباره علما عربيا • "٤"

---

١ ـ مفاتيح العلوم ، ص ١٩٣ •
٢ ـ جلال مظهر : حضارة الاسلام ، ص ٢٧٢ •
٣ ـ تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، ص ١٥٩ •
٤ ـ قدري طوقان : العلوم عند العرب ، ص ٣٠ •

وما من شك انه كان للاندلسيين سهم وافر في هذا النشاط العلمي ،
فقد شاركوا في تطور هذا العلم بما اضافوه اليه من دراسات وابحاث علميه موفقه ،
فقبيل عصر الخلافه لمع اسم العلامة عباس بن فرناس في الرياضيات والفلك والكيمياء ،
وقد اشرت اليه في التمهيد . فمما ينسب اليه من جهود علمية في ميدان الكيمياء
اختراعه صنع الزجاج من الرمال والحجارة ، وكان لاكتشافه هذا اثر كبير في تطوير
صناعة الزجاج ، ونتيجة لاختراعاته المدهشة في الكيمياء والفلك ان دفع الفقهاء
الى التألب ضده واتهامه بالزندقة ، ولكنه رغم ذلك نجا من تآمرهم ضده ."1"

وفي عصر الخلافه شهد علم الكيمياء نشاطا طيبا حيث برع فيها العلامة
مسلمة بن احمد المجريطي (ت ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م) ، وكان لمسلمة شأن
كبير في ازدهار علم الكيمياء في الاندلس اذ انصرف الى دراسة الكثير من الظواهر
الكيماوية وابدى رأيه في نتائج ما اجراه من تجارب .
ومن مصنفاته في الكيمياء كتاب " رتبة الحكيم " الذى ضمنه خبراته وتجاربه
العلمية ، ففي مقدمة كتابه المذكور يقول : بعد الحمد لله والصلاة والسلام
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (اعلم ايها الحكيم الطالب للعلوم الالهيه
والاسرار الطبيعيه ان لكل امر سبب ، والذى دعاني الى تأليف هذا الكتاب
الذى وسمته بمدخل التعليم وسميته برتبة الحكيم انى رأيت اهل زماننا ينتحلون الحكمه
ويتعاطون الفلسفة وهم في بيد الحيرة تايهين . وفي غمرة الضلال خائضين ،
يقرون ما لا يفهمون ، ويطلبون مالا يعلمون) ."2"

---

١ — محمد عبد الله عنان : تراجم اسلاميه ، ص ٢٦٧ — ٢٦٩ .
٢ — رتبة الحكيم : (مخطوط) ورقة ١ أ .

ثم يذكر المجريطي ما عليه حكماء عصره من ادعاء للحكمه ، وهم ابعد ما يكونون عن ذلك ويوضح صفة الحكماء المخلصين بانهم الذين (ذللوا أنفسهم بالدخول في جملة العوام وشرحوا صدورهم للانام فهم الذين يسمون بالمقلا النبلا اذا ظهر عليهم رسم من رسوم الحكمه ستروه باصغر مله واقرب لمقول أهل زماننا فهم محمودون عند العامه ، ومفضلون عند الخاصة للزومهم الطريقة الوسطي التي هي خير الامور)"١" .

ويتبين مما ذكرت عن المجريطي في مقدمة كتابه المذكور عنايته بتوضيح صفات الحكيم الماهر من غيره من مدعي الحكمه ، والاسس الاخلاقية التي اذا انتفت عن المشتغل بالحكمه يكون قد عرى من صفة الحكيم .

ولكن ما يثير الشك في نسبة ذلك الكتاب لمسلمة المجريطي هو اشارة المؤلف في مقدمته الى انه ألفه ما بين سنتي (٤٣٩ هـ ـ ٤٤٤ هـ / ١٠٤٧ م ـ ١٠٥٢م) ، اذ يقول (وكتابنا هذا سميناه رتبة الحكيم اقتضيناه من تلك الرسائل الكثيره وبدءنا بجمعه في اول عام تسعة وثلاثين واربعمائة لتاريخ العرب واتممناه في عام ٤٤٤ هـ) . "٢" فكيف يصح هذا القول ونحن نعلم علم اليقين ان مسلمه بن احمد المجريطي توفي سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧م ؟ . ان هذا القول يجعلنا نتحفظ في نسبة ذلك الكتاب الى المجريطي ، ولكن من جهة اخرى لو تصفحنا كتابه الآخر " غاية الحكيم " لوقفنا على ما يدنينا من حقيقة الامر في نسبة كتاب رتبة الحكيم للمجريطي فهو يقول في مقدمة كتابه المخطوط " غاية الحكيم "

---

١ ـ رتبة الحكيم : (مخطوط) ورقة ١ ب .
٢ ـ نفس المصدر : ورقة ٣ أ ٣ ب .

ما نصه (وكان تأليفي لهذا الكتاب سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة عند فراغي من تنقيح كتابي رتبة الحكيم) . "١"

ولا شك ان هذا النص دليل قوى على ان كتاب رتبة الحكيم من تأليف مسلمة المجريطي وان تأليفه سابق على تأليف كتابه الثاني " غاية الحكيم " .

وبناء عليه فان تاريخ تأليف كتاب رتبة الحكيم الذى تضمنته مقدمته لا يستند الى شئ من الصحة لأنه متأخر على تاريخ وفاة المجريطي بأكثر من اربعين سنه . واذا سلمنا جدلا بصحة ما اورده في مقدمة كتابه " رتبة الحكيم " عن تاريخ تأليفه له ، اى فيما بين عام ٤٣٩ هـ وعام ٤٤٤ هـ فان هذا يجعلنا نشك في ان مخطوط كتاب " رتبة الحكيم " الذى ننقل عنه ليس للمجريطي ، ومن المحتمل ان يكون كتابا آخر لمؤلف آخر وان طابق اسمه اسم كتاب المجريطي . غير ان ذلك الافتراض يبدو صعبا اذ ان مخطوط كتاب " رتبة الحكيم " منسوب الى المجريطي باسمه الكامل . هذا ومن المحتمل أيضا ان يكون احد تلاميذ المجريطي هو الذى الف هذا الكتاب في الكيمياء واراد ان يمنحه جلال استاذه المجريطي ومنزلته العلمية فنسب اليه ذلك الكتاب مع احتفاظه هو بتاريخ تأليفه الحقيقي .

ولكن رغم هذه التساؤلات والافتراضات العديدة فان الراجح ان ذلك الكتاب من تأليف مسلمة المجريطي ، وهو امر اقره المؤرخون الثقات كابن خلدون والقلقشندى وحاجي خليفه وغيرهم .

ويذكر ابن خلدون في معرض حديثه عن ذلك الكتاب ان كلام المجريطي وغيره من العلماء في الكيمياء انما هو (الغاز يتعذر فهمها على من لم يعان اصطلاحاتهم

---

١ — غاية الحكيم : (مخطوط) ورقة ١ أ .

في ذلك) . "١"

ويمكن ان نرجع ذلك الى تعمد الكيماويون التستر على ابحاثهم العلمية بالتكتم والاخفاء في محاولة للحفاظ على سلامتهم من المعارضين لعلومهم هذه . فكلامهم لا يكاد يفهمه الا المشتغلون بتلك العلوم والعارفون بمصطلحاتها ، وبذلك كانوا يضمنون عدم الكشف عن . حقائق علمهم هذا ، وبخاصة اذا علمنا انه شاب تلك الدراسات الكيماوية بعض صور الشعوذة والخرافات كتحويل بعض المعادن الرخيصة الى ذهب . كما انه من الجائز ان يكونوا بطريقتهم تلك يستهدفون العلو بمكانتهم العلمية والحفاظ على اسرار صناعتهم . فان في افشائهم لاسرار ذلك العلم والكشف عن معارفهم في ذلك مدعاة الى بروز الكثير من العارفين بذلك ينافسونهم مكانتهم العلمية ويجردونهم من امتيازاتهم العلمية ، وقد اشار المجريطي الى ذلك بقوله (ان الكلام في ذلك تبيين وكشف لاسرار * هذه الصناعة فكان الذى يأخذ بأدنى كتاب من كتبهم فيقرأه فيجد العلم واضحا بينا فلا يكون لذلك فضل لعالم ** على جاهل فقطعوا القول صيانة منهم وصيانة عن العامه) . "٢"

وقد اشار القلقشندى الى كتاب " رتبة الحكيم " في حديثه عن الكيمياء ووصف ذلك الكتاب بانه من اهم ما كتبه المسلمون في ذلك العلم . "٣"

---

١ ــ المقدمه : ص ٥٠٤ .

* ــ في الاصل " وكشف الاسرار " والصحيح ما ورد في المتن .

** في الاصل " فضل العالم على جاهل " والصحيح ما ورد في المتن .

٢ ــ رتبة الحكيم (مخطوط) ورقة ١٢ أ .

٣ ــ صبح الاعشى ، ج ١ ، ص ٤٧٥ .

وينصح المجريطي كل مشتغل بالكيمياء ان يدرس العلوم الطبيعية ، والرياضية وان يقرأ كتب من تقدم من العلماء كأرسطاطاليس وسقراط وهرمس "١" وغيرهم ثم يعود يديه على العمل والتجربه والنظر العميق حتى تتجلي له حقيقة ذلك العلم مع معرفة ما ذكره العالمان المسلمان جابر بن حيان ومحمد بن زكريا الرازي في هذا الميدان العلمي ، كما يرشد الى وجوب معرفة المعادن وتركيبها وكيفيتها واوزانها ـ ، "٢"

والحق ان كتاب رتبة الحكيم بما حواه من معارف وخبرات علمية ليدل دلالة واضحة على ما تمتع به مسلمة المجريطي من براعة تامه في الكيمياء ومعرفة واسعة بمسائلها ليس في مجال الدراسة والنظر فحسب ، وانما ايضا في ميدان التجربه العملية .

ومن التجارب العلميه التي اجراها المجريطي ما ذكره في كتابه المذكور من انه اخذ ربع رطل من الزئبق الرجراج الخالي من الشوائب وجعله في انية زجاج ثم وضعها داخل اناء اخر ووضع ذلك على نار هادئه لمدة اربعين يوما ثم اخرج ذلك الاناء بعد تلك المدة ونظر في الزئبق فوجده قد تحول الى مسحوق احمر ، ثم وزنه بعد ذلك فلاحظ احتفاظه بوزنه الاصلي من غير زيادة ولا نقصان . "٣"

---

١ ـ للتعريف بهؤلاء الفلاسفة . انظر المبشر بن فاتك : مختار الحكم ومحاسن الكلم ، ص ١٧٨ وما بعدها ، ص ٨٢ ـ ومابعدها ، ص ٧ ومابعدها بالترتيب حسب ورود الاسماء اعلاه .

٢ ـ رتبة الحكيم (مخطوط) ورقة ٦ أ و ٦ ب و ١٧ أ و ٧ ب و ٨ أ .

٣ ـ رتبة الحكيم (مخطوط) ورقة ٣٨ أ ، ٣٨ ب .

ولا ريب ان المجريطي قد تنبه الى ناحية من اهم نواحي العمليات الكيمائية وهي ملاحظة ما يطرأ على اوزان المواد الكيمائيـــة التحليلية • ولو كان المجريطي قد قام بهذه التجربة في حيز محدود من الهواء مع مراعاة التحوط للامور التي اشيـر اليها لكان من المؤكد ان يخرج بالنتيجة التي حصل عليها الكيمائي لافوزيـه بعـده بستة قرون وكانت من اسباب شهرته العلمية • "١"

وهكذا نلحظ ما كان يتمتع به ذلك العلامة الاندلسي من تفوق علمي فـي اجراء التجارب العلمية • وهو بهذا يعتبر استاذ عالمي الكيميـاء بريستلي ولافوزيه ، وان تجربته السابقة تعتبر اساسا لما قام به هذان العالمان فيما بعد من دراسات وبحوث علمية في الكيمياء • "٢"

ويشتمل كتاب رتبة الحكيم على الكثير من الدراسات العلمية الهامه في ميدان الكيمياء، كظاهرة تنقية الذهب والفضه بما لا يبعد عن الوسائل الحديثه في ذلك من طرق تنقيه هذين الفلزين وبما لا يخرج في جوهره عما هو معروف في عصرنا عن طريقة فصل هذين الفلزين احدهما عن الاخر في سبائكهما بواسطة الحل بحامض الازوتيك • "٣"

كما ان المجريطي اشار الى المياه المعدنيه ومدى تأثرها في ذلك بما تحويه الارض من المعادن التى تكسو الاحجار والصخور • "٤"

---

١ ـ عمر كحاله : العلوم البحته ، ص ٢٦٠ •

٢ ـ محمد الحسيني : الحياة العلمية في الدولة الاسلامية ، ص ١٩٥ ـ علي عبد الله الدفاع : امام علماء المغرب في العلوم التطبيقيـة المجريطي ، مقال بمجلة الفيصل ، العدد ٥٦ ، صفـر سنة ١٤٠٢ هـ •

٣ ـ عمر كحـاله : العلوم البحته ، ص ٢٦٠ •

٤ ـ رتبة الحكيم • ورقـة ٤٠ ب •

ويحدثنا المجريطي عن كيفية تكون الزئبق ومدى تأثير الشمس في ذلك وكيف ان الماء الراكن في جوف الارض في اماكن معلومه اذا قابلته الشمس استحر ذلك الموضع وقل الماء لما اصابه من الحرارة وصار بخارا صاعدا حتى اذا انقطعت الحرارة بذهاب الشمس عاد ذلك الماء متقلبا في موضعه وقد تأثر بالحراره • فاذا عادت الشمس تكررت الحال على تلك الصوره حتى يقل الماء ويتحول ما بقي منه الى سائل غليظ • فلا تعود الحرارة تؤثر فيه لغلاظته حتى ييبس ليتحول في نهاية الامر الى زئبق • "١"

وبناء على ما تقدم فان المجريطي بجهوده المثمرة في علم الكيمياء قد اضاف الكثير من الخبرات والتجارب العلمية التي كان من شأنها ان دفعت عجلة الدراسات الكيمائية الى الامام •

ويظهر في مؤلفه " رتبة الحكيم " مدى تقدم علم الكيمياء بعد جابر بن حيان في فترة المائة والخمسين سنة التى تفصل بينهما • "٢"

وفي كتاب المجريطي الآخر " غاية الحكيم " معلومات هامه عن الكيمياء ، كحديثه عن خواص المعادن وتأثيرها وما ينجم عن المزج بينهما • فيقول في ذلك (واللازورد اذا جمع مع الذهب ازداد حسنا ••• والفضة اذا شييت برائحة الكبريت اسودت) "٣" ، والى غير ذلك من الدراسات العلمية والاشارات الهامه في ميدان الكيمياء •

---

١ — نفس المصدر السابق ، ورقه ٤٥ أ • ٤٥ ب •
٢ — محمد الحسيني : المرجع السابق ، ص ١٩٥ — قدرى طوقان : تراث العرب العلمي ، ص ٢٥٨ •
٣ — ورقة ٣١٣ أ •

ومن خلال ما تقدم نلمس مدى ما كان للتجربة العملية من اهمية في دراسات وابحاث المجريطي ، فقد كان يعتمد على التجربة العلمية في استخراج النتائج العلمية الصحيحة والتي كان للكثير منها اهمية بالغة في الكشف عن بعض حقائق هذا العلم . "١"

وبرز الكثير من تلاميذ المجريطي في علم الكيمياء واضافوا بجهودهم العلميه في هذا المجال مزيدا من العطاء . ويورد ابن خلدون رسالة لاحد تلاميذ المجريطي يتحدث فيها عن علم الكيمياء وقواعده وغاياته ، وتلك الرسالة يذكرها ابو بكر بن بشرون عن تلميذ المجريطي ابن السمح ، ويقول فيها (ان هذه الصناعة الكريمة قد ذكرها الاولون ، واقتص جميعها اهل الفلسفة من معرفة تكوين المعادن وتخلق الاحجار والجواهر وطباع البقاع والاماكن فمنعنا اشتهارها من ذكرها ، ولكن ابين لك من هذه الصنعه ما يحتاج اليه فتبدأ بمعرفته فقد قالوا ينبغي لطلاب هذا العلم ان يعلموا اولا ثلاث خصال اولها هل تكون ، والثانيه من اي تكون ، والثالثة من اي كيف تكون ، فاذا عرف هذه الثلاثة واحكمها فقد ظفر بمطلوبه وبلغ نهايته من هذا العلم ، واما البحث عن وجودها — والاستدلال عن تكونها فقد كفيناكه بما بعثنا به اليك من الاكسير) . "٢"

---

١ — للمجريطي تآليف كثيره غير ما ذكرناه ككتاب مفاخرة الاحجار ، وروضة الحدائق ورياض الخلائق ، وكتاب في الطبيعيات وتأثير النشأه والبيئه على الكائنات الحيه ، والرسالة الجامعه .
انظر (على الدفاع : امام علماء المغرب في العلوم التطبيقية المجريطي مقال بمجلة الفيصل ، العدد ٥٦ ، صفر سنة ١٤٠٢هـ)
وانظر ايضا الزركلي : الاعلام ، ج ٧ ، ص ٢٢٤ .

٢ — المقدمة : ص ٥٠٥ — وانظر بقية هذه الرسالة العلميه فيما يلي ذلك من الصفحات .

ويتضح من خلال هذه الرسالة ما اتصف به اولئك العلماء من علم واسع بهذا العلم ودراية به ، وكيف انهم كانوا يعتمدون على التجربه العمليه والملاحظه للوصول الى نتائج دراساتهم العلميه ، وتضم الرسالة الكثير من التجارب العلمية في دراسة المواد الكيماوية وتحليلها والوقوف على خواصها .

ويدلي ابن خلدون بعد تلك الرسالة برأيه في علم الكيمياء فيصفها بأنها ليست صناعة طبيعية اى من اجتهاد البشر انفسهم بل انها من جنس اثار النفوس الروحانية وتصرفها في عالم الطبيعه اما من نوع الكرامه ان كانت النفوس خيره او من نوع السحر ان كانت شريره . "١"

والحق ان صناعة الكيمياء لا تتعلق بشيء مما ذكره ابن خلدون الذى ادلى برأيه السابق تحت تأثير ما كانت تتصف به الكيمياء في بعض وجوهها بصور من الشعوذه والخرافه كتحويل المعادن الرخيصة الى معادن نفيسه . فعلم الكيمياء له قواعد وقوانين علمية مقننه تقوم على معرفة خواص السوائل وتحليلها وتأثير بعضها في بعض بالمزج وغيرها من العمليات الكيمائية والتي تقوم على الملاحظة والتجربه العملية بعيدا عن الصورة القديمه التي خلعها بعض الادعياء على هذا العلم الهام وصبغوه بصبغة تنافي حقيقة امره .

---

١ ــ المصدر السابق ، ص ٥١٣ .

والى جانب من ذكرنا من المشتغلين بالكيمياء برز آخرون تعرفنا عليهم من خلال تراجمهم وليس من خلال مؤلفاتهم وتصانيفهم في علم الكيمياء ٠ فمن هؤلاء العلامة عبد الله بن محمد المعروف بالسري الذي اشرنا اليه كأحد الرياضيين (وكان ينسب اليه العلم بصناعة الكيمياء ، وكان الحكم المستنصر بالله يعظمه ويؤثره ويروم الاستكثار منه فيقبضه عنه ورعه ويكفه عن مداخلته زهده)٠ "١"

كما ان عبد الله بن محمد الازدي المعروف بالذهبي (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م) كان مشتغلا بالكيمياء ، كثير الاهتمام بدراستها والبحث في ظواهر المواد الكيمائية ، ووصف بالاجتهاد والنشاط التام في ذلك ٠ "٢"

كما نسب الى الفقيه المؤرخ محمد بن الحارث بن اسد الخشني (ت ٣٦١ هـ / ٩٧١ م) الاشتغال بالكيمياء ، وقد وصف بانه كان (يعمل بالادهان ويتصرف في ضروب من الاعمال اللطيفه) ٠ "٣"

ولعل من دواعي الاهتمام بالكيمياء ارتباطها الوثيق بعلم الصيدله وتحضير الادوية وما يدخل في ذلك من عمليات التقطير واستخلاص السوائل من الاعشاب —

---

١ ـ صاعد : طبقات الامم ، ص ٩٠ ـ ٩١ ٠

٢ ـ ابن ابي اصيبعه : عيون الانباء ، ص ٤٩٧ ٠

٣ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١١٣ ٠

والنباتات والمزج بينها • كما ان الصيادله المسلمين عنوا بالكيمياء ورأوا ضرورة معرفتها لما لها من العلاقة الوطيده بما يقومون به من تجارب علميه ، ولا ادل على ذلك من ان الزهراوي صاحب كتاب " التصريف لمن عجز عن التأليف " قد افرد مقاله من مقالات كتابه المذكور في اصلاح الادوية وحرق الاحجار المعدنيه • ولا ريب ان اهتمامه بالاحجار المعدنيه ودراسته لها ومعرفته خواصها يقوده الى طرق باب الكيمياء ويؤكد حاجته الى معرفة قواعدها •

وقد اشار ابن جلجل الى اهمية ما تحويه الارض من نباتات وحيوانات وما بها من خواص الشفاء والدواء ، كما اشار الى ماتختزنه الارض من المعادن التي فيها شفاء ورحمه ، وهذا امر يؤكد حاجة الصيدلي في عمله الى معرفة الكيمياء وقوانينها ليتم له استخلاص العناصر الدوائية من المعادن •

وما من شك في ان ارتباط الكيمياء بالصيدله قد أدى الى ازدهار علم الكيمياء وتطوره ، ولهذا نلحظ بروز بعض الاطباء الذين جمعوا بين مهارتهم في الطب براعتهم في الكيمياء ، كابن الذهبي الازدي ، وابن السري وقد تقدم ذكرهما •

وبناء على ما تقدم فان علم الكيمياء قد شهد ازدهارا كبيرا وتطورا ملحوظا في عصر الخلافه ، وما ذاك الا عائد الى بروز بعض العلماء ممن اسهموا في تطور ذلك العلم وشاركوا في بناء كيانه •

والحق ان المجريطي بما اسداه من جهود علميه موفقه يعتبر فخر الاندلس في هذا العلم وفارسها الذى لا يبارى في ذلك الميدان ، وان كتابه رتبة الحكيم لجدير بالدراسة العلمية الدقيقة من قبل علماء الكيمياء في عصرنا

ليطلعوا على مدى ما كان لاولئك العلماء في الاندلس من فضل عظيم في ارســـــاء قواعد علم الكيمياء الحديث .

والجدير بالذكر انه لولا ما اصاب هذا العلم من ضروب التضييق والعنت والسعي في احراق كتبه ـ باعتبار ما دخل عليه من الشعوذه والخرافـــــات لوقفنا على تراث علمي كبير للاندلسيين في هذا الميدان ، ولتبين لنا حقيقة جهودهم العلمية ومدى أسهامهم الواسع في تقدم علم الكيمياء ، ولكن حسبنا ان ما اشـــرنا اليه فيه ما يقنعنا بمعظم ما قدموه في هذا المجال .

=====

وخلاصة القول ان العلوم التجريبيه من طب وصيدله وفلك ورياضيات وكيمياء قد لقيت من الاندلسيين كل اهتمام وعنايه •

ففي الطب اسدى علماء الاندلس من الاطباء جهودا واضحه في سبيل تطور هذا العلم وازدهاره • بل اننا لا نبالغ في القول اذا اشرنا الى ان الاندلسيين يحتفظون بحق تقدمهم على غيرهم في تطوير " الجراحة الطبية " ووضع اسسها وقواعدها ، وهو ما قام به فخر الجراحة الطبية خلف بن عباس الزهراوي •

ولم يكن الزهراوي يقف وحده في هذا الميدان بل وقف معه الكثير من علماء الاندلس الذين اثبتوا قدراتهم العلمية الواسعه وبرهنوا على انهم اهل للوقوف مع ابرز علماء الطب في تاريخه الطويل ، ومن هؤلاء ابن جلجل ، وعريب بن سعيد وابنا يونس الحراني وغيرهم كثير ، والحق ان ميدان الطب نال من الاندلسيين عناية فائقة حتى لا نغالي اذا قلنا انه هو العلم الذى منحه الاندلسيون نشاطا اكثر من العلوم التجريبيه الاخرى •

وفي ميدان الفلك والرياضيات قدم الاندلسيون روائع من انتاجهم العلمي وقد اشرنا الى الرابطة القوية بين علمي الفلك والرياضيات عند علماء الاندلس ، وتتمثل هذه الصفة بوضوح في السيرة العلمية للعلامة مسلمة المجريطي الذى يعتبر بجهوده ونشاطه العلمي مدرسة قائمة بذاتها كان لها اعظم الاثر في تطور تلك الدراسات العلميه • وقد ابدع الاندلسيون في تلك العلوم ، وان ما بقي من انتاجهم العلمي في الفلك والرياضيات لشاهد قوى على عمق عطائهم وعظم مشاركتهم في ازدهارها وتطورها •

وفي علم الكيمياء اكد الاندلسيون تفوقهم العلمي وقدرتهم الواسعه على الوصول الى نتائج علميه هامه في ذلك ، فكان لهم اسهام وافر في تطور الكيمياء

وان ما قدمه المجريطي في هذا الحقل العلمي الهام لدليل على مشاركة الاندلسيين الجادة في تقدم علم الكيمياء ، فجهود جابر بن حيان في المشرق قد قابلتها في الاندلس جهود مسلمة المجريطي الذى أضاف الكثير من الخبرات والمعارف لهذا العلم ، وكان بنشاطه العلمي في الكيمياء جدير بان يشار اليه بالبنان كأحد من تقوم على تجاربهم العلميه في الكيمياء الكثير من الدراسات العلميه الكيمائية في عصرنا الحالي .

=====

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

===

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ٠

اما بعد ٠

فهذه خاتمة البحث ، وقد تضمنت النتائج المنبثقه عن دراستنا لموضوع " الحياة العلمية في عصر الخلافة الامويه في الاندلس " ٠

ففي بداية البحث والذى كان عن الحياة العلمية في عصر الاماره نلحظ ان النشاط العلمي في تلك الفترة كان يدور بشكل مكثف حول علوم الدين باعتبارها العلوم المنبثقه عن عقيدة المسلمين الفاتحين ٠ فقد كان المسلمون آنذاك يسعون سعيا حثيثا نحو الاهتمام بالدراسات الدينيه بالاضافة الى عنايتهم البالغه بتوضيح تعاليم الدين الحنيف لاهل البلاد المفتوحه انطلاقا من حرصهم الشديد على نشر الاسلام ، وليتسنى لاهل البلاد الدخول في الاسلام وفهم تعاليمه فهما صحيحا ، وقد سبقت الاشارة الى ان الجيش الفاتح كان يضم اعدادا كبيره من العلماء وفي مقدمتهم احد الصحابة الكرام وهو المنيذر الافريقي وعددا من التابعين الاجلاء ٠

ولما كانت لغة الفاتحين هي اللغة العربية بالاضافة الى اهمية ارتباطها بعلوم الدين فقد لقيت اللغة العربيه وادابها عناية بالغه فأقبل الاندلسيون على دراسة اللغة العربيه والبحث فيما تتضمنه من نحو ولغه واداب ، واستطاعوا ان يقدموا الكثير من الدراسات الهامه المتعلقة بذلك ٠

وهكذا فان ميداني العلوم الدينيه واللغه العربيه وادابها يعتبران في مقدمة ما اولاه الاندلسيون اهتمامهم العلمي فكان لهم في تلك العلوم انتاج علمي نفيس ٠ ويكفي ان نشير في ميدان العلوم الدينيه الى زياد بن

عبد الرحمن اللخمي الذى نسب اليه ادخال موطأ مالك ، وقد نسب ذلك ايضا الى معاصره الغازى بن قيس والذى كان له جهد كبير في تطور علم القراءات . ومن اكبر علماء الدين في ذلك العصر العلامة بقي بن مخلد الذى وصف ابن حزم جهوده العلمية ومؤلفاته بانها قواعد للاسلام .

وفي ميدان اللغة العربية وآدابها لمع اسم محمد بن يحيى المعروف بـ (القلفاط) المتوفي سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤م ، والذى كان ينشر علومه في النحو واللغه وتلقي العلم على يديه الكثير من طلبة العلم . كما انه كان للفقيه عبد الملك بن حبيب جهد عظيم في رقي الدراسات اللغويه . ولا يفوت المطلع على الدراسات الادبيه آنذاك ان يذكر الاديب فرج بن سلام الذى نقل الكثير من كتب الجاحظ الى الاندلس والتي كان لها اثر عظيم في تعريف الاندلسيين بالانتاج الادبي المشرقي ، وبالتالي انطلاقهم في ميدان البحث والدراسه .

اما فيما يتصل بالعلوم الانسانيه والعلوم التجريبيه فان الاشتغال بها بصورة كبيرة لم يتم الا في العصر التالي لعصر الاماره وذلك بعد ان اتسعت دائرة البحث العلمي باتساع آفاق الاندلسيين في دراسة العلوم القديمه وتغيرت النظرة التي تميز بها الكثير من الفقهاء قبل عصر الخلافه والتي اتسمت بكراهية البحث في تلك العلوم .

والجدير بالذكر ان الاندلسيين استطاعوا ابان عصر الخلافه ان يطرقوا ابواب المعرفه المختلفه وان يثبتوا لغيرهم من المسلمين في الاقطار الاخرى انهم لا يقلون في عطائهم العلمي عنهم . ولا نقل ذلك من غير بينة فان من يطلع على الانتاج العلمي لاهل الاندلس سيقف على جلية الامر وصدق المقال .

ويتضح لمن يتتبع سير الحركة العلمية في ذلك العصر ان هناك مظاهر جلية

للنشاط العلمي تستحق من الباحث الوقوف عندها ودراستها بصورة وافية .

فمن تلك المظاهر عناية الخلفاء بالحركة العلمية ومدى ما بذلوه في ذلك من جهود في سبيل ازدهار الحياة العلميه ، ولا ريب ان الخليفه عبد الرحمن الناصر بما قام به من اقرار للحالة السياسية للبلاد ، واهتمامه بسيادة الامن والاطمئنان ربوع الاندلس قد هيأ الجو المناسب والمناخ الملائم لنمو الحركة العلمية وازدهارها فانصرف الناس في عهده الزاهر الى تحصيل العلوم والاداب وطرق ابواب المعرفة المختلفة ، فكانوا يجوبون مدن الاندلس وينتقلون بين اطرافها المختلفه في امن ويسر ، وهو امر بلا شك كان له اكبر الاثر في رقي العلوم والاداب ، بل ان عصر عبد الرحمن الناصر شهد وفود الكثير من طلبة العلم من اوروبا لينهلوا من معين العلم وليأخذوا عن الاندلسيين علومهم وآدابهم ، فكانت قرطبه في عهده درة مضيئه وموردا عذبا لكل متعطش للعلم والمعرفه .

وعندما تولى ابنه الحكم المستنصر الخلافه سعى وهو الخليفه العالم الى تشجيع العلماء وتيسير سبل التعليم لرعيته وكانت له في ذلك جهود مثمرة ، واصبحت الاندلس في عهده دار علم فلا يكاد ان يسمع عنها الا ما يمت الى العلم والمعرفة . وتمكنت الاندلس في عصره من الوصول الى مستوى الابداع فبرزت شخصيتها العلمية المتألقة القادرة على اثبات ذاتها في ميدان البحث والانتاج العلمي .

وخلف الحكم المستنصر ابنه هشام المؤيد ولكنه كان بعيدا عن زمام الامور لهيمنة الحاجب المنصور على شئون الدولة . ورغم انه المنصور سلك طريقا في الوصول الى سدة الامر لا يرضاه التاريخ الا انه مع ذلك استطاع ان يبلغ بالاندلس في عهده قمة القوة والعزه بينما عاش خصوم الاندلس من الممالك الاسبانيه النصرانيه منتهى الذل والانكسار ، وكان المنصور الى جانب تفوقه في ذلك كبير العناية بالعلوم والاداب وقد شهد ميدان الادب في عصره ازدهارا كبيرا وحفل عصره بأهل الادب والشعر

وازدادت التآليف الادبية بتشجيع منه ٠

وفي عصر الخلافه يقف المتتبع لسير الحركة العلمية على اهمية الرحلات العلمية التي كان يقوم بها اهل الاندلس الى المشرق ، وما نجم عن ذلك من تأثير علمي كبير كان له اعمق الاثر في ازدهار الحركة العلمية في الاندلس وفي تعريف الاندلسيين بمناهج البحث والدراسة التي سبقهم اليها اهل المشرق ٠ ثم مالبث الاندلسيون بعد ذلك ان نافسوا اخوانهم المشارقه في الميدان العلمي ، ولسنا في حاجة في هذا الموضع ان نسرد ما سبق التعريف به من امثلة دالة على ما كان يعتمل في نفوس الاندلسيين من محاولة الوقوف موقف الند مع اهل المشرق ، فقد كان للاندلسيين اثار علمية قيمه تبرهن على نضوج الشخصيه العلمية الاندلسية في عصر الخلافه ٠

وكان من دلائل النهضة العلمية آنذاك ظاهرة الاهتمام بالكتب وانشاء المكتبات في صورة قلما نجد لها نظيرا على وجه التقريب ٠ وقدم الباحث في هذا الميدان من الدلائل والشواهد ما يثبت ذلك وبخاصة في عهد الخليفه الحكم المستنصر الذي كان له جهوداً موفقه في جمع الكتب ، فقد جمع منها اعدادا هائله في مختلف فروع العلم كما كان شديد الحرص على اقتناء نفائس الكتب ونوادر التصانيف حتى وصفه احد الكتاب الغربيين بانه " دودة كتب " ٠ ورغم ما لحق مكتبته من مأساة في عهد الفتنه الا ان تفرق كتبها بين الاندلسيين وتناثرها بالتالي في مختلف انحاء البلاد كان له اثر ايجابي في توسيع دائرة الاهتمام بالكتب ، وفي رقي الحركة العلمية في اقطار الاندلس المختلفه ٠

والى جانب الخليفة الحكم المستنصر حفظ التاريخ اسماء الكثير من هواة جمع الكتب في الاندلس آنذاك ، وقد اورد الباحث الكثير منهم ، ومن الطبيعي ان يستتبع الاهتمام بالكتب نشاط حرفة الوراقه وما تشمله من تجارة الكتب ونسخها وتجليدها وهي حرفة لقيت من الاندلسيين كل عناية واهتمام ٠

وقد شهد عصر الخلافه نشاط حقل التعليم ، كما اثبت الاندلسيون آنذاك انهم شعب قارئ — اذا صح التعبير . فكان لاهتمام الخلفاء وفي مقدمتهم الخليفه الحكم المستنصر بالعلم والمعرفه اثر كبير في اقبال الناس على العلم وسعيهم الحثيث الى اكتساب المعرفة . ولعل من اعظم ما يحفظه التاريخ من جهود مشكوره للخليفه الحكم المستنصر فتحه العديد من المدارس لابناء الفقراء وتوفير التعليم لهم مجانا ، بل ان التاريخ يحدثنا انه اوقف حوانيت السراجين على تعليم اطفال المسلمين الفقراء ، وقد اشار الباحث الى ذلك عند الحديث عن التعليم .

وفيما يتعلق بالنشاط العلمي في العلوم والاداب فان الاندلسيين بنشاطهم العلمي الكبير قد تمكنوا من اغناء المكتبة الاسلاميه بالوان الانتاج العلمي النفيس والذى يبرهن بوضوح على نبوغهم العلمي وعلى ما كانوا يتمتعون به من قدرات علميه كبيره . ففي ميدان العلوم الدينيه نبغ الكثير منهم ممن لا تزال آثارهم العلميه تحوز على اعجاب المسلمين الى يومنا هذا ، ففي الفقه يلمع اسم الفقيه محمد بن يحيى بن عمر بن لبابه الذى صنف كتابا في الفقه على المذهب المالكي اسماه المنتخب ، وقد اثنى عليه ابن حزم وقال عنه ما رأيت لمالكي كتابا انبل منه . وبرز الى جانب ابن لبابه فقهاء كثيرون منهم يحيى بن عبد الله الليثي الذى كان مجلسه العلمي من اشهر المجالس في قرطبه . وبرع في الفقه الفقيه محمد بن عمر المعروف بابن الفخار الذى كان يفخر بانه استفتي في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، بالمدينه . ومن اشهر فقهاء الاندلس ابن عبد البر النمرى الذى كان يميل الى مذهب الشافعي وكانت له تآليف على المذهب المالكي ، والفقيه المشهور ابن حزم الذى نهج طريق الظاهريه في الفقه وكانت له تآليف عديده في الفقه والحديث وفي مختلف فروع العلم ، حتى عد من اكثر علماء الاسلام تصنيفا .

وفي ميدان الحديث لمع اسم المحدث محمد بن عبد الملك بن ايمن — وصديقه قاسم بن اصبغ اللذان يعتبران من اكبر المحدثين في عصر الخلافه وكان

لكل منهما تآليف في الحديث اخذت عنهما ولقيت كل ثناء وتقدير من علماء عصرهم واثنى عليهما ابن حزم واشاد بتصانيفهم • وقد كان لاسرة الباجي اثر عظيم في ازدهار الحديث وعلومه ، فقد انجبت تلك الاسرة العديد من العلماء المحدثين الذين حملوا رسالة العلم وعملوا على نشره بين الناس • كما برز غيرهم العديد من المحدثين في عصر الخلافه وقد اورد الباحث اعدادا كبيره منهم ولسنا في هذه الخاتمه بصدد اعادة ذكر اسمائهم وجهودهم العلميه •

وفي ميدان التفسير وعلوم القراءات قدم الاندلسيون نتائج علميه مثمرة • ففي القراءات برز العديد منهم وفي مقدمتهم احمد بن محمد الطلمنكي الذى صنف في القراءات كتبا كثيره ذات قيمة كبيره • وقد عاصره المقرئ المشهور ابو عمر عثمان بن سعيد الداني الذى لا يغفله اى دارس للنشاط العلمي لعلوم القرآن في الاندلس ، فله من التصانيف في ذلك مقدار كبير ينم عن علم واسع ومعرفة تامه بعلوم القرآن •

ومن علماء القراءات مكي بن ابي طالب ، وقد عرف بالمنزلة الرفيعه في علوم القرآن ، وكان له انتاج علمي نفيس يشهد له بالتبحر في تلك العلوم والدرايه التامه بها •

وفي ميدان التفسير اظهر العديد من علماء الاندلس نبوغا كبيرا ، ومنهم احمد بن بقي بن مخلد الذى ورث عن ابيه سعة العلم والبراعة في التفسير • كما انه كان لمكي الآنف الذكر تآليف في التفسير تدل على سعة علمه • وللعلامة محمد بن عبد الله المرى كتاب في تفسير القرآن الكريم ، وقد عرف عن المرى تضلعه في علوم القرآن •

اما فيما يتعلق بعلم الكلام فانه لم يجد في الاندلس ارضا خصبة نظرا

لموقف الاندلسيين منه وسعيهم الى تضييق الخناق على المشتغلين به ، ورغم ذلك فقد عرف عن بعض الاندلسيين الاشتغال به وقد اورد الباحث عددا منهم .

وفي ميدان الادب واللغه كان للاندلسيين انتاج ادبي رفيع ، ويأتي في مقدمتهم الاديب احمد بن عبد ربه الذى ترجع شهرته الواسعة الى كتابه القيم " العقد " .

كما ان اسماعيل بن القاسم المعروف بالقالي كان له جهود كبيرة في ازدهار الادب واللغه ، ومن اشهر تصانيفه الذائعة الصيت كتاب " الامالي " . ويأتي بعد القالي الاديب صاعد بن الحسن الربعي الذى صنف كتابا في الادب — واللغه اسماه " الفصوص " وهو من الكتب المفيده في ميدانه ، وفي الشعر برز العديد من شعراء الاندلس يأتي في مقدمتهم يوسف بن هارون الرمادى ، واحمد بن دراج القسطلي الذى قيل انه بالاندلس كالمتنبي بالمشرق .

وفي ميدان اللغه والنحو يلمع اسم اللغوى ابن القوطيه ، ومحمد بن الحسن الزبيدى ، ولكن اشهرهم في ذلك ابن سيده الاعمى الذى لا تزال بعض تآليفه محط اهتمام الباحثين ودارسي اللغه العربيه .

وفيما يتعلق بالعلوم الانسانيه اظهر الاندلسيون مهارة فائقه في التاريخ والجغرافيا ، والفلسفة . ففي الدراسات التاريخية نبغت اسرة الرازي وكان اشهرهم احمد بن محمد الرازى الذى كانت له جهود علمية كبيره في رقي هذه الدراسات وفي تطورها ، فقد نقل عنه الكثير من العلماء واشادوا به وبجهوده في ذلك ، ويأتي المؤرخ ابن حيان في مقدمة من انجبته الاندلس في ميدان التاريخ كما يقف موقف الند مع ابن الاثير المؤرخ المشرقي بما تميز به من اسلوب بديع في الكتابه التاريخيه وما تمتع به من قدرة على التحليل التاريخي للاحداث اضافة الى صدقه

وصراحته في ايراد المعلومات التاريخية ٠

وفي علم الجغرافيا يلمع اسم المؤرخ محمد الرازى الذى صنف كتابا في التاريخ والجغرافيا اسماه الرايات والذى يحوى الكثير من المعلومات الجغرافيه الهامه ٠ كما برز محمد بن يوسف الوراق في ميدان الجغرافيا ٠ فكانت له تآليف قيمه في ذلك وقد اعتمد عليها من اتى بعده من الجغرافيين كالبكرى ٠ كما برز الجغرافي احمد بن عمر بن انس العذرى الذى صنف الكثير من الكتب الجغرافية التى للأسف لم يصلنا منها الا اجزاء يسيره ٠ ويظهر من اسلوب العذرى فى الكتابه الجغرافيه مدى ما تمتع به من علم واسع ومعرفة كبيرة بعلم الجغرافيا ٠

كما اظهر بعض الاندلسيين مقدرة كبيره في دراسة الفلسفة ، ولكن نظرا لما عرف عن الاندلسيين من كراهية لهذا العلم فان حركة الاشتغال به كانت بطيئة ومتعثره ٠ ورغم ذلك فقد اظهر الفقيه ابن حزم الظاهرى قدرة مدهشة في بحث ودراسة الفلسفة ٠ وكان له جهد بارز في التعريف بنظرية المعرفه قبل الفيلسوف الالماني " كانط " الذى نسبت اليه هذه النظرية على غير حق ٠

وفيما يتصل بالعلوم التجريبيه استطاع الاندلسيون ان يخوضوا هذا الميدان وان يخرجوا بأروع النتائج العلمية في كل علم منها ٠ ففيما يتعلق بالرياضيات والفلك نبغ الكثير من العلماء ويأتي في مقدمتهم العالم الذائع الصيت مسلمة بن احمد المجريطي الذى وصف بالتمكن في الرياضيات والفلك وانه امام الرياضيين في الاندلس على جانب تضلعه في الكيمياء وعلم الحيوان والنبات وكان له في كل ذلك تصانيف قيمه وجهود رائعه ٠ وكان المجريطي بمثابة مدرسة تخرج منها الكثير من العلماء وفي مقدمتهم اصبغ بن السمح المهرى الذى اثنى عليه ابن حزم وذكر عنه انه ألف في الازياج زيجا لم يؤلف مثله ، والعلامة احمد بن عبد الله بن الصفار الذى نبغ في الرياضيات والفلك وكان يلقي دروسه في جامع قرطبه ٠ وفي ذلك دليل واضح على تغير النظرة القديمه نحو تلك العلوم اذ اصبحت تدرس وتبحث مسائلها في الجامع بقرطبه جنبا

الى جنب مع العلوم الاخرى • كما برز علماء اخرون في الرياضيات والفلك منهم ابـــو مسلم بن خلدون الذى اخذ عنه الكثير من العلماء علمه في تلك العلوم • وفي ميدان الهندسة اظهر عمرو بن عبد الرحمن الكرماني قدرات كبيره حتى وصف بانه لـــم يجاريه احد في معرفتها •

وفيما يتعلق بالطب فقد انجبت الاندلس اعدادا كبيره من الاطباء ويكفيهـــا فخرا. انه خرج منها نابغة الجراحه الطبيه وواضع اسسها الصحيحه ابو القاســـم خلف بن عباس الزهراوى الذى اثنى عليه الاطباء في عصره وما بعده حتى وصفـــه احد الكتاب الغربيين وهو ستانلي لين بول بقوله انه هو الجدير بلقب " ابـــي الطب " وان كتابه " التصريف لمن عجز عن التأليف " والذى لا يزال مخطوطا اعظم شاهد على نبوغه في الطب وبخاصة في ميدان الجراحه وانه بالتالي اعظـــم جراح في تاريخ الطب الاسلامي •

وقد ظهر الى جانب الزهراوى الكثير من الاطباء ومنهم سليمان بن حســـان " ابن جلجل " الذى كانت له جهود مشكوره في ازدهار الدراسات الطبيه وخاصة فيما يتعلق بتركيب الادويه ومعرفة النباتات الطبيه ولا تزال بعض تصانيفه محفوظـــه الى يومنا في بعض المكتبات الاسلامية • وممن عاش في ذلك العصر الطبيب عريب بن سعد الذى اظهر براعة في ميدان طب الاطفال بما صنفه في ذلك ، فقد ألـــف كتاب " خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولود " وفيه الكثير من الدراسات الطبيـــه القيمه التي تثبت ما كان عليه من دراية واسعة بالطب وتضلع في علومه وخاصة مايتصـــل بالاطفـــال •

وفيما يتعلق بالكيمياء كانت للاندلسيين جهود هم المثمرة ، وقد اظهـــر العلامة عباس بن فرناس من علماء عصر الاماره نبوغا في ذلك وكانت له تجارب هامـــه ولكن عصره اتسم بالنظرة المحدوده نحو ذلك العلم فكان لا يمارس نشاطه العلمي في

الكيمياء الا في الخفاء • وفي عصر الخلافه لمع اسم العلامه مسلمة المجريطي الذى صنف كتابا في ذلك اسماه رتبة الحكيم ضمنه الكثير من تجاربه العلميه التي تشهد له بطول الباع كما ضمن كتابه المذكور الكثير من الارشادات والتوجيهات لدارس الكيمياء • وفي كتابه الاخر غاية الحكيم الكثير من الدراسات المتعلقه بالكيمياء مما يثبت بلا شك ما كانت عليه حال الدراسات الكيميائية في ذلك العصر وانها نالت الكثير من الجهد ولقيت عناية واهتماما بالغين •

والى جانب مسلمة عرف عن العلامة عبد الله بن محمد السرى الاشتغال بالكيمياء ، وكان الخليفه الحكم المستنصر يقربه ويدني منزلته • كما وصف عبد الله بن محمد الذهبي بالبراعة في دراسة الكيمياء والبحث في مسائلها •

وما من شك ان المشتغلين بالطب وتركيب الادوية هم اكثر حاجة الى معرفة الكيمياء لصلتها الوثيقه بتركيب الادويه ، وهو ما نلمسه عند تصفحنا لكتاب الزهراوى " التصريف " فقد افرد مقالة في اصلاح الادوية وحرق الاحجار المعدنيه

وهكذا يتضح لنا مدى عناية الاندلسيين بالعلوم والاداب وما اولوها من اهتمام حتى تم لهم الوصول الى درجة كبيرة في تلك العلوم ، فكان لهم فيها انتاج علمي نفيس لا يزال بعضه بين ايدينا رغم ما اصاب الكتب الاندلسيه من كوارث الكثير منها كان متعمدا حتى قال احد الكتاب الغربيين وهو كونديه " Conde " ان الاسبان عندما استولوا على قرطبه احرقوا في يوم واحد نحو سبعين خزانة للكتب فيها ما يزيد عن مليون وخمسين الف مجلد (انظر : انور الرفاعي ، الانسان العربي والحضاره ، ص ٤١٦) • فضلا عما حدث بعد ذلك عند خروج المسلمين من الاندلس من احراق مئات الالاف من الكتب عند باب الرمله بغرناطه بأمر الكردنال تسنيروس الذى لم يكن له من دافع نحو ذلك سوى حقده على الاسلام والمسلمين والتراث الاسلامي •

والجدير بالذكر ان من شواهد النهضة العلمية في عصر الخلافة في الاندلس مدى التأثير العلمي للاندلسيين في اوروبا آنذاك • وان من يطلع على كتب الحضاره الاندلسيه ليقف بجلاء على عمق التأثير العلمي للاندلسيين في اوروبا ، فأحد الكتاب الغربيين وهو لويس يونغ يشير في كتابه العرب واوروبا ص ١٢٠ الى ذلك بقوله (شهد القرن العاشر انتقال العلوم العربيه بصورة مبكره الى اللورين مما جعلها مركزا ثقافيا هاما لمدة قرنين) • وفي ذلك اشارة هامه الى سرعة التأثير العلمي للاندلس في اوروبا وان ذلك لم يكن متأخرا بل كان في فترة مبكره •

واذا كانت قرطبه قد استقبلت آلاف العلماء وطلاب العلم من المسلمين فان التاريخ لم يغفل عن حفظ اسماء الكثير من الاوروبيين الذين ادهشتهم حضارة — الاندلس وما وصلت اليه من ازدهار علمي فأقبلوا ينهلون من معين علومها وآدابها المختلفة • وكانت الاندلس آنذاك • وخاصة عاصمتها قرطبه سوقا نافقه في العلم فجذبت الاوروبيين نحوها وهو امر اعترف به الكتاب الغربيون كزيغفريد هونكه ، وستانلي لين بول ، وروم لاندو ، ولويس يونغ ، وغوستاف لوبون • ففي كتابه العرب واوروبا (ص ١٢٥) يشير يونغ الى ان العلامة المسيحي جربرت Gerbert — الذي اصبح فيما بعد سنة (٣٩٠ هـ / ٩٩٩م) البابا سلفستر الثاني — قد عاصر النهضة العلمية في الاندلس وانه سافر بين عامي ٩٦٧م و ٩٧٠م الى هنالك حيث درس العلوم على ايدي علماء الاندلس فبرع في الرياضيات وألف فيها حين عودته كتابا شرح فيه استخدام الارقام العربيه • الا ان الاوروبيين لم يطمئنوا الى سيرته لاحتكاكه بالمسلمين ونسجوا حوله الاساطير المختلفه •

ويشير ما هو حماده في كتابه المكتبات في الاسلام ص ٢١٢ الى ان — الامبراطور اوتو الكبير ارسل بعثة سياسيه الى الخليفه عبد الرحمن الناصر سنة (٣٤٢هـ/ ٩٥٣م) وكان على رأسها شخص يسمى جان غورتز اللوريني وحدث ان شد انتباهه

الازدهار العلمي الذى كان سائدا الاندلس آنذاك فمكث في قرطبه ثلاث سنوات تعلم فيها اللغة العربيه وفي عودته الى المانيا سنة (٣٤٥ هـ / ٩٥٦م) حمله معه كمية كبيره من الكتب ، ويظهر ان اكثرها كان في العلوم التطبيقيه وخاصة الرياضيات ويدل على ذلك الازدهار الكبير في دراسة تلك العلوم في القرن التالي (الحادي عشر) في مدارس مقاطعة اللورين •

وعليه فان ما ذكرناه من الامثلة على ظاهرة التأثير العلمي للاندلس في اوروبا انما هو شيء قليل من كثير • وهو بلاشك برهان ساطع على ما كانت تتمتع به الاندلس من حضارة زاهره وتقدم فكرى عظيم •

واذا كان عصر ملوك الطوائف يفخر بما حواه من نشاط علمي كبير فان الكثير من الفضل في ذلك يعود الى عصر الخلافه • فكما هو معلوم ان قرطبه آنذاك كانت تمثل حاضرة الخلافه وانها بذلك قد استقطبت العلماء من شتى بلاد الاندلس بل ومن خارجها فقد كانت مزدانه بنهضتها الحضاريه وتألقها العلمي حتى اصبح العلم سمة من سماتها الحضاريه ومعلما واضحا من معالمها • وبعد زوال الخلافه الامويه وحدوث الفتنه في قرطبه خرج منها الاف العلماء الى غيرها من المدن الاندلسيه الاخرى التي تتوفر فيها مظاهر الاستقرار والامن الذى يكفل لهم الانصراف التام نحو البحث والتحصيل العلمي ، وهو ما وجدوه في رحاب ملوك الطوائف الذين رحبوا بمقدمهم واخذوا في تشجيعهم واغداق الصلات عليهم مقابل ما يبذلونه من جهود علميه •

هذا بالاضافة الى ما ترتب على حصول الفتنة في قرطبه من تفرق الكتب العلميه وانتشارها في كافة اقطار الاندلس وخاصة بعد تفرق محتويات مكتبة الحكم المستنصر وما نجم عن ذلك من توسيع دائرة الاهتمام العلمي بالكتب في مختلف انحاء الاندلس

بعد ان كان النشاط العلمي مركزا في قرطبه عاصمة الخلافه .

وبناء عليه فان عصر الخلافه كان يمثل بحق عصر العلم الذى كان له بلاريب اثر كبير فيما تلاه من نشاط وازدهار كبير في عصر ملوك الطوائف .

واخيرا فان ما قدمه الاندلسيون في عصر الخلافه يعد بصدق صفحة مشرقة من صفحات التاريخ والحضارة الاسلامية تبرز قيمتها فيما اسدوه للانسانيه من ثمرات الفكر العلمي التي لا تزال اثارها واضحة المعالم بينة الاثار في حضارة اليوم وتشهد للمسلمين بعظيم الفضل وروعة العطاء في تقدم الحضارة الانسانية .

=======

الملاحق

ملحق رقم (١)

رسالة ابن حزم في فضل الاندلس "١"

قلت : وقد رأيت ان اذكر رسالة ابي محمد ابن حزم الحافظ التى ذكر فيها بعض فضائل علماء الاندلس ، لاشتمالها على ما نحن بصدده . وذلك انه كتب ابو علي الحسن بن محمد بن احمد بن الربيب القيرواني ، الى ابي المغيره عبد الوهاب بن احمد بن عبد الرحمن بن حزم يذكر تقصير اهل الاندلس في تخليد اخبار علمائهم ومآثر فضائلهم وسير ملوكهم ، ما صورته :

كتبت يا سيدى ، واجل عددى . كتب الله تعالى لك السعاده ، وادام لك العز والسياده سائلا مسترشدا ، وباحثا مستخبرا ، وذلك اني فكرت في بلادكم اذ كانت قرارة كل فضل ، ومنهل كل خير ، ومقصد كل طرفه ، ومورد كل تحفه ، وغاية آمال الراغبين ، ونهاية اماني الطالبين ، ان بارت تجارة فاليها تجلب ، وان كسدت بضاعة ففيها تنفق ، مع كثرة علمائها ووفور ادبائها وجلالة ملوكها ، ومحبتهم في العلم واهله ، يعظمون من عظمه علمه ، ويرفعون من رفعه ادبه ، وكذلك سيرتهم في رجال الحرب ، يقدمون من قدمته شجاعته ، وعظمت في الحروب نكايته ، فشجع الجبان ، واقدم الهيبان ، ونبه الخامل ، وعلم الجاهل ، ونطق العيي ، وشعر البكي ، واستنسر البغاث ، وتثعبن الحفاث ، فتنافس الناس في العلوم ، وكثر الحذاق في جميع الفنون ، ثم هم مع ذلك على غاية التقصير ونهاية التفريط ، من اجل ان علماء الامصار دونوا فضائل امصارهم ، وخلدوا في الكتب مآثر بلدانهم ، واخبار الملوك والامراء ، والكتاب والوزراء ، والقضاة والعلماء ، فأبقوا لهم ذكرا في الغابرين يتجدد على مر

---

١ ـ المقرى : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٥٦ ـ ١٧٩ .

الليالي والايام ، ولسان صدق في الاخرين يتأكد مع تصرف الاعوام ؛ وعلماؤكم مع استظهارهم على العلوم كل امرئ منهم قائم في ظله لا يبرح ، وراتب على كعبه لا يتزحزح ، يخاف ان صنف ان يعنف ، وان ألف ان يخالف ، ولا يؤالف ، أو يخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق ، لم يتعب احد منهم نفسا في جمع فضائل اهل بلده ، ولم يستعمل خاطره في مفاخر ملوكه ، ولا بل قلما بمناقب كتابه ووزرائه ، ولا سود قرطاسا بمحاسن قضاته وعلمائه ، على انه لو اطلق ما عقل الاغفال من لسانه ، وبسط ما قبض الاهمال من بيانه ، لوجد للقول مساغا ، ولم تضق عليه المسالك ، ولم تخرج به المذاهب ولا اشتبهت عليه المصادر والموارد ، ولكن هم احدهم ان يطلب شأو من تقدمه من العلماء ليحوز السبق ، ويفوز بقدح ابن مقبل ، ويأخذ بكظم دغفل ، ويصير شجا في حلق ابي القميثل ، فاذا ادرك بغيته ، واخترمته منيته ، ومن معه ادبه وعلمه ، فمات ذكره ، وانقطع خبره ، ومن قدمنا ذكره من علماء الامصار احتالوا لبقاء ذكرهم احتيال الاكياس ، فألفوا دواوين بقي لهم بها ذكر مجدد طول الابد .

فاذا قلت : انه كان مثل ذلك من علمائنا ، والفوا كتبا لكنها لم تصل الينا ، فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق ، لانه ليس بيننا وبينكم غير روحة راكب ، او رحلة قارب ، لو نفث من بلدكم مصدور ، لاسمع من ببلدنا في القبور ، فضلا عمن في الدور والقصور ، وتلقوا قوله بالقبول كما تلقوا ديوان احمد بن عبد ربه الذي سماه بالعقد "١" ؛ على انه يلحقه فيه بعض اللوم ، لاسيما اذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده ، ومناقب ملوكه يتيمة سلكه ، اكثر الحز واخطأ المفصل واطال الهز لسيف غير مصقل ، وقعد به ما قعد بأصحابه من ترك ما يعنيهم ، واغفال ما يهمهم ، فأرشد اخاك ارشدك الله واهده هداك الله ان كانت عندك

---

١ — انظر ميدان الادب وازدهاره في عصر الخلافه .

في ذلك الجلية ، وبيدك فصل القضيه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فكتب الوزير الحافظ ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم ، عند وقوفه على هذه الرسالة ما نصه :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى اصحابه الاكرمين ، وازواجه امهات المؤمنين ، وذريته الفاضلين الطيبين .

اما بعد يا اخي ياابا بكر ، سلام عليك سلام اخ مشوق طالت بينه وبينك الاميال والفراسخ ، وكثرت الايام والليالي ، ثم لقيك في حالي سفر ونقله ، ووادك في خلال جوله ورحله ، فلم يقض من مجاورتك اربا ، ولا بلغ في محاورتك مطلبا ، واني لما احتللت بك وجالت يدي في مكنون كتبك ، ومضمون دواوينك ، لمحت عيني في تضاعيفها درجا ، فتأملته فاذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مصاقبينا في الدار أهل افريقيه ، ثم ممن ضمته حاضرة قيروانهم ، الى رجل اندلسي لم يعينه باسمه ، ولا ذكره بنسبه ، يذكر له فيها ان علماء بلدنا بالاندلس ، وان كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم ، وفي الغاية القصوى من التحكم على وجود المعارف — فان هممهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلدهم ، ومكارم ملوكهم ، ومحاسن فقهائهم ، ومناقب قضاتهم ، ومفاخر كتابهم ، وفضائل علمائهم ، ثم تعدى ذلك الى ان اخلى ارباب العلوم منا من ان يكون لهم تأليف يحيي ذكرهم ، ويبقي علمهم ، بل قطع على ان كل واحد منهم قد مات فدفن علمه معه ، وحقق ظنه في ذلك ، واستدل على صحته عند نفسه بأن شيئا من هذه التآليف لو كان منا موجودا لكان اليهم منقولا ، وعندهم ظاهرا لقرب المزار ، وكثرة السفار ، وترددهم اليهم ، وتكررهم علينا ، ثم لما ضمنا المجلس الحافل بأصناف الاداب ، والمشهد الآهل بأنواع العلوم ، والقصر المعمور بأنواع الفضائل ، والمنزل المحفوف بكل لطيفه وسيعة من دقيق المعاني وجليل المعالي ، قرارة المجد

ومحل السؤدد ، ومحط رحال الخائفين ، وملقي عصا التسيار عند الرئيس الاجل الشريف قديمه وحسبه ، الرفيع حديثه ومكتسبه ، الذى اجله عن كل خطة يشركه فيها من لا توازى قومته نومته ، ولا ينال حضرة هويناه ، وارباب عن كل مرتبة يلحقه فيها من لا يسمو الى المكارم سموه ، ولا يدنو من المعالي دنوه ، ولا يعلو في حميد الخلال علوه ، بل اكتفي من مدحه باسمه المشهور ، واجتزى من الاطالة في تقريظه بمنتاه المذكور ، فحسبي بذينك المعلمين دليلا على سعيه المشكور ، وفضله المشهور ، ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم صاحب البونت اطال الله بقاءه ، وادام اعتلاءه ، ولا عطل الحامدين من تحليهم بحلاه ، ولا اخلى الايام من تزينها بعلاه ، فرأيته اعزه الله تعالى حريصا على ان يجاوب هذا المخاطب ، وراغبا في ان يبين له مالعله قد رآه فنسي او بعد عنه فخفي ، فتناولت الجواب المذكور بعد ان بلغني ان ذلك المخاطب قد مات رحمنا الله تعالى واياه ، فلم يكن لقصده بالجواب معنى وقد صارت المقابر له مغنى ، فلسنا بمسمعين من في القبور ، فصرفت عنان الخطاب اليك ، اذ من قبلك صرت الى الكتاب المجاوب عنه ، ومن لدنك وصلت الى الرسالة المعارضه ، وفي وصول كتابي على هذه الهيئة حينما وصل كفاية لمن غاب عنه من اخبار تآليف اهل بلدنا مثل ما غاب عن هذا الباحث الاول ، ولله الامر من قبل ومن بعد ، وان كنت في اخباري اياك بما اوسمه في كتابي هذا كمهد الى البركان نار الحباحب ، وباني صوى في مهيع القصد اللاحب ، فانك وان كنت المقصود والمواجه ، فانما المراد من اهل تلك الناحيه من نأى عنه علم ما استجلبه السائل الماضي وما توفيقي الا بالله سبحانه .

فأما مآثر بلدنا فقد الف في ذلك احمد بن محمد الرازى التاريخي كتبا جمه : منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الاندلس ومراسيها ، وامهات مدنها واجنادها السته ، وخواص كل بلد منها ، وما فيه مما ليس في غيره ، وهو

كتاب مريح مليح "١" ، وانا اقول : لو لم يكن لاندلسنا الا ما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بشربه ووصف اسلافنا المجاهدين فيه بصفات الملوك على الاسره في الحديث الذى رويناه من طريق ابي حمزه انس بن مالك ان خالته ام حرام بنت ملحان زوج ابى الوليد عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه وعنهم اجمعين حدثته به عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اخبرها بذلك لكفى شرفا بذلك يسر عاجلـه ، ويغبط آجله ، فان قال قائل : فلعله صلوات الله تعالى عليه انما عنى بذلك الحديث اهل صقليه واقريطش ، وما الدليل على ما ادعيته من انه صلى الله عليه وسلم عنى الاندلس حتما ؟ ومثل هذا من التأويل لا يتساهل فيه ذو ورع دون برهان واضح ، وبيان لائح ، لا يحتمل التوجيه ولا يقبل التجريح ، فالجواب — وبالله التوفيق — انه صلى الله عليه وسلم قد اوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب ، وامر بالبيان لما اوحي اليه ، وقد اخبر في ذلك الحديث المتصل سنده بالعدول عن العدول بطائفتين من امته يركبون ثبج هذا البحر غزاه واحده بعد واحده ، فسألته ام حرام ان يدعو ربه تعالى ان يجعلها منهم ، فأخبرها صلى الله عليه وسلم وخبره الحق بأنها من الاولين ، وهذا من اعلام نبوتة صلى الله عليه وسلم ، وهو اخباره بالشيء قبل كونه ، وصح البرهان على رسالته بذلك وكانت من الغزاة الى قبرس ، وخرت عن بغلتها هناك ، فتوفيت رحمها الله تعالى ، وهي اول غزاة ركب فيها المسلمون البحر ، فثبت يقينا ان الغزاة الى قبرس هم الاولون الذين بشربهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت ام حرام منهم كما اخبر صلوات الله تعالى وسلامه عليه ولا سبيل ان يظن به وقد اوتي من البلاغه والبيان انه يذكر طائفتين قد سمى احداهما اولى والتاليه لها ثانيه ، فهذا من باب الاضافه وتركيب العدد ، وهذا يقتضي طبيعة صناعة المنطق ، انه لا تكون الاولى اولى الا لثانيه . ولا الثانيه ثانيه الا لاولى ، فلا سبيل الى ذكر ثالث الا بعد ثان ضرورة ، وهو ، صلى الله عليه وسلم ، انما ذكر طائفتين ، وبشرفئتين وسمى احداهما الاولين ، فاقتضى ذلك بالقضاء الصدق اخرين ، والاخر من الاول هو

---

١ — انظر الحديث عن هذا العالم في ميدان التاريخ والجغرافيا في عصر الخلافه .

الثاني الذي اخبر صلى الله عليه وسلم انه خير القرون بعد قرنه ، واولى القرون
بكل فضل بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه خير من كل قرن بعده ،
ثم ركب البحر بعد ذلك ايام سليمان بن عبد الملك الى القسطنطينيه ، وكان الامير[1]
بها في تلك السفن هبيره الفزاري ، واما صقليه فانها فتحت صدر ايام الاغالبه
سنة ٢١٢ ، ايام قاد اليها السفن غازيا اسد بن الفرات القاضي صاحب ابي يوسف
رحمه الله تعالى ، وبها مات ، واما اقريطش فانها فتحت بعد الثلاث والمائتين ،
افتتحها ابو حفص عمر بن شعيب المعروف بابن الغليظ ، من اهل قرية بطروج من
عمل فحص البلوط المجاور لقرطبه من بلاد الاندلس ، وكان من فل الربضيين ،
وتداولها بنوه بعده الى ان كان آخرهم عبد العزيز بن شعيب الذى غنمها في ايامه
ارمانوس بن قسطنطين ملك الروم سنة ٣٥٠ ، وكان اكثر المفتتحين لها اهل . .
الاندلس ، واما في قسم الاقاليم فان قرطبه مسقط رؤوسنا ، ومعق تمائمنا • مع
سر من راى في اقليم واحد ، فلنا من الفهم والذكاء ما اقتضاه اقليمنا ، وان كانت . .
الانوار لا تأتينا الا مغربة عن مطالعها على الجزء المعمور ، وذلك عند المحسنين
للاحكام التى تدل عليها الكواكب ناقص من قوى دلائلها ، فلها من ذلك على كل حال
حظ يفوق حظ اكثر البلاد ، بارتفاع احد التيرين بها تسعين درجه ، وذلك من
ادلة التمكن في العلوم والنفاذ فيها عند من ذكرنا ، وقد صدق ذلك الخبر ، وابانته
التجربه ، فكان اهلها من التمكن في علوم القراءات والروايات وحفظ كثير من الفقه
والبصر بالنحو والشعر واللغه والخبر والطب والحساب والنجوم بمكان رحب الفناء واسع
المعطن متنائي الاقطار فسيح المجال ، والذى نعاه علينا الكاتب المذكور لو كان
كما ذكر لكنا فيه شركاء لاكثر امهات الحواضر وجلائل البلاد ومتسعات الاعمال ، فهذه
القيروان بلد المخاطب لنا ، ما اذكر اني رايت في اخبارها تأليفا غير " المعرب عن
اخبار المغرب " وحاشا تواليف محمد بن يوسف الوراق ، فانه الف للمستنصر رحمه
الله تعالى في مسالك افريقيه وممالكها ديوانا ضخما وفي اخبار ملوكها وحروبهم
والقائمين عليهم كتبا جمه ، وكذلك الف ايضا في اخبار تيهرت ووهران وتنس

وسجلماسه ونكور والبصره وغيرها تواليف حسانا ، ومحمد هذا اندلسي الاصل والفرع آباؤه من وادى الحجاره ، ومدفنه بقرطبه ، وهجرته اليها ، وان كانت نشأته بالقيروان . "١"

ولابد من اقامة الدليل على ما اشرت اليه هاهنا اذ مرادنا ان نأتي منه بالمطلب فيما يستأنف ان شاء الله تعالى ، وذلك ان جميع المؤرخين من ائمتنا السالفين والباقين دون محاشاة احد ، بل قد تيقنا اجماعهم على ذلك ، متفقون على ان ينسبوا الرجل الى مكان هجرته التي استقر بها ولم يرحل عنها رحيل تـرك لسكناها الى ان مات . فان ذكروا الكوفيين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم صدروا بعلي وابن مسعود وحذيفه رضي الله تعالى عنهم ، وانما سكن علي الكوفه خمسة اعوام واشهرا ، وقد بقي ٥٨ عاما واشهرا بمكه والمدينه شرفهما الله تعالي وكذلك ايضا اكثر اعمار من ذكرنا ، وان ذكروا البصريين بدأوا بعمران بن حصين وانس بن مالك وهشام بن عامر وابي بكره ، وهؤلاء مواليدهم وعامة زمن اكثرهم واكثر مقامهم بالحجاز وتهامه والطائف ، وجمهرة اعمارهم خلت هنالك ، وان ذكروا الشاميين نوهوا بعبادة بن الصامت وابي الدرداء وابي عبيده بن الجراح ومعاذ ومعاويه ، والامر في هؤلاء كالامر فيمن قبلهم ، وكذلك في المصريين عمرو بن العاص وخارجه بن حذافه العدوى ، وفي المكيين عبد الله بن عباس وعبد الله ابن الزبير ، والحكم في هؤلاء كالحكم فيمن قصصناه فمن هاجر الينا من سائر البلاد فنحن احق به ، وهو منا بحكم جميع اولي الامر منا الذين اجماعهم فرض اتباعه ، وخلافه محرم اقترافه ، ومن هاجر منا الى غيرنا فلاحظ لنا فيه ، والمكان الذي اختاره اسعد به ، فكما لا ندع اسماعيل بن القاسم "٢" فكذلك لا ننازع في محمد ابن هانيء "٣" سوانا ، والعدل اولى ما حرص عليه ، والنصف افضل ما دعي اليه ،

---

١ — انظر الحديث عن ذلك العالم وكتبه في ميدان التاريخ والجغرافيا في عصر الخلافه .

٢ — انظر ترجمة هذا الاديب اللغوى في ميدان الادب واللغه في عصر الخلافه .

٣ — انظر الحديث عن هذا الشاعر في باب الشعر في عصر الخلافه .

بعد التفصيل الذى ليس هذا موضعه ، وعلى ما ذكرنا من الانصاف تراضى الكل .

وهذه بغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة ، والمحلة التي سبق اهلها الى حمل الوية المعارف ، والتدقيق في تصريف العلوم ، ورقة الاخلاق والنباهه والذكاء وجدة الافكار ونفاذ الخواطر ، وهذه البصره وهي عين المعمور في كل ما ذكرنا ، وما اعلم في اخبار بغداد تأليفا غير كتاب احمد بن ابي طاهر ، واما سائر التواريخ التي ألفها اهلها فلم يخصوا بلدتهم بها دون سائر البلاد ، ولا اعلم في اخبار البصرة غير كتاب عمر بن شبه ، وكتاب لرجل من ولد الربيع ابن زياد المنسوب الى ابي سفيان في خطط البصره وقطائعها ، وكتابين لرجلين من اهلها يسمى احدهما عبد القاهر كريزى النسب في صفاتها ، وذكر اسواقها ومحالها وشوارعها ، ولا اعلم في اخبار الكوفه غير كتاب عمر بن شبه ، واما الجبال وخراسان وطبرستان وجرجان وكرمان وسجستان والري والسند وارمينيه واذربيجان وتلك الممالك الكثيره الضخمه فلا اعلم في شيء منها تأليفا قصد به اخبار ملوك تلك النواحي ، وعلمائها وشعرائها ، واطبائها ولقد تاقت النفوس الى ان يتصل بها تأليف في اخبار فقهاء بغداد ، وما علمناه عُلم ، على اتهم العلية الرؤساء ، والاكابر العظماء ، ولو كان في شيء من ذلك تأليف لكان الحكم في الاغلب ان يبلغنا كما بلغ سائر تأليفهم ، وكما بلغنا كتاب حمزه بن الحسن الاصبهاني في اخبار اصبهان وكتاب الموصلي وغيره في اخبار مصر ، وكما بلغنا

وكما بلغنا

سائر تواليفهم في انحاء العلوم ، وقد بلغنا تأليف القاضي ابي العباس محمد بن عبدون القيرواني في الشروط واعتراضه على الشافعي رحمه الله تعالى ، وكذلك بلغنا رد القاضي احمد بن طالب التميمي على ابي حنيفه وتشيعه على الشافعي ، وكتب ابن عبدوس ومحمد بن سحنون وغير ذلك من خوامل تأليفهم دون مشهورها .

واما جهتنا فالحكم في ذلك ما جرى به المثل السائر " ازهد الناس في عالم اهله " وقرأت في الانجيل ان عيسى عليه السلام قال : " لا يفقد النبي حرمته

الا في بلده " وقد تيقنا ذلك بما لقي النبي ، صلى الله عليه وسلم ، من قريش ـ وهم اوفر الناس احلاما واصحهم عقولا واشدهم تثبتا مع ما خصوا به من سكناهم افضل البقاع ، وتغذيتهم بأكرم المياه — حتى خص الله تعالى الاوس والخزرج بالفضيلة التي التي ابانهم بها عن جميع الناس ، والله يؤتي فضله من يشاء ، ولا سيما اندلسنا فانها خصت من حسد اهلها للعالم الظاهر فيهم الماهر منهم ، واستقلالهم كثير ما يأتي به ، واستهجانهم حسناته ، وتتبعهم سقطاته وعثراته ، واكثر ذلك مدة حياته ، بأضعاف ما في سائر البلاد ، ان اجاد قالوا : سارق مغير ومنتحل مدع ، وان توسط قالوا : غث بارد وضعيف ساقط ، وان باكر الحيازة لقصب السبق قالوا : متى كان هذا ؟ ومتى تعلم ؟ وفي اى زمان قرأ ؟ ولأمه الهبل • وبعد ذلك ان ولجت به الاقدار احد طريقين اما شفوفا بائنا يعليه على نظرائه او سلوكا في غير السبيل التي عهدوها فهنالك حمي الوطيس على البائس وصار غرضا للاقوال وهدفا للمطالب ونصبا للتسبب اليه ونهبا للالسنة وعرضة للتطرق الى عرضه ، وربما نحل ما لم يقل وطوق مالم يتقلد والحق به مالم يفه به ولا اعتقده قلبه • وبالحرى وهو السابق المبرز ان لم يتعلق من السلطان بحظ ان يسلم من المتالف وينجو من المخالف ، فان تعرض لتأليف غمز ولمز وتعرض وهمز واشتط عليه وعظم يسير خطبه ، واستشنع هين سقطه وذهبت محاسنه وسترت فضائله وهتف ونودي بما اغفل ، فتنكس لذلك همته وتكل نفسه وتبرد حميته ، وهكذا عندنا نصيب من ابتدأ يحوك شعرا ، او يعمل رساله ، فانه لا يفلت من هذه الحبائل ، ولا يتخلص من هذه النصب الا الناهض الفائت والمطفف المستولي على الامد •

وعلى ذلك فقد جمع ما ظنه الظان غير مجموع ، والفت عندنا تأليف في غاية الحسن لنا خطر السبق في بعضها : فمنها كتاب " الهداية " لعيسى بن دينار "[1] ،

---

1 — انظر الحديث عن هذا الفقيه وكتابه المذكور في باب الفقه في عصر الخلافه •

وهي ارفع كتب جمعت في معناها على مذهب مالك وابن القاسم ، واجمعها للمعاني الفقهية على المذهب ، فمنها كتاب الصلاة وكتاب البيوع وكتاب الجدار في الاقضيه وكتاب النكاح والطلاق ، ومن الكتب المالكية التى ألفت بالاندلس كتاب القطني مالك بن علي "١" ، وهو رجل قرشي من بني فهر لقي اصحاب مالك واصحاب اصحابه ، وهو كتاب حسن فيه غرائب ومستحسنات من الرسائل المولدات ، ومنها كتاب ابي اسحاق يحيى بن ابراهيم بن مزين "٢" في تفسير الموطأ والكتب المستقصيه لمعاني الموطأ وتوصيل مقطوعاته من تآليف ابن مزين ايضا . وكتابه في رجال الموطأ وما لمالك عن كل واحد منهم من الاثار في موطأه .

وفي تفسير القرآن كتاب ابي عبد الرحمن بقي بن مخلد "٣" فهو الكتاب الذى اقطع قطعا لا استثني فيه انه لم يؤلف في الاسلام تفسير مثله ، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره . ومنها في الحديث مصنفه الكبير الذى رتبه على اسماء الصحابه رضى الله تعالى عنهم ، فروى فيه عن الف وثلاثمائة صاحب ونيف ، ثم رتب حديث كل صاحب على اسماء الفقه وابواب الاحكام فهو مصنف ومسند ، وما اعلم هذه الرتبه لاحد قبله ، مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله في الحديث وجودة شيوخه ، فانه روى عن مائتي رجل واربعة وثمانين رجلا ليس فيهم عشرة ضعفاء ، وسائرهم اعلام مشاهير ، ومنها مصنفه في فضل الصحابة والتابعين ومن دونهم الذى اربي فيه على مصنف ابي بكر ابن ابي شيبه ومصنف عبد الرزاق بن همام ومصنف سفيد ابن منصور وغيرها وانتظم علما عظيما لم يقع في شيء من هذه فصارت تآليف هذا الامام الفاضل قواعد للاسلام ، لا نظير لها ، وكان متخيرا لا يقلد احدا ، وكان ذا خاصة من احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه . "٤"

---

١ — انظر ايضا الحديث عنه فبي باب الفقه في عصر الخلافه .

٢ — انظر الحديث عن هذا الفقيه وكتابه في شرح الموطأ في باب الفقه في عصر الاماره .

٣ — انظر الحديث عن هذا العالم في باب التفسير في عصر الاماره .

٤ — انظر الحديث عن تأليف هذا العالم في باب علوم الدين وخاصة الحديث والتفسير .

ومنها في احكام القران كتاب ابن اميه الحجارى ، وكان شافعي المذهب بصيراً بالكلام على اختياره ، وكتاب القاضي ابي الحكم منذر بن سعيد ، وكان داودى المذهب قويا على الانتصار له ، وكلا هما في احكام القران غاية ، ولمنذر مصنفات منها كتاب "الابانه عن حقائق اصول الديانه" . "١"

ومنها في الحديث مصنف ابي محمد قاسم بن اصبغ بن يوسف بن ناصح ومصنف محمد بن عبد الملك بن ايمن "٢" ، وهما مصنفان رفيعان احتويا من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس في كثير من المصنفات ولقاسم بن اصبغ هذا تاليف حسان جدا ، منها احكام القرآن على ابواب كتاب اسماعيل وكلامه ومنها كتاب "المجتبي على أبواب كتاب ابن الجارود المنتقي" وهو خير منه واتقى حديثا واعلي سندا واكثر فائده ، ومنها كتاب في فضائل قريش وكنانه ، وكتابه في الناسخ والمنسوخ ، وكتاب غرائب حديث مالك بن انس مما ليس في الموطأ ، ومنها كتاب "التمهيد" لصاحبنا ابي عمر يوسف بن عبد البر "٣" ، وهو الان بعد في الحياة لم يبلغ سن الشيخوخه ، وهو كتاب لا اعلم في الكلام على فقه الحديث مثله اصلا فكيف احسن منه ، ومنها كتاب "الاستذكار" وهو اختصار التمهيد المذكور ، ولصاحبنا ابي عمر ابن عبد البر المذكور كتب لا مثيل لها : منها كتابه المسمى بالكافي في الفقه على مذهب مالك واصحابه خمس عشر كتابا اقتصر فيه على ما بالمفتي الحاجة اليه وبوبه وقربه فصار مغنيا عن التصنيفات الطوال في معناه ، ومنها كتابه في الصحابه ليس لاحد من المتقدمين مثله على كثرة ما صنفوا في ذلك ، ومنها كتاب "الاكتفاء في قراءة نافع وابي عمر وابن العلاء ، والحجة لكل واحد منهما" ، ومنها كتاب "بهجة المجالس وانس المجالس" مما يجرى في المذاكرات من غرر الابيات

---

١ ـ انظر الاشارة الى كتابه في احكام القران في باب التفسير في عصر الخلافه .

٢ ـ انظر الحديث عنهما وعن تأليفهما في باب الحديث في عصر الخلافه .

٣ ـ انظر الحديث عن هذا العلامه وتآليفه المختلفه في باب الفقه والحديث والتاريخ في عصر الخلافه .

ونوادر الحكايات ، ومنها كتاب " جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى في روايته " .

ومنها كتاب شيخنا القاضي ابي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن الفرضي في المختلف والمؤتلف في اسماء الرجال ، ولم يبلغ عبد الغني الحافظ البصري في ذلك الا كتابين ، وبلغ ابو الوليد رحمه الله تعالى نحو الثلاثين لا اعلم مثله في فنه البته "١" ومنها تاريخ احمد بن سعيد "٢" ، ما وضع في الرجال احد مثله الا ما بلغنا من تاريخ محمد بن موسى العقيلي البغدادى ، ولم اره ، واحمد بن سعيد هو المتقدم الى التأليف القائم في ذلك ، ومنها كتب محمد بن احمد بن يحيى بن مفرج القاضي "٣" ، وهي كثيرة منها اسفار سبعة جمع فيها فقه الحسن البصرى وكتب كثيره جمع فيها فقه الزهرى ، ومما يتعلق بذلك شرح الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي "٤" ، فما شآه ابو عبيد الا بتقدم العصر فقط .

ومنها في الفقه " الواضحه " "٥" والمالكيون لا تمانع بينهم في فضلها واستحسانهم اياها ومنها " المستخرجه من الاسمعه " وهي المعروفه بـ " العتبيه " ، ولها عند اهل افريقيه القدر العالي والطيران الحثيث ، والكتاب الذى جمعه ابو عمر احمد بن عبد الملك بن هشام الاشبيلي المعروف بابن المكوى ، والقرشي ابو مروان المعيطي "٦" في جمع اقاويل مالك كلها على نحو الكتاب " الباهر " الذى جمع فيه القاضي ابو بكر محمد بن احمد بن الحداد

---

١ — انظر الحديث عن هذا العلامه في باب الحديث في عصر الخلافه .
٢ — انظر ايضا عن هذا العلامه وكتابه في باب الحديث في عصر الخلافه .
٣ — انظر ترجمته هذا العالم في باب الحديث في عصر الخلافه .
٤ — انظر الحديث عن هذا العلامه في باب الحديث في عصر الاماره .
٥ — انظر الحديث عن هذا الكتاب في باب الفقه في عصر الاماره .
٦ — انظر ترجمة هذين العالمين في باب الفقه في عصر الخلافه .

البصرى اقاويل الشافعي كلها ، ومنها كتاب " المنتخب " الذى ألفه القاضي محمد
بن يحيى بن عمر بن لبابه "١" ، وما رأيت لمالكي قط كتابا انهل منه في جمـيع
روايات المذهب وشرح مستغلقها وتفريع وجوهها ، وتآليف قاسم بن محمد "٢" ـ
المعروف بصاحب الوثائق ، وكلها حسن في معناه ، وكان شافعي المذهب نظارا
جاريا في ميدان البغداديين .

ومنها في اللغه الكتاب " البارع " الذى ألفه اسماعيل بن القاسم "٣" ـ
يحتوى على لغة العرب ، وكتابه في " المقصور والممدود والمهموز " لم يؤلف مثلـه
في بابه وكتاب " الافعال " لمحمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطيه "٤" ،
بزيادات ابن طريف مولى العبديين فلم يوضع في فنه مثله ، وكتاب جمعه ابو غالـب
تمام بن غالب المعروف بابن التياني "٥" في اللغه لم يؤلف مثله اختصارا واكثارا
وثقه نقل ، وهو اظن في الحياة بعد . وههنا قصة لا ينبغي ان تخلو رسالتنـا
منها ، وهي ان ابا الوليد عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضي
حدثني ان ابا الجيش مجاهدا صاحب الجزائر ودانيه وجه الى ابي غالب ايام غلبته
على مرسيه وابو غالب ساكن بها الف دينار اندلسيه على ان يزيد في ترجمة الكتـاب
المذكور " مما ألفه تمام بن غالب لابي الجيش مجاهد " فرد الدنانير وابى من ذلـك
ولم يفتح في هذا بابا البته . وقال : والله لو بذل لى الدنيا على ذلك ما فعلت
ولا استجزت الكذب ، لاني لم اجمعه له خاصة بل لكل طالب ، فاعجب لهمة هـذا

---

١ ـ انظر الحديث عن هذا الفقيه في باب الفقه في عصر الخلافه .
٢ ـ انظر الاشارة الى هذا الفقيه في باب الفقه في عصر الاماره
٣ ـ انظر تآليفه في باب الادب واللغه في عصر الخلافه .
٤ ـ انظر ترجمة هذا العالم في باب اللغه والتاريخ وعن كتابه المذكور انظـر باب اللغه في عصر الخلافه .
٥ ـ انظر الحديث عن هذا اللغوى في باب اللغه في عصر الخلافه .

الرئيس وطوها ، واعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها .

ومنها كتاب احمد بن ابان بن سيد "١" في اللغه المعروف بكتاب "العالم" نحو مائة سفر على الاجناس في غاية الايعاب ، بدأ بالفلك وختم بالذره ، وكتاب "النوادر" لابي على اسماعيل بن القاسم ، وهو مبار لكتاب "الكامل" لابي العباس المبرد ، ولعمرى لئن كان كتاب ابي العباس اكثر نحوا وخبرا فان كتاب ابي علي اكثر لغة وشعرا وكتاب "الفصوص" لصاعد بن الحسن الربعي "٢" ، وهو جار في مضمار الكتابين المذكورين .

ومن الانحاء تفسير الجرفي لكتاب الكسائى ، حسن في معناه ، وكتاب ابن سيده في ذلك المنبوز بـ "العالم والمتعلم" وشرح له لكتاب الاخفش . "٣"

ومما ألف في الشعر كتاب عباده بن ماء السماء في "اخبار شعراء الاندلس" كتاب حسن ، وكتاب "الحدائق" لابي عمر احمد بن فرج عارض به كتاب الزهرة لابي محمد بن داود رحمه الله تعالى . الا ان ابا بكر انما ادخل مائة باب في كل باب مائة بيت ، وابو عمر اورد مائتي باب في كل باب مائة بيت ليس منها بباب تكرر اسمه لابي بكر ولم يورد فيه لغير اندلسي شيئا ، واحسن الاختيار ما شاء واجاد ، فبلغ الغاية ، واتي الكتاب فردا في معناه "٤" ، ومنها كتاب "التشبيهات من اشعار اهل الاندلس" "٥" ، جمعه ابو الحسن علي بن

---

١ — انظر ترجمته في باب اللغه في عصر الخلافه .

٢ — انظر الحديث عن هذا الاديب وكتابه المذكور في باب الادب في عصر الخلافه .

٣ — هذه الكتب لابن سيد احمد بن ابان وليست لابن سيده انظر الحميدى . الجذوة ، ص ٤٠٥ — والضبي : البغية ، ص ٥٣٨ — والمقرى : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٧٢ .

٤ — انظر الحديث عن هذا الاديب وكتابه المذكور في باب الشعر في عصر الخلافه .

٥ — هناك كتاب بهذا الاسم لابي عبد الله محمد بن الكتاني ولحسن الحظ انه وصلنا وقد اشرنا اليه في باب الشعر في عصر الخلافه .

محمد بن ابي الحسن الكاتب ، وهو حي بعد ، ومما يتعلق بذلك شرح ابي القاسم ابراهيم بن محمد بن الافليلي "١" لشعر المتنبي ، وهو حسن جدا .

ومن الاخبار "٢" تواريخ احمد بن محمد بن موسى الرازي في اخبار ملوك الاندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم ، وذلك كثير جدا ، وكتاب له في صفة قرطبه وخططها ومنازل الاعيان بها ، على نحو ما بدأ به ابن ابي طاهر في اخبار بغداد وذكر منازل صحابة ابي جعفر المنصور بها ، وتواريخ متفرقه رأيت منها : اخبار عمر بن حفصون القائم بريه ووقائعه وسيره وحروبه وتاريخ اخر في اخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقي القائم بالجوف ، وفي اخبار بني قسي والتجيبيين وبني الطويل بالثغر ، فقد رأيت من ذلك كتبا مصنفه في غاية الحسن ، وكتاب مجزأ في اجزاء كثيره في اخبار ريه وحصونها وحروبها ونقلائها وشعرائها تأليف اسحاق بن سلمه ابن اسحاق القيني ، وكتاب محمد بن الحارث الخشني في " اخبار القضاء بقرطبه وسائر الاندلس " ، وكتاب " في اخبار الفقهاء " بها ، وكتاب لاحمد بن محمد بن موسى في " انساب مشاهير اهل الاندلس " في خمسة اسفار ضخمه من احسن كتاب في الانساب واوسعها وكتاب قاسم بن اصبغ في "الانساب " في غاية الحسن والايعاب والايجاز ، وكتابه في " فضائل بني اميه " ، وكان من الثقه والجلاله بحيث اشتهر امره وانتشر ذكره ، ومنها كتب مؤلفه في اصحاب المعاقل والاجناد الستة بالاندلس ، ومنها كتب كثيره جمعت فيها اخبار شعراء الاندلس للمستنصر رحمه الله تعالى ، رأيت منها " اخبار شعراء بالبيره " في نحو عشرة اجزاء ومنها كتاب " الطوالع " في انساب اهل الاندلس ، ومنها كتاب " التاريخ الكبير في اخبار اهل الاندلس " تأليف ابي مروان بن حيان نحو عشرة اسفار من اجل كتاب ألف في هذا المعنى ، وهو في الحياة بعد لم يتجاوز الاكتهال

---

١ ــ انظر عن هذا الاديب باب اللغه في عصر الخلافه .

٢ ــ انظر ما ورد ذكره من كتب التاريخ في بابه في عصر الخلافه .

وكتاب " المآثر العامريه " لحسين بن عاصم في سير ابن ابي عامر واخباره ، — وكتاب الاقشتين محمد بن عاصم النحوى في "طبقات الكتاب بالاندلس " ، وكتاب سكن بن سعيد في ذلك ، وكتاب احمد بن فرج في . "المنتزين والقائمين بالاندلس واخبارهم " ، وكتاب " اخبار اطباء الاندلس لسليمان بن جلجل" . "١"

واما الطب فكتب الوزير يحيى بن اسحاق "٢" وهي كتب رفيعه حسان ، وكتب محمد بن الحسن المذحجي استاذنا رحمه الله تعالى ، وهو المعروف بابن الكتاني "٣" ، وهي كتب رفيعه حسان وكتب التصريف لابي القاسم خلف بن عياش الزهراوى "٤" ، وقد ادركناه وشاهدناه ، ولئن قلنا انه لم يؤلف في الطب اجمع منه ولا احسن للقول والعمل في الطبائع لنصدقن ، وكتب ابن الهيثم في — الخواص والسموم والعقاقير من اجل الكتب وانفعها .

واما الفلسفة فاني رايت فيها رسائل مجموعة وعيونا مؤلفه لسعيد بن فتحون السرقسطي المعروف بالحمار دالة على تمكنه من هذه الصناعه ، واما رسائل استاذنا ابي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي في ذلك فمشهورة متداوله وتامه الحسن فائقة الجوده عظيمة المنفعه . "٥"

---

١ — انظر ترجمة هذا الطبيب في باب الطب في عصر الخلافه .

٢ — انظر ترجمته في باب الطب في عصر الخلافه .

٣ — انظر ترجمته في باب الطب في عصر الخلافه وخاصة في عهد المنصور .

٤ — انظر ترجمته الوافية في باب الطب في عصر الخلافه .

٥ — انظر ذلك في باب الفلسفة في عصر الخلافه .

واما العدد والهندسة فلم يقسم لنا في هذا العلم نفاذ ، ولا تحققنا به فلسنا نثق بأنفسنا في تمييز المحسن من المقصر في المؤلفين فيه من اهل بلدنا الا اني سمعت من اثق بعقله ودينه من اهل العلم ممن اتفق على رسوخه فيه يقول : انه لم يؤلف في الازياج مثل زيج مسلمة وزيج ابن السمح ، وهما من اهل بلدنا ، وكذلك كتاب المساحه المجهوله لاحمد بن نصر فيما تقدم الى مثله في معناه . "١"

وانما ذكرنا التأليف المستحقه للذكر ، والتي تدخل تحت الاقسام السبعه التى لا يؤلف عاقل عالم الا في احدها ، وهي اما شيء لم يسبق اليه يخترعه ، او شيء ناقص يتمه ، أو شيء مستغلق يشرحه ، أو شيء طويل يختصره دون ان يخل بشيء من معانيه او شيء متفرق يجمعه ، أو شيء مختلط يرتبه ، أو شيء أخطأ فيه مؤلفه يصلحه واما التواليف المقصره عن مراتب غيرها فلم نلتفت الى ذكرها ، وهي عندنا من تأليف أهل بلدنا اكثر من أن نحيط بعلمها .

وأما علم الكلام فان بلادنا وان كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ، ولا اختلفت فيها النحل ، فقل لذلك تصرفهم في هذا الباب ، فهي على كل حال غير عريه عنه ، وقد كان فيهم قوم يذهبون الى الاعتزال ، نظار على اصوله ، ولهم فيه تواليف : منهم خليل بن اسحاق ، ويحيى بن السمينه "٢" ، والحاجب موسى بن حدير واخوه الوزير صاحب المظالم احمد ، وكان داعية الى الاعتزال لا يستتر بذلك ، ولنا على مذهبنا الذى تخيرناه "٣" من مذاهب اصحاب الحديث

---

١ ـ انظر الحديث عن مسلمة المجريطي وابن السمح في باب الرياضيات والفلك في عصر الخلافه .

٢ ـ انظر الحديث عمن ورد ذكره هنا في باب علم الكلام في الاندلس وموقف الاندلسيين منه .

٣ ـ انظر الحديث عن مذهب ابن حزم في باب الفقه في عصر الخلافه .

كتاب في هذا المعنى ، وهو وان كان صغير الجرم قليل عدد الورق يزيد على المائتين زيادة يسيره فعظيم الفائده لانا اسقطنا فيه المشاغب كلها ، واضربنا عن التطويل جملة ، واقتصرنا على البراهين المنتخبه من المقدمات الصحاح الراجعة الى شهادة الحس وبديهة العقل لها بالصحه ، ولنا فيما تحققنا به تأليف جمه ، منها ما قد تم ، ومنها ما شارف التمام ، ومنها ما قد مضى منه صدر ويعين الله تعالى على باقيه ، لم نقصد به قصد مباهاه فنذكرها ، ولا اردنا السمعه فنسميها ، والمراد بها ربنا جل وجهه ، وهو ولي العون فيها ، والملي بالمجازاة عليها ، وما كان لله تعالى فسيهدو ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وبلدنا هذا — على بعده من ينبوع العلم ، ونأيه من محلة العلماء — فقد ذكرنا من تأليف اهله ما ان طلب مثلها بفارس والاهواز وديار مضر وديار ربيعه واليمن والشام اعوز وجود ذلك ، على قرب المسافة في هذه البلاد من العراق التي هي دار هجرة الفهم وذويه ومراد المعارف واربابها .

ونحن اذا ذكرنا ابا الاجرب جعونه بن الصمة الكلابي في الشعر لم نباه به الا جريرا والفرزدق ، لكونه في عصرهما ، ولو انصف لاستشهد بشعره ، فهو جار على مذهب الاوائل ، لا على طريقة المحدثين ، واذا سمينا بقي بن مخلد لم نسابق به الا محمد بن اسماعيل البخارى ومسلم بن الحجاج النيسابورى وسليمان بن الاشعث السجستاني واحمد بن شعيب النسائي ، واذا ذكرنا قاسم بن محمد لم نباه به الا القفال ومحمد بن عقيل الفريابي ، وهو شريكهما في صحبة المزني ابي ابراهيم والتلمذه له ، واذا نعتنا عبد الله بن قاسم بن هلال ومنذر بن سعيد لم نجار بهما الا ابا الحسن بن المفلس والخلال والدبياجي ورويم بن احمد ، وقد شاركهم عبد الله في ابي سليمان وصحبته ، واذا اشرنا الى محمد بن عمر بن لبابه وعمه محمد بن عيسي وفضل بن سلمه لم نناطح بهم الا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومحمد بن سحنون ومحمد بن عبدوس ، واذا صرحنا بذكر محمد بن يحيى

الرباحي وابي عبد الله محمد بن عاصم لم يقصرا عن اكابر اصحاب محمد بن يزيد المبرد .

ولو لم يكن لنا من فحول الشعراء الا احمد بن دراج القسطلي "١" لما تأخر عن شأو بشار بن برد وحبيب والمتنبي ، فكيف ولنا معه جعفر بن عثمان الحاجب ، واحمد بن عبد الملك بن مروان واغلب بن شعيب ، ومحمد بن شخيص ، واحمد بن فرج ، وعبد الملك بن سعيد المرادى ، وكل هؤلاء فحل يهاب جانبه ، وحصان ممسوح الغره .

ولنا من البلغاء احمد بن عبد الملك بن شهيد "٢" صديقنا وصاحبنا ، وهو حي بعد لم يبلغ سن الاكتهال ، وله من التصرف في وجوه البلاغه وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لساني عمرو وسهل ، ومحمد بن عبد الله بن مسره "٣" في طريقه التي سلك فيها ، وان كنا لا نرضى مذهبه ، في جماعة يكثر تعدادهم .

وقد انتهى ما اقتضاه خطاب الكاتب رحمه الله تعالى من البيان ، ولم نتزيد فيما رغب فيه الا ما دعت الضرورة الى ذكره لتعلقه بجوابه ، والحمد لله الموفق لعلمه ، والهادى الى الشريعة المزلفة منه والموصله ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وسلم ، وشرف وكرّم . انتهت الرساله ..

---

١ — انظر ترجمته في باب الشعر في عصر الخلافه .

٢ — انظر ترجمته في باب الادب فيما يتعلق بالتأليف الادبي وكذلك في الشعر في عصر الخلافه .

٣ — انظر الحديث عنه في باب الفلسفه في عصر الخلافه .

ملحـــــق رقـــم (٢)

صور لبعض الات الجراحة التي استعملها الزهراوى في ممارســـة العمليات الجراحية نقلا عن كتابه المخطوطه التصريف لمن عجز عن التأليف ج ٧ .

اداة من ادوات الكي يكوى بها الراس والجبهة • "١"

اداة من ادوات الكي تسمى المساريه يكوى بها الراس ايضا • "٢"

من ادوات الكي تسمى النقطة يكوى بها منطقة الاذن • "٣"

اداة يكوى بها الناصور وهو ورم يصيب الوجـــــه • "٤"

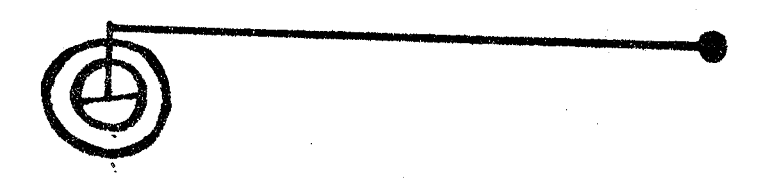
قمع يستعمل في صب الرصاص المذاب على موضـــــع الناصور لازالته • "٥"

اداة لكي الخنازير • وهى مفتوحة الطرفين ليخرج الدخان من الطرف الاخر • "٦"

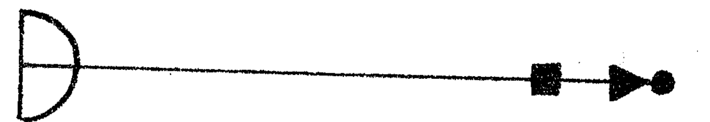
---

١ ــ ص ١١
٢ ــ ص ١٥
٣ ــ ص ١٧
٤ ــ ص ٢٧
٥ ــ ص ٢٨
٦ ــ ص ٣٢

الة تستعمل في كي المنطقة المحيطة بالكبد ٠ "١"

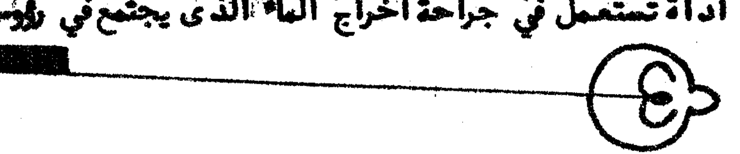


الة تكوى بها اوجاع الظهر "٢"



الة تستعمل في كي مواضع الفتوق ٠ "٣"

اداة تستعمل في جراحة أخراج الماء الذى يجتمع في رؤوس الصبيان ٠ "٤"



تستعمل هذه الاداة في اخراج ما يسقط في الاذن من الاشياء الصغيره ٠ "٥"



اداة تستعمل في جراحة الاجفان وازالة ما يزيد في الجفن من زوائد لحمية ٠ "٦"

اداة تستعمل في عمليات جراحة العيون ٠ "٧"

---

١ ــ ص ٣٨
٢ ــ ص ٤٩
٣ ــ ص ٥١
٤ ــ ص ٧٠
٥ ــ ص ٨٠
٦ ــ ص ٩٠
٧ ــ ص ٩٧

من ادوات جراحة العيـــن "١"

التان تستعملان في مص الماء من العين وتسمى الواحده قدح . "٢"

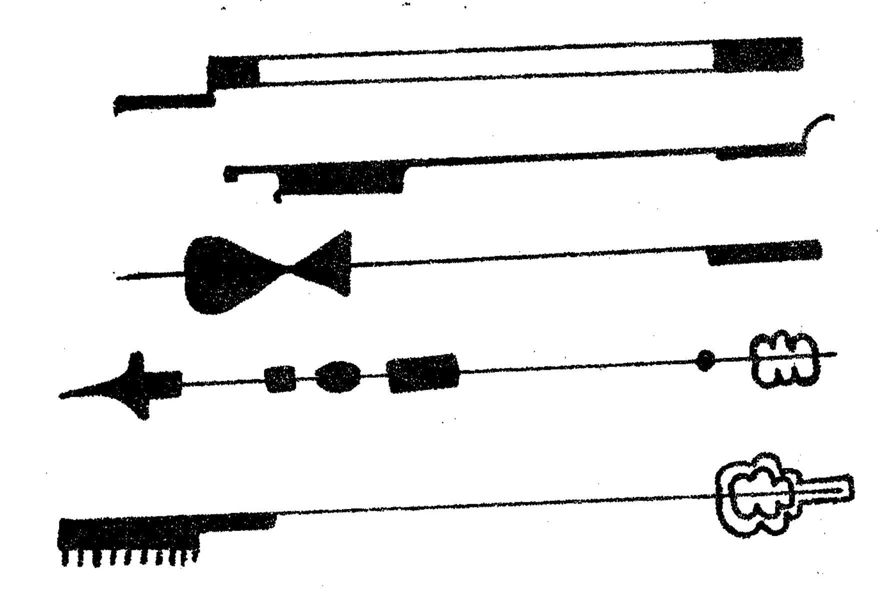
انبوبة تستعمل في تقطير الدواء في انف المريض . "٣"

ادوات تستعمل في جراحة الاسنان وتنظيفها وتسمى الواحده مجرد . "٤"

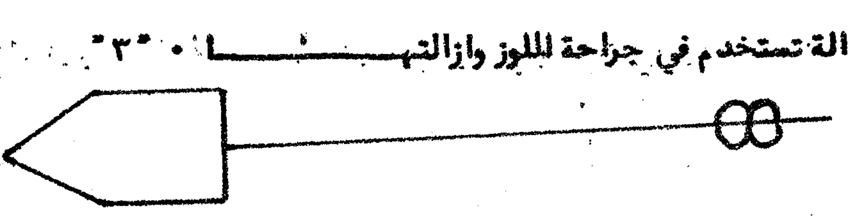
كلاليب تستخدم في جراحة الاسنان وخلعها . "٥"

---

١ ــ ص ٩٨
٢ ــ ص ١٠٨
٣ ــ ص ١١٠
٤ ــ ص ١١٤
٥ ــ ص ١١٧



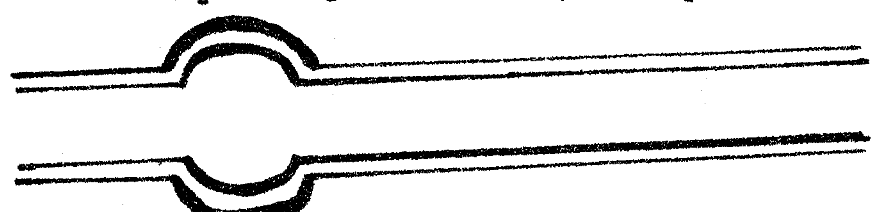
ادوات مختلفة الاشكال تستعمل في جراحة الاسنان وخلعها وتنظيفها ٠ "١"



اداة تستعمل عند فحص الطبيب لفم المريض فيكبس بها اللسان الى اسفل ٠ "٢"

الة تستخدم في جراحة اللوز وازالتهــــــــــا ٠ "٣"

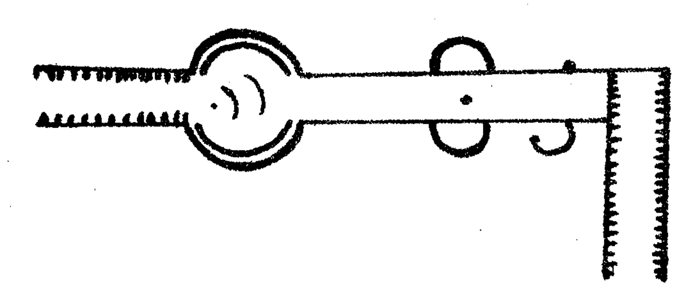
اداة تستعمل في علاج ورم اللهاه حيث يوضع الدواء في طرفها الشبيه بالطعقة ٠ "٤"



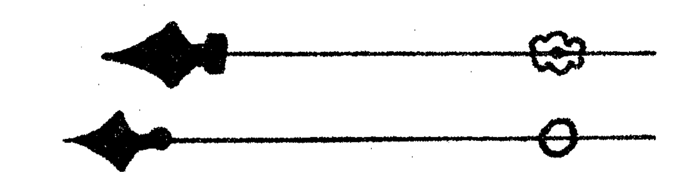
الة تستخدم في علاج ورم اللهاه ايضا ويكون العلاج بواسطة البخار ٠ "٥" الذى يمر من قدر به دواء مطبوخ لينفذ من الاله المشار اليها ويكون طرفها الدائرى في فم المريض حيث يتصرب البخار الى اللهاه فيعمل على ازالتها ٠

---

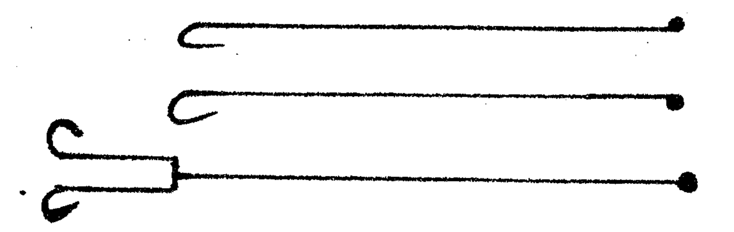
١ ــ الاولى والثانيه ص ١١٨ ، والثالثه ص ١١٩ ، الرابعه والخامسه ص ١٢٠ ٠
٢ ــ ص ١٢٤
٣ ــ ص ١٢٥
٤ ــ ص ١٢٨
٥ ــ ص ١٢٩



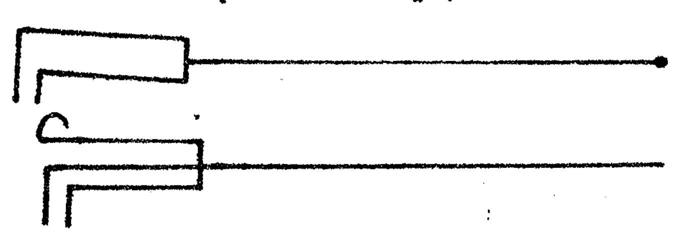
اله جراحيه تستخدم في اخراج ما يكون في الحلق من اشياء تسده ولطرفيها اسنان صغيره بحيث تعلق بالشيء المراد اخراجه وتتشبث به • "١"



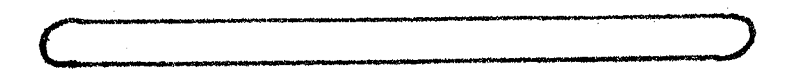
آلتان تستعملان في جراحة الاورام وشـــقها • "٢"



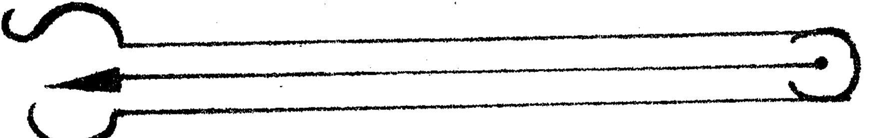
هذه الادوات تستخدم في جراحة الاورام وشقها ويطلق على واحدها صناره • "٣"



صنارتان ذاتا مخاطف متعددة لاغراض الجراحـــــــة • "٤"



مشرط يستخدم في شق الجلد وسلخه وجراحـــــــة الاورام • "٥"



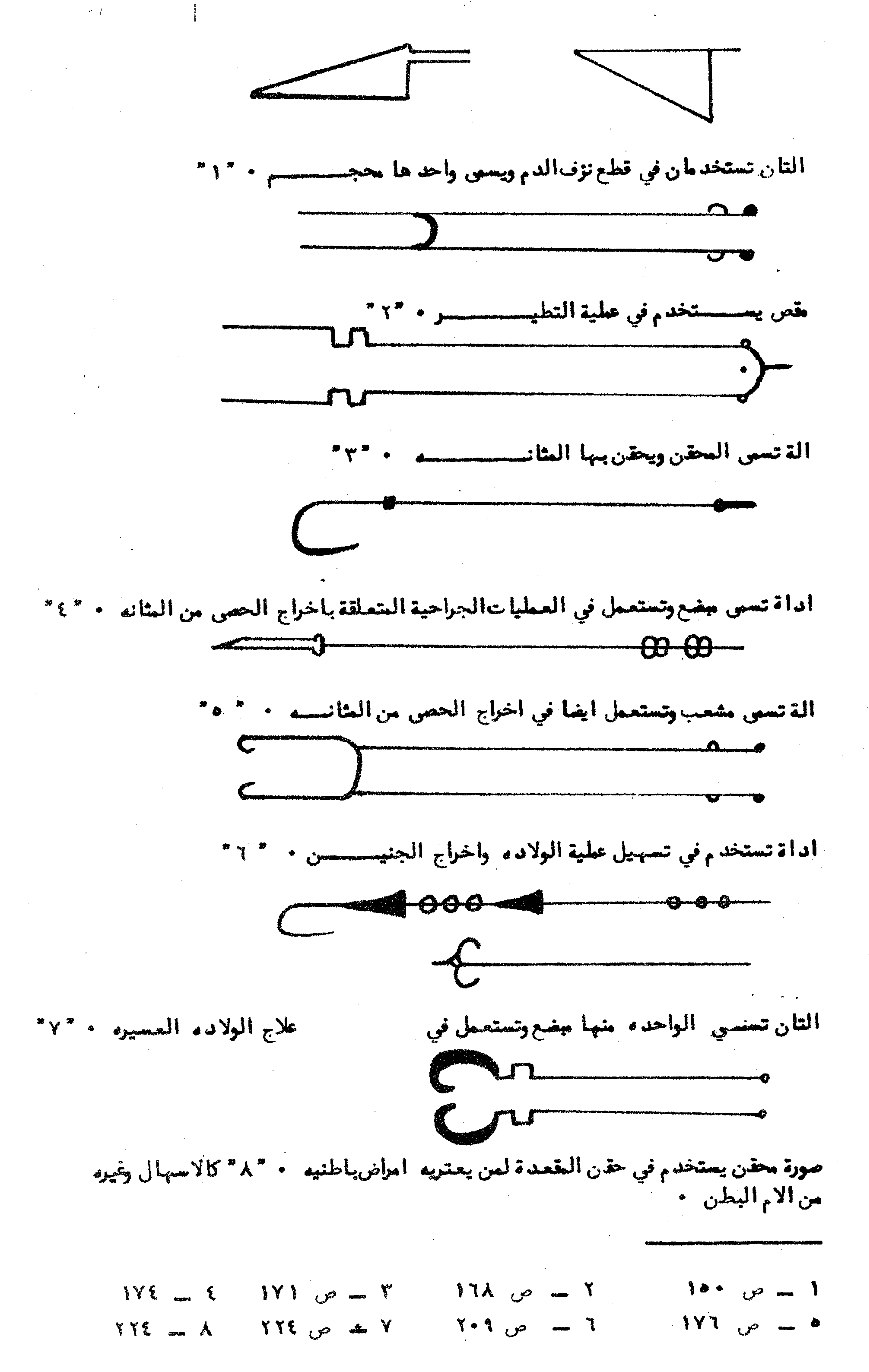
الة تسمى مخدع وتستعمل في ازالة الاورام وسلخهـــــا • "٦"



اداة تسمى مبضع وتستعمل في بســـط الاورام • "٧"

---

١ — ص ١٣٢ ٢ — ص ١٤٥ ٣ — ص ١٤٧ ٤ — ص ١٤٨
٥ — ص ١٤٨ ٦ — ص ١٤٩ ٧ — ص ١٥٠ •



التان تستخدمان في قطع نزف الدم ويسمى واحدها محجـــــــم . "١"

مقص يســــــتخدم في عملية التطيـــــــر . "٢"

الة تسمى المحقن ويحقن بها المثانــــــــــه . "٣"

اداة تسمى مبضع وتستعمل في العمليات الجراحية المتعلقة باخراج الحصى من المثانه . "٤"

الة تسمى مشعب وتستعمل ايضا في اخراج الحصى من المثانــــه . "٥"

اداة تستخدم في تسهيل عملية الولاده واخراج الجنيـــــــن . "٦"

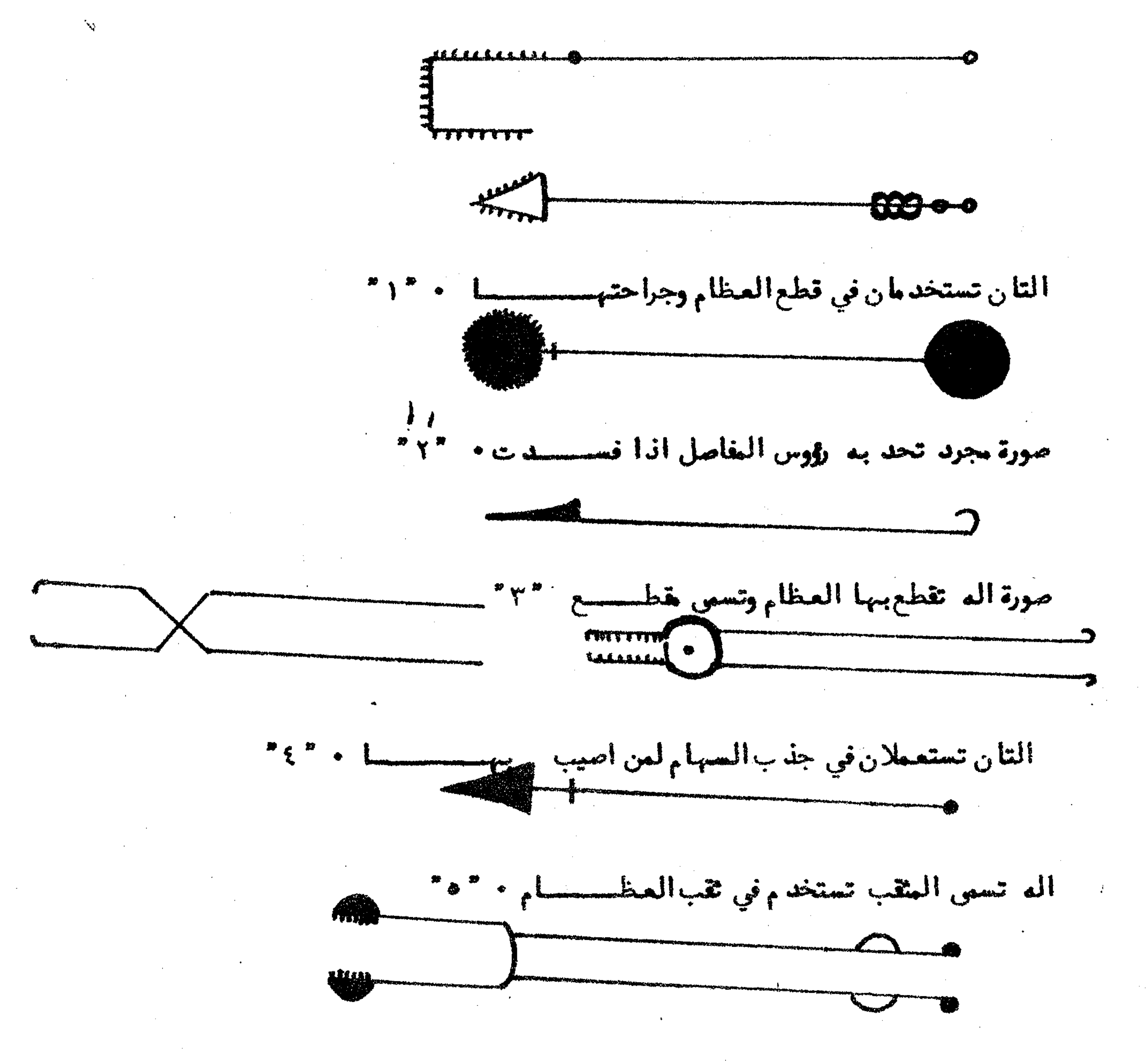
التان تسمى الواحده منها مبضع وتستعمل في علاج الولاده العسيره . "٧"

صورة محقن يستخدم في حقن المقعدة لمن يعتريه امراض باطنيه . "٨" كالاسهال وغيره من الام البطن .

---

١ ـ ص ١٥٠   ٢ ـ ص ١٦٨   ٣ ـ ص ١٧١   ٤ ـ ١٧٤

٥ ـ ص ١٧٦   ٦ ـ ص ٢٠٩   ٧ ـ ص ٢٢٤   ٨ ـ ٢٢٤



التان تستخدمان في قطع العظام وجراحتهـــا . "١"

صورة مجرد تحد به رؤوس المفاصل اذا فســـدت . "٢"

صورة اله تقطع بها العظام وتسمى مقطـــع "٣"

التان تستعملان في جذب السهام لمن اصيب بهـــا . "٤"

اله تسمى المثقب تستخدم في ثقب العظـــام . "٥"

اداة تستعمل في العمليات الجراحية المتعلقة بالولاده العسيره وتسمى هذه الاداه مشداخ حيث يشدخ بها راس الجنين . "٦"

---

١ ـ ص ٢١٩

٢ ـ ص ٢٥٠

٣ ـ ص ٢٥١

٤ ـ ص ٢٧٨

٥ ـ ص ٣٢٥

٦ ـ ص ٢١٠

قائمة المصادر والمراجع

ا ـ المخطوطـــــات :ـ

================

ـ الأشبيلي ، محمد بن ابراهيم (من علماء القرن السادس الهجرى)

١ ـ ريحانة الالباب وريعان الشباب ، مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط رقم (١٤٠٦) .

ـ الخشني ، محمد بن الحارث بن اسد (ت ٣٦١ هـ)

٢ ـ تاريخ علماء الاندلس ، مخطوط بالمكتبة الملكية بالربـــاط ، رقم ٦٩١٦ .

ـ الربعـــي ، صاعد بن الحسن (ت تقريبا ٤١٠ هـ)

٣ ـ الفصوص ، مخطوط بمكتبة الخزانة العامه بالرباط . برقـم ١٦٦٨ .

ـ الزهراوى ، خلف بن عباس (ت ٤٠٣ هـ)

٤ ـ التصريف لمن عجز عن التأليف ، الجزء الاخير ، مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط برقم ١٣٤ .

ـ ابن الصفار : احمد بن عبد الله بن عمر (ت ٤٢٦ هـ)

٥ ـ رسالة الاسطرلاب ، مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط برقـم ٤٢٨٨ .

ـ القرطبي ، عريب بن سعد (من علماء القرن الرابع الهجرى)

٦ ـ خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولود . مخطوط بمكتبـــة الاسكوريال برقم (٨٣٣ ـ ٢) في مجموع .

ـ المجريطي ، مسلمة بن احمد (ت ٣٩٨ هـ)

٧ ـ رتبة الحكيم ، مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط برقم ١٨٤٢ .

٨ ـ غاية الحكيم ، مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط برقم ٣٩٨ .

ب – المصادر المطبوعة .

– ابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ)

٩ – الحلة السيراء ، تحقيق وتعليق حسين مؤنس . الشركة العربية للطباعة والنشر . القاهرة . ط الاولى ، ١٩٦٣م .

١٠ – التكملة لكتاب الصلة ، عني بنشره وصححه ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسيني ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٥م .

– ابن الاثير : (ت ٦٣٠ هـ)

١١ – الكامل في التاريخ . دار صادر بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦م .

– ابن الازدي : (ت ٦١٣ هـ)

١٢ – بدائع البدائه ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة سبتمبر ١٩٧٠م

– الاصفهاني : (ت ٥٩٧ هـ)

١٣ – خريدة القصر وجريدة العصر . تحقيق عمر دسوقي وعلي عبد العظيم . دار نهضة مصر للطبع والنشر ، مصر .

– ابن ابي اصيبعه : (ت ٦٦٨ هـ)

١٤ – عيون الانباء في طبقات الاطباء ، شرح وتحقيق د . نزار رضا . منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت ، ١٩٦٥م .

– ابن الانباري : (ت ٥٧٧ هـ)

١٥ – نزهة الالباء في طبقات الادباء ، تحقيق د . ابراهيم السامرائي . ساعدت جامعة بغداد على نشره . الناشر مكتبة بغداد . ط الثانيه ١٩٧٠م .

— ابن بسام : (ت ٥٤٢ هـ)

١٦ — الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة • القسم الاول المجلد الاول والثاني • القاهرة • مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر • المجلد الاول ١٣٥٨ والمجلد الثاني ١٣٦١هـ • القسم الرابع — المجلد الاول • القاهرة • مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٤ هـ •

— ابن بشكوال : (ت ٥٧٨ هـ)

١٧ — الصله ، الدار المصرية للتأليف والترجمه • مطابع سجل العرب • القاهرة ١٩٦٦م •

— البغدادي : (١٣٣٩ هـ)

١٨ — هدية العارفين في اسماء المؤلفين وآثار المصنفين • طبع بعناية وكالة المعارف استانبول ١٩٥٥م • منشورات مكتبة المثني • بيروت •

— البكري : (ت / ٤٨٧ هـ)

١٩ — جغرافية الاندلس واوروبا من كتاب " المسالك والممالك " لابي عبيد البكرى ، تحقيق د • عبد الرحمن الحجي • ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره • ط الاولى ١٣٨٧هـ — ١٩٦٨م ، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع • بيروت •

٢٠ — التنبيه على اوهام ابي علي القالي في اماليه • راجعه وصححه محمد عبد الجواد الاصمعي ، دار الكتاب العربي • بيروت • مطبعة دار الكتب المصرية •

— ابن تغرى بردى : (ت ٨٧٤ هـ)

٢١ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٤ ، ٥ طبعة مصورة عن مطبعة دار الكتب وزارة الثقافة والارشاد القومي •

المؤسسة المصرية العامه للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع كوستاتسوماس وشركاه • مصر • القاهرة •

ـ التهانــوي : (ت في القرن الثاني عشر الهجرى)

٢٢ ـ كشاف أصطلاحات الفنون • تحقيق د • لطفي عبد البديع
ترجم النصوص الفارسية د • عبد النعيم محمد حسنين •
راجعه الاستاذ امين الخولي • وزارة الثقافه والارشاد
القومي • المؤسسة المصرية العامه للتأليف والترجمة
والطباعة والنشر • ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣م •

ـ الثعالــبي : (ت ٤٢٩ هـ)

٢٣ ـ يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر • حققه وفصله
وضبطه وشرحه • محمد محي الدين عبد الحميد • مطبعة
السعادة • القاهرة • ط الثانيه • ١٣٧٥ هـ ـ
١٩٥٩م •

٢٤ ـ فقه اللغه • دار مكتبة الحياة • بيروت • مطبعة
مصطفي البابي الحلبي • ط ١٣١٨ هـ •

ـ ابن الجزرى : (ت ٨٣٣ هـ)

٢٥ ـ غاية النهاية في طبقات القراء • عني بنشره ج •
برجستراسر • طبع لاول مرة بنفقة الناشر ومكتبة الخانجي
بمصر سنة ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢م •

ـ ابن جلجــل : (ت القرن الرابع)

٢٦ ـ طبقات الاطباء والحكماء • تحقيق فؤاد سيد • امين
المخطوطات بدار الكتب المصرية • مطبعة المعهد العلمي
الفرنسي للآثار الشرقية • القاهرة • ١٩٥٥م •

— ابن الجوزى : (ت ٥٩٧ هـ)

٢٧ — ذم الهوى • تحقيق مصطفى عبد الواحد • مراجعة محمد الغزالي • دار الكتب الحديثه • مطبعة السعاده • ط الاولى ١٣٨١ هـ •

— حاجي خليفه : (ت ١٠٦٧ هـ)

٢٨ — كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون • تقديم السيد شهاب الدين النجفي • اعادت طبعة بالاوفست • منشورات مكتبة المثنى • بغداد •

— ابن حزم : (ت ٤٥٦ هـ)

٢٩ — جمهرة انساب العرب • تحقيق وتعليق عبد السلام هارون • دار المعارف بمصر • ط الثالثة ١٣٩١ هـ •

٣٠ — الفصل في الملل والاهواء والنحل — دار المعرفة للطباعة والنشر • بيروت • ط الثانيه • ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥م •

٣١ — طوق الحمامه في الالفة والالاف • حققه وصوبه وفهرس له • حسن كامل صيرفي • قدم له ابراهيم الابياري • مطبعة الاستقامه بالقاهره • طبع ١٣٨٣ هـ/١٩٦٤م

— الحميدي : (ت ٤٨٨ هـ)

٣٢ — جذوة المقتبس • الدار المصرية للتأليف والترجمة • مطابع سجل العرب • القاهرة • ١٩٦٦م •

— الحميري : (جمعه سنة ٨٦٦ هـ)

٣٣ — صفة جزيرة الاندلس • منتخبه من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار • نشر وتصحيح وتعليق حواشيه ا • ليفي بروفنسال • القاهرة • مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر • ١٩٣٧م •

ـ ابن حوقـــل : (من اهل القرن الرابع الهجرى)

٣٤ ـ صورة الارض • منشورات دار مكتبة الحياة • بيروت ،
١٩٧٩م•

ـ ابن حيان : (٤٦٩ هـ)

٣٥ ـ المقتبس • تحقيق د • محمود علي مكي • الناشـــر
دار الكتاب العربي • بيروت ١٣٩٣ هـ •

ـ المقتبس • تحقيق د/• عبد الرحمن الحجي • نشر
وتوزيع دار الثقافه • مطبعة سميا • بيروت ، اغسطس
١٩٦٥•

ـ المقتبس • الجزء الخامس • نشره ب•شالميتا ،
ف• كورنيطي ، م• صبح • المعهد الاسبانـــي
العربي للثقافه ـ مدريد ـ ١٩٧٩م • كليـــــة
الاداب بالرباط •

ـ الخشـني : (ت ٣٦١ هـ)

٣٦ ـ قضاة قرطبه • الدار المصرية للتأليف والترجمـــة •
مطابع سجل العرب • ١٩٦٦م•

ـ الخطيب : (ت ٤٦٣ هـ)

٣٧ ـ الرحلة في طلب الحديث • حققه وعلق عليه نور الدين
عتر ، يطلب من دار الكتب العلمية • بيروت ، ط
الاولى ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م•

ـ ابن الخطيب : (ت ٧٧٦ هـ)

٣٨ ـ اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام •
تحقيق وتعليق • أ• ليفي بروفنسال • بيروت •
دار المكشوف • ط الثانيه ١٩٥٦م•

٣٩ ـ الاحاطه في اخبار غرناطه • حققه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان ، ج ١ • ط الثانيه ١٣٩٣ ـ ١٩٧٣م ، ج ٢ ، ٣ ط الاولى ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م • الناشر مكتبة الخانجى • القاهرة • الشركة المصرية للطباعة والنشر • القاهرة

ـ ابن خلدون : (ت ٨٠٨ هـ)

٤٠ ـ المقدمة • المكتبة التجارية الكبرى بمصر روجعت هذه الطبعة وقوبلت على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء •

٤١ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر • دار العلم للملايين • لبنان • بيروت •

ـ ابن خلكان : (ت ٦٨١ هـ)

٤٢ ـ وفيات الاعيان • وانباء ابناء الزمان • حققه د • احسان عباس • دار صادر • بيروت ، ج ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م • ج ٥ ١٣٩٧ هـ • المجلد السادس والسابع والثامن بدون تاريخ طبع •

ـ الخوارزمي : (ت ٣٨٧ هـ)

٤٣ ـ مفاتيح العلوم • تقديم واعداد د • عبد اللطيف محمد العبد • الناشر دار النهضة العربية • القاهرة • المطبعة الكمالية •

ـ ابن خيـر : (ت ٥٧٥ هـ)

٤٤ ـ فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفه في ضروب العلم وانواع المعارف • منشورات دار

الآفاق الجديده • بيروت • ط الثانيه ١٣٩٩ — ١٩٧٩م

— ابن دراج : (ت ٤٢١ هـ)

٤٥ — ديوان ابن دراج القسطلي • حققه وعلق عليه وقدم له د • محمود علي مكي • المكتب الاسلامي • ط الثانيه ١٣٨٩ هـ •

— الذهبي : (ت ٧٤٨ هـ)

٤٦ — تذكرة الحفاظ • صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت اعانة وزارة المعارف الهنديه • دار احياء التراث • (بدون طبعه) •

— الزبيدى : (ت ٣٧٩ هـ)

٤٧ — طبقات النحويين واللغويين • تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم • دار المعارف بمصر •

— ابن زيد : (ت ٨٧٠ هـ)

٤٨ — محاسن المساعي في مناقب الامام ابي عمرو الاوزاعي • قدم له وعلق عليه الامير شكيب ارسلان • منشورات دار مكتبة الحياه • بيروت • مطبعة فؤاد بيبان وشركاه ١٩٩٧م •

— السبكي : (ت ٧٧١ هـ)

٤٩ — طبقات الشافعية الكبرى • تحقيق محمود محمد الطناحي عبد الفتاح محمد الحلو • ط الاولى ١٣٨٤ هـ • مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه •

— ابن سعيد : (ت ٦٨٥ هـ)

٥٠ — المغرب في حلي المغرب • تحقيق وتعليق د • شوقي ضيف • دار المعارف بمصر • ط الثانيه ١٩٦٤م •

ـ السلفي : (ت ٥٧٦)

٥١ ـ اخبار تراجم اندلسية • مستخرجه من معجم السفر للسلفي • اعدها وحققها احسان عباس • دار الثقافه لبنان • ط الثانيه ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م •

ـ ابن سيده : (ت ٤٥٨ هـ)

٥٢ ـ شرح مشكل شعر المتنبي • تحقيق محمد رضوان الدايه • دار المأمون للتراث • دمشق •

ـ السيوطي : (ت ٩١١ هـ)

٥٣ ـ تاريخ الخلفاء • تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد • مطبعة الفجالة الجديدة • القاهرة • ط الرابعه ، ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩م •

٥٤ ـ بغية الوعاة • تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم • مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط الاولى ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م •

ـ صاعد : (ت ٤٦٣ هـ)

٥٥ ـ طبقات الامم • مطبعة التقدم بشارع محمد على مصر (بدون طبعة) •

ـ الصفدى : (ت ٧٦٤ هـ)

٥٦ ـ الوافي بالوفيات • الطبعة الثانيه باعتناء هلموت ريتر • المجلد الاول • ط ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢م • المجلد الثاني والثالث والرابع والخامس • ط الثانيه باعتناء س • ريد رينغ • المجلد السادس باعتناء احسان عباس الثامن باعتناء محمد يوسف نجم • التاسع باعتناء يوسف فان اس • دار النشر فرانزشتاينر بفيسبادن ،

— ابن عبد ربه : (ت ٣٢٨ هـ)

٥٧ — العقد الفريد • المطبعة الازهرية المصرية • ط • الاولى ١٣٢١ هـ •

— ابن عذارى : (ت القرن السابع الهجرى)

٥٨ — البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب • تحقيق ومراجعة ج • س. كولان وليفي بروفنسال • دار الثقافه • بيروت •

— ابن العماد : (ت ١٠٨٩ هـ)

٥٩ — شذرات الذهب في اخبار من ذهب • منشورات دار الافاق الجديدة • بيروت •

— الغزالي : (ت ٥٠٥ هـ)

٦٠ — احياء علوم الدين • دار المعرفة للطباعة والنشر • بيروت •

— ابن فرحون : (ت ٧٩٩ هـ)

٦١ — الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب • تحقيق وتعليق د • محمد الاحمدى • دار التراث للطبع والنشر القاهرة • طبع بمطبعة النصر •

— ابن الفرضي : (ت ٤٠٣ هـ)

٦٢ — تاريخ علماء الاندلس • الدار المصرية للتأليف والترجمة • مطابع سجل العرب ١٩٦٦م • القاهره •

— القالـــي : (ت ٣٥٦ هـ)

٦٣ — الامالي • دار الكتاب العربي • بيروت • لبنان • (بدون طبعه) •

— ابن قتيبه : (ت ٢٧٦ هـ)

٦٤ — المعارف • تصحيح وتعليق ومراجعة محمد اسماعيل الصاوى • دار احياء التراث العربي • بيروت • ط الثانيه ١٣٩٠ هـ •

— القزوينى : (ت ١٢٨٣ م)

٦٥ — اثار البلاد واخبار العباد • دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩م •

— القفطي : (ت ٦٤٦ هـ)

٦٦ — اخبار العلماء باخبار الحكماء • يطلب من مكتبة المثني بغداد • ليبزج ١٩٠٣م •

— القلقشندى : (ت ٨٢١ هـ)

٦٧ — صبح الاعشي في صناعة الانشاء • نسخة مصوره عن الطبعة الاميريه • المؤسسة المصرية العامه للتأليف والترجمة والطباعة والنشر • القاهرة •

— ابن قنفذ :

٦٨ — الوفيات • تحقيق عادل نويهض • منشورات دار الافاق الجديده • بيروت • ط الثانيه • ١٩٧٨م •

— القيسي : (ت ٤٣٧ هـ)

٦٩ — الابانه عن معاني القراءات ، حققه وقدم له محي الدين رمضان • دار المأمون للتراث • دمشق • ط الاولى — ١٣٩٩ هـ •

— ابن الكتاني : (كان حيا في القرن الرابع الهجرى)

٧٠ — كتاب التشبيهات من اشعار اهل الاندلس • تحقيق احسان عباس • دار الثقافة • بيروت • مطبعة سميا •

ـ الكتبي : (ت ٧٦٤ هـ)

٧١ ـ فوات الوفيات • حققه وضبطه وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد • مكتبة النهضة المصرية • مطبعة السعادة بمصر ١٩٥١م •

ـ ابن كثير : (ت ٧٧٤ هـ)

٧٢ ـ البداية والنهاية • مكتبة المعارف • بيروت • ط الاولى •

ـ المسعودي : (ت ٣٤٦ هـ)

٧٣ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر • تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد • ط الرابعه ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤م •

ـ المراكشي : (ت ٦٤٧ هـ)

٧٤ ـ المعجب في تلخيص اخبار المغرب • تحقيق الاستاذ محمد العريان • مطابع شركة الاعلانات الشرقية • القاهرة ١٣٨٣ هـ •

ـ المقدسي : (ت ٣٨٠ هـ)

٧٥ ـ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم • طبع بمدينة ليدن • بمطبعة بريل سنة ١٩٠٩م •

ـ المقري : احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) •

٧٦ ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب • تحقيق احسان عباس • دار صادر • بيروت ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م •

ـ مؤلف مجهول :

٧٧ ـ اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم طبع بمدينة مجريط بمطبعة ريدنير ١٨٦٧م •

— ابن نباتــه : (ت ٧٦٨ هـ)

٧٨ — سرح العيون وشرح رسالة ابن زيدون • ملتزم الطبع والنشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابى الحلبي واولاده بمصر •
ط الاولى ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٧م•

— النباهــي : (كان حيا سنة ٧٩٣ هـ)

٧٩ — تاريخ قضاة الاندلس • المكتب التجارى للطباعة والنشــر والتوزيع • بيروت •

— النويرى : (ت ٧٣٣ هـ)

٨٠ — نهاية الارب في فنون العرب • نسخة مصوره عن دار الكتب المصريه • مطابع كوستاتسوماس وشركاه • القاهره •

— ابن الوردى : (ت ٧٤٩ هـ)

٨١ — تاريخ ابن الوردى • اشراف وتحقيق احمد رفعت البدراوى توزيع دار الباز للنشر والتوزيع مكه المكرمه • الناشــــر دار المعرفة • بيروت • ط الاولى ١٣٨٩ هـ •

— ياقــوت : (ت ٦٢٦ هـ)

٨٢ — معجم البلدان • دار صادر • بيروت ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م•

٨٣ — معجم الادباء • دار الفكر للطباعة والنشر • ط الثالثــه ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠م•

======

ج ـ المراجــع الحديثــــه :

=======================

ـ ابراهيم الشريقي :

١ ـ التاريخ الاسلامي خلال ١٤ قرنا • مطابع شـــركة المدينة للطباعة والنشر • ط الاولى ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩م • جده •

ـ احسان عباس :

٢ ـ تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبه • دار الثقافه • بيروت • ط الخامسه ١٩٧٨م •

ـ احمد امين :

٣ ـ ظهر الاسلام • ج ٣ ، مكتبة النهضة المصريـــة القاهرة • ط الثالثه • ١٩٦٢م •

ـ احمد حسن الزيات :

٤ ـ تاريخ الادب العربي • دار الثقافه • بيروت • ط • السادسه والعشرون •

ـ احمد عطية الله :

٥ ـ القاموس الاسلامي • مكتبة النهضة المصرية • القاهرة • صدر في محرم ١٣٨٣ هـ •

ـ احمد علي ملا :

٦ ـ اثر العلماء المسلمين في الحضارة الاوروبية • دار الفكر (بدون طبعه) •

ـ احمد مختار العبادي :

٧ ـ في تاريخ المغرب والاندلس • مؤسسة الثقافه الجامعية الاسكندرية • (بدون طبعه) •

ـ احمد هيكل :

٨ ـ الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافه • دار المعارف • القاهره • ط السادسه ١٩٧١م •

ـ ارنولد وآخرون :

٩ ـ تراث الاسلام • عربه وعلق حواشيه جرجيس فتح الله • دار الطليعه • بيروت • ط الثانيه ١٩٧٢م •

ـ اعتماد القصيرى :

١٠ ـ فن التجليد عند المسلمين • الجمهورية العراقية وزارة الثقافه والاعلام • المؤسسة العامه للاثار والتراث بغداد • ١٩٧٩م •

ـ اغناطيوس كراتشكوفسكي :

١١ ـ تاريخ الادب الجغرافي العربي • ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم • مراجعة ايفور بليايف • اختارته الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية • مطبعة لجنة التأليف والترجمه والنشر • ١٩٦٣م • القاهره •

ـ آنخل جونثالث بالنثيا :

١٢ ـ تاريخ الفكر الاندلسي • ترجمة حسين مؤنس • ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية • القاهره ١٩٥٥م •

ـ انور الرفاعي :

١٣ ـ الانسان العربي والحضاره ، دار الفكر •

ـ انيس الفصولي :

١٤ ـ الدولة الامويه في قرطبه ، طبع بالمطبعة المصرية بغداد ١٩٢٦م •

ـ جون • س • بادو وآخرون :

١٥ ـ عبقرية الحضارة العربية ينبوع النهضة ، ترجمة صلاح جلال وآخرون ، مطبعة معهد ماسا تشوسيتى ، كمبردج ، لندن ، ١٩٧٨م •

— جبرائيل جبّور :

١٦ — ابن عبد ربه وعقده ، منشورات دار الآفاق الجديده
بيروت . ط الثانيه ١٩٧٩م .

— جلال مظهر :

١٧ — حضارة الاسلام واثرها في الترقي العالمي . الناشر
مكتبة الخانجي . القاهره ، دار مصر للطباعـــه .

١٨ — علوم المسلمين اساس التقدم العلمي الحديث ،
الهيئة المصرية العامه للتأليف والنشر ، ١٩٧٠م .

— ج . س . كولان :

١٩ — " الاندلس " كتب دائرة المعارف الاسلاميه .
لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية . ابراهـــيم
خورشيد ، عبد الحميد يونس ، حسن عثمان .
دار الكتاب اللبناني ، بيروت . ط الاولى ١٩٨٠م .

— حسن ابراهيم حسن :

٢٠ — تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي .
مكتبة النهضة المصرية . مطبعة السنه المحمديه .
القاهرة . ط الاولى ١٩٦٧م .

— حنا الفاخوري :

٢١ — تاريخ الادب العربي . المطبعة البولسيه . بيروت
لبنان (بدون طبعه) .

— خالد الصوفي :

٢٢ — تاريخ العرب في اسبانيا (جمهورية بني جهور) .
دمشق ١٩٥٩م .

— خير الدين الزركلي :

٢٣ — الاعلام . دار العلم للملايين . بيروت . ط الرابعه
١٩٧٩م .

ـ روبرت بريفالت :

٢٤ ـ اثر الثقافه الاسلاميه في تكوين الانسانيه . ترجمة ابو النصر الحسيني دار الكتب الحديثه ، شارع الجمهورية عابدين .

ـ روم لانـدو :

٢٥ ـ الاسلام والعرب ، ترجمة منير بعلبكي . دار العلم للملايين . بيروت . ط الاولى .

ـ زكريا هاشم زكريا :

٢٦ ـ فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم . راجع هذا الكتاب وقدم له واشرف على اخراجه محمد احمد محمد ـ المهدى ، دار نهضة مصر للطبع والنشر . القاهرة .

ـ زيغريد هونكـه :

٢٧ ـ شمس العرب تسطع على الغرب ، تعريب فاروق بيضون ، وكمال دسوقي . راجعه ووضع حواشيه فاروق عيسى الخورى . منشورات المكتب التجارى . بيروت . الطبعة الثانيه ١٩٦٦م .

ـ سامي مكي العاني :

٢٨ ـ دراسات في الادب الاندلسي . ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره ، ١٩٧٨م .

ـ ستانلي لين بول :

٢٩ ـ قصة العرب في اسبانيا ، ترجمة على الجارم . دار المعارف بمصر . ط التاسعه .

ـ سعيد عبد الفتاح عاشور :

٣٠ ـ اوربا العصور الوسطى . ج ١ ، مكتبة الانجلو المصريه . القاهره . ط السادسه ١٩٧٥م .

ـ السيد احمد الهاشمي :

٣١ ـ جواهر الادب في ادبيات وانشاء لغة العرب .
اشرفت على تحقيقه وتصحيحه لجنة من الجامعيين
منشورات مؤسسة المعارف . بيروت .

ـ سيد اميرعلي :

٣٢ ـ مختصر تاريخ العرب . ترجمة عفيف البعلبكـــي ،
دار العلم للملايين . بيروت . ط الثالثه ١٩٧٧م.

ـ سيد حسين نصر :

٣٣ ـ العلوم في الاسلام . ترجمة مختار الجوهرى . الدار
العربية للكتاب . ليبيا . تونس ١٣٩٨ هـ ـ
١٩٧٨م. .

ـ السيد عبد العزيز سالم :

٣٤ ـ قرطبه حاضرة الخلافه ، دار النهضة العربيـــة
للطباعة والنشر . بيروت ، ١٩٧٢م.

ـ شكيب ارسلان :

٣٥ ـ الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسيه ،
منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت .

ـ شوقي ضيف :

٣٦ ـ المدارس النحوية . دار المعارف . ط الثالثه .
القاهره .

ـ عباس العقاد :

٣٧ ـ اثر العرب في الحضارة الاوروبية . دار المعارف .
ط الثانيه . ١٩٦٣م.

— عبد الحليم منتصر :

٣٨ — تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه • دار المعارف بمصر • مطبعة معهد دون بوسكو • الاسكندرية • ط الرابعه ١٩٧١م•

— عبد الرحمن بدوى :

٣٩ — دور العرب في تكوين الفكر الاوروبي • مكتبة الانجلـو المصرية • القاهرة • ط الثانيه ١٩٦٧م•

— عبد الرحمن الحجي :

٤٠ — التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط — غرناطه • ساعدت جامعة بغداد على نشره • دار العلم • دمشق • بيروت • دار القلم ، الريـاض الكويت • ط الاولى ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦م•

— عبد الرحمن حميده :

٤١ — اعلام الجغرافيين العرب • دار الفكر ، ط الثانيه ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠م•

— عبد الكريم التواتي :

٤٢ — مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس • مكتبـــة الرشاد • الدار البيضاء • ط الاولى ١٩٦٧م•

— عبد اللطيف شراره :

٤٣ — ابن حزم رائد الفكر العلمي • منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع • بيروت •

— عز الدين فراج :

٤٤ — الطب الاسلامي • دار الفكر العربي • القاهره •

ـ عمر رضا كحاله :

٤٥ ـ مقدمات ومباحث في حضارة العرب والاسلام • مطبعة الحجاز بدمشق ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م•

٤٦ ـ العلوم البحته في العصور الاسلاميه • مطبعة الترقي دمشق ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢م•

ـ عمر فروخ :

٤٧ ـ تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ، دار العلم للملايين • بيروت ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢م•

٤٨ ـ عبقرية العرب في العلم والفلسفة • ط الثالثه • بيروت ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩م•

ـ علي ادهم :

٤٩ ـ منصور الاندلس • سلسلة اعلام الاسلام • مطابع الهيئة العامه للكتاب • القاهره • ١٩٧٤م•

ـ غرسيه غومس :

٥٠ ـ الشعر الاندلسي • ترجمة حسين مؤنس • مكتبة النهضة المصرية • ط • الثالثة ١٩٦٩م• القاهره •

ـ غوستاف لوبون :

٥١ ـ حضارة العرب • ترجمة عادل زعيتر • طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه •

ـ فرات فائق خطاب :

٥٢ ـ الكحاله عند العرب ، منشورات وزارة الاعلام ، الجمهورية العراقية ، سلسلة المكتبة الفلكلورية ، دار الحرية للطباعه ، بغداد ١٩٧٥م•

ـ قدرى طوقان :

٥٣ ـ تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ، دار الشروق ، بيروت ، القاهره .

٥٤ ـ الخالدون العرب ، دار القدس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

٥٥ ـ العلوم عند العرب ، دار مصر للطباعه ، مطبوعات مكتبة مصر .

ـ كارل بروكلمان :

٥٦ ـ تاريخ الادب العربي ، الاجزاء الثلاثه الاولى والسادس ترجمة عبد الحليم النجار ، والرابع والخامس ترجمة السيد يعقوب ورمضان عبد التواب ، دار المعارف ، ج ١ ط الرابعه ، ج ٢ ط الثالثه ، ج ٣ ط الرابعه ج ٤ ، ٥ ط الثانيه ، ج ٦ طبعة ١٩٧٧م.

ـ كرد علـــي :

٥٧ ـ الاسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨م.

ـ كمال اليازجي وانطوان غطاس .

٥٨ ـ اعلام الفلسفة العربية ، دار المكشوف ، مكتبة انطوان ولبنان ، بيروت ، ط الثالثة ١٩٦٨م.

ـ لطفي عبد البديع :

٥٩ ـ الاسلام في اسبانيا ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمه والنشر ، القاهره ، ط الاولى ١٩٥٨م.

— لوثروب استوادرد :

٦٠ — حاضر العالم الاسلامي . ترجمة عجاج نويهض ، علق عليه الامير شكيب ارسلان ، دار الفكر للطباعه والنشر . بيروت . القاهره ، ط الرابعه ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٣م .

— لويس يونج :

٦١ — العرب واوربا ، ترجمة ميشيل ازرق . دار الطليعة للطباعة والنشر . بيروت .

— ليفي بروفنسال :

٦٢ — حضارة العرب في الاندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت ، مطبعة النجوى . بيروت .

— محمد ابو زهره :

٦٣ — ابن حزم . حياته وعصره . آراؤه وفقهه دار الفكر العربي ، ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤م .

— محمد اسماعيل ابراهيم :

٦٤ — معجم الالفاظ والاعلام القرآنيه . دار الفكر العربي القاهره ، دار الهنا للطباعه .

— محمد الحسيني عبد العزيز :

٦٥ — الحياة العلمية في الدولة الاسلاميه ، وكالة المطبوعات . الكويت ١٩٧٣م .

— محمد عبد الله عنان :

٦٦ — تراجم اسلامية شرقية واندلسيه ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

ط الثانيه ١٣٩٠ — ١٩٧٠ ٠

٦٧ — دولة الاسلام في الاندلس ، عصر الخلافة والدولة العامرية ، مكتبة الخانجي بالقاهره ٠ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (ط الرابعه ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م)٠

— محمد الصادق عفيفي :

٦٨ — تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، مكتبة الخانجي ٠ القاهره دار نافع للطباعه ١٩٧٦م٠

— محمد كـــرّو :

٦٩ — ابن هانيء الاندلسي ، الدار العربيه للكتاب ، ليبيـا ٠ تونس ٠ ط الثانيه ١٩٧٧م٠

— محمد ماهر حماده :

٧٠ — المكتبات في الاسلام نشأتها وتطورها — ومصائرهــا ، مؤسسة الرساله ٠ بيروت ٠ الطبعة الثانيه ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨م٠

— محمد بن محمد مخلوف :

٧١ — شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ٠ طبعة جديدة — بالاوفست عن الطبعه الاولى ١٣٤٩ هـ ٠ المطبعة السلفية ومكتبتها على نفقة دار الكتاب العربي ٠ بيروت ، دار الكتاب العربي ٠ بيروت ٠

— نقولا زيـــــاده :

٧٢ — لمحات من تاريخ العرب ، دار الكتاب اللبناني ٠ بيروت ١٩٦١م ٠

- هـ • ج • ولز :

٧٣ - معالم تاريخ الانسانيه • ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد • ط الثالثه ١٩٧٢م •

٧٤ - Anwar. G. Chejne : Muslim Spain. Its History and Culture. The University of Minnesota Press, Minnea Polis, 1973.

٧٥ - Titus Burckhardt: Moorish Culture in Spain. Translated by Alisa jaffa London, 1972.

٧٦ - Thomas Ballantine Irving: Falcon of Spain, Lahore, Pakistan, 1962.

٧٧ - Henri Lavoix : Catalogue des Monnaies Musulmanes: EspaGne Et Afrique, Paris, Imprimerie Nationale, 1890.

د ـ الدوريـــــات :ـ

=================

ـ بطرس البستـــاني :

١ ـ دائرة المعارف ، طبعة بيروت ١٨٧٦م.

ـ حسين مؤنـس :

٢ ـ الجغرافية والجغرافيون في الاندلس . مجلة معهـــد الدراسات الاسلامية بمدريد . العدد الثالث ، ج ٧ ـ ٨ . ١٩٥٥م.

ـ خالد ناجـــي :

٣ ـ الزهراوى وعمليات الغده الدرقية . مجلة المؤرخ العربي العدد السادس عشر ١٩٨١م . بغداد .

ـ خوليان ريبيـــرا :

٤ ـ المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية ، ترجمـــة جمال محمد محرز ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربيه ، القاهرة ، المجلد الخامس الجزء الاول ذو القعده ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٩م.

ـ السيد عبد العزيز سالم :

٥ ـ قرطبه في العصر الاسلامي ، مجلة المؤرخ العربـــي العدد الثالث عشر . بغداد .

ـ ضياء الدين الريس :

٦ ـ الكتب نقد وعرض (احمد بن عمر بن انس العذرى ـ نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثـار والبستان في غرائب البلدان ، والمسالك الى جميع

الممالك ، تحقيق عبد العزيز الاهواني) ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، ج ١٣ ، ١٩٦٥م ـ ١٩٦٦م ،

ـ عبد الله مبشر الطرازى :

٧ ـ علم الفلك والنجوم عند اهل الهند والسند واستفادة العرب منه ، المجلة العربية ، السنه الرابعه ، العدد الحادى عشر ،

ـ عبد العزيز بن عبد الله :

٨ ـ الفكر العلمي في المغرب الاقصى وتواكبه مع المسار الحضارى الحديث ، مجلة الداره ، العدد الرابع ، السنه الرابعه محرم ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٨م ،

ـ عبد العزيز بن عبد الله :

٩ ـ الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب ، مجلة الداره ، العدد الثالث ، السنه الخامسه ، ربيع الثاني ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م ،

ـ عبد الجليل الراشد :

١٠ ـ التقدم الفكرى عند اهل الاندلس حتى عصر المرابطين المؤرخ العربي ، العدد الثالث عشر ، تصدرها الامانه العامه لاتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ،

ـ علي عبد الله الدفاع :

١١ ـ امام علماء المغرب في العلوم التطبيقية المجريطي ، مجلة الفيصل ، العدد ٥٦ صفر ١٤٠٢ هـ ،

١٢ ـ الزهراوى الرائد الاول للجراحه ، مجلة الفيصل ، العدد ٤٢ ،

— عمر الدقاق :

١٣ — مغامرة العرب عبر بحر الظلمات • مجلة الفيصل •
العدد ٤٦ • ربيع الثاني ١٤٠١ هـ •

— محمد رضا عوضين :

١٤ — صفحات من تراثنا الطبي • مجلة البحث العلمي والتراث
الاسلامي • مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي
كلية الشريعة • مكة المكرمة • العدد الاول ١٣٩٨ هـ

— محمد عبد العزيز عثمان :

١٥ — المرأة العربية في الاندلس • المؤرخ العربي • العدد
الثالث عشر • بغداد •

— مياس بياكروزا :

١٦ — نشر مخطوط ابن الصفار في كيفية العمل بالاسطرلاب —
(مجلة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، العدد
الثالث ، ج ١ ، ١٩٥٥م •

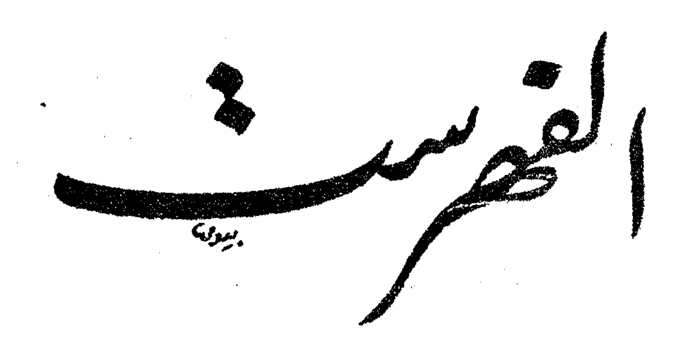
١٧ — المؤلفات الاولى عن الاسطرلاب في اسبانيا الاسلامية
مجلد معهد الدراسات الاسلامية في مدريد • العدد
الثالث ، ج ١ ، ١٩٥٥ م •

١٨ — الموسوعة العربية الميسره باشراف محمد شفيق غربال ،
دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعه والنشر • القاهره
ط الثانيه ١٩٧٢م •

— ى • أ • شاهين :

١٩ — اثر العرب في الطب • محاضرة القيت بجامعة اسكس
٤ نوفمبر ١٩٧١م •

======

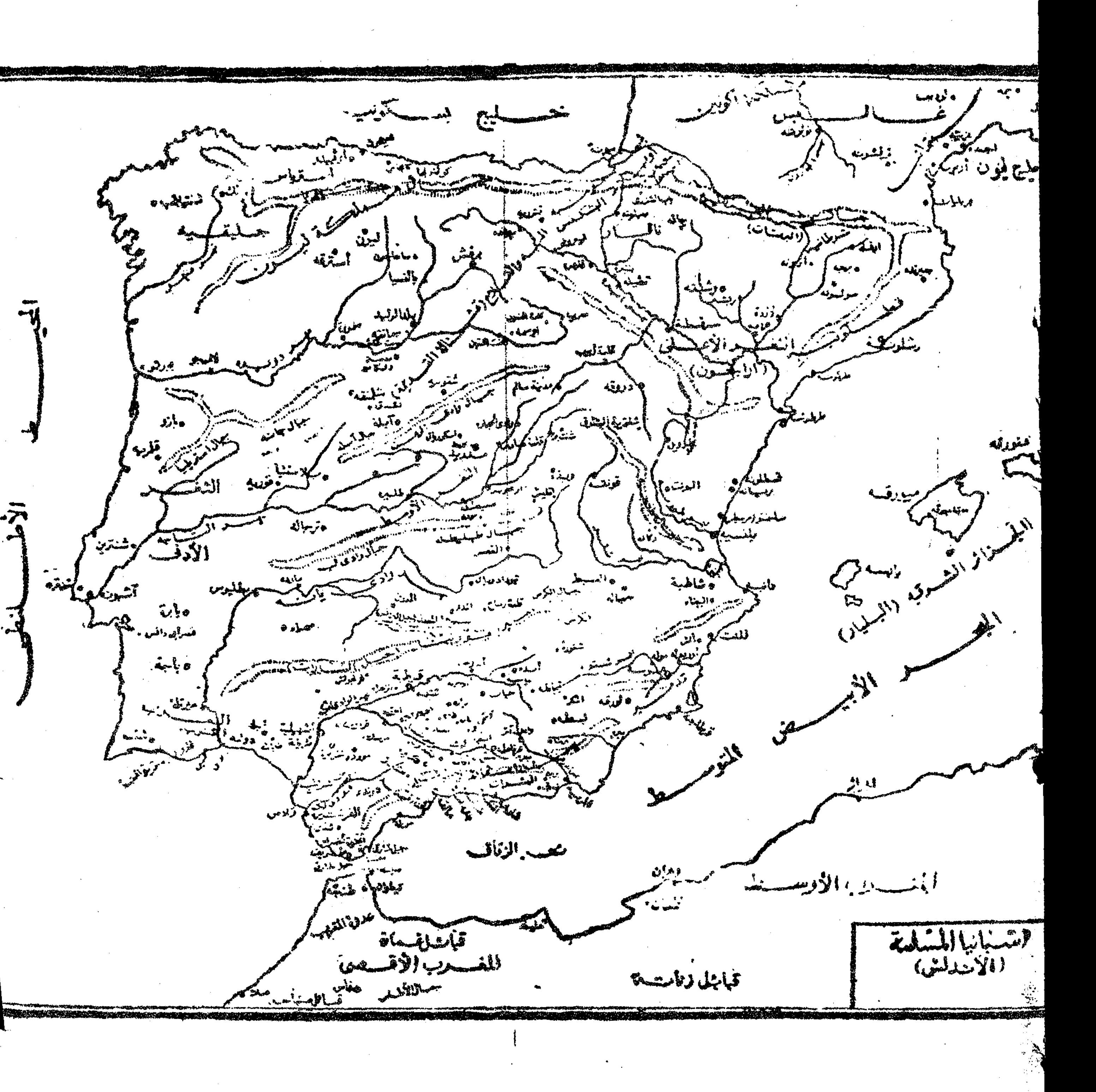

الفهرست

فهرس الرساله

================

الموضوع	الصفحه

======



اسبانيا المسلمة
(الأندلس)
خليج بسكونية
البحر الأبيض المتوسط
الجزائر الشرقية (البليار)
ميورقة
يابسة
مرسية
بلنسية
طليطلة
قرطبة
اشبيلية
غرناطة
المرية
مالقة
سرقسطة
لشبونة
ماردة
بطليوس
لاردة
جليقية
ليون
استرقة
سمورة
شنترين
وادي آنة
تاجه
الثغر الأعلى
الثغر الأوسط
الثغر الأدنى
قبائل غمارة
المغرب الأقصى
قبائل زناتة
المغرب الأوسط
وهران
تلمسان
عدوة المغرب